من ماهيات السيرة

الكتاب الثالث (٣ أجزاء)

عبد الكريم قاسم

في يومه الأخير



د. عقيل الناصري

الكتاب الثالث ج ٢

عبد الكريم قاسم من ماهيات السيرة

الكتاب الثالث : 3 أجزاء

••••••••••••••••••••••••••••••••

الانقلاب التاسع والثلاثون

عبد الكريم قاسم في يومه الأخير

(ج 2)

د . عقيل الناصري

طبعة ثانية منقحة ومزيدة

2015

الفصل الثالث

سباق المسافات الطويلة

- ١.٣ - سباق المسافات الطويلة و القطار الأمريكي
  - مسارات التدخل الغربي في عراق الجمهورية الأولى
  - مسارات التدخل المباشر
  - مسارات التدخل بالاحتواء
  - مسارات التغيير بالقوة
- ٢.٣- سباق المسافات الطويلة
- ٣.٣- الصلة المميتة – الهاوية
- ٤.٣- القطار الأمريكي
- ٥.٣- عراب القطار الأمريكي ومساعدوه



١ـ سباق المسافات الطويلة[1] و القطار الأمريكي[٢]

{الثورة العراقية قلبت الأوضاع في الشرق الأوسط رأساً على عقب [٣]}

ـ مسارات التدخل الغربي في عراق الجمهورية الأولى:

يعتبر القرن التاسع عشر، التاريخ الفعلي للتدخل الغربي في العراق، حيث شهد هذا القرن التدفق الواسع للرحالة الغربيين وبصورة خاصة البريطانيين منهم بوصفهم من العاملين في حقول الاكتشاف والأثار، بغية القيام بدراسة ومعرفة الماهيات الجغرافية والاجتماعية والأثنية لمناطق العراق، وفي الوقت نفسه اقامة صلات مع القوى المحلية

١ ـ استعرنا التسمية من رواية المبدع عبد الرحمن منيف [سباق المسافات الطويلة] التي عَبّرَت عن أحد أهم مضامين صراع الزعيم قاسم مع شركات النفط الاحتكارية، رغم أن المظهر الشكلي للرواية يوحي للقارئ غير المتعمق كما لو أن وقائعها قد جرت في إيران مصدق، لكنها في الحقيقة جرت في عراق تموز/قاسم على وفقّ الوقائع الدالة والمؤشرات المتعددة التي تزخر الرواية بها.

٢ ـ حول التدخلات السرية الأمريكية والبريطانية في العراق وموقفهما من إسقاط حكم الزعيم قاسم خلال الفترة ١٩٥٨- ١٩٦٣، راجع الملاحق في نهاية الكتاب: ١٣، ١١، ٧، ١٥، ١٧، ١٦، ١٨.

٣ - مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، ص. ٢٤٩، مصدر سابق.

المتنفذة وخاصة مع رؤساء العشائر الكبيرة على وجه الخصوص وبعض علماء الدين المسلمين من كل المذاهب. وفي الوقت نفسه : "... فرضت التجارة الواسعة مع بريطانيا اندماج السوق المحلية بالسوق العالمية، وعكست نتائج اقتصادية واجتماعية عميقة الأثر على مجتمع الولايات العراقية، فقد مست جوهر العلاقات الانتاجية في القبيلة، إذ أدى التحول من النظام القبلي الجماعي لملكية الأرض إلى الأشكال الحالية من الملكية العامة والخاصة للأرض..."[٤].

وكذلك فرضت هذه التحولات الاقتصادية البطيئة على البنية الاجتماعية لسكان المدن. وذلك بتأسيس قوى الاحتلال الأول (١٩١٤- ١٩٣٢) لكيان سياسي"... حكمته نخبة الأقلية المتشاطرة قدراً من المصلحة المشتركة مع سياسة بريطانية لبسط سيطرتها على الولايات العراقية الثلاث من خلال حكومة مركزية تألفت بشكل قومي سافر بتعصبه، وطائفية مسيسة أفضت إلى مشروع للهيمنة مستند على ذاكرة تاريخية هي الأخرى مسيسة ضمن سياق الاحتفاء بالماضي والتاريخ التليد، لا بوصفها جزء من جهد مبذول أو إرساء لقيم تصاغ على وفقها الهويات الجماعية الوطنية وتحقيق تماسكها، بقدر ما هي محاولات لتعزيز سلطة نخبة الأقلية على حساب مجموعات اجتماعية معينة..."[٥]. مما اخلت بالعقد الاجتماعي المبرم بينها وبين المكونات الاجتماعية المتعددة وأمسى هذا الاختلال أحد أهم مظاهر الأزمة البنيوية للنظام الملكي برمته حتى سقوطه.

وتاسيسا على ذلك فلقد لعب "... ثمة عاملان أمليا السياسة البريطانية تجاه العراق في الحقبة المبحوثة فيها، الأول سياسي ناشيء من موقع العراق بوصفه الطريق بري إلى

---

٤ ـ د.طارق مجيد العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة في العراق، ص. ٣٥، مصدر سابق.

٥ ـ المصدر السابق، ص. ١٠. تمثلت في البدء هذه النخبة القليلة من فئات التجار والملاكين العراقيين في الريف والمدينة وشيوخ العشائر بالاضافة إلى الضباط الشريفيين والملك المستورد. للمزيد راجع كتابنا الجيش والسلطة، مصدر سابق. علما بأن هذه الفئات لعبت أدوارا مختلفة في سياق التحولات الاجتصادية البطيئة، فمثلا لعب الشريفيون دورا مهما في العقدين الأولين من تأسيس الدولة، لكنه ضعف في أواخر المرحلة. لكن المشترك بينهم ، أنهم كانوا يستمدون مصدر قوتهم من بريطانيا، كما الاخيرة اعتمدت عليهم من خلال تشابك المصالح.

جنوب غربي أسيا وقربه من الخليج العربي الذي يُعدّ منطقة من مناطق السيادة السياسية البريطانية... والثاني العامل التجاري الناشيء عن وجود مصالح الهند البريطانية في العراق ، وبغية أن تحافظ بريطانيا على تلك المصالح لابد من ان تمنع تسلط أية دولة من الدول الكبرى على العراق... "[٦]. وقد اشتدت وتائر هذه المصالح بعد أن استخدمت بريطانيا البترول عوضا عن الفحم في اسطولها الحربي في مطلع القرن المنصرم.. وتوقع توافره في شمال الخليج ومنها العراق ، بكميات كبيرة.

واستقراءً لأحد أوجه تاريخ العراق المعاصر ، فقد بدأ التنافس الغربي يشتد بين مراكز الدول الكبرى ، وعلى الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية ، التي أذعنت بريطانيا لضغوطها عندما تنازلت للشركات الأمريكية عام ١٩٢٨ ومنحتها حصة قدرها ٢٣,٧٥٪ في حقوق استثمار النفط ضمن شركة نفط العراق.[٧] وبمرور الوقت أزداد التنافس اللا تناحري بين الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا في العراق ، بعد ان تخلت الأخيرة في نهاية الاربعينيات عن حماية ما يطلق عليه دول شرق القناة لصالح الأولى بغية إملاء الفراغ خوفا من التدخل السوفيتي للمنطقة.

وعليه فإذا كان تأسيس الدولة العراقية المركزية ، بقدر ماهو نتاج لمتطلبات الاحتلال ذاته ، فهي بذات القدر كانت معلما مركزيا في تاريخ الدولة حيث نقلت المجتمع من النظام العشائري المتشظي إلى الدولة المركزية. في حين تعتبر ثورة ١٤ تموز المَعلَم الأهم

---

٦ - د. سنان الزيدي ، سياسة الولايات المتحدة تجاه عراق قاسم ، ص.٢٣ ، مصدر سابق.

٧ - للمزيد راجع نوري عبد الحميد خليل ، التاريخ السياسي لامتيازات النفط في العراق ، ١٩٢٥-١٩٥٢ ، ص ٦٥ ، بيروت ١٩٨٠. كما يشير د. سنان الزيدي في ص. ٤٧٣ ، مصدر سابق ، إلى ما توضحه تاريخية العلاقة بين الولايات المتحدة والعراق على "... أن الخط البياني لتغلغل الولايات المتحدة الأمريكية في العراق ، يؤشر صعوداً ثابتاً منذ أن بدأ في منتصف القرن التاسع عشر ، الذي أتخذ أشكالاًمتعددة منها الثقافية والاقتصادية بوصفهما مقدمات طبيعية للتغلغل السياسي ، إلا أنها أمتدت بسرعة لتشمل قضايا حساسة مختلفة منها النفط وغيره ، فتكاملت أبعاد تغلغلها إلى حد كبير ..." ، إلى غاية الاحتلال الثالث في ٩ نيسان ٢٠٠٣ ، بعد أن مرت بفترة هبوط في الجمهورية الأولى.

في سلم الارتقاء والتطور، من معالم عراق القرن العشرين لما تضمنته من تغييرات تطورية طالت كل البنى الاجتصادية والسياسية والفكرية وعلاقاته الدولية.

وفي الوقت نفسه وارتباطاً بالموضوع، فقد عكست الثورة عن جوهر التغييرات الداخلية والتراتبية الطبقية وذلك بطرد طبقات اجتماعية من مسرح الحياة السياسية. وكذلك مثلت إحدى جوانبها، صورة للتنافس الإقليمي وصراعٍ مصالح الدول الكبرى الفاعلة في الساحة الدولية آنذاك، على الشرق الأوسط بعامةً والمشرق العربي منه بخاصةً، حيث كان العراق أحد بؤره المركزية من الناحية الاستراتيجية، بكافة أبعادها الاقتصادية والسياسية وحتى العسكرية. إذ [...غيرت ثورة ١٤ تموز الجو السياسي في المنطقة كلها، إذ أدركت القوى العظمى، المسيطرة على اقتصاد الخليج، خطورة نشوب ثورات مماثلة في كل المنطقة...[٨]].

فكان هذا بحد ذاته بمثابة تهديد وإضعاف لهذا الوجود الغربي.[٩] كما توضح تاريخية الدولة العراقية المعاصرة، أن سلطات المرحلة الملكية برمتها وقاعدتها الاجتماعية اعتمدت "... في جميع الأحوال إلى الإسناد البريطاني، حتى وإن اختلفت معه في بعض الأحيان بشكل أو آخر في تحقيق المصالح المتشابكة، لكن يبقى تحقيق المشروع القومي في العراق هو نقطة الالتقاء الأكثر أهمية في المحافظة على المصالح البريطانية...". لكن كان هناك استثناء وحيد عندما حاول الجيش ولأول مرة لا غيرها أن يتصرف طيلة تلك المرحلة بغير هذا الإسناد، وكان ذلك "... **في الرابع عشر من تموز ١٩٥٨**

---

٨ ـ كمال مجيد، النفط والأكراد، مصدر سابق، ص ٤١. وبالتناقض مع ذلك.. كان التغيب القسري لثورة ١٤ تموز، قد غير ثانيةً من الموازين الدولية في المنطقة وأعادها، نسبياً، كما كانت عليه في الخمسينيات مع تغير طفيف في الشكل.. إذ بسقوط الجمهورية الأولى في شباط ١٩٦٣، انحسر النفوذ الدولي للاتحاد السوفيتي السابق فيها.. بفعل عملية الصراع الفكري السياسي الذي خاضه المعسكران المتناقضان تناحرياً (الاشتراكي والرأسمالي)، مما أعطى زخماً لكل القوى المعادية لقوى التحرر وبالأخص الحركات الدينية والقومية اليمينية في العالم العربي وفي مقدمتها حزب البعث، والتي استخدمتها بريطانيا والولايات المتحدة في الانقضاض على أية حركة ذات نزعة استقلالية عن المعسكر الغربي بوعي أو/ وبدونه.

٩ ـ راجع للمزيد د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية مصدرسابق.

آملاً لحل الإشكالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكل ثوابت برسي كوكس، وخلق قوى دعم جماهيري للتغيير، كانت ترى في الملامح الاجتماعية والسياسية للنظام الجمهوري دلالات على تمثيل اجتماعي وطبقي وسياسي لمجمل تكوينات المجتمع العراقي، وهو ما أكده التنوع العرقي والمذهبي لتنظيم الضباط الأحرار ووزارة عبد الكريم قاسم الأولى التي جاءت ممثلة للفئات العرقية والمذهبية الأساسية في العراق، العربية والكردية والشيعية والسنية. ولكن لم يكتب لهذا التحول الجديد الاستمرار والنجاح..."[١٠].

وتأسيسا على ما حدث من تغيّر بنيوي وجوهري في عراق ١٤ تموز، فقد تعرضت مصالح ومواقع المراكز الرأسمالية الكبرى في عموم العالم الغربي إلى صدمة كبيرة، وبالأخص بريطانيا ومن ثم الولايات المتحدة الأمريكية، إذ قارن رئيسها الأسبق آيزنهاور أحداث ١٤ تموز بأحداث الثورة الصينية، عندما قال في مذكراته:

[... في صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨ تلقيت بصدمة أنباء الانقلاب في بغداد ضد النظام الملكي الهاشمي. هذه هي البلاد التي كنا نعتمد عليها بكل ثقلنا في أن تكون الحصن الحصين للاستقرار والتقدم في المنطقة.. إذا لم يلق تحوّل الأحداث بهذه الصورة المعتمة الرد الشديد من جانبنا فقد يؤدي إلى إزالة كل النفوذ الغربي في الشرق الأوسط... وتحدثتُ مساءً في الخطاب الذي أُذيع في الساعة السادسة والنصف، وأشرت إلى التماثل بين الوضع في لبنان وبين ما واجهنا في اليونان في سنة ١٩٤٧. كما لفت النظر إلى الانقلاب الشيوعي في تشكوسلوفاكيا في ١٩٤٨، وإلى الانتصار الشيوعي في الصين ١٩٤٩، وإلى محاولات الشيوعيين للسيطرة على كوريا والهند الصينية منذ عام ١٩٥٠...[١١]].

---

١٠ - د. طارق مجيد تقي العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٥٨، مصدر سابق.

١١ - مستل من نجم محمود، المقايضة، مصدر سابق، ص ٢٨. هذه المفاجئة "...كان وقعها أشد على القوى الاستعمارية ومن يدور في فلكها من الحكام في المنطقة، ومما يؤكد ذلك أنه عندما (دق جرس الهاتف الموضوع إلى جانب جون فوستر دلس وزير خارجية الولايات المتحدة عام ١٩٥٨، فامتدت يد السياسي العجوز الذي طالما هدد العالم بسياسته الرعناء المعروفة ب(حافية الهاوية)

وعليه"...اصبح اهتمام الإدارة الأمريكية منصباً بالكامل على الشرق الأوسط وفي يوم الانقلاب (المقصود ثورة ١٤ تموز- الناصري)، كتب مدير وكالة المخابرات الأمريكية آلن دالاس بعض الملاحظات الإيجازية خلص فيها الملاحظات الإيجازية خلص فيها إلى: أن انقلاب العراق، إذا تكلل بالنجاح يبدو من المحتوم تقريباً أنه سيطلق تفاعلاً متسلسلاً سيحكم بالموت على الحكومات الموالية للغرب في لبنان والأردن والعربية السعودية، ويخلق مشاكل كثيرة لكل من تركيا وإيران ..."[١٢].

وخاض غمار الحرب الباردة على حساب مصالح الشعوب الفقيرة والمستبعَدة، إلى الهاتف ووضع السماعة على أذنه التي عانى من ألم شديد فيها مما أثقلت عليه السمع فقال يكمل:

- من؟ فجاءه الجواب من الطرف الآخر مثل لسعة حادة :

- سيدي حصل انقلاب في بغداد.

انتفض (دلاس) من فراشه مذعوراً وأحس بألم عارم في بطنه، مغص راح يشتد عليه ويقطع أنفاسه، لم يستطع مغادرة فراشه، وامتدت يده إلى الهاتف مرة أخرى وراح يطلب إسعاف بسرعة.نقل (دالاس) إلى اقرب مستشفى، في ذلك الوقت، كان العراقيون ينقلون (جثة) نظام متهرئ كان عمره ٣٧ سنة إلى أقرب قبر ليدفنوه إلى الأبد...". شامل عبد القادر، عبد الكريم قاسم البداية، ص. ٣١٤، مصدر سابق.

في الوقت نفسه "... يقول مدير وكالة المخابرات الأمريكية الأسبق (آلن دلس) إن الوكالة فوجئت (بثورة العراق وبحائط برلين). لكنه لم يقل إن الوكالة فوجئت بالثورة المصرية..." لأنه وحسب حسين حموده، أحد الضباط الاحرار في مصر، "... فيذكر أنه حضر في عام ١٩٥١ عدة اجتماعات بين عبد الناصر والملحق العسكري الأمريكي نوقشت فيه قضية تسليح الجيش المصري والموقف الدولي والخطر الشيوعي ... وقدم كوبلاند هدية المخابرات الأمريكية وقام بإنشاء (صوت العرب) التي وجهت أقذر الشتائم إلى الحكومات العربية ...: د. علاء الدين الظاهر، إنصاف عبد الكريم، مجلة الموسم العدد ١٠٢، ص. ٦٨، ٦٩ مصدر سابق.

١٢ - وليام جي. زيمان، مستل من حسن السعيد، البعث والقطار، ص.٤٨، مصدر سابق. ومن الجدير بالذكر أن الولايات المتحدة تذرعت (بالمد الشيوعي) حسب تعبيراتهم، لأجل ايقاف تأثيرات الثورة على مصالحها في المنطقة. وإزاء ذلك اقترح قائد العمليات البحرية العسكرية (بورك) "... استعداد القوات الأمريكية التي بإمرته للقيام بعمل عسكري في العراق (للمحافظة عليه من

إن هذا الموقف الأمريكي ترتبط حيويته بالماهيات الحقيقية "... للتحولات الملموسة التي طرأت على سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، لا سيما بعد تصدع جدار وجودها على الساحة العراقية إثر انهيار النظام الملكي، الذي علقت عليه حكومة واشنطن آمالاً كثيرة... "[١٣]. و "... وعلى ضوء التقارير الأولية التي توافرت في أروقة وزارة الخارجية، أتصل وزير الخارجية الأمريكية دالاس هاتفياً بالرئيس آيزنهاور يوم الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ لإبلاغه بحدوث (انقلاب) في العراق وإثر هذا الإتصال أصيب الرئيس آيزنهاور بالصدمة والذهول حين علن بتلك التطورات في دولة كانت تعد حصن الاستقرار والتقدم في المنطقة كما ورد في مذكراته..."[١٤].

ليس هذا حسب فلقد أثر هذا التغيّر الجوهري في مجمل المسارات السياسية العالمية اللاحقة وفي منطقة الشرق الأوسط على وجه الخصوص، سواءً فيما يخص:

- العلاقة بين المتناقضين الأرأسين المتناحرين آنذاك وهما العالم الرأسمالي، بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، والعالم الاشتراكي، بقيادة الاتحاد السوفيتي السابق، كمفاهيم سياسية وفلسفة اجتماعية ومصالح استراتيجية؛

الشيوعية) على حد تعبيره ، وفي الوقت نفسه، اقترح بورك أن تستخدم الحكومة الأمريكية سياسة الترغيب والترهيب مع عبد الكريم قاسم..."، مستل من د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٢١١ ، مصدر سابق. ومن الجدير بالذكر أنه "... في ١٥ تموز (يوليو) بدأ إنزال مشاة البحرية الأمريكية في لبنان وبلغ عددهم بعد فترة وجيزة ٢٠ ألفاً. وتم في الوقت نفسه إرسال ستة آلاف جندي انكليزي إلى الأردن. وقد كانت هذه القوات كبيرة إلى حدٍ لايدع مجالاً للشك في أن مهمتها ليس الدفاع عن لبنان والأردن من الخطر العراقي المفترض، إذ كان هناك خطر قيام القوات الأنكلو- أمريكية بغزو مسلح بالعراق. وأثار القلق من هذه الناحية موقف تركيا وإيران وباكستان التي كانت مستعدة للحفاظ بالقوة على حلف بغداد المتقوض والقضاء على النظام الجديد في العراق من أجل ذلك...". يفغيني بريماكوف، الشرق الأوسط ،ص. ٥٣، مصدر سابق.

١٣ـ د. سنان صادق الزيدي، سياسة الولايات تجاه قاسم، ص. ١٢، مصدر سابق

١٤- المصدر السابق، ص. ٥٥.

- العلاقة بين المتناقضين اللامتناحرين، الساعي كل منهما لفرض هيمنته على المنطقة، وهما بالأساس الولايات المتحدة وبريطانيا[15] ؛

---

١٥ ـ كانت التناقضات بينهما لا تناحرية مقارنة مع الاتحاد السوفيتي والمنظومة الاشتراكية آنذاك. كما إنها كانت مستترة إلى حدٍ ما، برزت مكوناتها لاحقاً، حيث انصبت جهود أمريكا على إزاحة الهيمنة الأوربية، بريطانيا وفرنسا، الأكثر بروزاً ودمجها تحت سيطرتها، كما يشير نعوم تشومسكي. مستل من فاخر جاسم - العراق ومشاريع الهيمنة الدولية، ص ٩٦، دار المنفى ١٩٩٩، السويد.

وعليه كانت " ... سياسة واشنطن في تلك المدة اتسمت بتكثيف جهودها لربط دول المنطقة بمجمل السياسة الأمريكية ودعمها لحكوماتها ومساندتها خوفاً من الخطر الشيوعي المزعوم، فكان تشكيل ميثاق بغداد في العام ١٩٥٥، أحد تلك الجهود التي حضيت بمباركة واشنطن. إلا أن دول المنطقة شهدت ارتباكا نتيجة للعدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ وما نتج عنه من تغيير في ميزان القوى الدولية وأفول نجمي بريطانيا وفرنسا في المنطقة...". د. سنان الزيدي، ص. ٣٥، المصدر السابق.

ويذكر المؤلف في ص.٤٦، رأي خليل كنه القطب البارز في نخبة الحكم الملكي، من أن هذا الصراع اللا تناحري بين القطبين كانت السبب في زوال النظام الملكي، حيث يرى "... أن سياسة الولايات المتحدة التي لا تخلو من تعقيدات نتيجة تنافسها مع بريطانيا ومحاولتها إضعاف حلقات نفوذها في العراق والقضاء على العناصر المتعاونة معها...".

وفي الوقت نفسه ما عزوف أمريكا عن العمل المشترك مع بريطانيا لإجهاض ثورة تموز، في أيامها الأولى سوى البدايات الأولية التي بدأت منذ نهاية الأربعينيات ومطلع الخمسينيات، والتي كانت مؤشراً لبداية المسؤولية الأمريكية العالمية في منطقة الشرق الأوسط، وذلك عندما قررت بريطانيا في نهاية الأربعينيات الانسحاب من شرق القناة والطلب من أمريكا ملء الفراغ بدلاً من الاتحاد السوفيتي السابق. كما برز التناقض الأمريكي - الأوربي بصورة أكثر وضوحاً بعد انهيار المنظومة الاشتراكية. وكرست الهيمنة الأمريكية على المنطقة منذ حرب الخليج الثانية. لقد كان انقلاب ٨ شباط يعبر في حد ذاته، و في أحد أوجهه عن هذا الصراع الأمريكي/البريطاني.

وتأسيساً على ذلك فإن [...الصراع الأمريكي البريطاني في الشرق مال لصالح الأمريكان الذين ينتهجون سياسة الهلال الخصيب بصيغة أمريكية أي بغير العناصر التي كان قد اعتمدها

- واقع الصراع بين مصالح دول المنطقة الإقليمية من جهة، والدول العربية، وعلى الأخص المتحررة منها من جهة أحرى، حول قضية العرب المركزية (فلسطين) وماهيتها كواقع وفكر، كتكتيك واستراتيج، ومع إسرائيل كقاعدة للمراكز الرأسمالية.

وكما أشرنا سابقاً فقد غيرت ثورة ١٤ تموز من موازين القوى، ومن معادلات الصراع الدولي والإقليمي، وحتى بين المكونات الاجتماعية والاقتصادية داخل العراق. مما دفع بالقوى المتضررة، وخاصةً الخارجية منها، إلى العمل بقوة على إيقاف سريان مفعول تأثير الثورة على دول الجوار الحليفة لها وفي المنطقة، ومن ثم إعادة تعزيز القوى الاجتماعية التقليدية والمتضررة من فعل التغيير وإستمراريته، ومن القوى الحليفة لها داخل العراق والموالية للغرب بغية [**كبح الحصان الجامح وإعادته إلى الحظيرة** - حسب تعبير مجلة الايكونومست البريطانية]، لأن عراق الجمهورية الأولى أصبح يشكل خطراً حقيقياً على مصالحها في عموم المنطقة. ولهذا فإن "...حكم الزعيم عبد الكريم قاسم قد شكل للحكومة الأمريكية عائقاً لتنفيذ سياستها تجاه العراق بعد تدهور الاوضاع فيه ،مما أدى إلى تغلغل السوفيت في العراق، من وجهة نظرها... "[١٦]. لذا فقد أتبعت المراكز الغربية، والأمريكية والبريطانية في مقدمتها، كما اري، أساليب متعددة للتأثير على عراق قاسم ضمن سياق ثلاث مسارات أرأسية متداخلة فيما بينها ورتهن ذلك بالظرف المادي الملوس، وهي:

آ - مسار التدخل المباشر:

تجسد هذا المسار، منذ الأيام الأولى للثورة، في محاولات التدخل والاحتلال الخارجي المباشر لإسقاط النظام الجديد من قبل دول حلف بغداد، بالتعاون مع دول الجوار

البريطانيون لهلالهم الخصيب...] حسب تعليق جريدة (الجريدة) اللبنانية بصدد تعليقها على مرور شهر على انقلاب شباط، مستل من ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، مصدر سابق، ص ٣٤٩.

١٦ - د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٢٨٢، مصدر سابق.

الحليفة لها. لكن هذه المحاولات باءت بالفشل الذريع للأسباب الأرأسية الخمسة التالية:

١ - النجاح السريع والخاطف للثورة؛

٢ - عمق التأييد الشعبي الذي لاقته الثورة منذ إعلانها، وسعة شموله الاجتماعية/الأثنية لكل جغرافية العراق؛

٣ - القضاء على ثلاثي أقطاب الحكم وهم: الملك، وولي العهد عبد الإله ورئيس الوزراء نوري السعيد[١٧]؛

٤ - الموقف الخارجي المساند للثورة والمتمثل بالدرجة الأولى في موقف الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي السابق؛

٥ - التناقض في المواقف الإستراتيجية المستقبلية بين الأقطاب الرئيسية لدول حلف بغداد [١٨] وعلى الأخص بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، العاملة على فرض سيطرتها على عموم المنطقة وطرد الأولى منها [١٩].

---

١٧ - لقد أكد هذه الحالة حتى العديد من القادة الغربيين، منهم آيزنهاور الذي ذكر: [... إن إمكانيات ثورة مضادة في العراق كان لها أن تعتمد إلى حدٍ كبير على قيادة نوري السعيد، الذي كل ما نعلمه عنه أنه قد قتل. وإذا كان قد ولى، فإن مسألة العمل المضاد في العراق تخرج كلياً من التصور. وهذا أيضاً ما اعترف به رئيس الوزارة البريطانية، مكملان حيث قال في مذكراته: أصبح من المستحيل إعادة العهد القديم وقد قتل ممثلوه الرئيسين بوحشية... وتقول المؤرخة الأمريكية إليانور دلس في كتابها حول سيرة وزير الخارجية الأمريكية، جون فوستر دلس: قامت الثورة في بلد هو بسبب موقعه (الجغرافي)، أبعد جميع بلدان الشرق الأوسط منالاً وأصعبها في إيصال الإمدادات. ثم إن الانقلاب في العراق صفى بسرعة خاطفة وشاملة **الأفراد الأساسيين، بمن فيهم الملك ورئيس الوزراء فأصبح من المستحيل القيام بأي عمل يعيد الأمور إلى حاله السابق...**]. مستل من نجم محمود، المقايضة، ص ٥٤، مصدر سابق.

١٨ - رفضت بريطانيا بشدة فكرة غزو العراق من قبل تركيا المدعومة من أمريكا [... لذلك كانت تصر على أن يكون غزو العراق عملية بريطانية/أمريكية. أما أن تنفرد تركيا في دخول الأراضي العراقية

هذه العوامل تفاعلت فيما بينها جدلياً وأسقطت ذريعة التدخل الخارجي المتبرقع بـ (الشرعية الدفاعية) لدول حلف بغداد وكبحت جماحه بالتزامن مع جملة من العوامل الأرأسية التي يمكن إيجازها في[٢٠] :

- السرية والكفاءة العاليتين في التحضير والإعداد للثورة[٢١] ؛

وتتولى إسقاط ثورة ١٤ تموز بمعونة أمريكية فذلك يؤدي في نظر لندن إلى تصفية النفوذ البريطاني في العراق وانتقاله كلياً ضمن الساحة الأمريكية - التركية]. المصدر السابق، ص ٥٣. لهذا السبب خططت أمريكا بما متاح لها وبالتعاون المحدود مع بريطانيا لإسقاط نظام تموز/ قاسم وقد فشلت في العديد من هذه المحاولات، كما مر بنا، لكنها نجحت في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣.

١٩ - تعود جذور الخلاف بين المصالح الأمريكية والبريطانية إلى فترات سابقة تمتد إلى مرحلة ما بعد الحرب العالمية الأولى، وازدادت عمقاً بعد الحرب العالمية الثانية، حين حاولت أمريكا الاستحواذ على مناطق النفوذ البريطاني، منذ أن خططت الأخيرة للانسحاب من شرق القناة عام ١٩٤٨، وأصبحت أكثر وضوحاً بعد هزيمة بريطانية في حرب السويس، حيث تملكتها مرارة عميقة من المساعي الأمريكية للحلول محلها في عموم المنطقة. ثم جاءت ثورة ١٤ تموز لتقضي على متبقيات الإمبراطورية البريطانية في العراق والمنطقة. علماً أنها حاولت استباق الثورة في العراق من خلال إحداث انقلاب فوقي في العهد الملكي لإيقاف الزحف الأمريكي ويعيد لها مكانتها التاريخية على العراق، وذلك بإقصاء نوري السعيد وتعيين عبد الإله سفيراً في أمريكا، بواسطة انقلاب عسكري يرضى عليه القصر والجيش. لأن الغرب عامةً، رأى في نوري السعيد و بقايا الضباط الشريفيين ممن حوله، أنهم أصبحوا من مخلفات التاريخ. للمزيد راجع: مجيد خدوري، العراق الجمهوري؛ نجم محمود، المقايضة؛ د. فاضل حسين، سقوط النظام الملكي في العراق؛ الجزء الأول من المحكمة العليا الخاصة. كلها مصادر سابقة.

٢٠ - للمزيد يراجع كتابنا، من ماهيات سيرة عبد الكريم قاسم، الكتاب الثاني، الجزء الأول، ١٤تموز- الثورة الثرية، الفصل الثالث، مصدر سابق.

٢١ - تجلت هذه السرية في اقصى درجاتها ففوتت الفرصة على الدوائر الغربية معرفتها، إذ "... كانت تلك الدوائر تُخضع النظام الملكي لتقويم دوري بصورة رسمية وغير رسمية بين مجموعاتها الاستخبارية بسبب فقدان النظام لأية قاعدة شعبية وتأثير عبد الناصر على الأوضاع الداخلية. ومع ذلك فقد كانت ترى أن الحكومة العراقية قادرة على التصدي لأية محاولة من المعارضة الشعبية مالم يتطور إلى أساس تنظيم معين في القوات المسلحة، بسبب عدم وجود أداة سياسية

- السيطرة على المناطق الحيوية والحساسة في العاصمة بغداد ؛
- وبالتالي المباغتة في التنفيذ ؛
- الإحباط والإجهاض الفوريين للتحركات العسكرية المضادة، التي قامت بها بعض الوحدات العسكرية المتمركزة في كل من: الديوانية والمسيب والناصرية و كركوك ؛
- انعدام وجود شخصية بارزة ومؤثرة من نخب الحكم السابقة، تقود حركة المقاومة (الثورة المضادة) وتطلب التدخل من دول حلف بغداد أو/و الاتحاد الهاشمي[٢٢] ؛
- استدعاء قادة الثورة لبعض كبار الإقطاعيين وشيوخ العشائر الكبرى إلى بغداد، وبخاصة المالكين لقوة مسلحة، بغية إغلاق منافذ تحركاتهم المحتملة المناهضة للثورة ؛
- النشاط الدبلوماسي الهادئ والواعي والسريع، الذي عبرت به الثورة عن ذاتها ومكوناتها، سواءً في البيان الأول أو مقابلاتها لأعمدة السلك الدبلوماسي الغربي وبخاصة دول حلف بغداد وأمريكا.
- الطلب من البعثات الدبلوماسية عدم استخدام اجهزة الارسال المشفرة كما تم سحب الأجهزة اللاسلكية منها، بغية امكانية الحد من استخدامها لاجهاض حركة التغيير السياسي أو هكذا كما كان يبدو على القائمين بالحركة [٢٣] ؛

منظمة ذات أهمية تذكر **وكانت تلك هي الحقيقة**...". حسب الوثائق الأمريكية. مستل من د. سنان الزيدي، ص. ٤٦، مصدر سابق.

٢٢ - "... خلال اليام الأولى من قيام الانقلاب، بلغ عدد المعتقلين من السياسيين (المدنيين) من رجال العهد الملكي مائة وأربعة معتقلين، أما الضباط الذين تم إعتقالهم فكان أكثر بكثير من عدد المدنيين، ويقدر بمائة وخمسين ضابطاً...". على ذمة موضوعية، أحمد باش أعيان، انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق خلفياته وذيوله، مع موجز عن العهد القاسمي (١٩٥٨ – ١٩٦٣)، ص. ٣٥٨، دار الحكمة، لندن ٢٠١٣. علما بأن المؤلف لم يذكر مصدر معلومته هذه. وهذا ديدن الكتاب برمته.

- طبيعة الخطاب السياسي الموزون والمتسم بالحذر والحيطة، الذي أكد على أهمية تدفق النفط، مما طمأن المصالح الغربية والدول المستهلكة له وهدأ من بواعث تدخلهم[٢٤].

٢٣- المصدر السابق، ص. ٦٠.

٢٤ - ينقل محمد حسنين هيكل، عن لسان خروشوف، بعد انتصار ثورة ١٤ تموز ما يلي: [**أريد أن أخبركم بما قاله إيدن، عندما كنا، بولغانين وأنا، في لندن عام ١٩٥٦. قال إيدن: إذا واجهنا أي تهديد لتجهيزات بريطانيا النفطية فإننا سنخوض الحرب. وكان يتكلم بكل جد وما حدث للتو يبين هذا... الآن جاءت الثورة العراقية تهديداً لذلك النفط. وأنا لا أعرف شيئاً عن قادة العراق الجدد، لكن من المهم جداً أن يطمئنوا الغرب إلى عدم انقطاع تجهيزات النفط. يجب أن تلعب أوراقك بكل حذر. ولتعلم إن هذه لعبة أعصاب...**]. مستل من نجم محمود، المقايضة، ص ٥٩، مصدر سابق.

والشيء بالشيء يذكر، فإن استراتيجية الولايات المتحدة في المنطقة قد تركزت في هذه الناحية الهامة، حسب قول وزير العدل الأمريكي الأسبق رامزي كلارك، استناداً إلى اعترافات البنتاغون وخططه: " **إن هدفنا في الشرق الأوسط وجنوب غرب آسيا هو البقاء كقوة خارجية مسيطرة في المنطقة والحفاظ على طرق النفط للولايات المتحدة والغرب**". راجع، النار هذه المرة، جرائم الحرب الأمريكية في الخليج، ت. مازن حماد، ص. ٢٣، الشركة الأردنية للصحافة والنشر، عمان ١٩٩٣.

وقد أقترنت هذه السياسة وأدرجت "...ضمن مشروع مكافحة النشاطات الشريرة في الاتحاد السوفيتي، وقد بلغت عشرة إجراءات، فجاءت وكأنها الوصايا العشر للمخابرات الأمريكية المركزية وهي: ١. دعم الحكام الموالين؛ ٢. شراء ذمم الحكام؛ ٣. إسقاط الأنظمة المناهضة؛ ٤. تدبير الانقلابات؛ ٥. حياكة المؤامرا؛ ٦. افتعال الاضطرابات؛ ٧.القيام بالاغتيالات؛ ٨. السلاح الأمضى؛ ٩.البحث عن عناصر المهمات الخاصة؛ ١٠.صناعة النخب السياسية...". وليام جي. زيمان، التدخلات السرية الأمريكية مستل من حسن السعيد البعث والقطار، صص.٢٤- ٤٢. مصدر سابق.

- تأمين الحماية للرعايا الأجانب المقيمين في العراق مما أغلق منفذ التدخل الخارجي بحجة حماية الرعايا؛
- تأكيد حكومة الثورة على احترام المواثيق والاتفاقات الدولية المبرمة، كميثاق الأمم المتحدة ومؤتمر باندونغ، مما أضفى الطبيعة الحيادية الإيجابية للثورة، وبالتالي نزع فتيل التدخل الغربي[٢٥].
- عمق تأييد شعوب دول الجوار وبعض حكوماتها، وحركات التحرر في العالم الثالث والذي تجلى في سرعة الاعتراف الدولي بالنظام الجديد (٢٢ دولة اعترفت في اليومين الأولين).

ونتيجة لهذه العوامل جميعها، إضافة إلى التخوف من احتمال المواجهة مع دول المعسكر الاشتراكي آنذاك، ولاستتباب النظام في بغداد، فقد أُجبر الغرب، متمثلاً بدول حلف بغداد، على التخلي عن استخدام القوة العسكرية لعودة النظام القديم، مبررةً ذلك بتكرارها القول أنها بذريعة مبدأ آيزنهاور أنزلت قواتها في لبنان، وهذا لا ينطبق على ما يحدث في العراق الجمهوري، مما يعني شل قدرتها على التدخل العسكري المباشر وعدم سماحها لدول الجوار التابعة لها القيام بمثل هذا العمل. وبإخفاق هذه السياسة، اتفقت دول حلف بغداد والولايات المتحدة (مجبرةً) على إتباع سياسة جديدة تمحورت خطوطها العامة في:

- التخلي عن فكرة التدخل المباشر من قبلهم؛

---

٢٥ ـ أشاعت الدول الغربية والمراكز الرأسمالية، عبر أجهزة إعلامها المؤثر، ما يمكن أن نطلق عليه بالدعاية السوداء، التي مفادها بأن حكومة الثورة سوف تهاجم بعض دول الجوار وتحديدا الأردن، بعد أن تشدد قبضتها على الجيش والوضع الداخلي. رغم قناعتها التامة بأن هذه الفكرة بعيدة الاحتمال، إن لم تكن سخيفة، بغية تأليب دول الجوار العربي وغير العربي، ضد الثورة ومن ثم طلبها الحماية منها. وهذا ما تم بالنسبة إلى لبنان والأردن، حيث نزلت القوات الأمريكية والبريطانية فيهما على التوالي في اليومين الأولين للثورة.

- عدم تشجيع دول الجوار الحليفة على القيام بمغامرة عسكرية، وبخاصةً من قبل تركيا والأردن؛

- دعم هذه الدول الحليفة عسكرياً وسياسياً وأمنياً، ومنع سريان مفعول الثورة إليها؛

- الحفاظ على الحالة السياسية في دول المنطقة بعامةً والخليج بخاصةً، وقمع التعاطف الشعبي مع ثورة العراق ومنع تطوره وتماثله لما حدث فيه وبقاءها ضمن الفلك الغربي.

وإزاء ذلك سارت دول المراكز الرأسمالية، وخاصة الولايات المتحدة في مسار آخر لكبح جماح التغيّر في العراق والمنطقة، إذ "... أدرك صانعو القرار الأمريكي في عهد الرئيس ايزنهاور (١٩٥٢- ١٩٦١) وكنيدي (١٩٦١- ١٩٦٣) إن العراق الجمهوري قد انتقل إلى مرحلة جديدة، تختلف بملامحها وسماتها العامة على وجه التحديد عن أوضاع ما قبل الثورة، لتبدأ صفحة جديدة في العلاقات الدبلوماسية بين واشنطن وبغداد... أسهمت في صياغة سياسة أمريكية على وفق اتجاهات وأهداف الدبلوماسية الأمريكية التي من شأنها المحافظة على مصالحها ومواقعها في العراق وقبولها الواقع الجديد...[٢٦] " هذا من جهة .

ومن جهة ثانية فإن سياسة قاسم الوسطية في ظل الحرب الباردة بين المعسكرين آنذاك، لا تقبل بالحلول الوسطية.. لذا اصطدمت سياسة قاسم بمصالح القطبين المتناحرين؟؟.. اذا كان العراق في زمن قاسم قد تحول في عهده إلى مادة خصبة في الحرب الباردة.. وحاول كل طرف محاولة جذب العراق إلى جانبه، من جهة أخرى.[٢٧]

---

٢٦ - د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٧، مصدر سابق.

٢٧- للمزيد راجع المصدر السابق ص. ٤٧٥، وما بعدها.

ب- مسار سياسة الاحتواء:

حاولت الدول الغربية، ضمن منطق ماهيتها الاستعمارية، إعادة فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية ببعديهما الاستراتيجيين، من خلال عملية احتواء النظام الجديد بكل السبل الممكنة وغير الممكنة[٢٨]، وذلك بإتباع أساليب عدة في آن واحد تستهدف منها زعزعة النظام وتفتيت قاعدته الاقتصادية وتحجيم قواه الاجتماعية، لأجل كبح استمرارية تطوره المستقل، وكذلك اصطناع وإثارة العديد من المصاعب الكامنة في رحم وبنية الواقع الاجتماعي والتي يعود بعضها، موضوعياً إلى الطبيعة المتنوعة للمكونات الاجتماعية والسياسية والاثنية للعراق، كل ذلك بغية خلق حالة من اللا استقرار السياسي، الذي سينفي بدوره منطقياً، أية إمكانية في تطوره الاقتصادي، وبالتالي يعيق الثورة من تحقيق ذاتها وأهدافها المرسومة مما ينجم عنه تشتت قاعدتها الاجتماعية المستهدفة من قبلها أصلاً وزعزعة الثقة بالنظام مما يسهل بالتالي القضاء عليه.

لقد تتوءمت وتزامنت هذه الوضعية، مع سياسة الترغيب، في البدء، ومن ثم الترهيب المبطن، ليصل الأمر إلى خاتمته المنطقية، المعلنة. وذلك عندما رأت المراكز الرأسمالية، أن السلطة الجديدة لم تخضع للتهديد والابتزاز ولم ترضخ لضغوطاتها المتعددة الأبعاد، ولا مسايرتها لسياساتها، وعلى الأخص فيما يتعلق بأثنين من أهم مضامين الصراع الدولي في المنطقة، ألا وهما: قضية التحرر العربية، وأهمهما آنذاك القضية الفلسطينية، وحرب التحرير في الجزائر؛ والسياسة النفطية المستقلة عن المحاور الاحتكارية، لما له من مكانة بالنسبة للماكنة الصناعية/ العسكرية للرأسمالية الغربية[٢٩].

٢٨- للمزيد راجع نجم محمود، المقايضة مصدر سابق.

٢٩ - في حين تعتقد دراسة أكاديمية جادة أن "... أبرز قضيتين ساهمتا في إسقاط نظام (عبد الكريم قاسم) وتصفيته جسدياً. ويبدو أن هاتين القضيتين مع غيرها من الأسباب التي أشرنا إليها، استغلتها

كان صعود التيار الديمقراطي ذو القاعدة الشعبية الواسعة، وعلى وجه الخصوص اليساري منه الذي رنا إلى اختصار زمن قهره المادي والمعنوي، في مثل هذه المنطقة المهمة وضمن لعبة التوازنات الدولية الأكثر حساسية والحرب الباردة، قد أخاف بقوة هذه المراكز (الرأسمالية) من قوة التماثل معها في دول المنطقة.. بمعنى آخر تكاثفت في الظاهرة السياسية للحكم الجديد، صيرورة متكونة من أربعة أبعاد، اعتبرت من محرمات السياسة الدولية على وفق المنطق الامبريالي آنذاك، هي:

- حكم وطني مستقل في توجهاته، ذو نزعة اجتماعية إصلاحية تقدمية، بكل معنى المفردة، لمصلحة قاعدة اجتماعية واسعة (ذوي الدخل المحدود) حكم لها وإن كان بدونها[٣٠].

- سياسة نفطية مستقلة عن الاحتكار العالمي[٣١].

بريطانيا وسيلة لتأليب التيار القومي ضد الزعيم قاسم، وهما: مفاوضاته مع شركة نفط العراق (I.P.C) والأزمة العراقية الكويتية اللتان تزامنتا في وقت واحد..." د. طارق العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٦٢ ، مصدر سابق.

٣٠- تبنت حكومة الزعيم قاسم، مطالب الطبقات الدنيا ورسمت سياسات لتحقيقها عملياً، مما أضفى على الحكم صفة (الشعبية) ذات الملامح الجديدة والواقعية. وأصبحت هذه سمة للدولة في المرحلة التموزية /القاسمية، حتى أنها حاولت صياغة (عقد اجتماعي) جديد ضمني، تضطلع الدولة بموجبه بالدور الفعال للتنمية وتحقيق الرفاه والعدالة الاجتماعية وترسيخ دعائم الوحدة الوطنية العراقية، بارتباطها المادي مع الأمة العربية وحل إشكاليات تطورها ووحدتها. هذا العقد الاجتماعي كان أداة استقطاب للجماهير الفقيرة بالأساس، التي ضمنت لذاتها إمكانية المشاركة الفعالة في الفعل السياسي و الاجتماعي، مما جعلها هي والنظام مستهدفين من قوى الماضي في الداخل ومن دول المنطقة والمراكز الرأسمالية العالمية في الخارج. للمزيد راجع كتابنا، قراءة أولية في سيرة عبد الكريم قاسم ، دار الحصاد دمشق ٢٠٠٣. كما أن شعبية السلطة قد تمثل في وزارات الجمهورية الأولى (١٤ تموز١٩٥٨- ٩ شباط ١٩٦٣) حيث جاءت ممثلة للتكوينات الاجتماعية المختلفة سواءً الدينية منها أو الاثنية أو الطبقية إلى حد ما.

- سياسة عربية ذات منطق تحرري لواقع انتمائه القومي وقضيته المركزية (فلسطين) وتحررهما.
- سياسة خارجية بعيدة عن التكتلات والأحلاف العسكرية الدولية وتبني مفهوم الحياد الايجابي.

جعلت هذه السياسات التي اتبعتها سلطة تموز/قاسم، في العراق أخطر بقعة في العالم، حسب المفهوم الامبريالي، وبخاصة الأمريكي[٣٢]، المستند على منطق القوة

٣١ـ لعبت سياسة عبد الكريم قاسم النفطية المستقلة دوراً مهماً وأرأسياً في الإطاحة به. لقد مثلت ولا تزال، المسألة النفطية واحدة من أهم مسائل السياسة الدولية المعاصرة. إذ سبق للدول الإمبريالية أن هددت الزعيم قاسم أكثر من مرة وبمختلف الطرق الدبلوماسية وغيرها، بضرورة الكف عن مثل هذه السياسات، حتى بلغت حد التهديد باحتلال العراق وضربه بالقنابل النووية، حسب تصريح مكميلان، رئيس وزراء بريطانية السابق. حول هذا الموضوع راجع كتاب نجم محمود (إبراهيم علاوي) المقايضة، مصدر سابق، كذلك للمؤلف ذاته، البترول والتحرر الوطني، دار الطليعة بيروت. وقد كتبت صحيفة باري جور الفرنسية تقول: [...إن مستشاري وزارة الخارجية لا ينسون أبداً أن قاسم كان العقبة الرئيسية في طريق تحقيق المشروع الأمريكي الكبير في الشرق العربي هذا المشروع الذي يستهدف توحيد كل مصادر النفط العربي في الشرق الأدنى]. مستل من ثمينة ناجي يوسف وزار خالد، مصدر سابق، ص ٣٤٩.

والشيء بالشيء يذكر أنه "... في نهاية أيلول، خطا عبد الكريم قاسم، خطوة مهمة بإتجاه إستثمار المواقع المحررة من سيطرة الشركات الاحتكارية عندما طرح للماقشة يوم التاسع والعشرين من أيلول ١٩٦٢، مسودة لائحة تأسيس شركة النفط الوطنية، تكون مهمتها استثمار تلك المناطق، ينظر إسامة عبد الرحمن نعمان، تطور سياسة العراق النفطية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٣، ..". مستل من د. سنان الزيدي سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٢٨٩، مصدر سابق.

٣٢ـ يقول بطاطو بصدد الوضع في العراق في مطلع ١٩٥٩: [... وانتشرت على نطاق واسع وشعرت أوساط الحلف المركزي (السنتو CENTO) بالقلق. وقرع القوميون في البلدان العربية المجاورة طبول الانذار بالخطر. وفي واشنطن، وصف آلن دالاس، مدير وكالة الاستخبارات المركزية الامريكية، الوضع بأنه ((أخطر ما في عالم اليوم))] الجزء الثالث، ص ٢١١.

والتي من ماهيتها: [... مسموح له بكل أشكال الإجبار والقسر، بما فيها حروب الدمار، وهذا يعني أن الصراع من أجل القوة هو بذاته الصراع من أجل البقاء، لذلك فإن تحسن مراكز القوة لابد أن يصبح الهدف الأول للسياسة الداخلية والخارجية للولايات المتحدة... إن هذه القوة تعني البقاء وإمكانية أن نفرض إرادتنا على الأخرين..."[٣٣]]، هذه السياسة طبقت بجواهر مضامينها في العديد من مناطق العالم، ومنها في عراق تلك المرحلة. وعندما انتهى مسار التهديد (بكسر رأس الزعيم قاسم) حسب تعبير دين راسك وزير خارجية أمريكا أيام كندي[٣٤]، الأمر الذي أدى إلى وصول علاقات البلدين إلى التوتر ثم التقاطع والتصادم ومن ثم الشروع في تطبيق المسار الأخير "... ومن هنا دعت وزارة الخارجية (الأمريكية- الناصري) إلى إيجاد مخرج بشأن التعامل مع عبد الكريم قاسم. بعد أن وجدت إن سياسة (الاحتواء) معه لم تجدي نفعا..."[٣٥] حسب نص الوثائق الأمريكية.. فكان :

ج- مسار التغيير بالقوة (الانقلاب والاغتيال):

على وفق (الوصايا العشرة) التي اعتمدتها وكالة المخابرات الأمريكية والمارة الذكر، والمنطلقة أحدها من: "...على امتداد الهلال الكبير الممتد من أندينوسيا إلى المغرب العربي ، رأت الوكالة في كل زعيم سياسي مسلم، لا يتعهد بالولاء للولايات المتحدة هدفاً مشروعاً للعمل السياسي ل (C.I.A) بحسب قول آرتشي روزفيلت رئيس محطة تركيا، وابن عم كيم روزفيلت قيصر ال (C.I.A.) في الشرق الأقصى..."[٣٦].

---

٣٣ - حسب ما عبر عنه نيكولاس سيكمان، ملهم قادة الساسة الأمريكان في العصر الحديث.

٣٤ - راجع مير بصري، أعلام السياسة في العراق الحديث، مادة عبد الكريم قاسم، مصدر سابق.

٣٥ - د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٢٨٤، مصدر سابق.

٣٦ - تيم واينر، ارث من الرماد، تاريخ (C.I.A.)، ترجمة انطوان باسيل، شركة المطبوعات للتوزيع، بيروت ٢٠١٠، ص. ١٩٩. مستل من حسن السعيد، حزب البعث والقطار، ص. ٢٧، مصدر سابق.

وتاسيسا على ما ذكر وإزاء فشل سياسة الاحتواء من قبل قوى الهيمنة الإمبريالية؛ وإصرار الحكم الوطني على إتباع سياسات من منطق تصوره المستقل؛ والمناقض لماهية استراتيجية تلك القوى، وكمحصلة جدلية لها وما يستنبط منها؛ ولما أحدثته الثورة، كنتاج طبيعي، من إصطفافات طبقية نتيجة تناقض المصالح والرؤى داخل التركيبة الاجتماعية وطبقاتها المناظرة، وما أعقبها من هزيمة للقوى التقليدية والماضوية؛ وما وضعته الثورة العراقية أمام الطبقات الحديثة من صيرورة مفترق الطرق بين التقدم نحو تعميق المضامين الاجتصادية أو التراجع عنها، أو المراوحة في المكان ذاته، الذي هو شكل من أشكال التراجع، لها ولنظيراتها في دول الجوار الساكن؛ وما أحدثته فيهم من حالة وعي الضرورة وبالذات لدى الفئات الوسطى وإمكانية تملك المستقبل أو على الأقل التأثير في جريانه، ومن ضمنها التحالفات على المستويين الداخلي والعربي، الإقليمي والدولي وإيقاعها المتناغم مع واقع الأمة العربية وطموحاتها في التحرر والوحدة، المبنية على الإرادة الكلية لشعوبها وليس للإنتقائية الرغبوية لقادتها.

وعلى خلفية هذا الوضع وما أفرزه من توترات وصراعات، من حركة واستقطاب، من مخاوف واستفزاز، تحالفت القوى المتضررة من الثورة، لأول مرة في عراق القرن العشرين، مع القوى الخارجية التي كانت بدورها تبحث عن أدوات جديدة لها، لتنفيذ قرار إسقاط سلطة تموز/قاسم بالقوة المادية المدعومة من قبلها[٣٧]. لأن الدوائر

٣٧ـ شكلت وزارتي الخارجية والدفاع الأمريكيتين، في مطلع خمسينيات القرن المنصرم لجنة ضمت نخبة من الاختصاصيين بالقضايا السياسية، ومستشارين من قطاع الأعمال التجارية والجامعات الأمريكية، لدراسة شؤون العالم العربي عامةً ومشرقه خاصةً، والعلاقات العربية/الإسرائيلية على الأخص، تقوم بإعداد البحوث والدراسات وتحديد أرأسيات المشاكل والصعوبات وترتيبها تبعاً لأهميتها، وكذلك اقتراح السياسات العملية، بغض النظر عن تعارض هذه الاقتراحات مع السياسات الاوربية، وبخاصة البريطانية والفرنسية منها.. للمزيد راجع لعبة الأمم، مايلز كوبلاند أحد مسؤولي المخابرات الامريكية في المنطقة، ترجمة مروان خير، كذلك ولبركرين إيفلاند مسؤول المخابرات الامريكية في الشرق الاوسط ١٩٥٠ - ١٩٨٠، حبال من رمل، ترجمة د.

الأمريكية رأت أنه [... **كان واضحاً منذ البداية، أن النظام الجديد (يقصد نظام تموز/ قاسم - الناصري)، لا يمكن الاطاحة به، إلا بقوة خاطفة ومتفوقة من الخارج...]** حسب تعبير والدمار غولمان، السفير الامريكي السابق في العراق في الفترة ١٩٥٤ — ١٩٥٨.[٣٨]

وعليه فقد "... اقتنعت الدوائر الأمريكية في واشنطن وبغداد، أن سياسة الزعيم عبد الكريم قاسم الداخلية والخارجية من جهة، واندفاع الاتحاد السوفيتي إلى التغلغل في العراق إلى حد كبير من جهة أخرى، سيجعلان من العراق (قاعدة سوفيتية). ولم تكن واشنطن على استعداد لإبقاء الحال على ما هو عليه في ظل واقع صراع القوى الدولية، فتبنت في نهاية عام ١٩٦١ الرأي القائل بضرورة تغيير حكم عبد الكريم قاسم. وتشير الدلائل الموثقة، أنها بدأت فعلا بنسج خيوط الاتصال والتعاون مع القوى القومية السياسية المناهضة لحكم عبد الكريم قاسم، وكانت بريطانيا الحليف القوي للولايات المتحدة الأمريكية، على علم بهذا التجاذب، لذا سارعت إلى ابلاغ الادارة الأمريكية بوجهة نظرها حيال التطورات الداخلية في العراق في تقرير جاء تحت عنوان (احتمالية سقوط قاسم والعواقب التي ستواجهها المملكة المتحدة والغرب)...[٣٩] ".

سهيل زكار، دار طلاس، كذلك حسن السعيد، نواطير الغرب، صفحات من ملف علاقات اللعبة الدولية مع البعث العراقي ١٩٤٨ - ١٩٦٨، مؤسسة الوحدة للدراسات، بيروت١٩٩٢.

٣٨ـ راجع الملحق الثالث عشر من هذا الكتاب حول التدخلات السرية الامريكية في الجمهورية الأولى.

٣٩ـ د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق، عهد الرئيس عبد السلام محمد عارف، ص. ١٨، مصر مرتضى، بغداد ٢٠٠٩. وتأكيدا لهذه الإصرار، فقد سعت الحكومة الأمريكية في السابع من شباط ١٩٦٣ إلى"... اقناع حلفائها في حلف الناتو بفكرة الإطاحة بنظام عبد الكريم قاسم ، فقد أكد مندوب الولايات المتحدة صراحةً إن أي نظام غير شيوعي، هو أفضل من حكم عبد الكريم قاسم، وفي مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية...إن البعثيين قد نفذوا تحركهم على وفق خطة مرسومة في الثامن من شباط ١٩٦٣، لإسقاط حكم عبد الكريم قاسم. ولم تكن الدوائر الأمنية التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية بعيدة عما حدث في بغداد..." لذات المؤلف، سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٢٩٥، مصدر سابق.

هذا الوضع ولرؤيتها لماهية العراق قد "... دفع الحكومة الأمريكية للتشاور مع الحكومة البريطانية عن أنجع السبل الواجب اتباعها من لدن الإدارة الأمريكية حيال الوضع في العراق في حالة الإطاحة بحكم عبد الكريم قاسم..."[٤٠].

وعلى ضوء هذا الرأي وذلك الواقع المعقد والتخوف من التعمق الجذري للثورة كما هو موعود، تم التحالف بين القوى المتضررة، داخلياً وخارجياً، لإسقاط النظام الوطني عبر انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣. ولا يخفى أن القوى الانقلابية الداخلية سبق أن جربت العديد من المحاولات اعتمادا على قواها الذاتية الخاصة، لكنها فشلت في تحقيق ذلك لعوامل عديدة، لذا اتجهت نحو الاعتماد على الخارج في تحقيق ذلك. خاصةً إذا علمنا من أن الغرب بصورة رئيسية وأمريكا بخاصةً كانت في تلك المرحلة تعتمد وتفضل العمل عن طريق الآخرين في تحقيق تصوراته الانقلابية، مقارنةً بالاحتلال الثالث (٩نيسان ٢٠٠٣- ٣١ كانون أول ٢٠١١)، وما انقلابات سوريا في مطلع الخمسينيات ومصر إلا دليل على ذلك.

إذ "... مهما ابتعدنا عن الاستعانة بدليل لوجود قوي وفعال للعامل الدولي في عملية إسقاط ثورة تموز والإجهاز عليها وإعدام قائدها في الحال، فإننا لا نجد مخرجاً سوى أن نكرر بأن العامل المحلي لم يكن على الإطلاق إلى جانب الانقلابيين، فما زالت الأغلبية الساحقة من العراقيين مشدودة إلى عبد الكريم قاسم..."[٤١].

---

٤٠ - المصدر السابق، ص. ٢٧١.

٤١ - حسن العلوي، الشيعة والدولة القومية في العراق، ص. ٢١٠، مصدر سابق. ويشير المؤلف، أن من "... ابرز الشخصيات العراقية التي وظفتها بريطانيا لهذا الغرض، مسؤول اللجنة الثقافية و الإعلامية في ميثاق بغداد الدكتور عبد العزيز الدوري وعضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي الدكتور عبد الله سلوم السامرائي والدكتور بديع شريف الذي كان يخصص له المركز الثقافي البريطاني في بغداد جانباً مهماً ضمن موسمه الثقافي لإلقاء محاضراته عن الشعوبية. وقد شغل الدكتور شريف وظيفة رئيس ديوان رئاسة الجمهورية في عهد عبد السلام عارف." ينظر: التأثيرات التركية على المشروع القومي العربي في العراق، ص.١٤٢ - ١٥٦ ، الزوراء، لندن ١٩٨٨

وتأسيساً على ما ذكر أصبح نظام الجمهورية الأولى مصدر إزعاج وقلق للكثير من الدول الغربية وتلك الموالية لها في المنطقة [٤٢]، لذا ازدادت، على وجه الخصوص، مخاوف بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية منه وسعتا إلى الإطاحة بحكومة الجمهورية الأولى، فضلاً عن المملكة العربية السعودية والكويت اللتين عملتا على تطويق وعرقلة هذا التحول من خلال دعم التيار القومي المناهض للزعيم عبد الكريم قاسم[٤٣].

لذا "... لم تكن واشنطن على إستعداد لإبقاء الحال على ماهو عليه في ظل واقع صراع القوى الدولية، فتبنت في نهاية عام ١٩٦١، الرأي القائل بضرورة تغيير حكم عبد الكريم قاسم. وتشير الدلائل الموثقة، إنها فعلاً قامت بنسج خيوط الاتصال

---

٤٢ - كشفت الوثائق الامريكية التي رفعت عنها السرية، من أن ملك سعود قد طلب "... رسمياً من الحكومة الأمريكية تدخل دول ميثاق بغداد لقمع الثورة العراقية..." كذلك الكويت، وفي "...السياق نفسه، عد رئيس وزراء إسرائيل بن غوريون الثورة العراقية أسوء ضربة وجهت للغرب بعد الحرب العالمية الثانية ... واشار إلى ضرورة تدخل الحكومة الأمريكية لإجهاض الثورة العراقية..." د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، صص٦١،٥٨، مصدر سابق.

٤٣ - "... وعرفت ثورة ١٤ تموز بأنها انقطاع مفاجيء وكبير في السلسلة التاريخية للمؤسسة التركية وكان على ممثلي هذه المؤسسة، أن يواصلو جهودهم لإعادة العراق إلى المدرسة التي خرج منها وترعرع في أحضانها. إن جهوداً كهذه تستدعي تعاوناً استراتيجياً بين ممثلي المدرسة التركية، وممثلي المصالح البريطانية المتضررة وبإطار قومي عربي. وهنا ينبغي الحذر من عدم التصنيف بين هذه الأبعاد الثلاثة والتي اجتمعت في الشخصية السياسية لرواد السلطة الأوائل في العراق، بينما لم تتمتع، على الأغلب في شخصية المعارض الواحد لسلطة ثورة ١٤ تموز، وهذا هو الفرق الأساسي بين الحالتين.

إن المعارض السياسي لسلطة الثورة، قد يكون منحدراً عن تلك المؤسسة وخاضعاً لتأثيراتها، مَثَلَ هذا التيار جريدة الفجر الجديد في بغداد. وقد يكون من الذين تضررت مصالحهم المرتبطة بالمصالح البريطانية، مثلت جريدة الحرية البغدادية هذا الاتجاه تقريباً. وقد يكون المعارض خاضعاً لعنفوان وحدوي كاسح لم يترك له فرصة لرؤية أهداف أخرى للثورة التي تماطل في الوحدة الفورية مع عبد الناصر، وتمثله نشرات سرية كما تمثله إذاعتا دمشق والقاهرة..". حسن العلوي، المؤثرات التركية، ص.١٣٧، مصدر سابق.

والتعاون مع القوى القومية السياسية المناهضة لحكم عبد الكريم قاسم وكانت بريطانيا، الحليف القوي للولايات المتحدة الأمريكية على علم بهذا التجاذب... ونتيجة لهذا الصلات التي ربما عدها بعض القادة البعثيين الذين قادوا الانقلاب في الثامن من شباط ١٩٦٣مجرد تكتيك مرحلي لغرض تحقيق أهدافهم للسيطرة على السلطة، فقد تشجعت الدوائر الأمريكية في واشنطن وبغداد، على توثيق الصلات مع القائمين بالانقلاب، وهو ما ثبت بعد انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣... [٤٤]".

٤٤ - سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة اتجاه عارف، ص.١٨، مصدر سابق.



٢- سباق المسافات الطويلة [٤٥]:

في البدء نتساءل، كما تساءل آخرون قبلنا، عن سر الصمت الذي لف قادة حزب البعث وحركة القوميين العرب والضباط المغامرون وغيرهم، عن علاقات الانقلاب بالقوى الخارجية متمثلةً بالتحديد بالمحور الانكلو أمريكي والمحور الاقليمي وبالتحديد بالسعودية والكويت ومصر الناصرية؟؟ والتي كثفتها مقولة (القطار الأمريكي) لعلي صالح السعدي. دعونا نسبر غور هذه المقولة وتشعبات الماهيات الأرأسية لها من خلال العديد من المصادر الرسمية وغير الرسمية، الاكاديمية والسياسية، العرب والاجانب.

نقول: يوضح تاريخ الصراع السياسي على السلطة في العراق آنذاك، تشكل وتشابك عدة محاور تهدف جميعها إلى قلب نظام حكم الجمهورية الأولى، رغم التناقض والتباين في مصالحهم ومنطلقاتهم السياسية في الأمد البعيد على الأقل، منها:

- المحور الإقليمي غير العربي المتمثل بأنظمة دول حلف بغداد - تركيا وإيران؛

- المحور العربي وكان يضم العربية المتحدة، ومن ثم مصر الناصرية بالإضافة إلى الأردن والكويت والمملكة العربية السعودية؛

- المحور الدولي والذي ضم أهم المراكز الرأسمالية العالمية وبخاصة أمريكا وبريطانيا.

---

٤٥ - يراجع للمزد الملحق الثالث عشر في نهاية الكتاب.

إذ [... ظل العراق ولفترة طويلة ساحة مفتوحة أمام النفوذ البريطاني، وقد لعبت كل من شركة النفط البريطانية والسفارة البريطانية والمخابرات البريطانية، أدواراً خطيرة في رسم معالم السياسة العراقية، وقد وصل الأمر بهذا الثالوث أن صار ممثلاً للنفوذ البريطاني. وبمجيء(عبد الكريم قاسم) حدثت هزّة للنفوذ البريطاني وصلت إلى أوجها حينما أقدم (عبد الكريم قاسم) على إصدار قانون رقم ٨٠...ثم كانت مطالبته بانضمام الكويت إلى العراق عام ١٩٦١، مما زاد في حدة مخاوف بريطانيا وتعميق قلقها على مصالحها في المنطقة. وقد بذل الكارتل الثلاثي (السفارة، المخابرات، الشركة) جهوداً مكثفة في محاولة استعادة النفوذ المفقود أو بعضه على الأقل. وقد اضطلعت بهذه المهمة بشكل أساس، المخابرات البريطانية عبر التنسيق مع عملائها القدامى والجدد...دون أن تقلل بالطبع من أهمية الدور الذي قام به سفير بريطانيا في بغداد يومذاك السير روجر آلين... [٤٦]] .

ومن نافلة القول إن بريطانيا قد وجدت "... في التيار القومي الوسيلة الفضلى لاستخدامها في صراعها غير المباشر مع النفوذ السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي من جهة، والأنعام في إذلال القوى والعناصر الوطنية المعادية للسياسة البريطانية واتهامها بالشعوبية ومعاداتها للأمة العربية من جهة أخرى. وإزاء ذلك كشفت الوثائق الدبلوماسية البريطانية عن حرصها في دعم نشاط التيار القومي في العراق باتجاه أهدافها ومصالحها؛ فقد اعتقدت السفارة البريطانية ببغداد في رسالتها إلى الخارجية البريطانية في الثلاثين من تموز ١٩٥٩ بأن لا خوف على المصالح البريطانية في العراق في حالة وثوب التيار القومي على السلطة لأن قادة هذا التيار، بحسب رأي السفارة، بحكم تناقضاتهم الفكرية ومصلحية صراعاتهم أضعف من أن يحققوا

---

٤٦ ـ حسن السعيد، نواطير الغرب، المصدر السابق، ص ١١٧. ويشير إسماعيل العارف في مذكراته، إلى قيام السفير البريطاني بصرف [ما يقرب من نصف مليون دينار على عملائهم للقيام بأعمال تخريبية] لإثارة المتاعب في وجه حكومة عبد الكريم قاسم. لكن هذا لا ينفي، كما دللت الوقائع على التنسيق المشترك مع السفارة الأمريكية ببغداد.

أهدافهم الوحدوية، أو أن يتركوا في أثناء حكمهم للعراق آثار سلبية على المصالح البريطانية ...[٤٧]".

---

٤٧ ـ د. طارق مجيد العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ، ص. ٦٠. مصدر سابق. ويذكر المؤلف في ص. ٦٥ من أن بريطانيا قد "... **أبّرت بوعدها ونفذت أهدافها حينما أججت الصراع السياسي بين عبد الكريم قاسم والقوى القومية، ومحورت صراعهم على شعار ومطلب قومي، الوحدة الاندماجية، مع الجمهورية العربية المتحدة وبدعوى القضاء على الشيوعيين والشعوبيين في العراق، إذ أعادت العراق إلى الوضع الذي تراه طبيعياً بانقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣** ". وللمزيد ايضاً راجع د. ياسين البكري، بنية المجتمع العراقي، العهد الجمهوري ١٩٥٨- ١٩٦٣ انموذجاً، دار مصر مرتضى، بغداد ٢٠١١ .

في الوقت ذاته يشير د. هيثم غالب الناهي إلى صورة مغايرة جداً، إن لم تكن متناقضة، ويرى العكس من ذلك عندما يحاول إيهامنا بالقول: من أن بريطانيا بالاتفاق **مع قاسم، عملت على طرد التيار القومي ومساندة التيار الشيوعي بالعراق**؟! خلافاً لكل منطق التاريخ ومجريات الأمور في عراق تلك المرحلة وفصح عن ذلك بالقول في ص. ١٣٢ : " **وقد بذل السفير البريطاني لدى العراق مايكل رايت جهود حثيثة لإنجاح هذا المخطط الذي كان يهدف إلى عزل التيار القومي وإحلال التيار الشيوعي بدلا عنه** ...".(التوكيد منا- الناصري). وهل من المعقول أن بريطانيا التي كانت في أوج صراعها مع المعسكر الاشتراكي أثناء الحرب الباردة، تتقرب من الأحزاب الشيوعية وفي منطقة من أكثر المناطق حساسية، وفي العراق على وجه التحديد؟؟ بل وتدفعها للسلطة في اخطر بقعة من العالم وبالقرب من مصادر الطاقة؟؟ في الوقت الذي كانت السياسة الغربية عامة والولايات المتحدة وبريطانيا خصوصا، تنصب على وضع حد (للنفوذ الشيوعي) حسب ادبياتهم، في المنطقة عامة و العراق خاصةً.

وخير من يدحض هذا الرأي غير الموضوعي، كما نرى، هي رسالة السفارة البريطانية في عمان في ١٩٦٢/٩/٢١ والموجهة إلى وزارة الخارجية البريطانية، حيث تقول: "... كان اعتقاد الأردنيين أن الضربة ستأتي على **يد القوميين العراقيين الذين يعلق البريطانيون عليهم آمالاً كبيرة في تغيير النظام**. ولكن كان على البريطانيين إثبات الحقيقية أمام خصوم الزعيم قاسم، إذ كان الشعور السائد بين القوميين العراقيين، **وهو شعور وهمي، مثلما تصفه الوثيقة**، أن بقاء وهيمنة قاسم على السلطة كان نتيجة الدعم البريطاني والأمريكي، لذلك كان على البريطانيين إقناع القوميين العراقيين بأنهم سيقومون بخطوة ايجابية لدعم أي حركة ضد نظام الحكم..."(التوكيد منا- الناصري). مستل من د. طارق العقيلي، ص. ٧٠، مصدر سابق. للمزيد راجع، هيثم غالب

وهكذا رغبت جميع القوى الخارجية المتضررة من ثورة تموز، أن تتم عملية إسقاط حكم عبد الكريم قاسم بأيدي عراقية تحديداً، كوكلاء لهم، وهذا ينسجم مع العمليات السوقية التي كانت تقوم بها الولايات المتحدة في المنطقة آنذاك وبواسطة المؤسسة العسكرية والأمنية .

وفي الوقت نفسه يبدو أن هذا الموقف، حسب قول دبلوماسيين بريطانيين، ينسجم مع "... قادة حزب البعث (الذين) أعادوا النظر في استراتيجيهم بإسقاط النظام. فقد وجدوا بعد أن عجزت وسائلهم في إسقاط عبد الكريم قاسم إن أحد الشروط الموضوعية في الوصول إلى السلطة خلال تلك المرحلة، يأتي بدعم السفارة البريطانية ومساندتها، لأنها قد تمكنت من اختراق الأجهزة الأمنية في حكومة الزعيم قاسم مما يسهل لهم الحصول على معلومات استخبارية وأمنية تفيد تحركهم بسهولة. **إذ من المؤكد أن بعض عناصر أجهزة الأمن العراقية كانت على صلة وثيقة بالسفارة البريطانية...**[٤٨]". (التوكيد منا- الناصري)

ويلاحظ أن الخط العام لإسقاط أنظمة الحكم الوطنية، وفقاً لهذا السيناريو، تمثلت في إحداث واصطناع العديد من الاشكاليات وتأزيم الموقف الاجتصادي والسياسي والأمني لزعزعة الثقة بالنظام ومن ثم تهيئة الظروف لنزول القوات المسلحة لتسيطر على الموقف وتزيل الحكومات غير المرغوب فيها، حسب وجهة نظرها.

لقد سبق وأن جربت الولايات المتحدة هذا الاسلوب في البدء ضد الحكومات التقدمية في أمريكا اللاتينية منذ أواخر القرن التاسع عشر ومن ثم نقلته بعد الحرب العالمية

الناهي، خيانة النص في الخريطة السياسية للمعارضة العراقية، ص، ١٢٥ وما بعدها، الاندلسية لندن ٢٠٠٢.

٤٨ - مستل من د. طارق العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٧٥، مصدر سابق. بالاضافة إلى وجود اتصالات بالأمريكان، إذ كانت "... هناك خيوط اتصالات للقادة البعثيين بالأمريكان سبقت الثامن من شباط ١٩٦٣ بمدة طويلة كما أشارت إلى ذلك روايات عديدة..." وهذا ما سنتطرق إليه لاحقا بالكثير من التفاصيل .. راجع د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة ، عهد عارف، ص. ٢٤، مصدر سابق.

الثانية إلى بلدان الشرق الأوسط، حيث جربته - وكان هذا العمل التأريخ الأول لتدشين الحقبة الأمريكية في المنطقة، منذ نهاية الاربعينيات في الشرق الاوسط بدءاً من سوريا (انقلابات الزعيم والحناوي والشيشكلي) والمحاولة التي جرت زمن شكري القوتلي عام ١٩٥٦ ومن ثم جربته بنجاح لإسقاط حكم مصدق في إيران وحكم فاروق في مصر[٤٩]، ومن ثم بعد ذلك في أندينوسيا سوكارنو، وشيلي ألليندي وغيرها.

كما حاولت الولايات المتحدة تطبيق هذا الشكل من الانقلابات حتى في عراق العهد الملكي، ضد النخبة الحاكمة في خمسينيات القرن المنصرم وذلك عندما: [...**اتصل الأمريكان بكامل الكيلاني، شقيق رشيد عالي وأبدوا استعدادهم للتعاون والتفاهم مع حزب الاستقلال من أجل تغيير النظام الملكي إلى جمهوري ودعم حزب الاستقلال إذا وافق على هذا الاتجاه. وبالفعل اتصل الكيلاني بالحزب وعرض رغبة الأمريكان هذه ولكنه (شنشل أمين عام الحزب) رفض التعاون أو التفاهم مع الأمريكان وقال أنه لا يريد تبديل استعمار بأخر...**[٥٠]].

---

٤٩ - للمزيد راجع لعبة الأمم، حبال من رمل، نواطير الغرب، مصادر سابقة. كذلك محمد حسنين هيكل، سنوات الغليان، الجزء الأول، ط. الأولى، ١٩٨٨، مركز الاهرام للترجمة والنشر، الفصل الرابع. كذلك باتريك سيل، الصراع على سوريا، ترجمة سمير عبده ومحمود فلاحة، دار طلاس، ١٩٨٣. كذلك د. سيار الجميل، تفكيك هيكل، الدار الأهلية، عمان ٢٠٠٠. كذلك راجع د. علاء الدين الظاهر، إنصاف عبد الكريم قاسم، تفكيك هيكل وتعرية عبد الناصر، علاقة عبد الناصر بالمخابرات المركزية، ص.٦٧ وما بعدها، ، مجلة الموسم، العدد١٠٢، مصدر سابق. ومما له دلالة وعلاقة بالموضوع ما أشار إليه أمين سر حزب البعث الأسبق حازم جواد بالقول: "... وأن جيفرسون كافري، السفير الأمريكي الذي كان يتحدث العربية بطلاقة ورافق محمد نجيب إلى الباخرة المحروسة لتوديع فاروق وأشرف على تسفيره...". لكنه لم يوضح لماذا هو قد اشرف على ذلك؟؟ فهل هذا إيحاء على العلاقة بين وكالة المخابرات المركزية وانقلاب عام ١٩٥٢؟. كما أشارت إليها المصادرة المذكورة أعلاه وما أشار إليه: يفغني بريماكوف، الشرق الأوسط المعلوم والمخفي، مصدر سابق.

٥٠ - ليث الزبيدي، مصدر سابق، ص ٤٩. لكن السؤال الذي لم يطرحه شنشل على نفسه، لماذا اختار الامريكان حزب الاستقلال دون غيره؟ ولماذا تعاون شنشل بعد الثورة مع العديد من المحاولات

ومن باب أولى أن تشتد وتائر هذه النزعة بعد ثورة ١٤ تموز التي أرّخت لحقبة جديدة ومتميزة عما سبقها وما تلاها، من حيث المضامين الاجتصادية والسياسية، ومن حيث الضرورة التاريخية ولزوميتها. مما حفز القوى المتضررة هذه، الداخلية والخارجية، على الإطاحة بالنظام بغض النظر عن الاسلوب وعواقبه، والعنف ودمويته. إذ حددت هذه القوى لنفسها تحقيق ثلاثة أهداف آنية مباشرة هي:

- **القضاء على الزعيم قاسم وتوجهاته السياسية والاجتماعية والاقتصادية.**

- **محاولة اجتثاث قوى التيار الديمقراطي بعامة واليسار بخاصة والشيوعي على الأخص مرة وإلى الأبد** [51]**؛**

- **محاولة إجهاض تطوير المؤسسة العسكرية العراقية، كفكر عسكري وأسلحة متطورة وكوسيلة دفاعية وأداة تحررية، وذلك عن طريق إبعاد الاتحاد السوفيتي من المنطقة، لكونه المورّد الرئيسي لسلاح العراق بعد تموز ١٩٥٨ بغية أن لا تكون متكافئة في صراعها مع إسرائيل، ناهيك عن تهديدها.**

وهكذا تكالبت القوى الداخلية والخارجية في تحقيق أهدافها المعلنة وغير المعلنة عبر الانقلاب العسكري المدعوم من الخارج، وعبر تأجيج الاحتراب السياسي، والذي، كما أشرنا سابقاً، **كان بعضه مبرراً كرد فعل موضوعي** قامت به الطبقات والفئات الاجتماعية (المهزومة) تاريخياً وعملياً نتيجة فعل الثورة. **والبعض الآخر كان غير مبرر** مطلقاً وبكل المقاييس. وأعني به ذلك الصراع الذي نشب بين القوى السياسية التي في جوهرها تعبر، بصورة نسبية كبيرة، عن أهداف الثورة ذاتها وما يتلاءم مع زمنية المرحلة وماهياتها التاريخية والتي نعتبرها تمثل الكتلة التاريخية لثورة ١٤ تموز، وهي في

التي قادتها الولايات المتحدة للاطاحة بقاسم ؟. في الوقت نفسه كانت هنالك محاولات من أمريكا لإقناع غازي الداغستاني، قائد الفرقة الثالثة للقيام بما يشبه ذلك، راجع د. فاضل حسين، سقوط النظام الملكي، مصدر سابق.

٥١ ـ يؤكد هاني الفكيكي في أوكار الهزيمة، هذه الدوافع عندما قال، ص ٨٩ : **اتجهت أنظار البعثيين إلى جمال عبد الناصر عله يحسم الموقف من خلال الوحدة... وإنقاذ من الضعف في قيادة البلد والإلتفاف على الخطر الخارجي أو الصعود الشيوعي].**

الوقت نفسه، تمثل جوهر طموحها المبتغى آنذاك كمشروع آني ومستقبلي. وأن هذا الصراع بين التيارين القومي، وبالأخص الجمهوري منه، واليساري وبخاصة الشيوعي كان في أغلب مفاصله، كما كررنا ذلك مرارا، غير مبرر علمياً وجميعهم، دون استثناء، يعتبرون مسؤولين عن فقدان الثورة، بهذه الدرجة أو تلك ومع الاختلاف في نسبية ذلك[٥٢].

لقد تزامن هذا الصراع مع تشتت التيار الوطني الديمقراطي الواسع وممثله الأرأس الحزب الوطني الديمقراطي وعجز قيادته عن مواكبة المرحلة التي كانت في الجوهر مرحلته. ترافق ذلك مع انكفائية التيار القومي الكردي وأنوية قيادته وعشائرية زعامته و خطل تكتيكه.. كلها عوامل، وغيرها، أضاعت فرصة تاريخية ندرت بها ظروف عراق القرن العشرين والوقت الراهن. وما يحل بالعراق الآن، هو في بعض أوجهه نتاج لذلك الصراع والضياع.

وعلى ضوء ذلك ومنذ النصف الأول من عام ١٩٦١ خاصة بعد صدور قانون رقم ٨٠، تكثفت العمليات الانقلابية وأخذت أبعادها التطبيقية تتجلى بالتوترات الاجتماعية و الاقتصادية وتعبيراتها السياسية، بصورة مقصودة ومصطنعة، وازدادت حدة الاحتراب بين: **التيارات الأساسية المؤثرة التيارين العراقوي والقوماني؛ بين**

---

٥٢ - يعتقد د. حميد السعدون من خلال قراءته لصراع تلك المرحلة..أن سبب الصراع يعود إلى الاختلاف في الاستراتيجية لدى الحزبين الشيوعي والبعث، حيث أن " **الشيوعيون بنوا ستراتيجيتهم على الشكل التالي: أن نظام قاسم على الرغم من دكتاتوريته واضطهاده لهم فهو نظام وطني، لذلك عليهم الدفاع عنه بأي شكل، حتى وان تطلب ذلك رفع السلاح دعما له، لأنهم قدروا أن وجود هذا النظام حماية لهم من الآخرين، مع كل مساوئه...في حين أن البعثيين قدروا أن ستراتيجيتهم تقوم على إسقاط نظام قاسم بالقوة وبكل ما يدعمها مع ضرورة الحفاظ على المكتسبات الوطنية التي تحققت في عهده والعمل على تطويرها، مع ضرورة العمل على تحقيق جبهة وطنية واسعة...**" عناقيد النار، ص. ٧٤، مصدر سابق. لكن دكتورنا الفاضل لم يشر إلى دور العامل الخارجي في إسقاط ثورة ١٤ تموز وتحالف البعثيين مع الأمريكان؟؟ وهل عمل البعثيون على تطوير المكتسبات واقاموا جبهة وطنية واسعة؟ سواءً في مجيئهم الأول (٢/٩ - ١٨ /١١ /١٩٦٣) أو الثاني (١٩٦٨/٧/١٧- ٢٠٠٣/٤/٩)؟.

بعضها والسلطة الوطنية؛ بين السلطة الوطنية والحركة الكردية؛ بين السلطة وأغلب دول الجوار ومعها أمريكا وبريطانية؛ بين السلطة الوطنية ومصر الناصرية.. مما أدى منطقياً إلى التشتت والتباعد بين السلطة وقاعدتها الاجتماعية وبين عناصر قيادة الحكم ذاته؛ وسادت اللامبالاة/العدمية إزاء مصير الجمهورية ونظام الحكم وعدم الاستقرار، وأغمضت بعض مؤسسات الدولة الأمنية عن عمد، بصائرها عن التحركات المناهضة للسلطة، لا بل ساعدتهم في الوصول إلى مراميهم.

كما عمدت شركات النفط الاحتكارية إلى تخفيض الإنتاج والأسعار، مما عمق من الأزمة الاقتصادية والمالية، التي أثرت على حالة السوق وآليته. وتحركت القوى المتضررة المضادة للثورة في الريف من أجل تعميق الأزمة الداخلية كي يتاح لها استعادة بعض من مكانتها المفقودة بفعل الثورة وإجراءاتها. كما شرع طلبة التيار القومي والمنضويين تحت خيمته وبمساندة اتحاد طلبة كردستان في إضرابهم الذي قام في نهاية ١٩٦٢ وعرقلة الدراسة في المعاهد العليا، **واشتدت وتائر الحرب في كردستان التي حاربتها سلطة الزعيم قاسم بالوسائل السياسية،** في حين حاربها ضباط التيار القومي بصورةٍ عنفية قصدية ذات طابع اجتثاثي آنذاك وبالعقلية العسكرية المقترنة بأقسى وسائل القهر، بغية قطع أواصر إمكانية إعادة العلاقات بينها وبين السلطة التي بدأها الزعيم قاسم بإعلان وقف القتال من جانب واحد والعفو العام، في الوقت الذي نسقت قيادة الحركة الكردية مع قوى الانقلاب الإطاحة بالسلطة، كما مدت علاقاتها مع القوى الخارجية الغربية ودول الجوار لمناهضة الحكم الوطني، تحت يافطة **(التعاون مع الشيطان) و(سحق العقرب)**[٥٣].

---

٥٣ - هنا لابد من التفريق بين العمل المسلح الذي قام به بعض رؤساء العشائر الكردية من الاقطاعيين والحركة التحررية الكردية، كزمن بداية ومضمون اجتماعي/ سياسي، إذ كليهما تداخلا زمنياً.. وقد ذهبت الحركة الكردية إلى حسم خلافاتها مع السلطة الوطنية بالسلاح، رغم أن الذي يقربها أكثر بكثير من الذي يباعدها عنها. وحسب ما نقله لي الأديب عبد الغني الخليلي في يوم ٢١ تشرين ثاني عام ٢٠٠٠ في ستوكهولم، عن لسان المدعي العام في الجمهورية العراقية والمستشار القانوني للزعيم قاسم، عبد الأمير العكيلي، الذي خاطب البرزاني الأب إلى أنه مستعد أن يمنح الشعب الكردي الحكم الذاتي بل وحتى حق تقرير المصير، وتخصيص حصة من النفط لإعمار

وفي الوقت نفسه انغمس اليسار (الشيوعي تحديداً) في مطالبة السلطة ب (السلم في كردستان) حتى أصبح هذا الشعار، رغم أهميته الكبرى، مثبطاً لفعالية الإنذار الحزبي ذو الدرجة القصوى الذي كان قد أُعلن منذ مطلع كانون الثاني ١٩٦٣، وهذا ما حال دون التصدي للانقلاب الذي بات معروفاً، حتى من أي وحدة عسكرية سينطلق ومن هي قواه الرئيسية. وقد أدت حالة التناقض هذه، التي كان يعيشها الحزب الشيوعي، إلى عدم اتخاذه إجراءات ملموسة لمواجه الانقلاب وعجزه عن تنفيذ خطة الطوارئ التي أعدها لمواجهة ذلك[٥٤].. وهذا يضع الباحث في حيرة في

منطقة كردستان العراق، وطلب منه فقط التريث لفترة زمنية ليست طويلة لتقوية مقدرة العراق العسكرية لكي يستطيع مقاومة تدخلات إيران وتركيا اللذين سيقاومان مثل هذا الإجراء عسكرياً. هذا الموقف وغيره، هو الذي دفع أعضاء المكتب السياسي للبارتي في البدء إلى رفض الاشتراك في الحرب ضد سلطة عبد الكريم الوطنية، لكن بعد أن حسم الصراع داخل الحزب لصالح البرزاني الأب وطرد بعض كوادره المتقدمة، وافق الحزب على تأييد خط الملا مصطفى الذي أعتبر نفسه ليس رئيساً للحزب حسب، بل زعيماً للشعب الكردي برمته وأخذ يطرح مفاهيم غير محددة المعالم لمطالب عامة دون أن يحدد مضمونها وهذا ما يلائم حلفاءه الوقتيين في الداخل والخارج على السواء.

وبمرور الزمن أصبح القتال عبئاً سياسياً ومادياً على السلطة والحركة الكردية ذاتها وكانت من الأسباب المهمة التي ساعدت على نجاح الانقلابيين وسقوط حكم الزعيم قاسم. ومن هذا المنطلق يمكن فهم موقف الشيوعيين من الحرب ولماذا رموا الثقل الأكبر وراء شعار السلم في كردستان. لكن السؤال المهم الذي يطرح نفسه من كان في قيادة الحركة الكردية، والبرزاني الأب تحديداً، قادراً على الوصول بتفكيره إلى ما وراء سقوط حكم الزعيم قاسم والمآل المرتجى من ذلك رغم التضحيات الجسيمة بالقيم والأرواح ومعاناة الشعب الكردي؟ من كان منهم يجرأ على الموازنة بين أفضليات حكم الزعيم قاسم وبين أنظمة هي بالضد من **الأماني التحررية لحركة الشعب الكردي بالأساس**؟ ومن كان منهم يستطيع أن يستشف عمق الأخطار الناجمة عن التحالف مع أنظمة دول الجوار المساهمة في ذبح الشعب الكردي وأمانيه في الاعتراف بهم كشعب يتطلع إلى تحقيق هويته التحررية. ناهيك عن تكوين دولته القومية المشروعة؟ يبدو أن قصر النظر وسم، أغلب قيادات المحورية في الحركة الكردية مما أعاقها عن تحقيق ما صبت إليها.. وما التحالف غير المقدس ضد نظام تموز/ قاسم إلا بداية الاخفاقات المرحلية للحركة.

٥٤ - للمزيد راجع ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، مصدر سابق، الجزء الثاني ص ٣٣٦ وما بعدها.

فهم كنه هذا التقاعس؟ ربما نجده في الصراع الداخلي الذي سكن لب العقل السياسي للكوادر العليا للحزب منذ أواسط عام ١٩٥٩ :

[... وهذا ما كنت أتحسسه فيما يطرح في المنظمات القاعدية وحتى اللجان المتفرعة في بغداد حيث ملت تلك المنظمات من عدم انقطاع التوجيهات الحزبية الصادرة إليها بضرورة التزام أقصى درجات الحذر واليقظة إزاء الأخبار المتكررة عن احتمالات قيام حركات تآمرية انقلابية تستهدف الحكم. إذ كانت تتوالى في بيانات الحزب منذ صيف عام ١٩٦٢ وحتى انقلاب شباط المشؤوم. ولقد وصل الأمر جراء تكرار هذه الحالة، أن تراخت يقظة المنظمات القاعدية والجماهير الملتفة حول الحزب، مما سهل على المتآمرين في صبيحة يوم الجمعة ٨ شباط ١٩٦٣، انقلابهم بينما واجه الحزب حالة من الارتباك لم يستطع تجاوزها، وبالتالي فقد الحزب السيطرة، ليس فقط على الشارع، بل وعلى المنظمات الحزبية (وخاصةً في الجيش - الناصري).

لكن "... ليس من الصحيح أن قيادة الحزب لم تنتبه إلى خطورة الأوضاع السياسية التي كانت تمر بها البلاد عشية الانقلاب. إذ إن شعوراً بذلك كان يعبّر عنه في مناسبة أو أخرى، **ويبدو لي أن انشغال قيادة الحزب بموضوعة (التكتل) صيف وخريف ذلك العام، قد لعب دوراً في تأخير إحداث استدارة حادة في سياسة الحزب إزاء حكومة قاسم ونهجها، وما أن أوشكت القيادة على تصحيح سياسة الحزب أواخر عام ١٩٦٢ وأوائل ١٩٦٣ حتى كانت الفرصة قد أفلتت من قبضتها ووجه الانقلابيون بتخطيط ودعم المخابرات الأجنبية ضربتهم القاصمة بالحكم والحزب أيضاً...**[٥٥]] (التوكيد منا- الناصري).

ومع ذلك فمن الناحية العملية لم تتخذ قيادة الحزب أي إجراء ملموس لمواجهة الانقلاب الوشيك الوقوع، سوى إصدار البيانات ودعوة الحكومة لإجراء تطهير

---

٥٥ - صالح مهدي دكلة، من الذاكرة، سيرة حياة، صص ٨٤ - ٨٦، دار المدى، ط. الأولى، بيروت ٢٠٠٠. كذلك المصدر السابق، ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، حيث ذكر: [... ولقد كان لتكرار إصدار تلك الإنذارات أثراً سلبياً على يقظة الجماهير والقوى السياسية الأخرى وعلى الحزب نفسه. بحيث خدر إلى هذا الحد أو ذاك من تلك اليقظة] ص ٣٣٦.

واسع وفعال في صفوف الجيش[٥٦]، وهذا ما بدأ الزعيم قاسم القيام به، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإعادة حرية العمل للحزب، كما دعوا الجماهير إلى أن تكون محترسة ومستعدة للرد كرجل واحد[٥٧].

في هذا الوقت الذي كان حزب البعث العراقي يعد عدته مع قوى الخارج، للانقضاض على السلطة الوطنية، كانت حركة القوميين العرب وجناحها العسكري، تعد هي الأخرى لحركة انقلابية عسكرية تبدأ حلقتها الأولى بإغتيال قاسم، وكان المفروض لها أن تتم في أول يوم عيد الفطر، أثناء الحفل الذي اعتادت جمعية المحاربين القدماء على إقامته. وكانت الحركة على أهبة الاستعداد لتنفيذ الخطة، وكانت تعتبر:

[... أهم مؤامرة انقلابية نسقتها حركة القوميين العرب، هي مؤامرة ٢٥ شباط ١٩٦٣ ((أول أيام عيد الفطر)) حيث تقرر اغتيال قاسم في نادي الضباط إبان استقباله للمعايدين. ويبدو أن الحركة من خلال قياديها الشابين البارزين نايف حواتمة وباسل الكبيسي، قد اتصلت بمجمل الكتل العسكرية القومية في الجيش في وقت واحد، كل على انفراد، فاتفقت مع كتلة اللواء الركن عبد العزيز العقيلي الموصلية الصغيرة ومع كتلة الضباط القوميين (صبحي عبد الحميد) المهمة وكتلة العميد الراوي (عبد الهادي) والمقدم حداد (جابر حسن). وطبقاً لمصادر كتلة صبحي عبد الحميد فإن خطة الحركة اعتمدت على كتلة الضباط القوميين وكان فريق الاغتيال بإمرة الرئيس الأول

---

٥٦ ـ أصدر الحزب الشيوعي في ٣ كانون الثاني ١٩٦٣ بياناً أشار فيه إلى"... ان المعلومات المتيسرة تشير إلى أن كتائب الدبابات في معسكرات بغداد (وهي معسكري أبو غريب وبغداد الجديدة– سباق الخيل سابقا - الناصري) واللواء التاسع عشر، أصبح مركزاً لنشاط عدد من الضباط الذين يتوخون قلب النظام.. وألحقه ببيان آخر في ٢٥ كانون الثاني١٩٦٣..."، مستل من د. حميد السعدون، مصدر سابق، ص.٧٦

٥٧ ـ حول هذا الموقف راجع: التعميم الداخلي الصادر عن الكونفرنس الثالث عام ١٩٦٧ بعنوان (محاولة لتقييم سياسة الحزب الشيوعي العراقي في الفترة تموز ١٩٥٨/ نيسان ١٩٦٥). علماً بأن القائمة الأولى بإحالة الضباط المشاركين بالانقلاب على التقاعد، قد صدرت فعلاً وهذا ما سنتطرق إليه لاحقاً.

الركن فاروق صبري عبد القادر، إلا أنه طبقاً لمصادر كتلة الراوي - حداد، فإن فريق الاغتيال كان مؤلفاً من عشرة ضباط صغار جميعهم من كتلة الراوي - حداد وتولى تدريبهم على العملية المقدم جابر حسن حداد نفسه، غير أن هذه المصادر تشير في الآن ذاته إلى أنه تم الاتصال بكتلة صبحي عبد الحميد وأحاطتها علماً بالعملية من قبيل تنسيق الجهد... وكان مبدر الويس وعامر حمدان وعبد الرحيم سلمان وعبد الأمير الربيعي ضمن فريق الاغتيال...[58]].(التوكيد منا- الناصري)

---

٥٨ - محمد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق، ص ٢٦٩ ومابعدها. كذلك راجع تصريحات نايف حواتمة المنشورة في مجلة النور، العدد ٩٣ في شباط / فبراير ١٩٩٩، حيث يقول: " **كنا في ذلك الوقت نعد لعملية انقلابية عسكرية وجماهيرية بالتعاون مع صف واسع من التشكيلات العسكرية القومية في الجيش التي كان من أبرز عناصرها عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد وعارف عبد الرزاق وفاروق صبري عبد الله وجاسم العزاوي. وكنت قد كتبت برنامج الحركة الجديدة الموعودة فلو كانت قد نجحت لربما تغير تاريخ العراق والشرق الاوسط. كنا سنبني وضعاً يتناغم مع مصر الناصرية في محاولة لبناء جمهورية متحدة ثلاثية من مصر وسوريا والعراق. بينما كان التسابق بيننا وبين البعث في ذلك الوقت، وهنا لم تكن غائبة التأثيرات البريطانية والنفطية عن كل ما يدور... هذا الذي عبر عنه علي صالح السعدي بقوله [دخلنا بغداد بقطار بريطاني (الأصح بقطار أمريكي وخرجنا بقطار بريطاني - الناصري) وبعدها صدر بيان شهير جداً خلال الأربع وعشرون ساعة الأولى بطمأنة كل الشركات النفطية على مصالحها وانها لن تمس...].** لكن تناسى حواتمه أن فريقه العسكري لم يكن له امتدادات جماهيرية، ولم يكن مشبعاً بروح اليسار كما يقول في مقابلته هذه. بل[كان الحركيون في الأيام الدموية الأولى (شباطيين) أكثر من (شباطي) البعث وحرسه القومي. فحرضوا على استباحة دماء الشيوعيين. إذ أعلن بيان لهم، إن (تصفية هؤلاء الشيوعيين والرجعيين والشعوبيين، جزء لا يتجزء من تصفية النظام الارهابي كله... وذهبت الصحافة (الحركية) إلى حد اعتبار بيان المجلس الوطني لقيادة الثورة بتخويل القادة العسكريين حق الإعدام الميداني للشيوعيين بأنه ثورة ثانية تعادل القضاء على حكم عبد الكريم قاسم وأن تصفية الشيوعيين والرجعيين شرط لنجاح الثورة... كان نايف حواتمة يكتب أغلب افتتاحيات (صحيفة الوحدة الحركية في العراق) وصفحاتها الأولى.] نفس المصدر السابق ص ١٨٠.

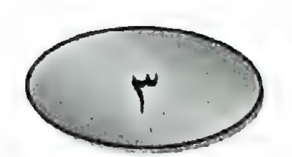
ولكن عبر عن ذات الفكرة ورسم أبعاد المحاولة وبإسلوب آخر القيادي في الحركة أمير الحلو حيث يقول: "... نحن كحركة القوميين العرب وأنا عضو قيادة فيها، كنا نتآمر لسببين على عبد الكريم قاسم. **الأول** محاولة اغتياله في العيد الذي يحل في نهاية رمضان فيأتي عبد الكريم قاسم إلى نادي الضباط المجاور لبيت الحكمة قرب الميدان ويلتقي بكبار الضباط وهذه عادة موجودة عنده، نحن عينا **ضابط هندسة أسمه مشعل عواد الساري يقوم بتلغيم القاعة وعندما يحضر عبد الكريم قاسم يفجر المكان الذي يجلس فيه في القاعة، من الذي أوصل هذه المعلومة إلى البعثيين بحيث قاموا بانقلابهم يوم ١٤ رمضان ونحن مجهزين حالنا...** "[٥٩].

لكن، في الوقت نفسه، لم تتسق حركة القوميين العرب مع حزب البعث، الذي حدد في البدء نفس التاريخ والمكان لاغتيال الزعيم قاسم. وكان الطرفان على ذات الحلبة في (سباق المسافات الطويلة) للسيطرة على السلطة. إلا أن هذا الأخير (حزب البعث) قدم موعد انقلابه نتيجة تسرب أخباره للسلطة التي شرعت بإحالة العديد من ضباطه وأنصاره المشاركين على التقاعد. إذ صدرت القائمة الأولى بالمرسوم رقم ٣٤ في ٢٤ كانون أول/ ديسمبر ١٩٦٢ وبعدها صدر مرسومين آخرين برقم ٥٨ و٥٩ في ٣ و٤ شباط / فبراير ١٩٦٣، وكان المفروض صدور القائمة الرابعة في يوم ٩ شباط والتي تضم العديد من المشاركين الكبار في الانقلاب[٦٠]

---

٥ - أمير الحلو، المذكرات، نقاط الحبر الأخيرة، ص.٥٦، دار ميزوبوتاميا، بغداد ٢٠١٤.

٦ - أرسلت السفارة البريطانية بتاريخ ١٩٦٣/٠٢/٢٥، مذكرة إلى المخابرات العسكرية في وزارة الدفاع البريطانية، عن الانقلاب وما سبقه ذكرت فيه.[... وفي كانون الثاني كذلك صدرت قائمتان بأسماء المحالين على التقاعد يصل مجموعهما إلى ١١١ ضابطاً منهم ٢ برتبة لواء، و٣٢ برتبة عميد و٢٥ عقيداً و١٢ مقدماً...] راجع د. حامع البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط، مصدر سابق، ص ١٤١.



٣- الصلة المميتة والانزلاق للهاوية :

في البدء لابد من أن نطرح سؤال منطقي، سبق وأن تم طرحه، يتمحور هل بإمكان حزب صغير من حيث العدد والقاعدة الاجتماعية، القيام بانقلاب ضد نظام يتسم بقاعدة اجتماعية واسعة نسبياً؟؟ فهل يعقل ان يقوم حزب " بعدد قليل من الضباط ،(٢٩) ضابطاً معتمدين على كتيبة الدبابات الرابعة وعلى ثلاثة طيارين...[٦١] " أن يقلب نظاما بدون مساعدة خارجية؟ خاصةً وإن هؤلاء الضباط غير كفوئين مهنياً وأغلبهم من الرتب الصغيرة ؟؟

يبدو إن الإجابة على هذا السؤال تكمن فيما سنحاول عرضه من (الصلة المميتة) التي أنزلق بها حزب البعث بتعاونه وتنسيقه مع القوى الخارجية حيث عمدا سويةً، كل حسب مهامه، وأُعدت العدة وحددت أساليب العمل، وضبطت مواعيد العمل ونسقت العلاقات مع الأطراف الخارجية الأخرى [٦٢] وبُدأ بتحضير الإذاعة السرية الأمريكية الموجهة للانقلابين لتبث من الكويت، وأُعدت القوائم سلفاً بأسماء

---

٦١ ـ صبحي عبد الحميد، مذكرات، العراق في سنوات الستينيات ١٩٦٩- ١٩٦٨، ص. ٣٢، دار بابل للدراسات والاعلام، دمشق ٢٠١٠.

٦٢ - حول هذا الموضوع، راجع تقرير السفارة البريطانية عن الحالة الداخلية في العراق بتاريخ ٧ شباط ١٩٦٣ الملحق رقم (٧).

المناوئين للانقلاب والواجب القضاء عليهم مادياً وشل حركتهم باتفاق مسبق، وهكذا اتضحت هوية الواقفين وراء الانقلاب، نستعرض بعض منهم، كما أدناه :

شـواهد الصـلة:

١ـ الاكاديمي حنا بطاطو:

كتب الاكاديمي حنا بطاطو، يقول: [...لا يمكن تجنب ارتكاب الخطأ في تقدير المصدر الذي جاءت منه هذه القوائم، أو من هو الذي صاغها، ولكن هنالك ما أكده الملك حسين بعد سبعة أشهر في حديث شخصي منفرد مع محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام، جرى في فندق كريون في باريس ويستحق الإيراد هنا: (تقول لي أن الاستخبارات الأمريكية"[٦٣] كانت وراء الأحداث التي جرت في الأردن عام ١٩٥٧. اسمح لي أن أقول لك أن ما جرى في العراق في ٨ شباط قد حظي بدعم

---

٦٣ - يقول حسن العلوي عن تعاون البعث مع الأمريكان بالقول : "... إن ظهور العراق الأمريكي في ٢٠٠٣/٤/٩ هو ليس أول ظهور بقدر ما كان يوم ولادة سبقته مخاضات معقدة ولعلنا عشناها لا متفرجين أو محايدين بل مشاركين. فمنذ انتهاء العراق البريطاني يوم ١٤ تموز ١٩٥٨ وقيام العراق العراقي لأول مرة وتجميد العمل بتمذهب الدولة ونقل بغداد من أحاديتها المقرفة إلى عالميتها العباسية الرحبة وتعرض الحكومة العراقية المحايدة عنصرياً ودينياً وطائفيا، إلى محاولات يومية قادمة من غرب العراق وغرب العالم انتهت يوم ٩ شباط ١٩٦٣ بإعدام العراق العراقي.. زعامة وحركة وطنية وحزباً ديمقراطياً وليس لك أن تتسائل كيف أسقط نظام سياسي كان أتباعه أكثر من خصومه وقوته العسكرية بإعتباره محمياً بالجيش العراقي لا تساويها قوة مليشيا ناشئة معزولة باسم الحرس القومي، فيسقط الجيش والنظام بيدها.

إن زعماء الحزب الذين ساهموا في حركة إعدام العراق العراقي هم الذين أجابوا على هذا السؤال بشجاعة لم يتحمل بها نظرائهم في الأحزاب العراقية..."، عندما أعلنوا أنهم جاءوا بالقطار الأمريكي. مستل من: العراق الأمريكي، ص. ٣٦، دار الزوراء ، لندن ٢٠٠٥.(التوكيد منا- الناصري)

الاستخبارات الأمريكية. ولا يعرف بعض الذين يحكمون بغداد اليوم هذا الأمر، ولكني أعرف الحقيقة. لقد عقدت اجتماعات عديدة بين حزب البعث والاستخبارات الأمريكية، عقد أهمها في الكويت. أتعرف أن... محطة سرية تبث إلى العراق كانت تزود يوم ٨ شباط رجال الانقلاب بأسماء وعناوين الشيوعيين هناك للتمكن من اعتقالهم وإعدامهم. (الأهرام ٢٧ أيلول ١٩٦٣). وليس واضحاً ما الذي دفع الحسين إلى قول هذه الأشياء. فالواقع أنه لم يكن صديقاً لحزب البعث، ولكن ملاحظته يمكن أن تقرأ في ضوء ما كشف أخيراً من أنه كان يقبض راتبه منذ ١٩٥٧ من وكالة الاستخبارات الأمريكية (سي. آي. أي).

وربما كان على صلة بالموضوع أن نضيف أن عضواً في قيادة البعث العراقي عام ١٩٦٣ ، طلب عدم ذكر اسمه، أكد في حديث مع المؤلف (حنا بطاطو- الناصري) أن السفارة اليوغسلافية في بيروت حذرت بعض القادة البعثيين من أن بعض البعثيين العراقيين يقيمون اتصالات خفية مع ممثلين للسلطة الأمريكية. ويبدو أن أكثرية القيادة في العراق لم تكن مدركة لما قيل إنه كان يجري...[٦٤]".

لذا لا عجب من أن مطلب عراق الزعيم قاسم بالكويت ومن ثم الاتفاق على إقامة فدرالية معها والتي حظيت بالموافقة الأولية بين الطرفين على أسسها العامة مطلع عام

---

٦٤ - حنا بطاطو، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص ٣٠٠، وكما مر بنا سابقاً فإنه في مؤامرة الشواف وقبلها في مؤامرة الكيلاني، سبق أن أُعدت مثل هذه القوائم، ويبدو أن الثأرية المسبقة تكمن في أساس توجه الانقلابيين طيلة المرحلة وكلها كانت تصب في تصفية قوى اليسار الوطني عامة والحزب الشيوعي بخاصة، وكأن مهمتهم هذه قد أوكلت لهم من قوى خارجية لها مشروعها العام ليس في العراق وحده بل في عموم المنطقة. وهذا ما دللت عليه العقود اللاحقة. وما نحن فيه هو أبرز سماته.

كما أن محمد حسنين هيكل يورد الموضوعات المذكورة أعلاه دون أدلة علمية تسندها. كما أنه يلوي عناق الحقائق بما يخدم السياسة المصرية في حينها، ويبرر توجهاتها رغم أنف الحقائق. للمزيد راجع د. سيار الجميل، تفكيك هيكل، مصدر سابق.

١٩٦٣ [٦٥] ، قد أُسقط بعد نجاح الانقلاب مباشرةً، حيث دعمتها، بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه، الرشوة التي قدمتها حكومة الكويت والتي كان مقدارها كما أُشيع آنذاك في حدود ٣٠ مليون دينار، التي يقول عنها الفكيكي أنها قد: [...حُولت إلى البنك المركزي العراقي ووصل مبلغ مليوني دينار باسم عبد السلام عارف الذي أمر بإيداعها في حساب الخزينة العامة لبناء المجمع الإعلامي...[٦٦]] . في حين يقول عبد

٦٥ـ للمزيد راجع: أسوار الطين لحسن العلوي؛ مذكرات إسماعيل العارف؛ خليل إبراهيم حسين، موسوعة ١٤ تموز، ج.٦؛ نجم محمود (ابراهيم علاوي)، المقايضة وغيرها. كلها مصادر سابقة.

٦٦ - هاني الفكيكي، مصدر سابق، ص ٣٠٤.

ومن الجدير بالذكر فإن بريطانيا قد "... عملت وقبل الإطاحة بالبعثيين في ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣، على تحقيق التفاهم وإزالة الخلاف بين الكويت والعراق نهائياً. كما قيل آنذاك – فاعترف النظام البعثي في العراق بالحدود التي رسمتها بريطانيا سابقاً بين البلدين. وهكذا عقدت الحكومة العراقية اتفاقاً مع شيخ الكويت جاء فيه: بعد أن أطلع الجانب العراقي على بيان الحكومة الكويتية الذي ألقي في مجلس الأمة الكويتي بتاريخ ١٩٦٣/٤/٩، والذي تضمن رغبة الكويت بما يلي:

١- تعترف الحكومة العراقية باستقلال دولة الكويت وسيادتها التامة بحدودها المبينة بكتاب رئيس وزراء العراق بتاريخ ١٩٣٢/٧/٢١(نوري السعيد) والذي وافق عليه حاكم الكويت بكتابه المؤرخ في ١٩٣٢/٨/١٠.

٢ - تعمل كل منهما على توطيد العلاقات الأخوية بين البلدين الشقيقين يحدوهما في ذلك الواجب القومي والمصالح المشتركة والتطلع إلى وحدة عربية شاملة.

٣- تعمل الحكومتان على إقامة تعاون ثقافي وتجاري واقتصادي بين البلدين وعلى تبادل المعلومات الفنية بينهما، وتحقيقاً لذلك يتم فوراً تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين على مستوى السفراء

الشيخ صباح السالم الصباح　　　　رئيس الحكومة العراقية أحمد حسن البكر

... وتم توقيع هذه الوثيقة بمباركة حكم البعث في سورية فتعهدت حكومة الكويت بتوظيف الأرصدة الكويتية في سورية والعراق، وقد أشيع أثر توقيع هذه الاتفاقية مع الكويت أن أموالاً ورشاوي قد قبضتها بعض قيادات البعث في سورية والعراق...". راجع أكرم الحوراني، المذكرات، المجلد ٦، الفقرة ١٦٢، مصدر سابق.

الكريم فرحان، أحد أركان الحكم آنذاك: في [... ٨ أذار ١٩٦٣، أي بعد شهر من الإطاحة بعبد الكريم قاسم، أُعيدت العلاقات الودية بين العراق والكويت، وبدأت مفاوضات تثبيت الحدود انتهت باتفاق مشبوه وقعه عن العراق البكر رئيس الوزراء، **حصل بموجبه النظام العراقي على قرض كويتي ومبلغ ضخم من المال تقاسمه بعض قادة الحزب وشاركهم فيه رياض طه نقيب الصحفيين اللبنانيين الذي ساهم في إنجاح المفاوضات وعقد الصفقة**...[٦٧]].(التوكيد منا- الناصري).

أما طالب شبيب، فيعترف بالرشوة ضمنياً لكنه يوجه الاتهام إلى غيره، كعادته، عندما يقول:

[... أما شيك المليوني دينار فقد أخفاه عبد السلام في أحد أدراج مكتبه في القصر الجمهوري، وفوراً بعد زوال سلطة البعث أثر حركة ١٨ تشرين ١٩٦٣ جرى تمرير إشاعة مقصودة ومدبرة تلمح إلى أن البعثيين استولوا على الشك وصرفوه لمصلحة حزبهم. لكن وزراء ناصريين بينهم عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد، إضافةً إلى خير الدين حسيب محافظ البنك المركزي استطاعوا بعد جرد وتفتيش العثور على **الشيك الضائع مخفياً في أحد أدراج مكتب الرئيس عارف فأخذوه وأدرجوه باعتباره جزءاً من الاتفاقية العراقية الكويتية**...]. لكن طالب شبيب مع ذلك كان يلقي بضوء مكثف من الريبة، لا تنفي الرشوة ومشاركة بعض رفاقه عندما يقول: [... بعد ارتيابي بتصرفات 'جماعتنا المستعجلة...[٦٨]]. لكنه لم يوضح لِمَ هذا الاستعجال في إبرام الاتفاقية؟ ومن هم بالتحديد(جماعتنا)، الحزبيون أم العسكريون؟ وهل هي

---

٦٧ - عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص. ١٠٩. ومن الجدير بالذكر أن الدكتور أياد الجصاني، كتب مقالا في مواقع التواصل الاجتماعي، في مطلع شباط ٢٠١٤، بعنوان: ذكريات شخصية في ثلاثة فصول، ذكر فيها أن سفير حكومة الانقلاب في بيروت ناظم جواد، أخبره أنه شارك في المفاوضات التي عقدت مع الجانب الكويتي، والتي اسفر عنها استلام مبلغ الثلاثين مليون دينار، كثمن لترسيم الحدود، غضافةًإلى استلام السفير العراقي شيكاً بمبلغ مليونين دينار، سلمت له من قبل أمير الكويت آنذاك ليقدمها بدوره إلى عبد السلام عارف.

٦٨ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٣٩ وما بعدها.

حالة بريئة؟ أم تخوفه من الارتيابات السابقة للانقلاب والتي قدمتها حكومة الكويت لهم وبخاصةً فيما يتعلق بالإذاعة السرية والقوائم بالمراد إبادتهم؟!

٢ - محمد حديد:

ومن جانب آخر أشار وزير مالية حكومة عبد الكريم قاسم الأولى، محمد حديد إلى دور الكويت في هذا الموضوع بالقول:

"... إلى أن قضي على عبد الكريم قاسم في انقلاب ٨ شباط/فبراير، وهو الانقلاب الذي ساهمت الكويت فيه بالتعاون مع أطراف عربية وأجنبية. ونتيجة لذلك التآمر اعترفت الحكومة العراقية الجديدة باستقلال الكويت، لقاء ثمن قيل أن الكويت قدمته إلى المسؤولين في الحكومة العراقية...

وبحسب ما ذكره إسماعيل العارف فقد عقدت جلسات تفاوض كانت خاتمتها في أثينا (يقصد بها المفاوضات بين حكومة قاسم والتي قادها عنها السفير قاسم حسن والكويت- الناصري)، في الوقت الذي كان وفد كويتي آخر يشترك مع المتآمرين في التخطيط لحركة ٨ شباط التي أنهت بنجاحها قضية الخلاف مع الكويت. وقد تبين من مجرى الأحداث أن الكويت قصدت من المفاوضات القيام بلعبة دبلوماسية لتفويت الفرصة على عبد الكريم قاسم للقيام بأي إجراء ضدها من جانب وصرف الأنظار من جانب آخر عن التآمر الذي كانت ضالعة فيه..."[٦٩]. ويبدو أن فكرة المفاوضات مع قاسم كانت من بنات أفكار بريطانيا.

٦٩- محمد حديد، المذكرات، ص. ٤٤٣، مصدر سابق. ويشير حديد من جهة ثانية في ص. ٤٧٣، إلى أنه "...ذكرت بعض المصادر الموثوقة بها بينهم بعثيون، أن جهاز المخابرات المركزية الأمريكية CIA، برئاسة المستر آلن دلاس، الذي كرس طاقته لمناهضة الشيوعية في فترة الحرب الباردة، كان مشاركاً في عملية الإطاحة بنظام قاسم، وفي حالات غير قليلة زودت المخابرات الأمريكية الانقلابيين بإسماء ناشطين شيوعيين كان مصيرهم القتل...".

وبعد سقوط النظام (القوماني) السابق وبالاستناد إلى الوثائق الدبلوماسية البريطانية، يشير د.طارق العقيلي إلى موقف الكويت من الانقلاب وعلاقته بحزب البعث العراقي فيقول: "... إلا أن موقف الحكومة الكويتية اختلف عن موقف الحكومات الأخرى، فقد أيدت الكويت النظام الجديد في العراق لأنها كانت تنتظر أي نظام بديل لحكم عبد الكريم قاسم. وما يلفت الإنتباه هنا أن الكويت كانت من أكثر الدول التي عملت على إسقاط حكم عبد الكريم قاسم ولأسباب معروفة لا حاجة لنا إلى تكرارها. لكن من المهم أن نشير إلى الدعم الذي قدمته الكويت إلى الحركات الكردية في شمال العراق في حزيران ١٩٦١ ضد عبد الكريم قاسم،(حسب رسالة في ٢٩/حزيران ١٩٦١- الناصري) ومن ثم قدمت دعماً لحزب البعث في آب١٩٦٢ على خلفية اتفاقات سرية جرت بين الكويت وقادة حزب البعث، تم بموجبها تقديم المساعدات المالية لدعم نشاط الحزب داخل العراق على آمل أن تحل الأزمة الكويتية العراقية في حال تسلم الحزب مقاليد السلطة في العراق والاعتراف بالكويت دولة مستقلة. ومن ذلك تمكن حزب البعث من مواصلة إصدار صحيفته السرية المعروفة بـ (الاشتراكي). والواقع أن الكويت لم تجرأ على تقديم الدعم العملي المباشر والسريع (اللوجستي) لحزب البعث لو لم تكن تملك معلومات مهمة ومطمأنة مسبقة من خلال أصدقائهم البريطانيين عن حجم الانقلاب المعد ضد عبد الكريم قاسم... "[٧٠]. (التوكيد منا- الناصري).

---

٧٠ - د. طارق العقيلي، ص، ١١١، مصدر سابق.
لقد ذكر الوكيل السياسي البريطاني في الكويت ريجموند في برقيته للخارجية البريطانية في الثامن من شباط ١٩٦٣، "... أن فريق التنسيق البريطاني العامل في الكويت قد وضع في حالة الإنذار بالتعاون مع الجهات الكويتية المعنية من فتح أجهزة المراقبة (الرادار). وقد اتخذت الكويت احتياطاتها الأمنية والعسكرية تحسباً للمفاجئات المحتملة لا سيما في حالة فشل الانقلاب، إذ وافقت على استقبال اللاجئين براً وجوا بعد أن هيأت المنفذ البري، وأعطيت الأوامر بالسماح لهبوط الطائرات العراقية في مطار الكويت في حالة دخولها الأجواء الكويتية سلمياً... " ذات المصدر، ص. ١١٢.

٣ ـ باتريك كوكبورن:

وفي الوقت ذاته يؤكد باتريك كوكبورن حول موضوع (سباق المسافات الطويلة) في العلاقة بين قادة الانقلاب والقوى الخارجية بالقول من أن:

[...الوكالة (المقصود بها المخابرات الأمريكية- الناصري) لعبت دوراً رئيسياً في إعداد قوائم بأسماء الذين تمت تصفيتهم في أعقاب الانقلاب من قبل فرق الموت التابعة لحزب البعث، ويعتقد بأن عدد ضحايا الانقلاب بلغ الآلاف، منهم ٦٠٠ من أطباء ومحامين ومعلمين وأساتذة جامعيين يمثلون النخبة العراقية المثقفة... وقد جرى وضع قوائم الموت في مقرات المخابرات المركزية في بلدان الشرق الأوسط بالتعاون مع منفيين عراقيين. وفي القاهرة استعانت الوكالة بضابط مخابرات مصري حصل على معظم معلوماته من صدام حسين أثناء إقامته في العاصمة المصرية. وأن أطول قائمة وضعها أحد عناصر الوكالة وهو (وليم ماكهيل) الذي كان يعمل تحت غطاء مراسل لمجلة (التايم) في بيروت. وحالما وصلت قوائم المخابرات المركزية إلى بغداد كانت النتيجة مجزرة استثنائية في وحشيتها، فقد قتل شيوخ ونساء وحوامل وعذب البعض حتى الموت أمام اطفالهم... ويُؤكد أن صدام حسين الذي عاد من منفاه في مصر لينضم إلى المنتصرين، تورط شخصياً في تعذيب اليساريين في مراكز اعتقال مخصصة للفلاحين وأخرى للمثقفين...[٧١]]. (التوكيد منا - الناصري)

ويؤكد ذات المؤلف في أحدث كتاباته هذا الرأي بالقول:

[... ففي الثامن من شباط أطاح انقلاب عسكري بقاسم، حيث لعب حزب البعث دوراً قيادياً. فقد كان الدعم للمتآمرين محدوداً، ففي الساعات الأولى من القتال كان

---

٧١ ـ باتريك كوكبورن - انقلاب شباط ١٩٦٣ مهد الطريق لصعود صدام حسين، مجلة رسالة العراق، العدد٣٢، آذار، ١٩٩٧، ص ٢٧.

بحوزة البعثيين تسع دبابات فقط و٨٥٠ عضواً فعالاً، لكن يبدو أن قاسم تجاهل التحذيرات المتعلقة بانقلاب وشيك الحدوث، والذي أمال كفة الميزان أكثر ضده هو تورط الولايات المتحدة في هذا الانقلاب لأن قاسم أخرج العراق من حلف بغداد الذي أقيم لمحاصرة السوفييت. وفي العام ١٩٦١ هدد باحتلال الكويت وكذلك أمم جزءاً من شركة نفط العراق، المتألفة من اتحاد شركات نفط أجنبية ضخمة لاستغلال نفط العراق.

فعند استعادة أحداث الماضي والتأمل فيها نجد أن الانقلاب العسكري كان مفضلاً ومحبذاً لوكالة المخابرات المركزية، حيث صرح جيمس كريستفيلد، الذي نصّب مؤخراً رئيساً لوكالة المخابرات المركزية في منطقة الشرق الاوسط، (لقد غضينا الطرف عمّا كان يحدث في العراق حينها) ويضيف (فقد اعتبرناه أعظم نصرٍ لنا). وقد أكد المشتركون من الضباط العراقيين في الانقلاب ما صرح به كريستفيلد من تورط الامريكيين فيه، حيث صرح علي صالح السعدي، السكرتير العام لحزب البعث والذي كان على وشك إقامة حكم إرهابي لم يسبق له مثيل في المنطقة قائلا (لقد أتينا إلى السلطة على قطار وكالة المخابرات الأمريكية). فقد تضمن مساعدة وكالة المخابرات المركزية وبصورة رسمية على التنسيق مع مخططي الانقلاب عن طريق مركز الوكالة في سفارة الولايات المتحدة في بغداد (كان مدير المركز وليم ليكلاند - الناصري) إضافة إلى محطة الراديو السرية في الكويت، وفي نهاية الأمر، نجد أن قاسم احتفظ بشعبية بعد الإطاحة به، فبعد إعدامه رفض أنصاره التصديق بأنه ميت حتى عرض قادة الانقلاب من على شاشة التلفزيون وعلى صفحات الجرائد اليومية تُظهر جسده وقد اخترقته عيارات نارية...[٧٢]

---

٧٢ - راجع أندرو كوكبورن و باتريك كوكبورن، صدام الخارج من تحت الرماد، ولادة صدام حسين من جديد، ترجمة علي عباس، ص ١٣٦ - ١٣٧، مكتبة مدبولي القاهرة ودار المنتظر بيروت، ٢٠٠٠.

٤ - رامزي كلارك:

ويجسد ثانيةً وزير العدل الاسبق رامزي كلارك، موقف الولايات المتحدة الأمريكية ونشاطها السري من أجل الاطاحة بثورة ١٤ تموز ونظامها بالقول:

"...لقد كان العراق هدفاً لنشاط سري منذ عام ١٩٥٨ على الأقل عندما بدأ النفوذ البريطاني على المنطقة يضعف. ففي ١٤ تموز من تلك السنة أطاحت ثورة شعبية قادها عبد الكريم قاسم بالنظام الملكي القائم منذ ١٩٢١. وعملت الحكومة الجديدة على أنشاء منظمة البلدان المصدرة للنفط(أوبيك)، التي تشكلت عام ١٩٦٠ لمواجهة نفوذ احتكارات النفط الغربية وقال قاسم : " نحن لا نحارب شركات النفط للحصول على ٧ ملايين دينار أخرى في السنة، ، نحن نقاتل لإدخال جمهوريتنا عصر الصناعة ولإنهاء اعتمادنا على بيع النفط الخام...".

وتحدى قاسم سيطرة شركات النفط الغربية المطلقة على تسويق البترول العربي . ولم تكن الولايات المتحدة لتتساهل إزاء هذا التحدي الذي يعرقل نواياها التي طال التخطيط لها للحلول محل الاستعمارين البريطاني والفرنسي كقوة وحيدة مسيطرة في الشرق الأوسط._*ومنذ ذلك الحين خططت الولايات المتحدة لإضعاف العراق والسيطرة على نفطه. وبعد وقت قصير من ثورة عام ١٩٥٨ شكلت المخابرات الأمريكية لجنة للتآمر بهدف إغتيال عبد الكريم قاسم. وفي الوقت نفسه وضعجنرالات أميركيون في تركيا خطط عسكرية تحت أسم (عظمة المدفع) لغزو شمال العراق والاستيلاء على حقول النفط هناك. وفي عام١٩٦٣ ذُبح عبد الكريم قاسم والآلاف من مؤيديه في انقلاب دامي دعمته المخابرات الأميركية ...*[٧٣] ".(التوكيد منا- الناصري).

---

٧٣ - رامزي كلارك، ص. ٢٣، مصدر سابق.

٥ ـ ميشيل ديبرا:

كما كتب ميشيل ديبرا، حول علاقات الولايات المتحدة بانقلاب ٨ شباط بالقول: "... والحال أن تاريخاً أمده أربعون عاماً مضت، يطفح بالأمثلة عن تورط أشخاص غير عراقيين/ منهم خمسة رؤساء أميركان، وفي الأقل ثلاثة رؤساء فرنسيين وعدد من رؤساء الحكومة البريطانية وزمرة من المقاولين الغربيين، كلهم متواطئين مع الدكتاتور (صدام حسين)، بل هم أحياناً شركاء في جرائم ارتكبها النظام البعثي تحت رئاسة جون كندي ، إبتدأت واشنطن بمساعدة المذابح في العراق . ففي عام ١٩٦٣، انتاب الولايات المتحدة القلق من الرئيس عبد الكريم قاسم، لما أقترب من موسكو وهدد بتأميم نفط العراق ، فقررت الولايات المتحدة عندئذ التصرف حيال ذلك . وفي ٨ شباط من العام ١٩٦٣ دعمت الانقلاب الذي نفذه حزب مناوئ للشيوعية، ألا وهو حزب البعث . وبهذا الصدد يؤكد السيد جيمس أكنز وكان حينها مستشاراً سياسياً في سفارة الولايات المتحدة ببغداد بُعيد الانقلاب: (كنا نعطي البعثيين المال، مالاً كثيراً، ونزودهم كذلك بالتجهيزات، ولم نكن نعلن عن ذلك بصراحة، إنما كان الكثير منا يعلم ذلك ...).

وبعد إعدام الرئيس قاسم، شرع البعثيون بتعذيب وقتل آلاف الشيوعيين والمتعاطفين مع اليسار من أطباء وقضاة وعمال: (لم نكن نتلق إلا أمراً واحداً: إقصاء الشيوعيين) هذا ما صرح به أحد الفاعلين في المجزرة... ولطالما أنكرت واشنطن، لكن عدداً من منظمي الانقلاب كشفوا أن (سي. آي. أي) لعبت دوراً فعالاً في المذبحة وبخاصةً بتزويدها البعثيين قوائم بأسماء الشيوعيين. وفي العام ٢٠٠٣ وجهت إحدى وكالات الأنباء سؤالاً لمسؤول سابق قي الدبلوماسية الأمريكية، فطلب عدم الكشف عن أسمه قبل أن يجيب قائلاً : (بصراحة كنا سعداء جداً في التخلص من الشيوعيين!!هل تعتقدون بنهم كانوا يستحقون عدالةً أكثر إنصافاً مما فعلناه؟ أنتم تمزحون طبعاً فالقضية كانت بالغة الخطورة علينا...).

ثمة تقرير لم يكشف عنه حتى ذلك الحين يخص اجتماعاً عقد ببغداد في ٩ من حزيران من العام ١٩٦٣ بين الأمريكان والبعثيين يؤكد الرغبة (المشتركة لإحتواء الشيوعية في

المنطقة) كان العدد المستهدف يشمل أيضاً الأكراد الذين كانوا يقاومون السلطة البعثية في شمال البلاد. إذ أكد صبحي عبد الحميد الذي كان يقود عمليات الجيش العراقي في ذلك الوقت ضد الأكراد، أنه تفوض شخصياً مع الملحق الأمريكي على تسلم خمسة آلاف قنبرة بغية تحطيم المقاومة. (ثم أهدى الأمريكان لنا ألف قنبرة نابالم لقصف القرى الكردية من دون أن يقدموا لنا فاتورة حسابها) وحسبما يفيد الأكراد الذين عايشوا عمليات القصف هذه، حرق النابالم قطعان الماشية وقرى برمتها. لكنهم في ذلك الوقت كانوا يتصورون أن هذه النابالم من عمل السوفييت...[٧٤]". (التوكيد منا- الناصري).

٦- سعيد أبو الريش:

ويتطرق الكاتب العربي سعيد أبو الريش إلى الموضوع ذاته بالقول:

[... كانت مؤامرة البعث/ C. I. A ضد قاسم أكثر حجماً من الاتصالات المتقطعة التي كانت قائمة مع صدام. لقد كانت خطة الإطاحة بالرئيس العراقي تحت إشراف وليم ليكلاند[٧٥] المتخذ من بغداد مقراً له في السفارة الأمريكية، تمثل واحدة من أكثر

٧٤- ميشيل ديبرا، صديقنا صدام.. أيام كانت الولايات المتحدة وفرنسا حليفتين للدكتاتورية، جريدة المدى البغدادية، بتاريخ ٨/٥/ ٢٠٠٥.

٧٥ - لقد كان الرئيس عبد الناصر، أثناء مفاوضات الوحدة الثلاثية بين العراق وسوريا ومصر عام ١٩٦٣ ، يركز على الوضع الراهن آنذاك "... متهماً النظام العراقي بإرتباطه بالمخابرات المركزية الأمريكية، التي تزود بغداد بالأسلحة الخفيفة لمحاربة الأكراد. ومن اجل ألا يكون كلامه غير مسند بالحجج، ذكر عبد الناصر أسم رجل المخابرات الأمريكية وليام ليكلاند، الذي كان على ارتباط بالقيادة العراقية، والذي يعرفه منذ أن كان يعمل تحت ستار ملحق في السفارة الأمريكية في القاهرة. لا، إنه لم يكن ضد إقامة أي بلد عربي علاقات طبيعية وحتى جيدة مع الولايات المتحدة. ولكه كان يصر على ضرورة استثناء الممارسة التي يمكن أن تدفع البلد العربي، وفي هذه الحالة العراق، إلى تسليم مواقعه لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية...". يفغني برماكوف، الشرق الاوسط، ص. ٦٢ ، مصدر سابق.

عمليات C I. A (سي. آي. أي) كثافةً في تاريخ منطقة الشرق الأوسط. لقد كان التعاون مع مراتب قليلة الشأن في حزب البعث جزءاً من الصورة الكبيرة لجريمة البعث/ C. I. A. المشتركة. لقد كان هذا التعاون ثمرة عمل جيمس كريتشفيلد، الخبير في عمليات التخريب داخل الحركة الشيوعية، جُلب للشرق الأوسط من أجل التعامل مع تصاعد الحركة الشيوعية في العراق واحتمال استلامها زمام الأمور فيه. لقد مثل جهد المخابرات الأمريكية في إيجاد صلات مع المراتب الدنيا من حزب البعث في القاهرة عملاً إضافياً للجهد الكبير الذي قامت به المخابرات في إيجاد صلات مع عناصر مهمة من حزب البعث في دمشق وبيروت. رغم معارضة جمال الأتاسي (أحد أعضاء حكومة البعث في سوريا آنذاك). كان البعثيون العراقيين مصرين على أنه لا يمكن إسقاط عبد الكريم قاسم بدون مساعدة الأمريكان. لقد استطاع الأمريكان أن يضمنوا تعاون ناصر معهم، مع ذلك بقيت أجهزة الأمن المصرية تتابع تحرك صدام وجماعته، وهذا راجع بطبيعة الحال لسرية نشاطاتهم مع الأمريكان...!.(التوكيد منا- الناصري)

٧ - جيمس آيكنيس:

في الوقت نفسه "... تحدث جيمس آيكنيس الذي كان يعمل في السفارة الأمريكية في بغداد آنذاك عن قادة حزب البعث ويقول:

"...عرفت كل زعماء البعث وأعجبت بهم. ويؤكد أن المخابرات الأمريكية C.I.A لعبت دوراً في انقلاب حزب البعث عام ١٩٦٣. لقد اعتبرنا وصول البعثيين إلى الحكم وسيلة لاستبدال حكومة تؤيد الاتحاد السوفيتي بحكومة آخرى تؤيد لأمريكا. إن مثل هذه الفرص قلما تتكرر. ويضيق آيكنيس صحيح أن بعض الناس قد أعتقلوا أو قتلوا إلا أن معظم هؤلاء كانوا شيوعيين ولم يكن ذلك ليزعجنا... "[٧٦].

٧٦ - آلان تيل (مراسل الشؤون الدولية للبي بي سي) عالم صدام الخاص، موقع الوكالة في الانترنيت بتاريخ ٢٠٠٣/١/١٧. مستل من عزيز سباهي، عقود من تاريخ، ج.٢، ص. ٢٢٥، مصدر سابق.

٨ ـ إعداد القوائم[٧٧]:

أما بصدد المصادر التي نظمت القوائم الخاصة بالشيوعيين، والواجب تصفيتهم فيقول ذات المؤلف أبو الريش:

[... إن اغتيال أناس تركوا الحزب الشيوعي، تكشف منشأ القوائم التي نظمتها المخابرات الأمريكية. لقد كان مصدرها الأولي هو وليم ماكهال، عميل المخابرات الأمريكية، أشتغل تحت غطاء مراسل لمجلة التايمس، وشقيق دون ماكهال، الذي كان في ذلك الوقت موظف رفيع المستوى في المخابرات الأمريكية في واشنطن. لقد حصل ماكهال على الأسماء في بيروت من موظف سابق في مديرية أمن العهد الملكي، وكان وكيلاً سابقاً لبهجت العطية (مدير الأمن العام في العهد الملكي الذي تم إعدامه في ١٩٥٨)، بطبيعة الحال كانت معلوماته قديمة. ولكن ماكهال لم يكن المصدر الوحيد لهذه المعلومات، فقد اشترك في هذه العملية الخسيسة ضباط كبار في المخابرات المصرية، بعثيون مسيحيون في لبنان، مجموعة صدام في القاهرة... لقد كان التعاون بين وليم ليكلاند وعماش وبقية الضباط يتم على المكشوف. رغم أن مشاركة ناصر في الانقلاب كانت بسيطة، مع أنه نصح علي صالح السعدي بالحذر من ليكلاند

---

٧٧ ـ رغم كل الوثائق الدبلوماسية والأمريكية وكذلك البريطانية التي رفعت السرية عنها، سواء من سفارتيها في العراق والكويت، لكن يصير حازم جواد، المشرف البعثي على الانقلاب، على نكران وجود مثل هذه الإذاعة ويعتبرها جزءً من الحرب الإعلامية المضادة حيث كتب: "...أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية كانت تبث في ٨ شباط (فبراير) عبر إذاعة سرية أسماء الشيوعيين وعناوينهم ليتمكن الانقلابيون من اعتقالهم. كان هذا كذباً وافتراء، فردينا عليه أنا وطارق عزيز، بقسوة وألمحنا إلى أن وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية لا عمل لها في دمشق وبغداد...". مذكرات ص. ٩٧، مصدر سابق.

والمخابرات الأمريكية.. لقد كان ليكلاند واحداً من رجال الاتصال مع عبد الناصر عندما أطاح بالملك فاروق عام ١٩٥٢ ..."[٧٨].

٩ - د. أحمد عبد الهادي الجلبي:

يقول د.أحمد عبد الهادي الجلبي، في محاضرة له:

"... أما تدخل أمريكا الحقيقي الأول في العراق فبدأ سنة ١٩٦٢، حينما كلفت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية (سي. آي. أي) من جانب رئيس الولايات المتحدة بمجابهة الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي في العراق، فعملت ال (سي. آي. أي) بشكل مباشر ويتحالف مع النظام المصري حيتها بزعامة جمال عبد الناصر، وتعاونت مع حزب البعث العربي الاشتراكي في العراق، خصوصاً كوادر الحزب في القاهرة ومن ضمنهم صدام حسين على تشجيع وتأهيل الحزب لتسلم الحكم. وقد ذكر لي أحد مسؤولي ال (سي. آي. أي) في فرانكفورت وأسمه جيم كريتشفيلد، كان مسؤول ال (سي.آي. أي) في أوربا، أن (الوكالة) *أصدرت بالتعاون مع البعثيين قائمة بأسماء ١٧٠٠ شخص تقريباً يجب تصفيتهم لدى قيام أي حركة ضد عبد الكريم قاسم والحزب الشيوعي في العراق. وفعلا نشرت هذه الأسماء عبر إذاعة سرية للأمريكيين في منطقة الشرق الأوسط...* "[٧٩]. (التوكيد منا- الناصري)

---

٧٨ - سعيد أبو الريش، صدام حسين (سياسات الانتقام)، الفصل الثالث. لقد ترجم النص لنا - وأنا مدين له - الصديق الودود عزام مكي من خلال متابعته للحدث السياسي في عراق تلك المرحلة.

٧٩- جريدة المؤتمر العدد ٣٠٤ في ٢٠٠٢/٩/١٥، مستل من د. عبد الخالق حسين، ثورة ١٤ تموز العراقية، ص. ١٥٢، مصدر سابق.

١٠ - جورج هربوز:

وقد نقل الصحفي جورج هربوز، المبعوث الخاص لوكالة الأنباء الفرنسية في بغداد في ١٣ - ٢ - ٦٣ عن أوساط رسمية للنظام الجديد قولهم بشكل دائم: [**لدينا قوائم بأسماء جميع الشيوعيين، ولن نترك أحداً منهم يفلت من يدنا...**[٨٠]].

ويعترف القيادي البعثي آنذاك هاني الفكيكي بهذه القوائم بعبارة مقتضبة ومخففة. عندما يقول: [... **وقبل ذلك صدر الأمر إلى فرق خاصة من الحرس القومي الناشيء باغتيال قاسم ووصفي طاهر وجلال الأوقاتي والمهداوي وعبد الكريم الجدة وطه الشيخ أحمد فضلاً عن قائمة بسبعين اسماً لشيوعيين بارزين وضعت لغرض اعتقالهم...**[٨١]].

لكن الفكيكي عضو القيادة القطرية آنذاك لم يوضح في اعترافاته هذه، من أعد هذه القوائم وما هو مصدرها؟ وهل هي العناصر الحزبية القيادية فقط؟ أم بالتعاون مع الجهات التي أشار إليها كوابيرون وآخرون؟ وما سر التشابه بين فعل الإعداد المسبق لهذه القوائم بما تم في الانقلاب المضاد لمصدق في إيران ١٩٥٢ والذي دبرته وكالة المخابرات الأمريكية؟، وكذلك تلك الانقلابات ذات الصبغة اليمينية التي دبرتها ذات الوكالة في أمريكا اللاتينية، ومن ثم لاحقاً في إندونيسيا ١٩٦٥ – ١٩٦٦ ؟ وتشيلي ١٩٧٣ إذ قامت "... وكالة المخابرات الأمريكية بتسليم كشوفات تحوي أسماء

---

٨٠ ـ راجع نص التقرير مترجماً في مجلة أصوات، العدد١٣، مصدر سابق. ص ٤٤. ويمكننا أن نضيف مصدر أخر لأصل هذه القوائم وهو قاعدة حزب البعث العراقي، وبخاصة في مديرية الأمن العامة والشرطة. لكن هذه القوائم تنصب على القيادات الوسطى والدنيا من الحزب الشيوعي والقوى اليسارية. وهي تختلف عن تلك التي اعدتها المخابرات الامريكية من ناحية وجوب تصفيتهم جسدياً، لأنهم يمثلون الكادر المتقدم في الحزب. في حين ترك مصير الآخرين للقيادات الحزبية المحلية.

٨١ - هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق. ص ٢٢٤.

اليساريين إلى القائمين على تدبير انقلاب بونيشيت في شيلي ١٩٧٣، وقد أثبتت الوثائق في الفترة الأخيرة على وجود هذه الكشوفات..."[٨٢]

أن النص الفكيكي المذكور أعلاه يحاول قدر الإمكان تبرير وتخفيف واقع المسؤولية الجنائية للعناصر التي ساهمت في المجزرة التي حدثت. كذلك يحاول تلطيف الصورة الكالحة لتلك الفترة المظلمة والتي انطبعت في الوعي الشعبي الاجتماعي العراقي، كفعل ارتداد في مسيرته التطورية وارتقائه الحضاري اللذين انطلقا بصورة واقعية منذ ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

وترابطاً بالموضوع نُشير إلى أن إذاعة الانقلاب في بغداد أذاعت يوم ٨ شباط وفي الساعة الثالثة وخمس وأربعون دقيقة ب. ظ.، بياناً يدعو مدير شرطة النجدة، فاضل السامرائي المُعين من قبلهم، إلى إلقاء القبض على الأشخاص المشتبه بهم والمُزود بقائمتهم. (راجع الملحق رقم ٢). وقد ذكر هاني الفكيكي في (أوكار الهزيمة) يقول: "... وكما سبق أن ذكرنا كانت القيادة قد أعدت قائمة باعتقال ٧٠ شيوعياً ..."[٨٣]. **بمعنى أن القائمة كانت معدة سلفاً ولم تكن مرتبطة بمقاومة هؤلاء الأشخاص للانقلاب، كما يشير تبريراً الأغلب الأعم من أقطاب النظام آنذاك ومنهم الفكيكي وشبيب والخيزران وغيرهم** ومع كل هذه الوثائق الدالة، ينشر الأمين القطري لحزب البعث في العراق آنذاك بصورة كاذبة ومغايرة ويحرف الوقائع المادية ويقول أن هذه الاعتقالات قد ابتدأت "**... من يوم العشرين من شباط/ فبراير...**"[٨٤]، وقد سبق له أن كرر هذا الادعاء في حلقة سابقة من أوراقه اللا موضوعية، عندما قال: "**...أنه لم يجر اعتقال أي عضوا أو مناصراً لا في اليوم الثامن أو التاسع والعاشر وحتى اليوم العشرين من شباط/ فبراير...**"[٨٥]. إن هذا الادعاء لا يصمد أمام الوقائع المادية التي

---

٨٢ - جريدة الزمان، العدد ١٢٣٢ في ٢٠٠٢/٦/١٢.

٨٣ - هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص. ٢٥٥، مصدر سابق.

٨٤ - حازم جواد. من اوراق، القدس العربي في ٢٠٠٦/٢/٢٤. مصدر سابق.

٨٥ - المصدر السابق، في ٢٠٠٦/٢/٢٣.

سادت آنذاك.. وتُدحضها حتى تقارير حزب البعث العراقي نفسه، وكذلك حركة القوميين العرب الشريك الأصغر[٨٦] في الانقلاب.

وفي وصف الانقلاب، قال رئيس عمليات وكالة المخابرات المركزية في الشرق الأوسط (جيمس كريتشفيلد) بأنه : [انتصار عظيم بالنسبة لنا]. إذ بالإضافة إلى مساهمتهم المباشرة وغير المباشرة في تحقيقه، فقد رسم الانقلاب التاريخ اللاحق الجيو/سياسي للعراق والمنطقة، على وفقً المنطوق الامريكي الذي تكرست هيمنته الأولية منذ ذلك التاريخ، والذي أصبح القوة المؤثرة فيها دون منازع يكبحه، وخاصة ما يتعلق بالثروة النفطية واستغلالها وبالقضية العربية المركزية (فلسطين) وسبل حلها، وهذا ما يثبته واقع الحال الراهن. وما تشهده القضية من تقزم يعود ببعض مسبباته، إلى ذلك الانقلاب.

❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖❖

واستكمالاً للموضوع المتعلق بعمق الارتباط بالعامل الخارجي نشير، كما أشار قبلنا، حسن العلوي وقبله جلال السيد وفؤاد الركابي وسامي الجندي ومصطفى الدندشلي وحسن السعيد وغيرهم، إلى أهمية هذا العامل في إنجاح الانقلاب. إذ لا يحتاج المرء إلى بذل جهد كبير من العناء للوصول إلى ذلك. لأنه من المستحيل لحزب صغير:

"... بلغ عدد أعضائه يوم الانقلاب ٩٨٠ عضواً عاملاً...[٨٧] " دون قاعدة اجتماعية واسعة؛ ينتابه الصراع الداخلي في قيادته العليا؛ وتتكون تشكيلته الدنيا من ذوي

---

٨٦ - راجع للمزيد جمال باروت، حركة القوميين العرب، مصدر سابق.

٨٧ - محمد جمال باروت، مصدر سابق، ص ١٨٧. كما يشير منيف الرزاز في كتابه التجربة المرة (ص. ٩٠) إلى أن عدد الاعضاء العاملين كانوا ٨٠٠ عضواً. وكان عددهم قبل ١٧ تموز لا يتجاوز ال ٧٠ عضواً، لكن طه الجزراوي صحح الرقم بالقول **[أن العدد كان ١٧٠]** راجع مقابلة عامر عبد الله في مجلة أبواب، العدد الثالث ١٩٩٤، مصدر سابق ص ٢١٥

العضلات [88]؛ وتأثيره الضعيف في الجو الثقافي والحضور السياسي؛ ويتميز بسمة عصبوية وطائفية؛ يتنافس ويتسابق مع أجنحة التيار القومي العربي للاستيلاء على السلطة بالطريقة الانقلابية؛ ويتصارع، في الوقت نفسه، مع السلطة الوطنية والتيار اليساري والديمقراطي.. إن حزباً كهذا يستحيل أن يحقق الانقلاب بمفرده ضد نظام يتمتع - باعترافهم - بقاعدة اجتماعية واسعة لا يستهان بها، وفي بلد تصعب إدارته وغني بمكوناته الاجتماعية.

كما أن أغلب (أبطال!) الانقلاب صُفّوا جسدياً والبعض الآخر معنوياً وغيبوا من الحياة العامة وطواهم الإهمال والنسيان بخاصةً، بعد القدوم الثاني للسلطة عام ١٩٦٨. وهنا يكمن التساؤل عن سر هذه التصفيات التي طالت عديداً من المشاركين في الانقلاب والمطلعين على دور العامل الخارجي فيه، أو تسنى لهم الاطلاع عليه فيما بعد؟ من أمثال: عبد الكريم مصطفى نصرت؛ طاهر يحيى ؛ عبد العزيز العقيلي؛ فؤاد الركابي؛ رشيد مصلح؛ حردان التكريتي؛ صالح مهدي عماش؛ أحمد حسن البكر؛ حماد شهاب التكريتي؛ محمد المهداوي؛ عبد الرزاق النايف؛ عبد الكريم الشيخلي؛ منيف الرزاز وغيرهم الذين يقدرون بالعشرات، ناهيك عن المجاميع التي انشقت على قيادة ميشيل عفلق سواءً مجموعة السعدي أو قيادة قطر العراق (الجناح السوري) [89].

---

٨٨ - يقول الإعلامي إبراهيم الزبيدي "... إن أعضاء القيادة الذين أقتربت منهم وعرفتهم عن كثب، ليسوا أعضاء قيادة كما يُظن، بل أنهم في الأغلب مجموعة من الفاشلين في الدراسة أو المطرودين من المدارس لأسباب مختلفة..."..." وكان طبيعياً أن يطلع على خلافات وصراعات هؤلاء، هنا أدرك صدام هشاشة اغلب أولئك القادة وانحراف بعضهم وجبن البعض الآخر منهم...". دولة الإذاعة، ص. ٢٦١ و١٢٧، مصدر سابق.

٨٩ - حول مصير بعثيين أخرين، زاد عددهم عن المئة شخصية، ساهم بعضهم في الانقلاب الأول والبعض الأخر في الانقلاب الثاني (١٩٦٨). راجع أسماء بعضهم لدى د. علي كريم سعيد، مراجعات، ص ٣٩١ - ٤٠٢. وكذلك لدى حسن العلوي في كتابه دولة المنظمة السرية. كذلك راجع الملحق الثاني عشر في نهاية الكتابن بعنوان لعنة قاسم.

وعلى خلفية هذا الوضع، يتولد، لدى أي باحث موضوعي، اليقين بأن ما تم الكشف عنه لحد الآن من معلومات سرية عن دور العامل الخارجي حول هذا الانقلاب لا يمثل سوى النذر اليسير من خفايا الكواليس وسباق المسافات الطويلة. ومازالت الفصول المهمة منه، يلفها عالم الصمت المطبق.

وتاسيساً على ذلك فـ [...**إننا نستطيع حصر مصادر الدعم بشكل أساس في المثلث النشط (القاهرة، بيروت، لندن) دون التقليل من أهمية دور عواصم أخرى كواشنطن التي أسندت مهماتها إلى العاصمتين العربيتين آنفتي الذكر، لقربهما من ساحة الأحداث، ولأنهما يؤديان الغرض المطلوب بوجود العملاء السريين والعلنيين والذين يتلقون التعليمات المباشرة من السفارات أو من ضباط أجهزة المخابرات الدولية على حدٍ سواء ...**[٩٠]].

ونستطيع بكل ثقة علمية، مستقاة من التاريخ السياسي للعراق وللمنطقة، أن نضيف إليهم بعض عواصم الجوار، إن لم يكن جميعها، والتي كانت هي الأخرى تعمل بصورة منفردة أو منسقة مع المحور الثلاثي أعلاه أو/و أحد أطرافه. إنه التلاقح المتنافر بين عديد من القوى المتضررة من ثورة ١٤ تموز وسلطة الزعيم عبد الكريم قاسم ومساراتها الوطنية المستقلة وبرنامجية أفق تطورها. وقد أكد الاستنتاج أعلاه عديد من الباحثين والاكاديميين والسياسيين وحتى ضباط المخابرات أنفسهم. نذكر منهم، على سبيل المثال لا الحصر:

كما يشير العلوي، في كتابه دولة المنظمة السرية، مصدر سابق، إلى العشرات من زعماء الصفوف الأولى والثانية لحزب البعث والتيار القومي الذين أعدموا من قبل سلطة الحزب الحاكم. ربما هنا يكمن سر التساؤل الذي نبحث عنه؟

٩٠ - حسن السعيد، نواطير الغرب، مصدر سابق، ص ١١٣.

١١ - جيف سيمونز:

قال الكاتب جيف سيمونز حول ذات الموضوع:

"... عرف العالم طباع صدام حسين قبل وقت طويل، وقد عرفة الأمريكان منذ عام ١٩٦٣ عندما كان يساهم في تأسيس جهاز حنين (ما عُرِفَ بأداة التعليم، وهو هيئة أمنية خاصة، صُممت على غرار قوات ال (أس. أس) النازية لحماية حزب البعث العراقي باستهداف (أعداء الشعب). وتعرضت الفئات المناوئة للترهيب الوحشي وأصبح الاستخدام المنهجي للإرهاب وسيلة الوصول إلى السلطة. وقام الجيش العراقي، في ذلك الوقت، بانقلاب ناجح ضد اللواء (كان وقتها برتبة فريق- الناصري) عبد الكريم قاسم أول رئيس (وزراء- الناصري) في العهد الجمهوري، وهو الذي أطاح بحكم الأسرة الهاشمية المالكة في عام ١٩٥٨. وحوكم قاسم محاكمة قصيرة، ثم قيد إلى الكرسي وأعدم بالرصاص. وأظهرت وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية تقديرها حيال محاولة الانقلاب هذه بإبداء قدر كبير من التعاون، وهو الأمر الذي أعتُرِف به على نطاق واسع في ذلك الوقت. وأعلن وزير الداخلية في النظام الجديد علي صالح السعدي: لقد وصلنا إلى السلطة على قطار ال (سي.آي.أي.C,I.A).[٩١] وكانت الولايات المتحدة سعيدة بانتهاج مسار للأحداث يثبت قدمي صدام حسين على طريق السلطة. وتحججت واشنطن هنا أيضاًكما في جرائم أمريكية كثيرة ضد الإنسانية، بالخطر الشيوعي كأحد أسبابها.

كانت واشنطن تشعر بقلق شديد من تطور الأحداث، فقد بدأ عبد الكريم قاسم الذي أعتبر تهديدا متزايداً للمصالح الغربية في تأميم اجزاء من شركة نفط العراق المملوكة بغالبيتها لشركات غربية، وأحيا مِنْ جديد المطالبة العراقية التاريخية بالكويت. وردَّ البريطانيون على تهديداته... بدعم تمرد كردي ضد الحكومة العراقية. وكانت C,I.A وسواها من هيئات التخطيط العسكري الأمريكية، في الوقت نفسه، تطور مخططاتها لإسقاط القيادة العراقية وتمثل الأسلوب الأمريكي الذي أقتبس لاحقاً

---

٩١ - راجع أيضاً د. غسان العطية، جريدة القدس العربي، عدد ١٤ شباط ١٩٩٦، لندن.

في مختلف أرجاء العالم بشن هجوم كاسح على جميع الفئات السياسية المناوئة للمصالح الغربية. وشملت هذه الحملة التصفية الجسدية لأعضاء الحزب الشيوعي العراقي وجماعات أخرى متعددة اخرى.

وسارعت وكالة الاستخبارات المركزية إلى تأمين الساحة بعد الانقلاب وإعدام قاسم ونُظمت اضطرابات داخلية شارك فيها بعثيون مستاؤون، وأصبح من الحيوي: لا يسمح سوى للفئات التي تحظى برضا C.I.A بملء فراغ السلطة. وكان الحل الذي جُرّب مراراً من قبلٍ بسيطاً: ***فقد أعدت C.I.A قوائم بأسماء الأشخاص الذين يجب تصفيتهم لضمان ألاّ تتمكن جماعات السلطة السابقة من إعادة تنظيم صفوفها، وأرسلت فِرق قتل أشرفت*** C.I.A على تنسيق عملها لتنفيذ مهماتها الوحشية، بينما كان المخططون الأمريكيون يتابعون التطورات بارتياح..."[٩٢]. (التوكيد منا- الناصري)

١٢- مايكل اويرسكالسكي: أشار مايكل اويرسكالسكي إلى أنه:

[...في يوم ١٤ تموز عام ١٩٥٨، قامت مجموعة من الضباط العراقيين بقيادة العقيد (الزعيم الركن - الناصري) عبد الكريم قاسم بإسقاط النظام الملكي الحاكم في العراق. ولكن من وجهة نظر الحكومة الأمريكية، فإن قاسم بفعلته هذه قد أقدم على ارتكاب عدد من (الجرائم): فقد أمم صناعة النفط العراقية (أمم الأراضي غير المستغلة حسب - الناصري)، وأقام علاقات صداقة مع البلدان الاشتراكية، كما انسحب من حلف بغداد الذي تهيمن عليه الولايات المتحدة وكانت تلك الخطوط سبباً كافياً يدفع الوكالة لأن تبدأ بوضع الخطط لاغتيال عبد الكريم قاسم، ومرة أخرى ***تم تكليف الخبير سيدني غوتلب باتخاذ التحضيرات اللازمة، حيث تقرر في نهاية المطاف أن يجري اغتيال قاسم عن طريق كتاب غلافه مسموم. وفي الوقت ذاته***

---

٩٢ - جيف سيمونز، عراق المستقبل، السياسة الأمريكية في إعادة تشكيل الشرق الأوسط، ترجمة سعيد العظم، ص. ٢٩٦، دار الساقي، بيروت- لندن ٢٠٠٤.

وبمساعدة الضباط العراقيين، قام جهاز الاستخبارات الأمريكية بحبك مؤامرة أطاحت فعلاً بالعقيد عبد الكريم قاسم، حيث تم إعدامه رمياً بالرصاص لاحقاً...[٩٣]

١٣ - الأكاديميان بينروز:

وحول الموضوع ذاته، أشار الباحثان الأكاديميان بينروز إلى أنه:

[...كان حزب البعث العراقي القليل عدده قد انهمك في التآمر وثابر عليه. ولقلة عدده وبمساعدة أنصار له في الجيش، فقد ظل يعمل سراً وبالتعاون مع فئات مناصرة له في سوريا للتخلص من قاسم... كما - أكد لنا موظفون عراقيون موثوق بهم، ومن بينهم بعض البعثيين، بأن وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (سي. آي. أي) قد تعاونت مع الانقلابيين في الإطاحة بقاسم. وكانت وجهة نظرنا وقت ذاك، والتي لم يظهر لنا ما يدعو إلى تغيرها، هي أن السفيرين الأمريكيين في هذه الفترة وهما والدمار كولمان وجون جيرنيكان، كانا رجلين مجربين وعلى جانب كبير من الصواب في أحكامهما، ولذا فهما يعرفان جيداً أن تهمة الشيوعية الملصقة بقاسم لا أساس لها من الصحة، ولكن لا يمكن أن يقال الشيء نفسه عن وكالة المخابرات الأمريكية، فقد كانت تحت إدارة آلن دلس الذي كرس جهده لمتابعة الحرب الباردة.

وبعد تلك الأحداث أخبرنا السيد هاشم جواد - وزير خارجية العراق على عهد قاسم، بأن وزارة الخارجية كانت على علم بوجود نوع من التواطؤ بين وكالة المخابرات الأمريكية وحزب البعث. ***وفي كثير من الأحيان كشفت وكالة المخابرات للبعثيين أسماء الشيوعيين العراقيين وأماكن إقامتهم، وقد تم بالفعل إلقاء القبض عليهم في بيوتهم وإعدامهم...[٩٤]***.

---

٩٣ ـ مايكل اوبرسكالسكي، نادي القتلة - وكالة المخابرات الأمريكية، تعريب عبادة بوظر، دار الطليعة الجديدة، دمشق.

٩٤ ـ أديث، وائي، أيف بينروز، مصدر سابق، ج. الأول، ص ٤٤٦ و ٤٥٣

١٤ - روجر موريس:

ويعد سقوط نظام البعث في عام ٢٠٠٣، أكد روجر موريس الدبلوماسي الأمريكي السابق، أن لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية يداً في انقلابين في العراق في أحلك أيام الحرب الباردة منها انقلاب ١٩٦٨ ووضع صدام حسين بقوة على طريق السلطة. وكان موريس موظفاً في وزارة الخارجية الأمريكية وعضوا بفريق مجلس الأمن القومي الأمريكي في إدارتي الرئيسين ليندون جونسون وريتشارد نيكسون. ويقول:

أن وكالة المخابرات الأمريكية ساعدت في تدبير انقلاب دموي في العراق للإطاحة بحكومة عبد الكريم قاسم ذات التوجه السوفيتي (؟أقرأ ذات التوجه العراقي - الناصري) في عام ١٩٦٣، أي بعد عامين من محاولة أمريكية للإطاحة بالحكومة الكوبية.

وأضاف مشيراً إلى انقلاب في إيران أعاد الشاه إلى السلطة "... مثلما كان الحال في إيران عام ١٩٥٢، كانت هناك أموال أمريكية ومشاركة أمريكية على الأرض..." وأعلم قاسم، الذي سمح للشيوعيين بتولي مناصب حساسة في حكومته، بعد انقلاب ١٩٦٣ وسقطت البلاد في أيدي حزب البعث حينما كان صدام حسين في ذلك الوقت عضوا في حزب البعث يدرس القانون في القاهرة، مضيفاً إن حاكم العراق السابق الذي وصفه الرئيس الأمريكي السابق جورج بوش (أكثر المستبدين وحشية) كان يتلقى في الواقع راتباً من وكالة المخابرات المركزية في تلك الأيام. ويضيف أن وكالة المخابرات المركزية شجعت عناصر في حزب البعث على القيام بانقلاب قصر بعد ذلك بخمس سنوات بقيادة أحمد حسن البكر الذي يرعى صدام منذ فترة طويلة والذي سلمه السلطة في عام ١٩٧٩، وقال أنه نظام ولد على أيدي الولايات المتحدة بلا شك وكانت المخابرات المركزية هناك رئيسية حقاً... وقال أنه علم بتفاصيل التدخل الأمريكي السري في العراق من مسؤولين كبار قي وكالة المخابرات المركزية آنذاك... "[٩٥].

---

٩٥ - مستل من جريدة المؤتمر، العدد ٣٤٣ في ٢٠٠٣/٤/٢٥

١٥ - حسن العلوي:

ويطرح الكاتب حسن العلوي، الذي سبق أن كان من مؤيدي ومناصري الانقلاب، إستفهامات وتساؤلات عديدة حول الانقلاب وجوهر مضامينه والقوى الواقفة خلفه. ويتهم بأحرف كبيرة ذلك [... **الاجتماع الذي دعا إلى عقده ميشيل عفلق في ألمانيا الغربية صيف عام ١٩٦٢ وفيه اتخذ قرار الثورة المضادة على حكومة ١٤ تموز. وسمي الاجتماع بالمؤتمر القومي الثالث، مع أنه لم يكن بمستوى مؤتمر ولم يدع إليه مندوبون من القيادات القطرية واقتصر على مجموعة صغيرة. من هنا قد نجد معلومات عن أي مؤتمر قومي إلا المؤتمر الثالث. إن ذلك كله يعطي لقرار القيادة القومية في سوريا والصادر في عام ١٩٦٦ بطرد ميشيل عفلق وجناحه من الحزب مضموناً وطنياً وقومياً صائبا**...[٩٦]]. وتأسيساً على ذلك يتساءل العلوي ذاته عن سر الصمت الذي يلف زعماء الانقلاب، إلا النزر اليسير جداً منهم.

١٦ - فؤاد الركابي:

وتواصلاً مع هذه التساؤلات المنطقية ربما نجد، بعضاً من أوجه الإجابة الجزئية ونستقرؤها من تصريحات **فؤاد الركابي**، أول أمين عام للقيادة القطرية لحزب البعث العراقي لغاية ١٩٦١، عندما اتهم القيادة القومية لحزب البعث، قائلاً:

---

٩٦ - يذكر طالب شبيب أن المؤتمر الثالث انعقد في بيروت صيف ١٩٥٩ قبيل محاولة اغتيال الزعيم في رأس القرية، والرابع في عام ١٩٦٠. وأكد صالح حسين الجبوري، في رسالة الماجستير التي عنونها (ثورة ٨ شباط ١٩٦٣ في العراق)، ونشرها في بغداد عام ١٩٩٠ ص ١١٧ بأن: [جاء تحرك الحزب هذا انسجاماً مع ما أقره المؤتمر القومي الرابع الذي انعقد في ايلول عام ١٩٦٠، حيث حدد ضمانات في القضاء على الوضع القائم (حكم قاسم) آنذاك. ففي التوصية الثامنة أكد على: (وجود ضمانات شعبية كافية وشروط موضوعية تضمن قيام وضع جديد منسجم مع مهام الحزب السياسية)]، هل أراد العلوي الإشارة إلى المؤتمر الخامس؟

[... أستطيع أن أؤكد أن بعض عناصر هذه القيادة على صلة بالاستخبارات البريطانية... وقد كتبت للقيادة في العراق راجياً أن تسمح لي بأن أضع تحت تصرف الصحافة اللبنانية ما لدينا من معلومات. وأعدكم بأنني سأفعل ذلك فور أن تصلني الموافقة...[٩٧]].

١٧ - عارف عبد الرزاق:

"... وتأكيداً لرأي الركابي فقد اعترف بعد مرور تسعة وثلاثين عاماً على انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣ عارف عبد الرزاق المحسوب على التيار القومي ويوصفه أحد المشتركين في الانقلاب بأن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية، كانتا وراء الانقلاب وقدمتا لنظامه دعماً كبيراً...[٩٨] ".

١٨- القيادة القومية الثورية لحزب البعث العربي (جناح الريماوي):

وبعد ثلاثة أيام من هذا المؤتمر الصحفي للركابي، نشرت بعض الصحف البيروتية بياناً للقيادة القومية الثورية لحزب البعث العربي، التي تزعمها عبد الله الريماوي، البعثي الانتماء والناصري التوجه، أيدت فيه ما جاء على لسان الركابي ووصفت ميشيل عفلق بـ (عميل الاستعمار). ووجهت له ذات الاتهام قيادة حزب البعث السوري التي على أساسه حكمت عليه بالإعدام غيابياً بتهمة الخيانة العظمى

---

٩٧ - راجع جريدة صوت العروبة في حزيران / يونيو ١٩٦١، مستل من حسن السعيد، مصدر سابق، ص ٤٠. كذلك مذكرات فيصل حبيب الخيزران، الحلقة السادسة، جريدة الزمان، في٢٦ تموز/ يوليو ٢٠٠١ العدد ٩٧٨، لندن.

٩٨- د. طارق مجيد العقيلي، بريطانية لعبة السلطة، ص. ٨٦، مصدر سابق.

وللتفصيل يراجع: برنامج شاهد على العصر، مقابلة مع رئيس الوزراء العراقي الأسبق عارف عبد الرزاق، الحلقة التاسعة في الثالث من آذار ٢٠٠٢، على المواقع الالكتروني لقناة الجزيرة الفضائية القطرية. www.aljazeera.net.

والارتماء في أحضان المخابرات الإنكليزية والأمريكية. وربما من هذا المنطلق ما صرح به شاه إيران السابق محمد رضا بهلوي، إلى السفير البريطاني في طهران، وكان يميل إلى الافتراض أن البريطانيين لابد أن يكونوا قد هندسوا لانقلاب ٨ شباط [٩٩].

ترى هل هذا الاتهام الخطير صدر بحق ميشيل عفلق/ مؤسس الحزب، بغية نزع الثقة منه ضمن صراعات الحزب الداخلية حسب؟ أم أنه اعتمد على وقائع مادية تدين الأمين العام للقيادة القومية ميشيل عفلق ومجموعته، وقد صدر عن دراية ومعرفة ببواطن المسألة؟ لأنه ربما [...**قد يكون موجعاً للبعثيين، إذا ذكرنا بأن إيلي كوهين/كان صديقاً لأمين الحافظ، (أحد أقطاب مجموعة الأمين العام- الناصري) وكان على وشك أن يصبح نائباً لوزير دفاعه، وليس سراً أن أموال الموساد ساهمت عن طريق كوهين في تمويل انقلاب البعث في سوريا. ولا يوجد أي ضمان بأن هذه الاموال لم تجد طريقها إلى البعث العراقي...**[١٠٠]].

١٩ ـ خالد علي الصالح الدليمي:

وحول هذا الموضوع يسلط عضو القيادة القطرية السابق والمشارك في محاولة اغتيال الزعيم قاسم، **خالد علي الصالح الدليمي**، بعض الضوء على تاريخية دور الأمريكان مع حزب البعث العراقي منذ العام الأول لثورة ١٤ تموز، بالقول:

[...**جاءنا طالب شبيب باستعداد إحدى الجهات لتزويد حزب البعث بالمال والسلاح، إذا كنا نسعى للتخلص من حكم عبد الكريم قاسم، وطلب فؤاد من طالب شبيب أن يقول ما عنده، فقال طالب: إلى جوار المكتب الذي يعمل فيه طالب شبيب،**

٩٩- للمزيد راجع د. حامد البياتي، أسرار انقلاب٨ شباط، مصدر سابق.

١٠٠ ـ د. علاء الدين الظاهر، التاريخ كما لقنه القصخون، مصدر سابق. وقد سبق أن اندس كوهين في تنظيمات جناح ميشيل عفلق عندما كان منفي في الارجنتين، ولعب كوهين دور مهماً في القيادة قبل اكتشافه بالصدفة وأعدم بعد محاكمة سرية في دمشق.

كمهندس والذي يقع في عمارة مرجان في الباب الشرقي، إلى جوار ذلك المكتب يوجد مكتب لمجموعة من العاملين الأميركان، وقد اتصل به (أي بطالب) أحد أولئك الأميركان العاملين في المكتب المجاور وعرض عليه استعداد أميركا لتزويد حزب البعث بالمال والسلاح.

وقد فوجئت بمثل هذا الكلام الصادر عن عضو قيادة في الحزب. ولم أترك فرصة لغيري ليقول رأيه فقلت: ليس لدينا عدو في هذه الدنيا سوى أميركا منذ اغتصاب فلسطين ولو وافقتم على ما نقله طالب فسوف أذهب من هنا مباشرةً لعبد الكريم قاسم وأخبره بكل شيء. وعندما انتهيت من كلامي تكلم فؤاد موجهاً كلامه لطالب شبيب، فقال إننا نرفض مثل هذا العرض وبلّغ الشخص الذي اتصل بك رفضنا لعرضهم ويجب أن تقطع علاقتك بهذا الشخص. وأُغلق الموضوع.

وفي الاجتماع التالي كرر طالب شبيب ما قاله في المرة الأولى وذلك بحجة إلحاح الشخص الأميركي. وهنا قلت كلمة واحدة: إنني إذا أعيد مثل هذا الكلام في اجتماع آخر فسوف أستقيل فوراً من الحزب، ومن الهين عليَّ أن أُقتل بيد أي عراقي من أن أصبح عميلاً لأميركا. وعندها تكلم فؤاد وذكر طالب شبيب بأننا قد طلبنا منه أن يقطع صلته ولا يعود للكلام في هذا الأمر مرة أخرى...].

وعندما طلب شبيب السفر إلى لبنان لمعالجة زوجته [... قال فؤاد والارتياح باد على وجهه أنني وافقت على كل ما طلبه مني، لأنني - وكذلك أنتم - نسعى للتخلص منه، خصوصاً بعد أن اتضح لنا أمر صلته بالأميركان... [١٠١]].

لكن لم يذكر لنا الدليمي ولا طالب شبيب في مذكراته، لماذا هذا الاختيار قد وقع على حزب البعث العراقي؟ ولماذا يلح طالب شبيب على طرح الأمر رغم الطلب منه بقطع الصلة مع الأمريكان؟ هل يكمن ذلك في الاتهام الذي وجهه لشبيب بعض من رفاقه بصدد صلته بالأجهزة الامنية البريطانية والعربية المتحدة؟؟ وهل هذا له صلة بعلاقة عماش مع الامريكان؟ مثل هذه الأمور لا تسير بشكل عفوي.

---

١٠١ - خالد علي الصالح، طريق النوايا الطيبة، مصدر سابق، ص ١٠١.

٢٠ - فيصل حبيب الخيزران:

ووما له صلة بموضوع طالب شبيب وما أثير من شكوك حوله، يتذكر فيصل الخيزران أحد قياديي البعث آنذاك، ما أحدثه من ضجة انتخاب طالب شبيب في المؤتمر القومي الرابع في آب/أغسطس ١٩٦٠ إذ من [... الطبيعي أنه حينما وصل علي صالح السعدي وحازم جواد قد أثارا ضجة اتهما فيها طالب شبيب بأنه عميل بريطانيا، وقالا كيف يبقى في الحزب وكيف يعيش في بيروت ولديه شقة على البحر؟ من أين له لولا أن هناك جهات تموله؟ طبعاً نحن قلنا لهم نحن الآن لدينا معركة مع فؤاد الركابي ونريد التخلص منه، أما طالب شبيب فأمره سهل، إذا تودون نرسله إلى العراق، يوافق، وإذا لم يوافق نفصله من الحزب. فعلاً كان صعود طالب شبيب للحزب غريب. جاء تواً من بريطانيا ولم يتخرج، أي لم يأخذ شهادة الهندسة وقفز سريعاً...[١٠٢]].

وفي الآونة الأخيرة، وخاصة بعد سقوط لنظام السابق، ازداد تسليط، الأضواء الجديدة على هذه العلاقة ودور القوى الخارجية في الإطاحة بثورة ١٤ تموز وذبحها كواقع أو مثل يحتذى به، نورد بعضاً مما عثرنا عليه، ونقول:

٢١ - أكرم الحوراني:

ينقل الشخصية القيادية البعثية السابقة في سوريا عن لسان السفير الأمريكي في لبنان آرمان ماير، في أحدى الحفلات رداً على انتقادات بعض النواب اللبنانيين بالقول:

"...إن من حق حكومتي أن تؤيد حزب البعث الحاكم في سورية والعراق، لما أظهره من شجاعة في (مكافحة الشيوعية)، ولكن من حقها أيضاً ألا تدير ظهرها للرئيس عبد الناصر خوفاً من أن يضع المنطقة في الجو الشيوعي لاعتقادها أنه قادر وحده أن

١٠٢ - فيصل حبيب الخيزران، جريدة الزمان، الحلقة ٥ في ٢٥ /٢٠٠١/٧ العدد ٩٧٧، مصدرسابق

يفعل ذلك إذا تخلفت عن تأييدها له في بعض نواحي السياسية التي يتبعها ومن هنا كان اعتراف الولايات المتحدة بنظام الحكم الجديد في كل من العراق وسورية بعد الانقلابين الآخيرين وتسلم البعث في البلدين المتجاورين ودعم سياسة الحكومتين السورية والعراقية التي ترمي إلى مكافحة الشيوعي..."[١٠٣].

٢٢ - مير بصري:

ويذكر الكاتب العراقي مير بصري، أنه:

[... وقد قيل أن الاستخبارات المركزية الأمريكية كان لها اليد الطولى في الإطاحة بعبد الكريم قاسم. وقد ذكر الصحفي مراد العماري أن دين راسك، سكرتير الدولة الأمريكية اجتمع بهاشم جواد وزير الخارجية العراقي، الذي كان يحضر دورة الجمعية العامة للأمم المتحدة في خريف ١٩٦٢ وبحث معه الموقف الصلب الذي اتخذه رئيس حكومة العراق في تأييد كوبا في أزمة الصواريخ وقال له: (سوف نحطم رأس زعيمكم) وخرج هاشم جواد من الاجتماع وبعث على الفور ببرقية إلى الزعيم تضمنت استقالته دون ذكر فحوى حديث المستر راسك، لكن الزعيم رفض الاستقالة واستدعى وزير الخارجية إلى بغداد...[١٠٤]].

ورغم غموض نهاية النص عن مآل الحديث وخاتمته وماهية الطريقة التي سيحطمون بها (رأس الزعيم)، لكن التأكيد على هذه الرابطة، التي نسجت بين القوى الغربية وقوى الانقلاب، كانت صحيحة.

---

١٠٣ - أكرم الحوراني، المذكرات، المجلد ٦، الفقرة ١٦٢، مصدر سابق.

١٠٤ - مير بصري، اعلام السياسة، مصدر سابق، ص ٢٤٣.

٢٣ - طالب شبيب:

وهذا ما اعترف به طالب شبيب نفسه في مذكراته، والاعتراف سيد الأحكام كما قيل، وإن ألقى التبعة على الآخرين، عندما قال:

[... وليس من شك أن بعض المداخلات المشبوهة كانت تحصل بالقرب منا وحولنا ولكن ليس معنا إطلاقاً، وأقصد مع القيادة القطرية[١٠٥]. وأتذكر على سبيل المثال العلاقة الودية التي كانت تجمع بين علي عبد السلام[١٠٦] وكل من صالح مهدي عماش

---

١٠٥ - يحاول شبيب إبعاد الشبهات التي حامت حوله من قبل بعض رفاقه القياديين في الحزب، كما مر

١٠٦ - يقول حازم جواد أمين سر القطر الأسبق عن علي عبد السلام بأنه "... من منطقة منصورية الجبل، شمال شرق بعقوبة، وهي منطقة تعج بمعسكرات الجيش، وهو يعمل إما مزارعاً أو راعي أغنام ومهرباً وله علاقات وطيدة مع ضباط الجيش العراقي ويعرف كثيرين منهم. فجأة برز اسمه في حركة عبد الوهاب الشواف، وفي محاكمات المهداوي التي تلت الاعتقالات. وجاء لاجئاً هارباً إلى سورية، تعرفت إليه هناك، فهو كان مع الشواف ومن قادة الحركة وساهم في تهريب الأسلحة وأيضاً أجهزة الإرسال التي زودت الجمهورية العربية المتحدة العقيد الشواف بها، وعندما جاء إلى سورية جاء كزعيم سياسي. جلست معه للتعارف فرأيته أكبر من حجمه بكثير، فمن هو وما هي كفاءته؟ لم نسمع باسمه من قبل، ابتعدت عنه، وظل هو في سورية ويعتمد عليه المكتب الثاني (المخابرات السورية – الناصري)، إلى أن عاد مع ثورة ١٤ رمضان. وإذا أبو ربيع يعرف رئيس أركان الجيش طاهر يحيى وأحمد حسن البكر... تعرف على صدام حسين وعلي السعدي وفيصل حبيب الخيزران وجميع البعثيين... ويقال أنه كان يرتدي بزة رائد (يوم ١٤ رمضان منح رتبة رائد كبقية المدنيين في قيادة الحرس القومي – الناصري)... ويبدو أن صدام في تلك الفترة كونَ علاقة معه وكلفه نقل بعض المعلومات أو غير ذلك، لكن الحادثة التي نحن بصددها نرويها نقلا عن حاتم حمدان العزاوي الذي كان هو أيضاً أحد أعضاء زمرة تنفيذ اغتيال عبد الكريم قاسم وكان هارباً إلى القاهرة. يقول أنه مَطلع عام ١٩٦٤، فاتحني صدام لمرافقته إلى البصرة مع علي عبد السلام لأنهما يريدان مقابلة القنصل البريطاني وهو رافقهما وذهب متطوعاً، ويبدو أن صدام كان يبغي طلب الحماية أو وجود شهود، إذا حدث شيء. لا أدري لماذا لم يحضر العزاوي المقابلة... (الذي) كتب تقريراً لقيادة الجناح عن تلك الحادثة أخبر عنها قيادة تنظيم القطر، أي جناح علي السعدي، وعلم أعضاء هذا الجناح بهذه الواقعة وسُجلت نقطة ضد صدام (؟؟!!- الناصري). عرفت

ورشيد مصلح التكريتي وكذلك تردده على أحمد حسن البكر وعبد السلام عارف وأعطى لنفسه رتبة عسكرية (ما هو موقعه حتى يعطي لنفسه رتبة عسكرية؟؟ لكن الدلائل تشير إلى أن مجلس قيادة الثورة منحه هذه الرتبة أو على الأقل بعض أعضاء المجلس ـ الناصري)، لبسها ثم جُرد منها، ودارت حوله قصص كثيرة من أعمال تهريب كبرى وصفقات مشبوهة وعلامات استفهام كثيرة. وبعد عام ١٩٦٨ في عهد البكر- صدام، قتل في سياق الملاحقات لتصفية الحسابات وسد ثغرات الفضائح ووجدت جثته مقطعة...].

والموما إليه (علي عبد السلام) كان ضمن كتلة عُرفت بـ(كتلة بيروت) التي ضمت كل من : د. ناصر الحاني ولطفي العبيدي، وتأسست في الأصل من أجل الإطاحة بحكم الزعيم قاسم وكانت لها صلات قوية بالقوى الغربية ومراكزها التجسسية في المنطقة، منذ محاولة انقلاب الشواف عام ١٩٥٩. يُعرفنا بها طالب شبيب، مستمراً بالقول:

[... والفكرة الوحيدة التي ظلت عالقة في ذهني هي ما تم كشفه عن الاجتماعات التي عقدت في دار الحاني في بيروت وداري الملحقين الثقافيين الأمريكي والبريطاني في بيروت أيضاً برفقة عبد الرزاق النايف رئيس حكومة ١٧ تموز ١٩٦٨، ولطفي العبيدي وربما اجتمع معهم أحد الأشخاص الثلاثة عماش أو حردان أو صدام. وقد نشر لطفي العبيدي في الصحافة اللبنانية في نهاية الستينيات صور شيكات مسلمة إلى قيادة سلطة ١٧ تموز ١٩٦٨، مما أدى بالمخابرات العراقية إلى شن حملة اغتيالات

هذه القصة متأخراً في عام ١٩٦٨ أو ١٩٦٩... ويبدو أن علي عبد السلام هو القائد أو المدبر، وهنا الغموض... اعتقل علي عبد السلام بشكل مبكر وعُذب تعذيباً شديدا لم يقتل واطلق سراحه... اعادوا اعتقاله وأطلقوا عليه طلقتين أو ثلاث في الجمجمة ورموه قريباً من بيته...". مستل من مذكرات حازم جواد، المنشورة في جريدة الحياة في شباط ٢٠٠٤، مصدر سابق. (التوكيد منا- الناصري)

وملاحقات شملت كتلة العبيدي/ الحاني/النايف في كل مكان داخل وخارج العراق...[١٠٧]].

هذه العلاقة لم تأتِ من العدم بل [في سياق علاقات قديمة تربط بين العبيدي والحاني وبين عماش وتصل هذه الصلة إلى صدام حسين عندما أقام في القاهرة...[١٠٨]].

١٠٧- د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٨٩. ويشير ذات المصدر، واستناداً إلى محمد جمال باروت، مصدر سابق، إلى أن هذه **الكتلة عرضت على قادة حركة القوميين العرب مشاركتها في انقلاب أبيض قادم، لكن الحركيين رفضوا لشكهم بارتباطات العبيدي والحاني**. وبعد نجاح انقلاب تموز ١٩٦٨ وطرد كتلة البكر - صدام لكتلة الحاني/النايف/ العبيدي/الداود، أظهرت الاعترافات والتهم المتبادلة أسراراً كثيرة **تؤكد أن الاستخبارات الأمريكية نشطت في العراق ليس من قناة واحدة**. لقد أُشيع في بغداد آنذاك أن هذه الكتلة كانت تبحث عن قوة حزبية أو شخصية سياسية معروفة، تتعاون وإياه في إدارة دولة الانقلاب؛ وأن الاشاعة نوهت إلى أن سعدون غيدان طلب من الحزب الشيوعي التعاون معهم. لكن قيادة الحزب الموجودة في بغداد في حينه رفضت العرض لشكوكها بالمجموعة. وهذا ما أكده عامر عبد الله في مقابلته المنشورة في مجلة أبواب، مصدر سابق، إلى: [ما رواه لي سعدون غيدان لاحقاً أنهم (يقصد غيدان والنايف والداود - الناصري)، عند التخطيط للانقلاب، سألوا عني، فلما قيل لهم إنني في موسكو سلموا أحمد حسن البكر رئاسة الجمهورية، والله أعلم...]. ص ٢٢٦، الجزء الثاني.

وبهذا الصدد يشير الوزير والشخصية الديمقراطية محمد حديد في مذكراته إلى أنه :"... في عداد رجال الأعمال كان لطفي العبيدي من الموصل الذي كان على علاقات مع رجال أعمال خارجيين ، حتى قيل أن أحدهم هو روبرت أندرسون، الوزير الأمريكي السابق الذي كان يحاول الحصول على امتياز لاستثمار الكبريت، وكان أحد الداعين للانقلاب، والمصادفة كنت قد حجزت للسفر إلى لبنان في ١٨/ ١٩٦٨/٧، وكان على متن الطائرة أيضاً، لطفي العبيدي نفسه. وخلال السفرة جاءني إلى مقعدي وسألني عن راي في التغيير ... وعند وصولنا إلى بيروت **وجدت وليم ليكلاند الأميركي** الذي كان في العراق سابقاً في استقبال لطفي العبيدي مع عراقيين آخرين، مما عزز الاشتباه لديَّ بما قيل عن أن **الانقلاب كان بتحريض وتعاون أميركيين طمعاً بامتيازات النفط والكبريت فضلاً عن السير مع السياسة الاستراتيجية الأمريكية**...". ص. ٤٨٦، مصدر سابق. (التوكيد منا- الناصري)

١٠٨ ـ د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٨٨.



٤- القطار الأمريكي:

لقد تعددت الرؤى حول حقيقة وماهية مقولة (جئنا بقطار أمريكي) المنسوبة لعلي صالح السعدي، ومدى صحتها، إذ ترددت وشاعت، وصدقها الكثيرون ، كما شكك فيها قلة آخرون، في الاوساط السياسية وتداولتها وسائل الاعلام المختلفة المناصره والمناهضة لحزب البعث العربي الاشتراكي. لقد نُسبت هذه المقولة، كما قلنا، إلى أمين سر القطر في الجمهورية الأولى، علي صالح السعدي، "... **وهناك من يؤكد أن مذكرات السعدي التي كانت بحوزة زوجته هناء العمري تضمنت هذا الاعتراف، غير أنها أتلفتها خشية الانتقام...**[١٠٩] ". وعليه سنتابع، استكمالا لما سبق طرحه، مدى صحة هذه المقولة.

الوثائق البريطانية:

في البدء ومما له صلة بالموضوع ويؤكد هذا المنحى، حسب الوثائق البريطانية، أن سفارتها ببغداد قد: "... **تمكنت من اختراق الأجهزة الأمنية في حكومة الزعيم قاسم مما يسهل لهم الحصول على معلومات استخبارية وأمنية تفيد تحركهم بسهولة. إذ من المؤكد أن بعض عناصر أجهزة الأمن العراقية كانت على صلة وثيقة بالسفارة**

١٠٩ - حسن السعيد، البعث والقطار الأمريكي - اسرار وخفايا انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، ص. ١٥، مركز النهوض للبحث والتوثيق، بغداد ٢٠١٣. وقد ذكر لي العضو القيادي الشيوعي السابق زكي خيري في ستوكهولم في ربيع عام ١٩٩٣، من أن أحمد حسن البكر سبق وأن استدعى علي صالح السعدي بعد إستلاب السلطة ثانية عام ١٩٦٨، وعاقبه بدنيا (فلقه) أي بالضرب المبرح على باطن قدميه عقاباً على هذا القول .

البريطانية، فقد ظهر تنسيق واضح بين عدد من الضباط والمدنيين البعثيين أعضاء المكتب العسكري وبين سفارة الولايات المتحدة الأمريكية ببغداد وعناصر من المخابرات المركزية من جهة. ومن جهة أخرى بين أولئك الأعضاء وبين السفارة البريطانية ببغداد، لتزويدهم، مثلما يبدو، بالمعلومات الأمنية والاستخباراتية التي كانت السفارة تحصل عليها من مصادر أمنية رسمية متعاونة معها... إن الدلائل الموثوقة كانت تشير إلى أن السفارة الأمريكية قد أدت نشاطاً بالغ الأهمية ودوراً كبيراً بدعم الانقلابيين وإسنادهم وتوافر الفرص لنجاح انقلابهم المرتقب... لكن المهم في الأمر أن الانقلابيين كانوا يأملون (المساعدة القصوى) من السفارة البريطانية، وقد وعد السفير بدوره تنفيذ ذلك بعد أن اقتنع (بأهمية خطة الانقلاب واحتمال نجاحها الأكيد)[١١٠]".

يوضح النصين الأخيرين أعلاه بدون لبس، وبصراحة وجود مداخلات مشبوهة وعلاقات لبعض القادة في القيادة القطرية ومن حولها بالقوى الاجنبية. أنه يؤكد ذات الاتهام الشهير الذي أطلقه علي صالح السعدي قبل ما يقارب من خمسة عقود، عندما أشار كل من:

نايف حواتـمة:

ذكر الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين نايف حواتمة حول ذات الموضوعة قائلاً:

[... جئنا بقطار أمريكي وخرجنا بآخر بريطاني، والذي كان من نتائجه ما نحن عليه من تداعيات وانهيارات في عدة مجالات. فبعد ثورة ١٤ تموز... دب الصراع داخل

---

١١٠ - د. طارق العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٧٦ و٧٨، مصدر سابق. كذلك للمزيد راجع: العراق في مذكرات دبلوماسيين بريطانيين، السير همفري تريميلفيان السفير البريطاني- ببغداد والسير سام فول: المستشار الشرقي في السفارة البريطانية ببغداد، ترجمة وتعليق خليل إبراهيم حسين الزوبعي ، ص. ٤٢، بيت الحكمة بغداد٢٠٠٣. كذلك رسالة الدكتوراه لسنان صادق حسين الزيدي، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية تجاه العراق ١٩٥٨- ١٩٦٣ ، مصدر سابق.

الصف الوطني وتغلبت التعارضات الثانوية لغياب روح التعددية الديمقراطية في البلاد، رغم كلام الجميع عن ضرورات الحوار، ولذلك بدأت عوامل الفتن والصراعات الدامية بين القوى الوطنية وذبحت من بعضها البعض أضعاف أضعاف ما تم ذبحه على يد الاقطاعية والملكية والقوى الاستعمارية، بل أضعاف ما سقط من شهداء على الجبهة الأمامية ضد التوسعية الاسرائيلية في أثناء المشاركات بحرب الدفاع عن أرض فلسطين.

هذا العامل الذاتي الأول هو الذي مكن التدخلات الاقليمية بأشكالها المتعددة وما ترتب عليها من مغامرات انقلابية جديدة على حد تعبير علي صالح السعدي الأمين القطري للقيادة القطرية عام ١٩٦٣ وكان نائب رئيس الوزراء ووزير الداخلية حين قال: أن حزبه دخل بغداد بقطار بريطاني وخرج من بغداد بقطار أمريكي...[١١١].

هاني الفكيكي:

وفي الموضوعة ذاتها يشير هاني الفكيكي/ القيادي البعثي السابق، في مذكراته وبلغة أكثر وضوحاً وإدانة إلى حادثة لها دلالتها غير المباشرة بارتباط بعض العناصر القيادية العسكرية والمدنية لحزب البعث (حسب وصف طالب شبيب) بالدوائر الخارجية الغربية، لكنه هنا يوجه اتهامه إلى القيادة القومية، بشخص ميشيل عفلق، عندما يقول:

١١١- راجع تصريحات نايف حواتمة لمجلة النور، مصدر سابق، ص ٢١. علماً بأنه لم يكن دقيقاً في تعبيره الذي نص على أن جميع هذه القوى كانت تدعو لفظياً للحوار. أن واقع الصراع آنذاك كان عنفي ولم تجر أية محاولة جدية بين هذه القوى للتحاور، والوحيد الذي كان يغرد خارج السرب هو عبد الكريم قاسم، حيثُ رصد في خطاباته تكرار للمفاهيم الأخلاقية حول الوحدة الداخلية والتضامن وإنهاء الاحتراب. هذه القوى كانت تبحث عن الطرق السهلة عبر قطع الرؤوس وليس التحاور والسجال ثم الاقتناع بالحلول القائمة على القاسم المشترك.

[... وفي منتصف شباط تشكلت لجنة من المقدم محمد يوسف طه وجعفر قاسم حمودي والمقدم علي عريم لجرد محتويات جناح عبد الكريم قاسم وضبط الوثائق والملفات الرسمية هناك. وكنت مع علي السعدي في مكتبه في وزارة الداخلية حين اتصل جعفر قاسم تلفونياً ليعلمنا بعثورهم على *إضبارة تخص الدكتور إيليا* زغيب، الأستاذ المنتدب للتدريس في جامعة بغداد وبتوصية وتزكية من ميشيل عفلق والقيادة القومية. استخدمنا د. زغيب لسنوات في نقل بعض الرسائل بيننا وبين القيادة القومية وكان طالب شبيب هو صلة الوصل به في بغداد. وحين درسنا الملف وجدناه مليئاً بتقارير مديرية الأمن العامة والاستخبارات العسكرية التي تشير إلى علاقة زغيب بوكالة الاستخبارات الأمريكية، وتعاونه مع حزب البعث وتطلب من قاسم الموافقة على اعتقاله وإبعاده من العراق. غير أن قاسم كتب على بعضها أمره بإبقائه ومراقبته بدقة.

اتصلنا، علي وأنا، فوراً بطالب شبيب وعرضنا عليه الأمر وأعلمته بعزمنا على اعتقال زغيب، لكنه نصح بالتريث وعدم التسرع في تصديق كل ما تدعيه دوائر الأمن والاستخبارات... في الوقت نفسه اتصلت بدوائر الأمن والسفر وطلبت إليها منع زغيب من مغادرة العراق ووضعه تحت المراقبة، غير أننا اكتشفنا مساء ذلك اليوم أنه غادر العراق عن طريق الرطبة البري...[١١٢]].

طالب شبيب ثانيةً:

وحول علاقة زغيب بميشيل عفلق، يتحدث طالب شبيب نفسه عمّ يبعث على الريبة:

---

١١٢ - هاني الفكيكي، مصدر سابق، ص ٢٢٥، ٢٦٩.

[... كنا أنا وأديب الجادر نتهامس ونلمح لبعضنا بشكوك حول احتمال أن تكون للرجل (زغيب - الناصري) علاقة بحكومة الولايات المتحدة الأمريكية، بل وصلنا إلى قناعة بأنه لا يمكن أن يكون بعيداً عن ذلك. ونظرنا إلى هذا الأمر على أنه مفروغ منه، دون أن يكون لدينا أي دليل. وكانت أجواء السياسة والثقافة والأدب ومحافلها في بيروت حينذاك حافلة بسياسيين عرب من مختلف الجنسيات وبسماسرة سياسيين من كل الأصناف. ولم يكن وجود شخص مثل إيليا زغيب وسط تلك الأجواء غريباً. لكن الذي أثار استياءنا واستغرابنا فيما بعد واعترضنا عليه بشدة، ولم نكن لنرضى به في أي حال، هو أنه وبعد استقالة الوزراء البعثيين من حكومة الجمهورية العربية المتحدة (البيطار والحوراني وقنوت وحمدون) وردت أنباء من دمشق أفادت أن رجال عبد الحميد السراج والمكتب الثاني اللبناني يستهدفون الآن الأستاذ ميشيل عفلق. فطلبنا إليه نحن أعضاء القيادة القومية للحزب المتواجدين في بيروت أن يغير مسكنه، وعرضنا عليه أن ينتقل إلى واحد من بيوتنا، فاعترض قائلاً: إن بيوتكم جميعها معروفة للمكتب الثاني. وأن (ميشيل عفلق) سيدبر الأمر بمعرفته. وكم كانت المفاجأة مزعجة عندما علمنا أنه يسكن أو يختفي في دار إيليا زغيب في جبل لبنان... بدار موظف في مؤسسة ثقافية أمريكية تدور حولها أقاويل كثيرة بين الأوساط السياسية والشعبية العربية... أثق أن المخابرات الأمريكية لا تضيع الفرصة لكسب مثل هذا الشخص...[١١٣]].

هنا ينفي طالب شبيب، الشكل الظاهري فحسب للموضوع وما فيه من اتهام لنفسه ولرفاقه، لكنه يؤيد ضمنياً بأن زغيب [... يحتمل أن تكون له علاقة بحكومة الولايات المتحدة، بل وصلنا إلى قناعة بأنه لا يمكن أن يكون بعيداً عن ذلك، ونظرنا إلى هذا الأمر على أنه مفروغٌ منه دون أن يكون لدينا أي دليل...[١١٤]].

---

١١٣ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، ص ٢٧١ - ٢٧٢، مصدر سابق. كذلك فيصل حبيب الخيزران، مصدر سابق الحلقة السادسة، جريدة الزمان في ٢٦/٠٧/٢٠٠١.

١١٤ - المصدر السابق ص ٢٧٠

لكنه في الوقت نفسه نفى أن تكون القيادة القطرية قد استخدمته كصلة ارتباط بحجة مخالفته للوائح الحزب، ولكن الوقائع الحسية تلغي هذا الاحتراس الذي يبديه شبيب؟! لكنه يشير بقوة إلى الصلة القوية التي تربط ميشيل عفلق بزغيب. إن مخالفة اللوائح الحزبية التي اختفى وراءها تبرير شبيب، كانت حجة ساذجة، لأنه يعلم أن صالح مهدي عماش سبق وأن نقل مثل هذه الرسائل عن طريق مسؤول C.I.A. في بغداد إلى محمد المهداوي في الولايات المتحدة أثناء حكم الزعيم قاسم، وهناك العديد من أمثالها قد تمت.

برهان الدين باشا اعيان:

ومما يؤكد عمق العلاقة [...التاريخية بين البيت الأبيض الأمريكي وقادة حزب البعث منذ ظهور الحزب، ما رواه برهان الدين باشا أعيان وزير خارجية العراق في حكومة نوري السعيد في العهد الملكي... وقد جمعتني مع الوزير العراقي جلسة عامة عام ١٩٧٢ بحضور الدكتور معروف الدواليبي وفيها يروي القصة الآتية - وكان الشعب السوري على معرفة بأجزاء منها - وهي:

في عام ١٩٥٧ استطاع الحزب الشيوعي التسلل إلى صفوف الحكم الوطني في سورية في عهد حكومة التجمع القومي التي تولى رئاستها صبري العسلي وظهر ذلك من إسناد منصب رئاسة الأركان للواء عفيف البزرة (البزري) الدمشقي الشيوعي، خلفاً للواء توفيق نظام الدين المحسوب على الحكم الوطني... وهذا التبديل أثار الإدارة الأمريكية. فقررت الولايات المتحدة إجراء عمل مشترك مع الحكومتين العراقية والتركية بصفتهما عضوين في حلف بغداد للتخلص من السيطرة الشيوعية التي هيمنت على سوريا وبصورة خاصة على الجيش. فأجرى الرئيس الأمريكي ايزنهاور اتصالات سرية وشخصية مع القيادتين التركية والعراقية بواسطة وزير خارجيته المستر دَلَسْ وأبلغهما بإرسال نائب وزير الخارجية المستر دَلَس، رسالة وصفت بأنها مهمة وفضل أن تكون شخصية بدلاً من إرسالها بالبريد الرسمي حتى لا يتسرب شيء عن مضمونها. وفي الموعد المحدد غادر نوري السعيد بغداد وكنت برفقته إلى تركيا -

والكلام لباش أعيان - وتم اللقاء بنائب الوزير الأمريكي نيابةً عن المستر دَلّس وزير الخارجية.

وأضاف باش أعيان يقول: إن المبعوث الأمريكي بدأ الحديث عن مهمته الخطيرة في هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه المنطقة ولا سيما سورية بالذات التي أضحت في عداد البلدان الشيوعية وذلك في أن تقوم القوات العسكرية العراقية بعملية عسكرية محدودة للإطاحة بالحكم السوري والتخلص من العناصر الشيوعية. هذه المعلومات كانت معروفة في سوريا خلال تلك الفترة، لكن المجهول منها الآتي:

طلب الرئيس ايزنهاور - كما قال هندرسون - الحفاظ على سلامة بعض السياسيين البارزين خلال تلك العملية. وتابع باش أعيان حديثه يقول: وبما أني أعرف جميع السياسيين السوريين من الرعيل الأول الذين ضحوا في سبيل سيادة سورية، فقد توقعت أن يكون الذين عناهم هندرسون هم هؤلاء الوطنيين المخلصين أمثال شكري القوتلي ولطفي الحفار وصبري العسلي وخالد العظم ورشدي الكيخيا وميخائيل ليان[١١٥] وحسني البرازي والدكتور منير العجلاني وغيرهم. ولكن المفاجئة الكبرى التي لم أتصورها أن يكون هؤلاء الثلاثة هم أقطاب حزب البعث العربي الاشتراكي، ميشيل عفلق وصلاح البيطار وأكرم الحوراني.. لذلك تأكد لنا من الموقف الأمريكي هذا أن البعث له دور مهم بارز في القضايا العربية المصيرية ولا سيما قضية الشرق الأوسط والقضية الفلسطينية...[١١٦]].

---

١١٥ - هذه الأسماء شاركت في التهيئة لانقلاب في سوريا بالتعاون بين المخابرات الأمريكية والبريطانية والحكومة العراقي في عام ١٩٥٦، وسُلمت الأسلحة لهم بواسطة ضابط الاستخبارات العراقي الرئيس صالح مهدي عماش آنذاك. راجع وقائع المحكمة العسكرية العليا الخاصة بمحاكمة رجال العهد الملكي، كذلك راجع ولبركرين ايفلاند، مسؤول المخابرات الأمريكية في الشرق الأوسط ١٩٥٠ - ١٩٨٠ في كتابه حبل من رمال، قصة اخفاق أمريكا في الشرق الوسط، ترجمة د. سهيل زكار، دار طلاس، الطبعة الثانية، دمشق ١٩٨٥

١١٦ - مطيع النونو، ص ٢٣٩، مصدر سابق

مرة أخرى المصادر البريطانية:

هذا التعاون مع القوى الخارجية يتماشى ونسق التفكير الأمريكي للإطاحة بحكم الزعيم قاسم. ومما يعزز هذا الاستنتاج، رأي السفارة البريطانية في بغداد التي رأت:

[...أنه كان من الواضح منذ زمن طويل بأن إزاحة قاسم ممكنة بانقلاب عسكري فقط أو بالاغتيال أو كليهما]. وبعد [٣٠ سنة من الانقلاب (على قاسم) كشفت الحكومة البريطانية بصورة رسمية عن أسرارها وحقيقة كون الانقلاب قد تم بمساندة الـ C.I.A. ومساعدة حكومة مكميلان البريطانية (راجع مثلاً جريدة الغارديان ١٩٩٤/٠١/٠١)...][١١٧].

ولإكمال هذا السياق إلى نهايته، نذكر هنا بعضاً من الآراء التي كتبتها السفارة المذكورة أعلاه يوم الانقلاب وما قبله ببضعة أيام حول ذات الموضوع[١١٨]: كتب السفير البريطاني، قبل الانقلاب بعشرة أيام، تقريراً لحكومته جاء فيه ما يلي:

- **[... إن القائم بالأعمال الأمريكي قال له يبدو أن قاسم بالنسبة إليهم قد خرج عن طوره في التهجم على الولايات المتحدة الأمريكية في كل مناسبة ممكنة تقريباً...**

---

١١٧ ـ البرفسور كمال مجيد، النفط والاكراد، مصدر سابق ص ٣٥، ويشرح المؤلف هنا أيضاً مختلف القوى المساهمة بالانقلاب بالقول: [إستغلت الدول الغربية تخاذل الحزب الشيوعي وأخذت زمام المبادرة لإسقاط قاسم وتحطيم المد الثوري. فقامت بتمويل وتسليح البعثيين لمهاجمة الشيوعيين واغتيالهم. واتفقوا من الجهة الأخرى مع شاه إيران على تعبئة وتحريك الزعامات الكردية المختلفة ضد عبد الكريم قاسم. فقام هؤلاء بحمل سلاح الشاه واستمروا في محاربة الحكومة حتى الثامن من شباط ١٩٦٣ حين نجح الانقلاب البعثي - العارفي الذي نال تأييد ومساندة جمال عبد الناصر والبرازاني]. كذلك راجع نص مقالة جريدة الغارديان، في الملحق رقم ١١.

١١٨ - كل هذه النقاط مستلة من د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط، مصدر سابق

ويعتقد أن وزارة الخارجية الأمريكية قررت أنه حان الوقت للرد على تهجمات قاسم[١١٩].

- المؤامرات ضد قاسم من قبل مجموعات ضباط الجيش مستمرة ومعظم المجموعات ذات تعاطف قومي أو بعثي، ومعظمهم عنده درجة من التأييد إما من ج.ع.م. أو من الأردن. (تقرير في ٧ شباط)

- شركة نفط العراق قللت من إنتاجها ومن أرباحها بسبب مصادرة قاسم من طرف واحد لمعظم مناطق الاستثمار

- إن استبدال السلطة ربما لن يكون هادئاً وحتى عدة أيام أو عدة ساعات من الاضطراب، وسوف تكون خطرة على المواطنين البريطانيين.

- بعثت البعثة البريطانية في الناتو في ٧ شباط برقية جاء فيها أن ممثل الولايات المتحدة قال أن التقييم الأمريكي كان: **إن قاسم ضعف في كل النواحي منذ الثورة... داخلياً لقد فقد القوة، وهناك احتمال أن السخط الداخلي قد يصل نقطة عندما لا تتدخل القوات المسلحة لإنقاذه.**

١١٩- يراد هنا بالخطاب الذي ألقاه الزعيم قاسم، أمام مؤتمر المهندسين قبيل الانقلاب، والذي ندد فيه بالسفارتين البريطانية والامريكية على تدخلاتهما في الشأن الداخلي، إذ ساهمتا في طبع منشورات سرية ضد السلطة الوطنية. كما هاجم الحكومة الامريكية على صرفها الاموال لرؤساء العشائر والاغوات الاكراد بغية توسيع نطاق الحرب الكردية وعدم الاستجابة للعفو الذي أصدره الزعيم قاسم. ويذكر اسماعيل العارف، إستناداً إلى خطاب الزعيم الذي أكد فيه أن السفارة البريطانية وزعت نصف مليون دينار في منطقة كردستان وحدها. وقد عكست صحف تلك الفترة احتجاجات الزعيم بعنوان (القائد يحذر واشنطن) التي تعمل من أجل الاطاحة بالحكم والتدخل في القضية الفلسطينية. وكان رد فعل الأمريكان هو التهديد بإسقاطه إذا لم يغيّر من سياسته المناهضة لسياستهم الامبريالية في المنطقة.

- **كما أن وجهة نظر أمريكا: أنه ينبغي ألا يقلل البريطانيون من شأن قابلية أو عزم القادة الجدد، على اظهار الشجاعة والعزيمة في تدبير وتنفيذ انقلابهم.**

أما بصدد علاقة وتقييم بعض قادة الانقلاب ببريطانيا، فيمكن تتبعها من خلال جملة من البرقيات السرية والكتب الرسمية التي رفعتها السفارات البريطانية في الشرق الأوسط إلى جهاتها الرسمية العليا: منها البرقيتين السريتين رقم ٩٨ و١٠٥ المؤرختين في ٨ و٩ شباط ١٩٦٣ على التوالي، التي رفع الحظر عنهما، وتلك البرقية المرسلة من السفير البريطاني السابق في العراق التي يقول فيها:

[... هذه المؤامرة بالذات تبدو، من المعلومات القليلة التي أملكها، وكأنها قد بدأت في وقت وجودي... وسألني رئيس تحرير أزفيتسيا وهو نصف مازح، ما الجزء الذي نملكه في الثورة العراقية الجديدة، لذلك أجبته، بالطبع بأني كنت مسؤولاً شخصياً عنها...] (راجع الملحق رقم ٩).

كما أرسلت السفارة البريطانية بتاريخ ٢٢ شباط ١٩٦٣، رسالة تبين فيها التوجهات السياسية لقادة الفرق العسكرية الجدد الذين عندهم اتجاه ملحوظ مؤيد للغرب بشكل قوي من خلال وجهة نظرها فيهم والمبنية على الصلات القائمة معهم. نلخص هذه الرسائل بلغتها بالقول:

[- عارف عبد الرزاق: صديق لنا؛

- صالح مهدي عماش: إنه نشط وذكي وودي تجاهنا وصديق لنا؛
- حردان التكريتي: قومي، وضد الشيوعية بقوة، ميال جداً إلينا؛
- خالد مكي الهاشمي: محب لبريطانيا؛
- ابراهيم الأنصاري: يبدو أنه مؤيد لبريطانيا؛
- عبد الرحمن عارف: مؤيد للبريطانيين؛

- عبد الكريم نصرت: اعتقل بعد انتفاضة الموصل، أطلق سراحه والتحق بشركة نفط العراق حيث عين مراقباً، تقاعد من شركة نفط العراق ١٩٦١ مؤيد للبريطانيين ومعارض لقاسم.
- سجِلّ عدد من الأشخاص الأكثر نفوذاً في الحكومة هم: ضد الشيوعية بشدة..."[١٢٠]].

لا يخطئ القارئ اللبيب من أن مفردات مثل: الصديق، الميال، الودود، المؤيد، لها دلالاتها الأكثر معنى من لفظها الوارد في اللغة الدبلوماسية وفي أعراف مراسلاتهم السياسية. وضمن هذا الجزء اليسير من (سباق المسافات الطويلة) الذي لم نتابعه إلى مرحلة قدوم البعث الثاني، لأسباب تتعلق بمحدودية الفترة الزمنية التي ندرسها، فإن المقولة الشهيرة التي أطلقها علي صالح السعدي والتي نصها: [إننا جئنا بقطار أمريكي وخرجنا بآخر بريطاني] تصيب كبد الحقيقة والتي اكتشفها، حسب قوله، منذ الدقائق

---

١٢٠ ـ المصدر السابق، ص ٥٧، وللمزيد راجع الملحق رقم (٧)، تقرير الملحق العسكري البريطاني إلى فرع المخابرات العسكرية والمؤرخ في ٢٥ شباط ١٩٦٣. "... وهذا يؤشر بوضوح إلى ما ذهب إليه استنتاجنا أنَّ العديد من قادة الانقلاب كانوا مرتبطين بشكل وثيق بالمصالح البريطانية مما سهل الاعتراف السريع بالنظام ويلاحظ أن قادة الانقلاب قد وافقوا على تلبية الشروط البريطانية، تأتي في مقدمتها حل الأزمة العراقية –الكويتية ... وكذلك الابقاء على تدفق النفط إلى الغرب، وعدم المساس بالمصالح البريطانية الأخرى... وفي الوقت نفسه، ضمنت بريطانيا للنظام الجديد حياد حكومات الدول المجاورة للعراق من عدم التدخل في الشأن العراقي، بعد أن بددت بريطانيا مخاوف تلك الحكومات من قيام نظام حكم قومي في العراق...". د. طارق مجيد العقيلي، بريطانيا ولعبة، ص. ١١٠، مصدر سابق.

لذا قامت بريطانيا بجهود حثيثة لطمئنت أغلب دول الجوار وهي إيران وتركيا والأردن والمملكة العربية السعودية والكويت التي ساهمت في الانقلاب وتمويل حزب البعث، بأن الانقلاب كان معروفا لديها واستخباراتها، وإن أي تدخل من أي طرف في الشان الداخلي للعراق سيؤثر سلباً على الوضع في المنطقة.. لذا نصحت الخارجية البريطانية هذه الدول " أن يتركوا العراقيين لحل شؤونهم الخاصة وبالطريقة التي يرونها مناسبة " حسب الوثائق التي درسها د. طارق العقيلي ونشرها في كتابه أعلاه.

الأولى لاستيلائهم بالقوة على السلطة. لقد قالها بعد أن لمس بمرارة، النتائج الكارثية التي ترتبت على الانقلاب والتي حلت بالبلد وفي نسيج التكوينات الاجتماعية، في الوعي الاجتماعي وتجلياته الحقوقية والسياسية والجمالية والدينية والفلسفية، في عمق الانتهاكات للذات البشرية وقيمها.

لقد أثار هذا الاعتراف ضجة كبيرة لا تزال قائمة إلى يومنا هذا، وبخاصة من القوى الحزبية (المتكلسة[١٢١]) التي لا تبني مشروعها ورؤيتها على أساس اللحظة التاريخية وتجلياتها الاجتماعية، بل على أساس المطلق، المتجاهل للزمن وتناقضاته للمكونات الاجتماعية ومصالحها، وللمعالجات وبدائلها. كما أنها لم تنظر بروح نقدية وموضوعية إلى الانقلابية العسكرية وتشابكاتها التاريخية ومقدماتها ومسبباتها وإلى النتائج التي تمخضت عنها. لذا تحاول هذه القوى نفي هذه المقولة بصورة مجردة، دون أن تطرح على ذاتها قبل الآخرين، المبررات العلمية والأدلة المادية التي تنفي مضمون هذه المقولة، ولماذا قيلت من المسؤول الحزبي الأول؟ مكتفيةً بنفيها ومبررة الانقلاب بلغة إنشائية باعتباره (ملحمة بطولية وثورة شعبية وقومية، وعروس الثورات... الخ).

المصادر الأمريكية

قال السيد سترولنغ / مدير قسم الشرق الأوسط في الخارجية الأمريكية للسفير البريطاني في واشنطن أن: [الثورة لو أنتجت نظاماً ذا طبيعة بعثية فإن سياساته سوف تكون مقبولة على الأرجح من قبل حكومة الولايات المتحدة ويبدو أن هناك فوائد

---

١٢١ - لقد حاول العديد من هؤلاء نكران ونفي هذه المقولة عبثاً من خلال التكذيب لها ونفيها لأنهم لم يسمعوها من السعدي نفسه، إن الجهل بالشيء لا ينفي حدوثه هذا من جهة ومن جهة ثانية حاول سيف الدين الدوري في كتابه عن السعدي، نفي المقولة استناداً إلى مقابلة أجراها السعدي نفسه دون التطرق في الحديث ذاته عن موضوعة القطار الأمريكي، ومنها استنتج نفي صدورها عنه. راجع: علي صالح السعدي، وسلطة البعث الأولى في العراق ١٩٦٣، ص. ٣٥٣، العربية للموسوعات، بيروت ٢٠١٠

من الاعتراف المبكر. وفي الوقت نفسه فإن الأمريكان كانوا في الماضي يفضلون انتظار الاعتراف بنظام جديد في العالم العربي من قبل عدد من الدول العربية قبل أن يمنحوا الاعتراف أنفسهم... **فإنهم سيفضلون الاستمرار في اتباع هذه الممارسة لكي لا يعطوا الانطباع أنهم كانوا وراء الثورة وأن قادتها كانوا تابعين إلى الولايات المتحدة...]** وقال أيضاً أن [المصالح الغربية تكمن في المحافظة على النظام العراقي الجديد، الذي ربما كان أفضل ما يمكن أن نملك في العراق في الوقت الحاضر[١٢٢]]. (التوكيد منا- الناصري).

حسن العلوي:

[... وحول العامل الدولي في انقلاب ٨ شباط، يستشهد المحدثون والكتاب بمقولة وردت على لسان علي السعدي زعيم الحزب والمساهم في حركة ٨ شباط ونائب رئيس الوزراء آنذاك: (أننا جئنا إلى السلطة بقطار أمريكي). حدثني هاني الفكيكي، عضو القيادة القطرية وعضو المجلس الوطني لقيادة الثورة التي أطاحت بحكومة عبد الكريم قاسم، قائلاً وبحضور عدد من الأصدقاء في شهر شباط ١٩٨٧، أن عضواً في حزب البعث وقد (ذكر أسمه) سأله قبل أيام عن حقيقة ما ينقل عن لسان صديقه السعدي، وهل ممكن توضيح فكرة للرد بها على منتقدي ثورة ١٤ رمضان؟ فأجاب الفكيكي: نعم سمعته ذلك أكثر من مرة ...[١٢٣]]

---

١٢٢ - نص التقرير المؤرخ في ٢٨ كانون ثاني/ يناير لدى د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط، ص. ١٣٩، مصدر سابق، كذلك راجع الملحق رقم ٦ في الجزء الثاني من هذا الكتاب.

١٢٣ - حسن العلوي: العراق: دولة المنظمة السرية، مصدر سابق، ص ٢٦.

إن التنكيل بالقوى الديمقراطية أثار اشمئزاز حتى بعض البعثيين القياديين ومنهم أكرم الحوراني الذي يشير إلى ذلك بالقول: "...بعد أن بدأت الصحف ووكالات الأنباء تشر بعض التفاصيل عما يحدث في العراق، ازداد حذري وتشاؤمي بل أصبحت فزعاً مما يقوم به ما أسموه بالحرس القومي من اعتقال الألوف وتعذيبهم ، ولم يعد وارداً ما تمنيناه لها من توجهات ديمقراطية، ومما عزز هذا الحذر والتشاؤم التصريح الذي نشرته وكالة الأنباء الفرنسية (١٩٦٣/٢/١١) لجورج بول مساعد وزير الخارجية الأمريكي دين رسك ... عندما قال: (أن الوضع الحالي في العراق يعتبر فالاً حسناً

د. علي كريم سعيد:

[... روى لي شاعر العراق مظفر النواب في برلين: إن علي صالح السعدي بعد عودته من المنفى عَبرَّ عن رغبته بإقامة علاقة طيبة مع مظفر، وكان يلح على خلوة معه يدافع فيها عن نفسه وكان الشاعر يصده بسبب موقفه من قادة نظام ١٩٦٣ الذي مورست فيه أعمال القتل والتعذيب وتصرفات غامضة ومشبوهة... وعندما أذعن النوّاب واستمع إليه، طالبه السعدي بأهمية أن يصدق ما يلي: أولا، إنه (أي السعدي) والخط القريب منه لم يكونوا إطلاقاً على صلة بأية جهة أجنبية. وألح على ضرورة إبلاغ ممثلي الأطراف الوطنية شيوعيين وحركيين وأكراد وبعثيين يساريين بذلك (هذا اعتراف ضمني بوجود علاقة للجناح الآخر بالقوى الأجنبية - الناصري)، ثانياً، طالب القيادة المركزية للحزب الشيوعي العراقي واليسار عموماً بضرورة الوصول بالتعاون والتخطيط لمسك زمام السلطة، لأنه يعلم أن أخطاراً جسيمة تنتظر العراق وأكد استعداده ورغبته الشديدة بمحكمة عادلة وعلنية يقف فيها متهماً ليعترف بحقيقة ما جرى قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ وخلالها... وثالثاً، قال أنه وبعد دقائق من ثورة رمضان اكتشف أنه وجماعته يسيرون دون إرادتهم بقطار ماكنته أمريكية... خامساً، قال عن قيادة ١٧ تموز ١٩٦٨، كلهم عندهم علاقة مع السفارة

بالنسبة للمستقبل لأن الحكومة الجديدة مشبعة بالمعاني القومية، وسياستها ستكون غالباً متفقة مع الناصرية ومناهضة للشيوعية وسيكون لديها الحظ الوافر من التمكن من العمل بصورة فعالة).
كما عززه أيضاً معرفتي وعدم ثقتي بقدرة علي صالح السعدي على قيادة الثورة التي تولى فيها أخطر المراكز عندما أصبح نائباً لرئيس مجلس الوزراء ووزيراً للداخلية، بالإضافة إلى رئاسة حزب البعث التي مكنته من مساعدة ميشيل عفلق على عقد المؤتمر القومي الخامس، الذي فرق وحدة الحزب... وكان علي صالح السعدي يزورني بلا انقطاع ويظهر لي مودته وثقته وندمه. لقد أصبح أنساناً محطماً ما أن يستعرض ما مضى من أحداث ثورة الثامن من شباط في العراق حتى ينفجر باكياً بصورة تدعو إلى الرثاء. وكان يُحمل ميشيل عفلق مسؤولية كل ما ارتكبه الحزب بعد المؤتمر الخامس سواءً في سورية أو العراق. ولقد حدثني بعض عارفيه أنه كثير ما يستيقظ في الليل فزعاً على صراخ المعذبين ومن أغرق في نهر دجلة من الشيوعيين ...". المذكرات، المجلد الخامس، الفقرة ١٦٠، مصدر سابق.

البريطانية - ما عدى البكر الذي لا أعرف عنه شيئاً. وبعد ذلك جلسنا إلى بقية الحضور فقال بحضور أمل الشرقي وعبد الجبار محسن وآخرون، أنه يخاف كتابة مذكراته، لأنها ستؤدي إلى قتله وربما الإساءة لزوجته ...].

ويكمل د. علي كريم القول بصدد الموضوعة ويقول:

[... وفي هذا السياق أخبرني يونس الطائي، أن السعدي أخبره في عام ١٩٦٧ بالقاهرة وكرر في بغداد أنهم جاؤوا دون قصد بقطار ماكنته أمريكية...[١٢٤]].

إسماعيل العارف:

[وتشاء الصدف أن ألتقي علي صالح السعدي سنة ١٩٦٤ في مصيف بحمدون في لبنان وكان هارباً من العراق مطارداً من سلطات عارف وكان في حالة مزرية، رث الثياب، بائساً فذكرته بما قلت له عن عبد السلام عارف عندما كان يحاورني أثناء توقيفي، فأجابني قائلاً: لم يكن بيدي كل شيء[١٢٥]، ما كنا نعرف ذلك، ولكن الذين كانوا وراءه غلبونا لقد كنا في قطار أمريكي...[١٢٦]].

---

١٢٤ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، هامش ص ٢٩١، مصدر سابق.

١٢٥ ـ ويشير هاني الفكيكي إلى عدم تحكم القيادة القطرية بالسلطة آنذاك، فيقول: [ونجحنا، ودخلنا إلى وزارة الدفاع، ومجلس السيادة، ثم القصر الجمهوري، وإلى الوزارات كافة، ومؤسسات الدولة، وتنسمنا هواء المباني الحكومية المكيفة. ولكننا لم نجد السلطة. كان كبار الضباط، رئيس الجمهورية ورئيس أركان الجيش، ومدير الحركات وقادة الفرق، والوحدات الأساسية الضاربة، خارج سلطة الحزب، وعلى النقيض من مبادئ قواعده ونواياه. كانت السلطة هناك، في المعسكرات، والوحدات العسكرية، التي تدين بالوفاء للقيادات العسكرية العليا. أليس الجيش مؤسسة، لها تقاليدها وقوانينها؟ كانت السلطة هناك، في دوائر الاستخبارات والأمن والشرطة، أليست هذه أدوات السلطة؟ واختلفنا حول الوحدة، وحول النفط، وحول دور الحزب، وحول الأكراد، وحول الكويت، وحول الجيش، وحول قانون الاصلاح الزراعي وأخيراً حول من يملك السلطة.]

محمد حديد:

وحول الموضوع ذاته يشير محمد حديد في مذكراته إلى أن:

"... مستشار السفارة السوفيتية في بغداد يزورني في محاولة لإقناعي بجدوى تأييد البعث باعتبار أنه مناوئ للاستعمار، وكنت أرد عليه إن حزب البعث ومجيئه إلى السلطة سنة ١٩٦٣ وللمرة الثانية سنة ١٩٦٨ كان بتآمر مع المخابرات الأمريكية حتى أن أحد قادتهم (وهو علي صالح السعدي) اعترف بأنهم جاءوا بقطار أمريكي، وأن انقلاب ١٩٦٨ كان أيضاً بالتعاون مع الأمريكان وكان الوسيط في ذلك ناصر الحاني حينما كان سفيرا للعراق في بيروت[١٢٧] ".

المؤرخان البريطانيان ماريون فاروق وبيتر سلوغلت

كتب المؤرخان البريطانيان ماريون فاروق وبيتر سلوغلت:

"... وقد أيد لنا موظف رفيع المستوى في وزارة الخارجية الأمريكية، بأن صدام حسين وبعثيين آخرين قد أجروا اتصالات مع السلطات الأمريكية في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات، إذ كان المعتقد في ذلك الوقت بأن البعثيين هم القوة السياسية للمستقبل ويستحقون الدعم الأمريكي ضد قاسم والشيوعيين...[١٢٨]" وأشار أنه"... سأل علي صالح السعدي في صيف ١٩٧٦ عن صحة ما نقل عنه بأنه قال خلال

راجع المحاضرة التي ألقاها في رواق الكوفة بلندن عام ١٩٩٠ ، والمنشورة في جريدة الديوان، ج.٣ عام ٢٠٠٠ ، منشورات الموسم، هولندا.

١٢٦ ـ إسماعيل العارف، المذكرات، مصدر سابق ص ٤٢٧ .

١٢٧ ـ محمد حديد ، مذكراتي، ص. ٤٨٩ ، مصدر سابق.

١٢٨ ـ راجع: من الثورة إلى الديكتاتورية ، العراق منذ ١٩٥٨ ، ترجمة مالك النبراسي هامش ص. ، ١٢٦ ، دار الجمل كولونيا ٢٠٠٣.

جلسات المؤتمر القومي السابع للبعث المنعقد في سوريا بعد سقوط حكم حزب البعث في العراق عام ١٩٦٣، بأنهم جاءوا إلى الحكم بقطار أمريكي، وقد أيد السعدي ذلك، ولكنه طلب عدم التوسع في نقل ذلك عنه خوفاً على سلامته... وما يتعلق بهذا الشأن فإن هناك العديد من الأدلة والبراهين تؤكد صحة ما نقل من روايات عن ارتباطات بعض قادة البعث بالمخابرات الأجنبية، ولا سيما ما نقل عن زوجة السعدي، هناء العمري، ..."[١٢٩].

الحزب الشيوعي العراقي

نشرت مجلة (رسالة العراق) التي يصدرها الحزب الشيوعي العراقي، في عددها المرقم ٣٢، الصادر في آب/أغسطس ١٩٩٧، مقالاً يشير كاتبه، شريف الربيعي، إلى مجلة الطليعة المصرية:

[... حيث نقلت عن السعدي نفسه تأكيده على موضوع الرسالة التي يحتفظ بها الحزب الشيوعي العراقي، وهي بتوقيع المرحوم علي السعدي وفيها يعلن ندمه واعتذاره عن جرائم ٦٣، ثم تأكيده على القطار الأمريكي..."[١٣٠]. كما أشارت المقالة

---

١٢٩ ـ د. طارق العقيلي، ص. ٩١، مصدر سابق استناداً إلى ما أورده د. سنان صادق الزيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه العراق، ص. ٢٧٠- ٢٧٢، مصدر سابق.

١٣٠ ـ حول موضوع هذه الرسالة حاولت معرفة كنهها، لذا استفسرت من قيادي في الحزب الشيوعي العراقي في لندن يوم ٢٤ تموز/ يوليو ٢٠٠٠، رغب عدم ذكر اسمه، بحضور التشكيلي فيصل لعيبي في مكتب يعقوب قوجمان، وأفاد أن علي صالح السعدي لا يستطيع إدانة نفسه ويكتب رسالة تحريرية تدينه وحزبه بهذه البساطة، وأن كاتب المقال، شريف الربيعي، لم يكن دقيقاً في عرض الموضوع أو ربما أن الرسالة كانت شفوية.

كما استفسرت بدوري من باقر إبراهيم الموسوي عضو المكتب السياسي آنذاك، فأجاب برسالة تحريرية بتاريخ ٢٠٠٠/١١/١٢ قائلاً: [... أما سؤالك بصدد استلام رسالة خطية من علي صالح السعدي يوضح فيها ندمه على ما اقترفه حزب البعث بحق الشيوعيين عام ١٩٦٣ فأقول: أنني بصفتي عضو في المكتب السياسي آنذاك، أي في الأعوام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ المعنية، ورغم أنني

إلى آخر مقابلة مطولة أجراها السعدي مع جريدة النهار العربي والدولي قبل وفاته بأسابيع جاء فيها ذكر القطار الأمريكي الملعون الذي سار على سكة الابادة.

زكي خيري:

كما يشير القيادي السابق في الحزب الشيوعي زكي خيري في مذكراته إلى أنه:

[كان الإنذار الأمريكي (الموجه لعبد الكريم قاسم - الناصري) بمثابة الضوء الأخضر لانقلاب ٨/ شباط. وقد صرح علي صالح السعدي نائب البكر بعد أن استيقظ ضميره (لقد ركبنا قطاراً أمريكياً)، وجراء تصريحه هذا استدعاه البكر بعد انقلاب ١٩٦٨ وأمر بجلده في مقر رئاسة الجمهورية بحضور الرئيس نفسه ونائبه صدام...[١٣١]].

ومن زاوية أخرى نلاحظ أن هاني الفكيكي في مذكراته، يحاول تسليط الأضواء على علاقات ارتباط بالأجهزة الأمنية الخارجية لاثنين من القياديين هما: طالب شبيب وصالح مهدي عماش. إذ يتهم الأول بارتباطاته بأجهزة الأمن في الجمهورية العربية المتحدة حيث يقول: [... كانت لشبيب روابط وطيدة بأجهزتها منذ أن كان طالباً في لندن وبعد أن قطع علاقته بالشيوعيين...[١٣٢]]. ويؤكد على ذات المعنى بالقول: [لاحظت علامات الانزعاج على فريد عبد المجيد الذي لاذ بالصمت، وفتح باباً في الغرفة دخل منه طالب حسين شبيب الذي كان عضواً في القيادة القومية مقيماً في

قضيت نصف العام الأول وكل العام الثاني منها في الخارج، فلم أسمع بوجود مثل هذه الرسالة الخطية من علي صالح السعدي. ذلك لأن وجود هذه الرسالة سيصل إلى علم كل القيادة حتماً وكان بقربي آنذاك في موسكو السكرتير الأول عزيز محمد وكريم أحمد عضو المكتب السياسي، ومجموعة واسعة من أعضاء القيادة في براغ في مقدمتهم زكي خيري. ربما جرى تأويل أحاديث معينة لتصاغ بالصيغة المكبرة المذكورة أعلاه]

١٣١ ـ زكي خيري، صدى السنين في ذاكرة، مصدر سابق، ص ٢٤٠.

١٣٢ ـ هاني الفكيكي/اوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ٩٩.

بيروت، ومما كان شائعاً عن طالب الذي درس في لندن أنه نسج علاقات متينة مع الأجهزة المصرية..."[١٣٣].

١٣٣ - المصدر السابق ص ١٤١.



٥ - عراب القطار الأمريكي ومساعدوه:

أما بصدد العراب الأرأس للقطار الأمريكي، كما اعتقد بالاستناد إلى الوقائع المادية فهي في البدء:

- التوجه العام لغائية تأسيس حزب البعث العربي[١٣٤]؛
- القيادي الحزبي صالح مهدي عماش؛

---

١٣٤ - حول غائية التأسيس بالنسبة لحزب البعث، يمكن العودة إلى جذورها الأولى عام ١٩٤٧، حيث نشر عضو القيادتين القومية والقطرية السورية د. محمد الزعبي (في اطروحته للدكتوراه حول تأثير الفكر الماركسي على احزاب البرجوازية الصغيرة في جامعة برلين- المانيا الديمقراطية سابقاً)، نص الوثيقة الحزبية الداخلية التي كتبها ميشيل عفلق حيث "... **يحدد فيها الهدف الأراس من تكوين الحزب، وهو الوقوف بحزم ضد أنتشار أفكار الاشتراكية العلمية وأحزابها تحديداً ومناهضتها في العالم العربي عامةً والمشرق منه خاصةً**..." مستل من ناصر الناصر، (أسم مستعار) لنحدد المسؤولية في البدء، جريدة الغد الديمقراطي العدد ١١٣ تشرين الثاني ١٩٩٣.

كما يمكننا الإشارة لما كان يتناقله (بعض الرفاق) القياديين البعثيين من شبهات حول طالب شبيب وزير خارجية الانقلاب، حيث سطروا فيما كتبوه في مذكراتهم عن علاقته بالأمريكيين وكذلك بأجهزة المباحث في العربية المتحدة عندما كان يدرس في المملكة المتحدة .. وهذا ما أكده خالد علي الصالح في: طريق النوايا الطيبة، وهاني الفكيكي في اوكار الهزيمة وحازم جواد في مذكراته وكذلك علي صالح السعدي في احاديثه. بالإضافة إلى أسماء أخرى كجماعة بيروت الذي يترأسها ناصر الحاني وغيرهم من أمثال ايليا زغيب.

- مجموعة من ضباط المؤسسة العسكرية والأمنية؛

بالإضافة إلى بعض الحلقات المدنية القريب أو/و المرتبطة بحزب البعث، منها وبخاصةً ما أطلق عليها اسم مجموعة بيروت التي ضمت رئيسها السفير ومن ثم الوزير ناصر الحاني وغيره.

لقد كثرت الأقاويل ودارت الشبهات حول صالح مهدي عماش وارتباطاته بالمخابرات الأمريكية منذ عام ١٩٥٦، والدليل على ذلك ما جاء على لسان عدد من (رفاقه)، فلنبتدأ بما كتبه هاني الفكيكي عن (سائق ماكنة) الارتباط بالقوى الخارجية والأمريكية بالتحديد، يقول:

[...ففي أوائل ١٩٦٢، وهذا ما علمناه في وقتٍ متأخر وبعد نهاية الحكم، كان قد طلب عماش إلى وليم ليكلاند[١٣٥]، معاون الملحق العسكري الأمريكي في بغداد إبلاغ

---

١٣٥ - وليم ليكلاند.. كان رسمياً المسؤول السياسي في السفارة الأمريكية في مصر، وأحد مسؤولي محطة C.I.A. فيها. "... لقد تحدث مايلز كوبلاند الذي التقى ألن دالس نائب مدير المخابرات المركزية في حينها، لتلقي الأوامر بخصوص بناء شبكة خلفية في الشرق الأوسط، التي كُلف كوبلاند بها، بسبب تطورات الأحداث الجارية فيها، ولهذا نجد كوبلاند المكلف حديثاً ببناء شبكة خلفية في الشرق الأوسط ..."، حسن السعيد، البعث والقطار، ص.٢٠ وما بعدها، مصدر سابق.

وقد "... زادت العلاقات قوة بين ليكلاند والضباط الأحرار (في مصر- الناصري) عن طريق حسنين هيكل الذي كان صلة الوصل بينهم. وقد أصبح هيكل فيما بعد من أقرب المقربين لعبد الناصر، فلم يكن آنئذ أكثر من محرر في صحيفة سياسية يملكها مصطفى أمين أحد أصدقاء عبد الناصر. وقد هيأ هيكل الجو للعديد من المقابلات بين ليكلاند وقادة الضباط الأحرار بما فيهم عبد الناصر نفسه. واعتاد ليكلاند أن يستقبلهم في شقته المطلة على النيل بترحاب وإكرام زائدين... وكانت العلاقات الحقيقية للحكومة الأمريكية مع الثورة المصرية تتم عبر الصلات الوطيدة التي نشأت بين عبد الناصر وليكلاند بفضل جهود هيكل نفسه الذي أضحى ذا دور رئيسي فيها بعد نجاحه في إلباس وجهات نظر كل من عبد الناصر والسفارة الأمريكية حلة بهية قبل نقلها إلى الطرف الآخر..." راجع مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، ص. ٩٦، انترنشنال سنتر، بيروت ١٩٧٠، والمؤلف أحد مسؤولي المخابرات المركزية الأمريكية في الشرق الأوسط وخدم في سوريا ومصر الناصرية. وحول ذات الموضوع يشير الدكتور علاء الدين الظاهر إلى توافد بعد الثورة المصرية ل

"... رجال المخابرات المركزية إلى مصر وبدأت علاقات شخصية قوية تربطهم بعبد الناصر ونذكر منهم كيرميت (كيم) روزفلت، مايلز كوبلاند، آرشيبالد (آرجي) روزفلت، وليم (بيل) ليكلاند ...:. مجلة الموسم العدد١٠٢/ ص.٦٧، مصدر سابق.

ووليم (بيل) ليكلاند من مواليد ١٩٢٣ (وورد أسمه لدى د. علي كريم سعيد في مراجعات باسم بيل ليكلاند - الناصري)، وهو "... عوضاً عن وظيفته كمتخصص في شؤون الشرق الأوسط، عمل لفترة طويلة في سفارة بلاده بالقاهرة وكان معجباً بعبد الناصر. أُرسل إلى مصر في النصف الأول من عام ١٩٥٢ من قبل روزفلت (أحد العاملين في المخابرات المركزية والذي أشرف على تنظيم قوى الردة ضد حكومة مصدق وعودة شاه إيران- الناصري) بمنصب سكرتير ثان في سفارة بلاده ولم يتجاوز عمره التاسعة والعشرين ليكون حلقة الاتصال بين الضباط الأحرار والسفارة الأمريكية في الأشهر التي سبقت الانقلاب. وكان ليكلاند وهو جندي سابق في مشاة البحرية الأمريكية... واتاح له صغر سنه وخلفيته العسكرية مصادقة الكولو نيلات الشبان بسهولة وخاصة عبد الناصر الذي كان بمصادفة مؤاتيه (ربما مصادفة!! لكن عمل الاستخبارات فعل مخطط ودقيق للغاية وليس مصادفه- الناصري) جاراً له. ومن خلال ليكلاند أبلغ عبد الناصر كافري (السفير الأمريكي في مصر أنذاك- الناصري) أن الكولونيلات يريدون صداقة الولايات المتحدة. هذا الرجل نفسه أرسل إلى بغداد زمن قاسم إدارة اتصالات سفارته العامة فيها ويقول هاني الفكيكي إن عبد الناصر حذر علي صالح السعد يفي نهاية شباط ١٩٧٣ من ليكلاند الذي سبق وأن خدم في القاهرة وهو خبير إنقلابات...". راجع للمزيد د. علي كريم سعيد، مراجعات، ص. ٢٧٧، مصدر سابق.

في الوقت نفسه اشار محمد حديد في مذكراته إلى أنه: "... في وسط تلك الأنباء (عن اضراب سواق السيارات عام ١٩٦١- الناصري) فاجأني المستر وليم ليكلاند السكرتير الأول في السفارة الأمريكية بزيارة إلى مقر الحزب (الوطني التقدمي- الناصري) ... واستفسر عن الوضع في بغداد بعد أن أوصلته أنباء عن حدوث مصادمات بسبب الإضراب المذكور، فاستغربت لهذه الزيارة أولاً والسرعة التي وصلت بها الأخبار عما حدث في إضراب السائقين ثانياً، فأخبرته بأن ليس هناك شيء مهم، وإن الأوضاع هادئة، واستشعرت من هذه الزيارة ومن حديثه أن لأمريكا دوراً مهماً في إثارة الوضع ضد حكومة الثورة ...". مذكراتي، ص. ٤٠٢، مصدر سابق.

وفي مقابلة في حي السيدة زينب بدمشق، ذكر لي أحد المتابعين لموضوع انقلاب شباط ١٩٦٣ (لا يود ذكر اسمه) بتاريخ ٢٠٠٤/١٢/٦، إلى أن الحاج يحيى، أحد مخرجي التلفزيون آنذاك، قد تم اعتقاله مع الضابط القاسمي عبد الرسول الصراف، وقال الحاج يحيى: "...أنه كان يعمل يوم ٩

المقدم محمد المهداوي وزملائه الذي كان في دورة تدريبية. تأخير عودتهم من الولايات المتحدة إلى إشعارٍ آخر بسبب اعتقال ضباط الشرطة وكشف تنظيمهم. وفعلاً تم إبلاغ المهداوي بذلك مع تحيات أبو هدى - عماش، بعد استدعائه لغرفة آمر المعسكر...[١٣٦]].

وأكد طالب شبيب هذه الواقعة التي أوردها د. علي كريم سعيد بعنوان ذي دلالة عميقة:

(أمريكي ينقل كلمة سر حزبية[١٣٧]).

ثم يشير الفكيكي، أنه بعد استيلائهم على السلطة:

[... أعلمني طالب شبيب، أن البكر كان قد استدعى جميل صبري (مدير الأمن العام آنذاك ـ الناصري) وكلفه بحضور عماش استقبال وليم ليكلاند، مساعد الملحق العسكري بدلاً من عماش الذي كان يتصل به كل يوم سبت...[١٣٨]]. ويستمر الفكيكي بالقول إن الرئيس ناصر سبق وأن حذر السعدي من ليكلاند عام ١٩٦٣ بالقول: [إذ سبق وخدم في القاهرة وأسماه خبير الانقلابات. ولم يفهم علي صالح

شباط في التلفزيون، وعندما جلب الزعيم قاسم قام أحد مراتب الجيش بضربه، وبعد ذلك أدخل البهو، وأثناء ذلك كان معاون الملحق العسكري الأمريكي وليم ليكلاند، واقفاً مع ضباط الانقلاب في دار الإذاعة وكان يتسم ابتسامة صفراء للزعيم قاسم...". ويموت عبد الكريم قاسم برصاص وليام ليكلاند، أحد حلقات الوصل بين عبد الناصر والمخابرات المركزية الأمريكية!..."، كما يحددها د. علاء الظاهر.

١٣٦- هاني الفكيكي، اوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ١٨٣.

١٣٧- د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٧٦.

١٣٨ ـ لكن حازم جواد يشير في مذكراته، ص. ١٤٠، مصدر سابق، إلى أن "... الأمريكي المعني بالاتصالات وأسمه بروس تايلر وكان يعمل في الملحقية العسكرية الأمريكية...". مع العلم أن هناك مجموعة من العاملين مع ليكلاند في السفارة الأمريكية، وربما المذكور كان أحد مساعدي ليكلاند.

السعدي آنذاك معنى التحذير. ولم يعلم بعلاقة ليكلاند ببعض البعثيين عسكريين ومدنيين...[١٣٩]].

وهذا ما أكده شبيب، عندما أشار إلى أن عماش كان له:

[... لقاء دوري يقوم به يوم السبت من كل أسبوع مع مسؤول محطة CIA في السفارة الأمريكية ببغداد وكانت لقاءاتهما رسمية... وأرى من الضروري أن نذكر بأن ليكلاند هذا أقام الاتصالات بجمال عبد الناصر ولعب دور عضو الارتباط بين الضباط الأحرار المصريين والدولة الأمريكية، واستمر يواصل مهمته ويتشاور مع قيادة مصر الجديدة وبعد انفراد عبد الناصر برئاسة الجمهورية... [١٤٠]].

يُستنتج من نص هاني الفكيكي أن العلاقة لم تشمل عماش فحسب، بل (بعض) البعثيين مدنيين وعسكريين لم يرغب في الكشف عنهم، لا هاني الفكيكي ولا غيره، وهذا يؤكد ما استنتجناه من قول السعدي أن جناحه لم يكن على صلة بالقوى الأجنبية كما مر بنا. وهذا يمثل أحد أسرار الانقلاب التي لم تكشف النقاط عن أبعادها الكلية بعد.

لكن بعد سقوط الأنظمة القومانية اتضح (على وفق الوثائق الدبلوماسية البريطانية المرفوع عنها السرية) أن السفير البريطاني في بغداد "... ولضرورات احترازية وأمنية امتنعت مصادر ألين (السفير البريطاني ببغداد آنذاك ـ الناصري) أن تزوده بالأسماء المشتركة بالانقلاب المرتقب، فقد قدر ألين الحس الأمني العالي الذي حمله الشباب والمصادر المتصلة بهم وعد ذلك ضروري في تلك المرحلة الحساسة والمحرجة، ومع ذلك ذكر بأنه يحتفظ بالبعض من أسماء أولئك الشباب...[١٤١]"

---

١٣٩ - هاني الفكيكي، مصدر سابق، ص ٢٨٣ و٢٩٨.

١٤٠ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٧٦. كذلك راجع من مذكرات حازم جواد في جريدة الحياة، ١٤ شباط ٢٠٠٤. لندن وفي عدة حلقات.

١٤١ ـ د. طارق العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٧٢، مصدر سابق، حيث استند إلى وثيقة بريطانية مؤرخة في ٣١ /١٢/ ١٩٦١، حيث لم يذكر السفير في هذه الوثيقة تلك الأسماء لكن ستظهر أسماء معروفة أشار إليها السفير صراحة في وثائق أخرى. والتي سنتطرق إلى بعضها لاحقا.

وتوضح تجربة الحكم البعث، وعلى لسان مسؤولين فيه بأن صالح مهدي عماش [... **كان يستغل كل فرصة في كل مرة نسافر فيها إلى خارج البلاد، فيقوم بإعدام مجموعة جديدة من الشيوعيين] حسب قول شبيب**[١٤٢]. كما لو أن لديه مهمة محددة تتمحور في إبادة قوى اليسار عامة والشيوعيين بخاصة.

---

١٤٢ ـ د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ١٩٢. ومن الملفت للنظر أن صالح مهدي عماش شارك في عديد من المحاولات الانقلابية منذ عودته إلى العراق بعد ثورة ١٤ تموز. علماً بأنه سبق وعمل منذ منتصف الخمسينيات في الاستخبارات العسكرية العراقية وساهم في المؤامرة الامريكية/العراقية ضد نظام الجمهوري في سوريا أيام شكري القوتلي عام ١٩٥٦، من خلال نقل السلاح من ايطاليا إلى المتآمرين من حزب الشعب بقيادة ليليان، وقد نفذ عماش مهمته بنجاح. وقد كوفئْ على ذلك بتعيينه نائباً للملحق العسكري العراقي في واشنطن. (واعتقد) أنه نسج علاقات مع المخابرات الأمريكية منذ ذلك الوقت. وتصرفاته ونشاطه التآمري ضد السلطة الوطنية لعراق قاسم، إن هي إلا دليلنا المعنوي. وقد أراد عبد السلام عارف، بعد ثورة ١٤ تموز مباشرةً، تعيينه في منصب ممثل العراق في الأمم المتحدة، لكن قاسم رفض ذلك، مما راكم من سوء التفاهم بينهما. ومنذ وصوله للعراق ساهم بقوة وفعالية كبيرتين في وأد الثورة والتحريض ضد قيادتها وساهم في عديد من المحاولات الانقلابية. في هذه الفترة انتمى، كما اعتقد، إلى حزب البعث، كما حددها الاكاديميان بينروز. وكان عماش مشارك دائم في أغلب المحاولات الانقلابية ضد قاسم، لكن غالباً يفرج عنه بدون تهمة محددة. هذه الحالة توحي بوجود قوة خفية تعمل على إنقاذه وتعيده إلى تسنم مراكز حساسة في المؤسسة العسكرية. أن التلميحات المتكررة لكل من الفكيكي وشبيب وصلاته بمسؤول المخابرات الامريكية، تؤكد استنتاجنا السابق.

كما يعزز رأينا ما ذكره مؤلفا كتاب سيرة سلام عادل (راجع الملحق رقم ١٠) عن مصدر الأموال المرسلة إليه بواسطة بنك الرافدين من الأردن، كذلك إعدامه لعبد المجيد جليل/مدير الأمن العام دون الرجوع إلى قيادته الحزبية والسياسية، كما قال شبيب، وتحريضه على إعدام الشيوعيين وبخاصة الضباط منهم، راجع مراجعات ص ١٩٣، ومحاولته تسريب الدبابة السوفيتية إلى مسؤول محطة المخابرات الامريكية في بغداد، وتشكيله مع رشيد مصلح التكريتي وطاهر يحيى التكريتي، ما يشبه الأجهزة السرية التي كانت تعمل لصالحهم شخصياً، كذلك تقديمه الدعم المادي والمعنوي لمراكز التعذيب وعصابات الاغتيالات.. كلها أدلة مادية تؤكد استنتاجنا بارتباطاته مع المخابرات الامريكية.

في الوقت نفسه اشار رفيقه حازم جواد في لقائيه المنشورين في جريدة الحياة في شباط ٢٠٠٤ والقدس العربي والدولي في شباط ٢٠٠٦، إلى الاتهامات الموجه إلى صالح مهدي عماش ومسؤوليته في ابادة الشيوعيين، كمهمة موكل بها كما نعتقد، ويزعم حازم جواد أنه يقوم بذلك دون العودة إلى الحزب. ويذكر جواد أن علي صالح السعدي"... **جاء يوماً إلى مجلس السيادة يحمل مسدساً ويبحث عن صالح عماش لاعتقاله أو قتله، وقال عنه هذا (الجاسوس الجبان)، كان هذا بعد شهر من الثورة...**". مستلة مما نشره في جريدة الحياة ومن مذكراته المطبوعة في بغداد، ص. ٦٠، مصدر سابق. كذلك غسان شربل، صدام مر من هنا، رياض الريس، بيوت ٢٠١٠.

ومن الجدير بالملاحظة أن عماش، كما اعتقد، قد أعاد ارتباطاته الحزبية مع البعث العراقي، بعد رجوعه من الولايات المتحدة الأمريكية بعد ثورة ١٤ تموز، وكان، حسب حازم جواد، على: "... علاقة مع الحزب وميالاً لتبني أفكاره... تعزز ارتباط عماش أيضاً بالحزب، بل أن العلاقة أخذت شكلاً تنظيمياً جديداً...". (من أوراق حازم جواد القدس العربي شباط ٢٠٠٦) ويلاحظ من هذه الأوراق أن عماش كان متهماً بالتجسس لحساب الأمريكان، حيث وافق مع البكر على طلب الأخيرين من الاطلاع على الدبابة T٥٤ و T٥٥ وطائرة ميغ ٢١، ويسترسل حازم بالقول أنه حمل القضية إلى "... الاجتماع المسائي للمجلس الوطني لقيادة الثورة وقال هناك قضية خطيرة أريد أن أبلغكم بها، وأورد التفاصيل وانتهى إلى القول (ويبدو إننا رجعنا إلى أيام حلف بغداد واشك أن نوري السعيد سيقبل وأن يسلم أسرار أسلحته إلى دولة أخرى. لقد وصلت الأمور ببعض الأخوان) صمت البكر. أما عماش فقال: شو فيها يعني هذه المسألة استخباراتيه وفي دوائر الاستخبارات ناس تضحك على الناس.

وفيما عقدت المفاجئة لسان عبد السلام عارف، حمل طالب شبيب... بعنف على عماش وقال له: **كيف يثق بك الأميركيون بعد الذي فعلته بالسوفيت؟** وأضاف: **افتهمنا أن الدول الأجنبية والاستخبارات تشتري فرد أو تتواطأ مع فرد، لكنها لا تشتري حكومة أو دولة لتزويدها بالمعلومات. طلب جواد أبعاد الأمريكي المعني بالاتصال وأسمه بروس تايلر ...وإبعاد السفير الأمريكي إذا أمكن.**

وفي الليلة نفسها أستدعي السفير الأمريكي الذي دهش من رد فعل الحكومة العراقية وقال: **أنا على علم بهذا التعاون وجاءت إشارة السماح به من الرئيس جون كندي بعد اجتماع لمجلس الأمن القومي ...**". كما يصف حازم جواد رفيقه صالح مهدي عماش بأبشع صورة الشتيمة، وقال عنه بأنه: **(متسلل للحزب) و (يبوح بما في نفسه من جبن وتخاذل وخسة متأصلة فيه) كما ينعته**

(بابن عماش) و(الخسيس الذي ارتقى إلى الصفوف الأولى من سلم القيادة البعثية بعد ذلك) ومن ثم يقول عنه (وأؤكد إنها مجزرة خسيسة ودنيئة دبرها صالح مهدي عماش ونفذها هو بواسطة جهاز وزارة الدفاع) (والمقصود بهذه المجزرة إعدام ٣٠ شيوعياً كانوا معتقلين في قصر النهاية الذي أداره آنذاك القيادي البعثي مدحت إبراهيم جمعة- الناصري).راجع المذكرات ص.٦٧ وما بعدها.

كما يصفه بالقول: " أنه متخاذل ومتردد وغير حاسم ويفتعل قصصاً كثيرة ليس لها أي أساس. هذه الخصال لاحظناها فيه قبل الثورة لكنها زادت بعدها، حتى أحمد حسن البكر، بات في الاجتماعات عندما يبدأ عماش بالتمهيد لاقتراح، يسأل هل هذه غزالة جديدة؟ معناها شيء مفتعل لا يمكن التقاطه بسهولة، لذلك كان يلقب ب (أبو الغزالات)". كل المعلومات مقتبسة من مذكرات وأوراق حازم جواد.

والشيء بالشيء يذكر، إن قاسم الجنابي المرافق السابق لعبد الكريم قاسم، أشار علينا في مقابلة معه بتاريخ ٢٠٠٤/٤/٨، من أن لديه "... اعتقاد جازم وقناعة أكيدة، بأن عماش كانت له صلات مع الأمريكان وكان يعمل لهم، وأنه قبل ذلك كان يعمل ويتعاون مع الإنكليز. وهكذا صدق حازم جواد عندما وصف عماش بأنه : "... كان كارثياً للحزب والمجلس قيادة الثورة أيضاً وللعراق ايضاً". المذكرات ص.٥٥، مصدرسابق. وتعامله مع الأمريكان قد سلط عليه الضوء بصورة خفية، كما أرى، إسماعيل العارف في مذكراته، مصدر سابق، عندما عملا بصورة مباشرة في الملحقية العسكرية العراقية في واشنطن في آواخر العهد الملكي. (التوكيدات من- الناصري)

كما أني اعتقد ومن خلال تحليلي لهذه الشخصية بأبعادها التآمرية في الجمهورية الأولى وما أنيط به من مهام وممارسه خاصة في تصفية الشخصيات الديمقراطية واليسارية وبالأخص الشيوعية... هي التي دفعت رفاقه إلى اتهامه، قبل غيرهم، بالتجسس والعمالة للأمريكان، وهي ذات العوامل التي دفعت بعلي السعدي للقول من (أننا جئنا بقطار أمريكي).. وأيده ضمنياً طالب شبيب عندما قال مع من حولنا يعني بها القيادة الحزبية.

لكن الموضوع الأكثر أهمية هنا هو ما ذكرته الوثائق البريطانية من:

"...أن السفير البريطاني كشف اتصالاته بالضابطين صالح مهدي عماش وحردان التكريتي، الموصوفين في برقية لاحقة للسفير ألين في التاسع من شباط ١٩٦٣ إلى الخارجية البريطانية، (بأنهما صديقان)، ففي شأن الأول وصفته البرقية بأنه (متآمر نشط وذكي) والقاسم المشترك الذي جمع

الأثنين (أنهما معاديان للشيوعية)، وأنهما (ميالان إلينا ووديان معنا). المهم في الأمر أن السفير بقى على اتصال معهما حتى وقت قريب من موعد الانقلاب ...". د. طارق العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٨٠، مصدر سابق.

ويذكر ذات المصدر، ص. ٢٢٨، وبالاستناد إلى الوثائق البريطانية، يشير إلى دور عماش في نفي علي صالح السعدي وجماعته من العراق في تشرين الثاني من عام ١٩٩٦٣ ويقول : "... ويبدو أن السفارة البريطانية أدت دوراً لا يستهان به في عملية نفيهم. فقد ذكر السفير آلين بأنه (بعد أن تمَّ الاتصال في ساعة متأخرة من الليل بالسفير الأسباني ببغداد للحصول على تأشيرات للسعدي وجماعته بغية ترحيلهم ونفيهم إلى مدريد، كان حردان التكريتي قد أنهى اتصاله الهاتفي في الليلة نفسها مع صديقه روبي، المتواجد في تلك الليلة في السفارة البريطانية. فقد استطاع روبي تسهيل مهمة الطائرة العسكرية العراقية التي تنقل المنفيين من النزول في القاعدة البريطانية في قبرص ومن ثم الانطلاق برحلتها إلى مدريد) ولم يذكر السفير آلين (الترتيبات الأخرى) ...".

"... ولقد اشيع في الأيام الأولى من ٨ شباط بين الأوساط الدبلوماسية في بغداد أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت وراء الحركة وإن المقدم الركن صالح مهدي عماش الذي تولى وزارة الدفاع ، كان على صلة وثيقة بالسفارة الأمريكية في بغداد... كان علي صالح السعدي يردد عبارة جواسيس على كل من تسلل إلى قيادة الحزب وتبوءوا مناصب ادارية عالية بعد ٨ شباط وكان يقصد بالجواسيس في مقدمتهم سعدون حمادي وصالح مهدي عماش وأخيراً وفي أحد بارات مدريد وفي حالة من السكر والانفعال النفسي، أطلق علي صالح السعدي ، مقولته الشهيرة :

{ لقد وصلنا إلى الحكم على قطار أمريكي } ..."

وفي الوقت الحاضر ألقت الضوء على شخصية صالح مهدي عماش، جريدة المشرق البغدادية، ذات المنحى القومي، في عددها الصادر في ١٧/ ٨/ ٢٠٠٩، ، عندما كتب محمد حسن الجابري يقول: "...أن لجنة التنظيم العسكري التي يرأسها علي صالح السعدي والمرتبطة بحزب البعث كانت قد شُكلت عام ١٩٦٢ ومكونة من أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وحردان عبد الغفار التكريتي وذياب العلكاوي التكريتي ومنذر الونداوي، علما بأن البكر وحردان والعلكاوي يفتقرون إلى أية سابقة تاريخية في حزب البعث، إذ يعود انتمائهم إلى آواخر عام ١٩٦١ ، اضافة إلى انتمائهم للحزب لم يتم عن إيمان حقيقي للمبادئ العروبية، بل عن عداء شخصي لعبد الكريم قاسم من أجل الوصول إلى السلطة.

لم تكن قوى الانقلاب، وعلى رأسهم العسكريون: [... لتختار أنصاف الحلول، إذ أنهم كانوا يأملون في القضاء على الشيوعيين مرة واحدة وإلى الأبد، أو أنهم كانوا يريدون إقناع أنفسهم بأن الشيوعيين إنما كانوا يدفعون ضرائب استحقت عليهم منذ زمن، الأمر الذي يبرر لهم - للبعثيين - أفعالهم تماماً...[١٤٣]].

وهكذا تعاونت العديد من المراكز الغربية، وخاصةً الأمريكية والبريطانية، على إسقاط حكم الزعيم قاسم حيث:

[... اندفعت إلى إستغلال الجفاء وتعميق الهوة بين الجمهورية العربية المتحدة وحكومة الثورة في العراق، مستغلة الشعور القومي المتأجج وخلق مقاومة شعبية ضد الاتجاه نحو، فاتجهت الولايات المتحدة الامريكية إلى إستغلال الجفاء بين البلدين العربيين والاستفادة من شعبية الرئيس جمال عبد الناصر في العالم العربي وفي العراق على وجه الخصوص، لمهاجمة حكومة وقيادة عبد الكريم قاسم ولتقويض نظامه السياسي. ففي٢٨ آبريل ١٩٥٩ صرح آلن دالاس مدير وكالة المخابرات الأمريكية، أمام لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي بأن الوضع في العراق من أخطر الأمور في العالم اليوم) وأعلن رئيس لجنة الشؤون الخارجية فلبرايت بأنه: بالرغم من أن الشيوعيين في العراق قاب قوسين أو أدنى من السيطرة على الحكم، إلا أن الموقف لم يصل بعد إلى مرحلة الخطر، فإذا تنبه الغرب إلى استغلال المرحلة التي وصل إليها سوء العلاقة بين موسكو وعبد الناصر، فإن الأخير بإمكانه أن يلعب دوراً مهماً لإنقاذ العراق.

وزاد من رعب الساسة الغربيين الخطاب الذي ألقاه عبد الكريم قاسم في ١٤ آذار/مارس ١٩٥٩ في مؤتمر الصناعيين العراقيين وفيه قال: (أعلن للعالم بأننا أصدقاء للدول الاشتراكية وسوف أعمل أنا شخصياً بكل نشاط وفق مصلحة الوطن، لأننا وطنيون نعمل لمصلحة بلدنا وشعبنا). عقب ذلك قررت الولايات

---

١٤٣ - بطاطو، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص ٣٠١.

المتحدة، كما يبدو، محاربة الثورة في العراق وإسقاط حكومة عبد الكريم قاسم بأي ثمن مستغلة الخصومة بين ج. ع. م. والعراق. **فاتجهت إلى التقارب مع الرئيس عبد الناصر بعد جفاء، وخففت من خصومتها له، لتستفيد من مكانته في إنقاذ العراق من الشيوعية**[١٤٤]. (التوكيد منا- الناصري).

هذا الاستنتاج الذي يتفق عليه كثير من الباحثين والسياسيين يوضح الصورة التي نسجتها العلاقات الدولية في المنطقة وبتلك الحجج غير الموضوعية، إذ تلاقت المتناقضات لتطويق حكومة تموز/قاسم، وتوافقت المصالح بين امريكا والرئيس عبد الناصر الراغب في تحقيق زعامته الأنوية الفردية، والذي [... **اندفع متجاوباً مع بعث العراق، يعطيه كل دعم ومؤازرة ويظهر له الود التام...**[١٤٥]]، حسب قول طالب شبيب، لأجل الإطاحة بحكم الزعيم قاسم مع **أنه الأقرب في جوهره إلى الناصرية إذا نظرنا إلى أهدافه الاجتماعية/الاقتصادية ونظرته الاستراتيجية للأمة العربية مما لدى حزب البعث العراقي، وحتى من حليفها عبد السلام عارف وهذا ما توصلت إليه القيادة المصرية بعد انقلاب ١٩٦٣**،

وعندما ساءت علاقات البعث مع عبد الناصر، **اتهم الأخير حزب البعث بموالات الاستعمار**، عندما أوضح بصريح العبارة مخاطباً الوفدين العراقي والسوري، أثناء مباحثات الوحدة الثلاثية عام ١٩٦٣، بالقول:

[...إن حزب البعث يتحالف اليوم مع الاستعمار ومع أعوان الاستعمار. اسمعوا جميع محطات الاستعمار، اقرأو جميع صحف الاستعمار والصحف العميلة وشوفوا بيقولو إيه على حزب البعث: يصفقوا لحزب البعث، وسعداء جداً لحزب البعث.. دي الريحة اللي إحنا شفناها النهارده والتي تدعو إلى الشبهة. راديو لندن يدافع عن حزب البعث، الجرايد الناطقة باللغة العربية وباللغات الأجنبية بتدافع عن حزب البعث. إذن هل يستطيع حزب البعث أن يسأل نفسه بعد هذا هل هو ماشي في الطريق

---

١٤٤ - إسماعيل العارف، مصدر سابق، ص ٢٨٥.

١٤٥ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٣٤.

الصحيح؟ لقد أصبح حزب البعث يعتمد على العناصر التي تعاونت مع الاستعمار ليضع البلاد داخل مناطق النفوذ الاستعمارية..."[١٤٦]".

ويصب في هذا التوجه المسار المادي لتاريخ الحزب حيث يمكننا القول أن ثورة ١٤ تموز: "...جاءت بإنجازات جديدة، وسرعان ما انتهت بعد خمسة سنوات بانقلاب البعث على الثورة عام ١٩٦٣، ومنذ ذلك الحين، والولايات المتحدة تدير الثوريين العراقيين، الذين ساعدتهم في الوصول إلى السلطة ثم اللقاء فيها.

وكانت لواشنطن مصالح في استخدام البعث ضد الشيوعية فأيدت الحقبة البعثية الأولى (آل عارف والبكر) وكانت لها مصالح في استخدام البعث ضد الثورة الإسلامية في إيران فأيدت الحقبة البعثية الثانية (عصر صدام حسين الثاني في الثمانينيات)، ثم كانت لها مصالح في التواجد بالمنطقة والقرب من النفط، فأدخلت صدام إلى الكويت ثم أخرجته منها (عصر صدام حسين الثاني في التسعينيات) ثم انتهت مصالحها تجاه البعث العراقي واطروحاته الثورية التي أدت إلى المهام الثلاث:

- ضد الشيوعية؛
- ضد الثورة الإيرانية؛
- وضد السيادة العربية على النفط.

وبانتهاء الملفات الثلاثة.. إنتهى دور البعث وكيلاً علنياً للقومية العربية، وللثورة ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، ووكيلاً حقيقياً للولايات المتحدة ومصالحها..."[١٤٧].

١٤٦- مستل من مطيع نونو، مصدر سابق، ص ٢١١.

١٤٧- أحمد المسلماني، خريف الثورة، صعود وهبوط العالم العربي، ص. ١٧٠، ميريت القاهرة ٢٠٠٥. وتعود هذه العلاقة، كما اعتقد، بين البعث والولايات المتحدة إلى دوافع تأسيس الحزب بحد ذاته والكامنة في محاربة الفكر الماركسي في الوطن العربي، وهذا ما وثقه د. محمد الزعبي، عضو القيادتين القومية والقطرية السورية الأسبق، عندما أشار إلى وثيقة حزبية داخلية صادرة عام ١٩٤٨، كما مر بنا.

لكن لماذا لم يتساءل الرئيس ناصر عن مبررات تعاونه مع حزب البعث العراقي لإسقاط حكم الزعيم قاسم؟ ولماذا أخذ على عاتقه محاربة قوى اليسار وخاصة الشيوعي منها في المشرق العربي؟ هل هذا كان من ضرورات الوحدة العربية؟ أم من مقتضيات الزعامة للأمة العربية؟ ولماذا لم ينتقد مسيرة الانبعاث الحضاري في مصر بالترابط مع مصالح الأمة في الأمد البعيد ضمن تحالف القوى التقدمية؟ أم أن هذا الكلام جاء بعد اختلاف مصالحه ورؤاه مع موقف البعث المتطلع، هو الآخر لزعامة الأمة؟

وهكذا استطاع أعداء قاسم أن يخلقوا - عبر الإعلام المباشر والعملاء في الداخل - هيجاناً في الشارع العراقي أصبحت الأحاديث السياسية كما لو أنها ضرورة حياتية، يتكلم فيها الجميع دون استثناء، في ساحات العمل والمقاهي، في الوحدات العسكرية والجوامع، في الحانات الشعبية والنوادي الأرستقراطية[١٤٨]، في المعاهد

١٤٨ - لعبت هذه النوادي دوراً في التقاء القوى المناهضة للسلطة والتنسيق بينها وبين العناصر الاجنبية وتلك العاملة في الحقل الدبلوماسي، التي نشطت بصورة ملفتة للنظر آنذاك، مما حدى بسلطة الزعيم قاسم في الايام الأخيرة من أغلاق بعضها كنادي المنصور. إذ كان النادي ملتقى عوائل الحكم والارستقراطية العراقية وشركة النفط والسلك الدبلوماسي. إذ "... لاحظت وزارة الداخلية بأن هنالك العديد من الجمعيات والنوادي المؤسسة في أوائل العهد الملكي وأكثرية أعضاءها من الأجانب ولبعض تلك الجمعيات والنوادي آثار سلبية على العديد من نواحي الحياة في العراق. وللدلالة على ما تقدم وعلى سبيل المثال نخص بالذكر **نادي العلوية** الذي كانت تحت سيطرة الأجانب ويعرقل انضمام العراقيين لعضويته... فقد شرّع قانون جديد تحت رقم ٣٤ لسنة ١٩٦٢ وباسم قانون تأسيس الجمعيات ذات العلاقة بالأجانب. ولوحظ في التشريع الجديد الضوابط الآتية والتي وضعتها الوزارة: ١- لزوم قبول العراقيين في عضوية الجمعيات والنوادي ووجوب تمثيلهم في هيأتها الإدارية بالأكثرية. ٢- عدم قبول هذه الجمعيات والنوادي للهدايا والمساعدات المالية وأية ارتباطات أخرى مع جهات أجنبية إلا بموافقة وزارة الداخلية. ٣- إلزام الجمعيات والنوادي بعدم المشاركة في المؤتمرات وعدم تبادل الزيارات والوفود إلا بعد موافقة وزارة الداخلية وتوجيهها...الخ ". هادي رشيد الجاويشلي، الزعيم عبد الكريم، ص. ١٢٧، مصدر سابق.

وقد تذمرت السفارة البريطانية من ذلك في تقرير لها عن الحالة في العراق قبل الانقلاب وذلك بالقول: [... **ومرة أخرى في كانون الثاني، أغلق بدون إنذار نادي المنصور مع خمسة نوادي**

التعليمية والبيوت. كما كانت شاملة لكل مناحي الحياة وانخرطت بها كل التكوينات الاجتماعية والاثنية.

وأدى ذلك إلى انقسام المجتمع وإنشطاره عمودياً بين مؤيد لهذا الاتجاه أو ذاك، وأصبح الاحتراب القرينة الدائمة للحالة العامة، وسرى حتى داخل أصغر وحدة اجتماعية وهي العائلة، لقد عمق ورسخ هذه الأمور كثرة المحاولات الانقلابية. وهذا ما أغرق الزعيم قاسم في لجة هذا الوضع غير المنطقي وغير العادل، وبالتالي شل قدرته على مواصلة البناء أو يكادها. مما سهل لقوى الانقلاب التاسع والثلاثين، التحرك بحرية وعلنية نسبيتين للمضي في تنفيذ مخططهم.

تزامن هذا الوضع الداخلي مع اشتداد الضغوطات التآمرية الخارجية لإسقاط النظام مع وصول مسؤولين من المخابرات الأمريكية للإشراف على الانقلاب، حسب ما ذكره سكرتير الحزب الشيوعي العراقي آنذاك، في سياق تحليله لطبيعة الحركة الاضرابية للطلبة في نهاية العام ١٩٦٢، عندما قال: [... إن طبيعة الحركة الإضرابية القائمة رجعية لأنها منطلقة من شعارات معادية للشيوعيين والحركة الديمقراطية، ومنطلقها انقسامي استفزازي. وينبغي أن يلاحظ أن توقيتها في الظروف الراهنة حيث المعلومات المتوفرة لدينا تؤكد وجود نشاط تآمري رجعي، **وأن مستر ديفز مدير المخابرات المركزية في الشرق الأوسط الذي هو الآن في العراق، من خططه كما فهمنا إثارة اصطدامات ونزاعات ضد الحكومة...**[١٤٩]].

صغيرة أخرى. هذا النادي كان ملتقى النخبة من العراقيين في بغداد: الأعضاء يشملون كل الارستقراطية من الملكية والأعضاء الكبار والعالة من نظام قاسم. ادعى أن التآمر كان يحدث في النادي. ومع ذلك التصرف خلق قانوناً جديداً في عقول البغداديين المتنفذين واستاءوا بشدة[مستل من د. حامد البياتي، أسرار انقلاب، مصدر سابق، ص ١٤١].

١٤٩ - مستل من صالح دكلة، من الذاكرة، مصدر سابق، ص ٢٠٦. وكان المقصود منها حتى ما له علاقة بالحركة الكردية آنذاك. لكن المستغرب إزاء هذه التحذيرات المنطقية، لماذا، خاصةً بعد الاجتماع الموسع للجنة المركزية في أيلول ١٩٦٢، [... انبرى الشيوعيون لقيادة المعارضة سلمياً عن طريق تشجيع الاضرابات العمالية والتحريض على التظاهرات في الارياف والمدن وكانت توجيهات قيادة الحزب إلى المناطق والفروع تنص على تشديد النضال ضد الدكتاتورية العسكرية،

في وقت ازدادت فيه حدة الأزمة الاقتصادية التي سببتها ضغوط شركات النفط وحرب الشمال التي استنزفت ميزانية الدولة. وبذلك أصبح الجو مهيئا لحزب البعث والقوى القومية لإنزال ضربتهم التي أعدوا لها بالنظام...]. صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ...، مصدر سابق، ص ١٠٢. ولماذا ركز الحزب على شعار السلم في كردستان، لدرجة أنه أصبح يمثل الهم المركزي الأرأس، ومتناسياً شدة حدة التآمر التي أشار إليها تكراراً؟ بل حتى ألغى الانذار الحزبي من الدرجة القصوى لمجابهة عملية الانقلاب الوشيك!

إن المقارنة [**بين حكومة وطنية معادية للاستعمار**] كمسألة رئيسية، كما يوصفها الحزب آنذاك، وبين الحرب في كردستان، كمسألة ثانوية، التي حسب قول سلام عادل، حيث [... يحمل القوميين الاكراد مسؤولية خاصة من بين الحركة الوطنية في تهيئة الظروف المناسبة للانقلاب الرجعي القاشي...]. لم تكن في صالح الموقف الموضوعي السليم للحزب في ذلك الوقت. إن التأكيد على الثانوي ونسيان الرئيسي، هو خطأ تكتيكي مدمر ساهم، مع خطة التشدد إزاء الحكم التي انتهجتها قيادة سلام عادل، بصورة غير مباشرة في تعبيد طريق الانقلاب، خاصةً أن هذه السياسية لم تقترن بخطة بعيدة المدى تحدد الموقف من السلطة وطبيعتها من جهة وفي ظرف التشتت والصراع داخل اللجنة المركزية وبالتالي في قرارها من درجة التحالف مع حكومة عبد الكريم قاسم علماً بأن الحزب الشيوعي ولقناعته بضرورة بقاء قاسم في سدة الحكم رغم التناقض الوقتي الموجود بينه وبين الحزب، كما نعتقد، رفض في مذكرة له بتاريخ ١٩٦٢/٠٦/٠٥ إلى اللجنة المركزية للبارتي العمل على إسقاط الحكم، ومما جاء فيها: [... **نحن نعمل بإتجاه منع عملاء الاستعمار والقوى اليمينية من الوصول إلى الحكم، فيما لو نجحت بتوجيه ضربة إلى الحكم القائم، إن استخدام السلاح ضد حكومة وطنية معادية للاستعمار وفي مثل هذه الظروف من قبل جهة ديمقراطية لا يؤدي في أحسن الأحوال إلا إلى أمرين: إما أن ترتمي السلطة القائمة في أحضان الاستعمار وتتحالف مع جميع القوى الرجعية لمحاربة مثل هذه الحركة، أو أن يستغل المستعمرون وعملاؤهم مثل هذه الفرصة لإسقاط الحكم القائم، وإقامة حكومة رجعية لا تبقي على شيء من مكاسب الشعب...**] مستل من المصدر السابق، ص ٩٩. لقد عبرت هذه السياسة على مدى دقتها واستيعابها للأولويات المطروحة مقارنةً بتلك التي أختطها الحزب لنفسه بعد اجتماع أيلول الموسع عام ١٩٦٢. يبدو لي أن العوامل الذاتية من الزعيم قاسم هي التي أملت هذا الموقف الجديد أكثر من كونها استجابة للظرف الموضوعي المستنبط من طبيعة ثورة ١٤ تموز وآفاق تطورها باعتبارها أنها ثورة الفئات الوسطى ذات المنحى التقدمي ليس إلا.

آنذاك بدأت السفارات الغربية، وبخاصة البريطانية والأمريكية، تعد الخطط لجلاء رعاياها، إذ كتبت السفارة البريطانية في بغداد، في تقرير لها يوم ٧ شباط/ فبراير ١٩٦٣، تقول فيه: [...إن استبدال السلطة ربما لن يكون هادئاً وحتى عدة أيام أو عدة ساعات من الاضطرابات سوف تكون خطراً على المواطنين البريطانيين وعلى بناية وموظفي السفارة، وربما يثير تدخلاً من قبل واحد أو أكثر من جيران العراق. إن خطط الإخلاء المعدة موجودة لـ١٦٠٠ مواطن بريطاني في العراق، والسفارة أعادت النظر مؤخرا، وقوت خططها لحماية الموظفين وتدمير الأوراق وإبقاء الاتصالات الطارئة مع لندن ..."[١٥٠]].

لقد اختارت الولايات المتحدة الأمريكية حزب البعث، كمجموعة، من خلال ضباطه العسكريين بدلاً عن شخصية عسكرية قائدة. لقد جاء هذا الاختيار بعد تجاربهم الفاشلة في انقلابات سوريا أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن المنصرم، بخاصةً تجربتهم مع انقلاب حسني الزعيم في آذار ١٩٤٩ حيث أفادوا من الانقلاب، على اعتبار إن الحزب الذي يقود الانقلاب يمثل حسب تعبيرهم (الصفوة المختارة) ويمتلك قاعدة اجتماعية لها مؤيديها في الواقع السياسي وحتى يحيطون أنفسهم بهالة من الشعبية والقداسة. هذا من جهة.

ومن جهة ثانية فإن الولايات المتحدة، وحسب رأي سفيرها في بغداد جيرنيكان أنه"... ليس هناك شخص يمكن إحتواءه يحل محل عبد الكريم قاسم..."[١٥١] لذا إلتجأت إلى حزب البعث كمنظمة جماعية وليس فردية، كما هي عادتها في الانقلابات

---

١٥٠ ـ مستل من د. حامد البياتي، أسرار، مصدر سابق، ص ٢٣٢. وحول ذات الموضوع فإن "... السفير والعاملين معه أخذوا الاحتياطات الكاملة لما توقعوه أن يحدث في ذلك اليوم، فقد بدت السفارة البريطانية من خلال رسالة السفير مجهزة بالأسلحة والقنابل المسيلة للدموع خوفاً من اقتحام الشيوعيين والمؤيدين لقاسم المتواجدين بكثرة في الأحياء الفقيرة المحيطة والقريبة من مبنى السفارة البريطانية، إذ أعد السفير خطة طوارئ لمواجهة أي احتمال يقدم عليه المؤيدين لقاسم...". د. طارق مجيد العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٩٢، مصدر سابق.

١٥١ - د. سنان الزيدي، سياسة الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ١٢٩، مصدر سابق.

العسكرية التي تديرها، كما في أمريكا اللاتينية، وسوريا وإيران ١٩٥٢، وساندونوسيا وغيرها. وبهذه الطريقة تجمع الولايات المتحدة وسيلتان :الجيش كقوة ضاربه، القطاع المدني المساند. وهذا هو الأكثر تلائماً مع الظرف العراقي المحسوس.

في الوقت نفسه ومن دراسة واقع حزب البعث في العراق زمن الجمهورية الأولى (١٤ تموز١٩٥٨- ٩ شباط ١٩٦٣) يُلاحظ إن الحزب لم يكن أكثر من مجرد تابع، من حيث المضمون الحقيقي، للضباط العسكريين، وما القيادة المدنية سوى زعامة واجهة، وهذا ما اكتشفته القوى المدنية البعثية بعد اغتصابهم السلطة في ٨ شباط١٩٦٣. ومن بين بعض من هؤلاء العسكريين المحوريين في حزب البعث، على الأغلب، نسجت العلاقات مع القوى الخارجية حسب اعترافات قادة الخط المدني من أمثال حازم جواد وعلي صالح السعدي وطالب شبيب.. وأكد ذلك السعدي منقولاً عنه: "... انه وبعد دقائق من ثورة رمضان أكتشف أنه وجماعته يسيرون دون إرادتهم بقطار ماكنته أمريكية..."[١٥٢].

كان الأمريكان يؤكدون دوماً: "...**إن الشروط اللازمة لبقاء أي حاكم أو مجموعة حكام مثل حكومة الأقلية... أن يظهر بمظهر يستحيل القول معه أنه صنيعة لنا وأن يتصرف بطريقة لا تظهر أي انسجام مع أذواقنا وميولنا. وباختصار فإن مساندتنا لأي زعيم للوصول إلى سدة الحكم والبقاء هناك حتى يحقق لنا بعض المصالح التي نريدها، لابد ان ترتطم بالحقيقة القاسية، وهي لابد من توجيه بعض الإساءات لنا حتى يتمكن من المحافظة على السلطة ويضمن استمرارها. كما أن هيكل النظام السياسي الذي يتبع الحاكم لابد أن يكون طبيعياً وفطرياً وغير مصطنع وبالتالي يجب أن يتضمن بعض العناصر التي تضمر العداء لمصالحنا...** "[١٥٣]. وهذا ما كان مع انقلاب شباط ١٩٦٣، وما لعبته المجموعة العسكرية التي نفذت ما تريده الولايات المتحدة من وأد الزعامة الوطنية وتحطيم الحزب الشيوعي العراقي، وقد كانوا بمثابة (الإرادة الخفية) المشبوه وهذا ما يثبته التاريخ السياسي لسلطة الانقلاب.

---

١٥٢ - راجع د. علي كريم سعيد، مراجعات، هامش ص. ٢٩١، مصدر سابق.

١٥٣ - مايلز كوبلاند، لعبة الأمم، ص. ٧٩، مصدر سابق.

وبدورنا نتساءل هل نستطيع نفي وجود صلة بين البعث العراقي والقوى الخارجية والمتمثلة ببريطانيا والولايات المتحدة أم نتهيب من التصريح بذلك على خلفية الاتهام بنظرية المؤامرة؟؟ بخاصة بعد أن اعترف الكثير من القيادات البعثية والقومية بهذه العلاقة، وكما نطقت بها الوثائق الرسمية الأنكلو أمريكية بما فيهم العاملين في حقل استخباراتها وكذلك الدراسات الأكاديمية الرصينة، كما وذكرها شهودها، في سكرة صحو الضمير، بما فيهم طالب شبيب وهاني الفكيكي وعلي صالح السعدي وخالد علي الصالح وعارف عبد الرزاق وكذلك غيرهم من خارج إطار حزب البعث من أمثال الاكاديمي حنا بطاطو في موسوعة سفرة، والأكاديميان بينروز في بحثهما عن العراق، والاكاديميان مارون فاروق سلكليت وبيتر سلكليت في دراستهما، كذلك البحثان الاكاديميان القيمان الذي قدمه كل من الدكتور: طارق العقيلي وسنان الزيدي حيث استند جميعهم إلى العديد من الوثائق والمصادر الرسمية التي رفعت عنها السرية في كل من بريطانيا والولايات المتحدة.

وترابطاً بما كتب سابقا، ولما له علاقة بالموضوع، لابد من التذكير من أن الحكومة الأمريكية قد وضعت"... مخططات وضوابط لها في حزيران ١٩٦٢، لما بعد (إختفاء عبد الكريم قاسم عن المسرح السياسي)، وعلى النحو التالي :

١- في حالة تولي السلطة عراقيون يحملون (أفكاراً قومية)، واستطاعوا السيطرة على زمام الأمور في البلاد، فعلى الإدارة الأمريكية أن تعترف بهم (فوراً)، وأن تكون مستعدة لتقديم المساعدة لهم (بشكل فوري)، وتمنع أي تدخل خارجي في الشأن العراقي.

٢- في حين أشار المخطط الثاني إلى احتمال إستيلاء حزب البعث العربي الاشتراكي على السلطة (أحتمال ؟؟ أن يقين- الناصري)، إلى أن من الضروري أن تعترف الحكومة الأمريكية بهم على التأكد من سيطرتهم على الوضع السياسي الداخلي في العراق، ومنع أي تدخل خارجي أيضاً في الشأن العراقي.

٣- في حال نشوب صراع داخلي بين العناصر (المناوئة للشيوعية) والعناصر الشيوعية، فأن الحكومة الأمريكية ترغب في إنهاء النزاع لصالح الطرف الأول. وستمنع أي تدخل خارجي، لكي يبقى (النزاع عراقياً) وسيكون من الضروري أن تقدم الحكومة الأمريكية غطاء لدعم العناصر المعادية للشيوعية في العراق، وتفضل الحكومة الأمريكية عدم تدخل جمال عبد الناصر في التطورات المحتملة.

٤- على نحو مماثل في حال سيطرة الحزب الشيوعي على السلطة، فسيؤدي ذلك إلى قلق عميق للدول المجاورة بشكل خاص. وعلى الحكومة الأمريكية أن تكون مستعدة لمواجهة الأمر في المحفل الدولي، لغرض ردع أي تدخل سوفيتي في حال نشوب صراع داخلي في العراق.

٥- يجب على الحكومة الأمريكية التشاور والتنسيق مع حكومات كل من بريطانيا وإيران وتركيا بشكل وثيق بشأن الخطوات التي ستتخذها الحكومة الأمريكية بعد زوال حكم عبد الكريم قاسم..." وعليه "...فإن حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كانت تبغي من مخططها هذا تعزيز مواقع أقدامها سياسياً واقتصادياً في العراق، في إطار سياسة عامة بعد زوال عبد الكريم قاسم..."[١٥٤]. (التوكيد منا- الناصري)

وتأسيساً على ما ذكر أعلاه، فإن مقولة صالح علي السعدي { جئنا بقطار أمريكي} تثبت صحتها في هذا المجال. وقد وجدت ترجمتها الفعلية في ذلك الانفتاح الاقتصادي/السياسي /الثقافي بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية بعد أنقلاب شباط المشؤوم وتعزيز موقعها في العراق.. حيث[١٥٥] :

---

١٥٤ - د. سنان الزيدي، سياسة الوريات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٢٨٢، مصدر سابق.

١٥٥ - مستل من تاريخ الوزارات في العهد الجمهوري، ط. ٢، ص. ٢٥٨، وما بعدها، مصدر سابق. في حين إن هذه العلاقة كان يسودها القلق والشكوك في زمن الجمهورية الأولى (١٤ تموز١٩٥٨- ٩ شباط ١٩٦٣). "... ويمكن القول إن المدة المنحصرة بين شهر أيلول ١٩٦٢ ونهاية كانون الثاني ١٩٦٣ قد سجلت أعلى مرحلة من مراحل تدهور العلاقات الدبلوماسية بين الولايات المتحدة

❖❖❖ "... استقبل وكيل وزارة الخارجية يوم ١١ شباط روي مالموم ملبورن القائم باعمال سفارة الولايات المتحدة الأمريكية في بغداد وعرض عليه الخطوط العامة لسياسة الثورة الخارجية، وفي مساء اليوم نفسه أعلنت إذاعة واشنطن اعتراف حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بحكومة الجمهورية العراقية الجديدة..."؛

❖❖❖ كما تعمقت هذه الصلات بمقابلة "... تمت يوم ١٨ آذار بين المدير العام للدائرة الاقتصادية بوزارة الخارجية العراقية والمستشار الاقتصادي في السفارة الأمريكية في بغداد طلب الأخير إبلاغ وزير المالية العراقي... رغبة الحكومة الأمريكية في تقديم منحة دراسية لأحد مساعدي وزيري المالية والتخطيط وزيارة الولايات المتحدة والاطلاع على امكانيات التمويل المتوفرة لدى البنك الدولي للانماء والاعمار... ".

❖❖❖ كما تم خلال فترة حكم البعث الأولى(٩ شباط- ١٨ تشرين الثاني ١٩٦٣) جملة من الاجراءات والسياسيات الاقتصاثقافية تمثلت في[١٥٦] :

- بحث وزير التجارة يوم ٢٥ آذار مع المسؤولين الأمريكان العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين،
- وصول وفد سياحي أمريكي إلى العراق يوم ٢٦ آذار
- استقبال القائم بالاعمال من قبل وزيري العدل والاصلاح الزراعي؛
- تقدمت شركة رالف باسنز الأمريكية بعرض لإقامة مشروع قصب السكر في العمارة؛

والعراق طوال عهد عبد الكريم قاسم...". د. سنان الزيدي، سياسية الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ١٧٧، مصدر سابق. أما بعد الانقلاب فإن"...المسؤولين في وزارة الدفاع والمخابرات الأمريكية قد أتفقوا، إذا نجح الانقلاب فستشهد العلاقات بين واشنطن وبغداد تحسناً كبيراً...". وهذا ما تحقق بالممارسة العملية.، ص. ٢٩٦.

١٥٦ - مستل من المصدر السابق ومن ذات الصفحات.

- ناقش مجلس الوزراء في ١٥ آيار مقترح وزارة الخارجية الذي عرض رغبة الحكومة الأمريكية في تقديم ما يحتاجه العراق من خبراء وفنيين وتمويل بعض المشاريع المهمة ؛
- في ٢٢ آيار استقبل رئيس الوزراء القائم بالاعمال الأمريكي ؛
- مشاركة العراق في معرض نيورك الدولي ؛
- تبرعت الولايات المتحدة بعشرة آلاف دولار لمنكوبي الفيضان في العراق ؛
- وافق مجلس الوزراء في ١٦ حزيران على تجديد الاجازة اللاسلكية لشركة بان أمريكان ؛
- في نهاية حزيران ١٩٦٣ بدأت مرحلة جديدة في العلاقات الدبلوماسية بين العراق والولايات المتحدة حيث وصل بغداد روبرت سترونك سفيرها الجديد، وقد نشط السفير خلال خمسة شهور نشاطا ملحوضاً يؤكد عزم الولايات المتحدة على البحث الجدي عن موطئ قدم لها في العراق طبقاً لمصالحها واهدافها في العراق ؛
- وافق مجلس الوزراء في ١٠ تموز على لائحة قانون تصديق الاتفاقية الثقافية بين العراق وأمريكا ؛
- ووافق مجلس الوزراء في ١٨آب على تخويل د. سعدون حمادي وزير الاصلاح الزراعي توقيع اتفاقية السلع الزراعية :
- وتوطيداً لهذه العلاقات التي تطورت بشكل سريع ، إلتقى وزير الخارجية طالب شبيب مع دين راسك وزير الخارجية الأمريكي يوم ٢ تشرين الول، وتناول اللقاء العلاقات بين البلدين والقضايا الدولية ؛
- وافق مجلس الوزراء في ٢٧تشرين الأول على تمديدإجازة شركة الخطوط الأمريكية(بي أي أي) للعمل بالعراق لمدة سنة ؛

- شكل مجلس الوزراء في ٤أيلولو لجنة وزارية لغرض دراسة مشروع التغذية المدرسية الذي تقدمت به للعراق جمعية التعاون للمساعدات الأمريكية ؛
- ووافق المجلس على تمديد إجازة شركة الخطوط العربية الامريكية (آرامكو) ؛
- وافق المجلس على المباحثات بين وزارة التخطيط وبنك التصدير الأمريكي في تمويل تنفيذ المشاريع في العراق ؛
- وتنفيذاً للاتفاقية الثقافية ورغبة الولايات المتحدة الأمريكية في تقديم العون العلمي والصحي والثقاف يوالزراعي والاجتماعي والطبي والقضائي والإداري والفني فقد قرر مجلس الوزراء استقدام ٢٧ خبيراً واستاذا ومهندساً أمريكياً، واوفد المجلس ١٤٤ عراقياً في اختصاصات مختلفة لآغراض الدراسة والتدريب ؛

وهكذا تجلت ماهية العلاقات العراقية الأمريكية بعد انقلاب شباط. وهذه المساعدات لا تستطيع "... أن تضمن لهم العرفان بالجميل .. فعرفان الجميل كالولاء لا يباع ولا يشترى فإذا ما أصررنا على المطالبة بالعرفان بالجميل فستكون الخيبة من نصيبنا لا محال... إن نطاق الخطر الشيوعي يجب أن يكون هدفاً لنا ومرشداً في تخصيص وتعيين المساعدات... [١٥٧]". وكانت المجازر التي ارتكبت بحق القوى الوطنية عامة والشيوعية على وجه الخصوص، عربوناً لهذه المساعدات.

---

١٥٧ - جستر باولز، الآفاق الجديدة للسياسة العالمية ودور الشرق الأوسط ، مستل من المصدر السابق ، ص. ٢٦٠. والمؤلف كان في تلك الفترة وكيل وزارة الخارجية الأمريكية.

الفصل الرابع

خطة الانقلاب ووقائعه

٤.١- خطة الانقلاب وواضعوها

٤.٢- مسارات الانقلاب والشارع المؤيد

٤.٣- تفكيك بيان الانقلاب الأول وتوجهاته



١ - خطة الانقلاب وواضعوها :

من قراءتنا لتاريخية حزب البعث رأينا من الناحية السياسية على وفق رؤيته "... بان عمليات التحضير للانقلاب توزعت ما بين القيادة القومية والقيادة القطرية. فمن مهمات القيادة القطرية أن تهيء (عملياً)، (تكتيكياً) إسقاط قاسم. أما القيادة القومية، فعملها ينحصر بوضع الدراسات الاقتصادية والاجتماعية وتحديد الخطوط السياسية العامة للعهد الجديد: المشكلة الكردية، المسألة الزراعية، الموقف من التأميمات، العلاقة مع الجمهورية العربية المتحدة الخ... [١٥٨]" .

ومن ناحية اخرى ومن أجل اغتصاب السلطة، أسس حزب البعث تنظيماً خاصاً أطلق عليه اسم اللجنة العسكرية (وقد وردت في بعض المصادر الأخرى لجنة التنظيم العسكري) التي تشكلت من مجموعة من الضباط الصغار وبعض طلبة الكلية العسكرية "... والتي استمرت إلى أواخر ١٩٦٠ والتي كانت تشرف على كافة النشاطات العسكرية للحزب والتي حلها الحزب بعد تطور نشاطاته وتوسع تنظيماته

١٥٨- مصطفى دندشلي، حزب البعث العربي الاشتراكي ١٩٥٠- ١٩٦٣، تعريب يوسف جباعي، ص.٢٥٣، دار النشر ومكان النشر بلا، ١٩٧٩.

العسكرية مستبدلاً إيها بالمكتب العسكري... في أواخر عام ١٩٦٠ وروعي فيه اختيار الضباط من ذوي الرتب العالية نسبياً..."[١٥٩].

لقد اختلفت أراء البعثيين العراقيين وتضاربت، حول تاريخ إنشاء اللجنة العسكرية، فمنهم من قال إنه تم قبل ثورة ١٤ تموز وتحديداً عام ١٩٥٧ برئاسة أمينه القطري فؤاد الركابي، ويساند هذا الرأي الضعيف، الضباط الصغار آنذاك منهم علاء الدين الجنابي. اما الرأي الآخر والأكثر صواباً حسب قناعتنا، فكان بعد ثورة تموز ١٩٥٨، نظراً لقلة عدد أعضاء ومؤيدي حزب البعث في المرحلة الملكية، نظرا لحداثة التأسيس وعدم مساهمته في الحياة السياسية بصورة فعالة، سواءً للمدنين ما بالك بالنسبة للعسكريين؟ الذين لم يتجاوز عددهم أصابع اليد آنذاك. كما أن صالح مهدي عماش الذ تم تعينه في اللجنة، كان منذ عام ١٩٥٧ قد عُين معاوناً للملحق العسكري في واشنطن، ولم يعد للعراق إلا بعد ثورة ١٤ تموز.

وهذا ما أكده عضو القيادة القطرية آنذاك خالد علي الصالح بقوله: [... ومع الأيام وتوالي الأحداث بدأ يدور بيننا ما يشبه الهمس عن ثورة قادمة في العراق يعد لها (تنظيم الضباط الأحرار) داخل الجيش العراقي. ولعدم وجود من لهم صلة مباشرة في الحزب داخل الجيش ومن بين المنتمين للتنظيم الذي يُحضر للثورة داخل الجيش... وموقفنا هذا جاء منسجماً مع حقيقة أن الحزب ليس له من المنتسبين إليه داخل الجيش من العسكريين إلا بما يساوي عدد أصابع اليد الواحدة. وكلهم باستثناء واحد فقط حديثوا العهد داخل الجيش أي من الرتب الصغيرة ...[١٦٠]].

في الوقت نفسه يؤيد هذه الفكرة عضو القيادة القطرية السابق، فيصل حبيب الخيزران عندما يقول: [... وعملنا مكتب عسكري سمينا صالح مهدي عماش مسؤولاً عنه وأعضاءه أثنان كانا تلاميذ، الأول منذر الونداوي وكان طالباً في القوة الجوية -

---

١٥٩ - حازم جواد، جريدة القدس العربي، شباط ٢٠٠٦، مصدر سابق. وقد قدرت أحدى الدراسات الاكاديمية إن عدد اعضاء هذا التنظيم يتراوح حتى شباط ١٩٦٣ ما بين ١٠٠ و١٢٠ضابطاً من مختلف الرتب. للمزيد راجع مصطفى دندشلي، ص. ٢٤٧، المصدر السابق.

١٦٠ - خالد علي الصالح، طريق النوايا، مصدر سابق، ص ٦٠ - ٦١.

الطيران، والثاني محمد علي سباهي وكان طالباً في الكلية العسكرية. **وكان التنظيم مهلهلاً، لكن مع ذلك صار تنظيماً بعد فترة وكنت مسؤول العمل العسكري. لكن فؤاد الركابي من خلال أنانيته أراد أن يكون هو مسؤولاً عن المكتب العسكري حتى إذا صار ما صار فهو يكون في الصورة**... وبعد فترة عرفت من صالح عماش أن المكتب تقريباً أنحل. لأنه كما تعرف هؤلاء الضباط وعقلياتهم حيث العلاقات الشخصية تحكمهم أكثر من العلاقات المبدأية. وفؤاد الركابي بالنسبة لصالح عماش (زعطوط)... فأسلوب فؤاد الركابي مثلاً في العمل كان من وراء الكواليس والتآمر ظل سائداً في الحزب، والشلل واتهام المعارضين له عن طريق أزلامه... [١٦١]. (التوكيد منا- الناصري).

جوهر الكلام يصب في ما ذهبنا إليه من كون أن مثل هذا المكتب العسكري المهلهل، لم يظهر إلا بعد ١٤ تموز. أما متى بالتحديد، فمرة أخرى أختلف البعثيون في ذلك. فمنهم من قال (عماش) أنه في عام ١٩٥٩، كما يذكر حازم جواد في أوراقه المنشورة جريدة في القدس العربي. في حين هناك رأي آخر يقول أنه تم بعد إقصاء الركابي من أمانة سر القيادة القطرية في مطلع الستينيات.. ويذكر عبد الكريم فرحان، **ان عماش انتمى لحزب البعث العراقي بعد ثورة ١٤ تموز** حيث يقول: [... وذات يوم اتصل جاسم العزاوي بالمقدم خالد حسن فريد وابلغه بوصول انباء إلى عبد الكريم **قاسم تؤكد انضمام صالح مهدي عماش لحزب البعث وقيامه بوضع (الجفرة) لهم وطلب منه أن يقسم بالقرآن بعدم ذكر أسمه أو أي اسم أخر لأن القضية لا يعرفها سوى مدير الأمن العقيد عبد المجيد جليل الذي نقل الخبر إلى عبد الكريم قاسم**... [١٦٢]. (التوكيد منا- الناصري)

وبالعودة إلى خطة الانقلاب فإن الوثائق الحزبية البعثية (تزعم) إلى أنها قد وضعت من قبل المكتب العسكري لحزب البعث العراقي الذي كان يتألف من ستة أشخاص هم: علي صالح السعدي الأمين القطري مسؤول المكتب وحازم جواد مساعد الأمين

---

١٦١ - جريدة الزمان العدد ٩٧٣ في ٢٠/٠٧/٢٠٠٠.

١٦٢ - عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ٥٨.

العام وطالب شبيب والعقيد المتقاعد أحمد حسن البكر والمقدم الركن صالح مهدي عماش والمقدم الركن عبد الستار عبد اللطيف الحديثي[١٦٣] . في البدء كان المكتب يضم فقط الضباط، وأمين سر القيادة القطرية باعتباره رئيس المكتب، وفي مرحلة لاحقة استوجبتها:

- كثافة المحاولات الانقلابية المقترحة؛
- وتعدد صلاتها الداخلية والخارجية وتشعبها؛
- وعمق النزاع بين السعدي وكتلته والثنائي حازم جواد وطالب شبيب وكتلتهما.
- ولمحاولة لجم العسكريين الحزبيين وإخضاعهم لقواعد المؤسسة الحزبية وليس العسكرية، تقرر إضافة نصف أعضاء المكتب السياسي للقيادة القطرية إلى المكتب العسكري، وعلى ضوء ذلك تم إضافة الأخيرين.

لكن في حقيقة الأمر، كما نعتقد، أن خبراء في الانقلابات العسكرية ومكافحة النشاط الشيوعي من الأمريكان والبريطانيين هم الذين وضعوا خطة الانقلاب لعدد ضئيل جدا من الضباط لا يتجاوز عددهم الثلاثون ضابطاً. وكان صالح مهدي عماش هو الوسيط الأرأس والعراب التنفيذي الرئيسي للانقلاب نظرا لما له من علاقة بالضباط من مختلف الاتجاهات المناوئة لقاسم من جهة، وبمحطة المخابرات الأمريكية والسفارة البريطانية [١٦٤] في بغداد من جهة ثانية. وهذه الجهات، هي بذاتها،

---

١٦٣ - للمزيد راجع حنا بطاطو، ج.٣، مصدر سابق ص ٢٨٣.

١٦٤ - للمزيد راجع حول هذه النقطة الدكتور طارق مجيد تقي العقيلي، بريطانية ولعبة السلطة، ص. ٨٠، مصدر سابق، استناداً إلى وثائق دبلوماسية بريطانية.. بحيث أن السفير البريطاني ألين"... كان على علم مسبق بما استعدت له قوات الانقلاب من اقتحام مبنى وزارة الدفاع، وعملياً كان على علم بأن الانقلابيين اقتحموا الوزارة قبل إعلان إذاعة بغداد الخبر..."(ص.٩٥). كما أن السفارة أهتمت بشكل مثير إلى الاهتمام "... لجهاز الحكومة الجديدة المرتقبة. فقد كانت أسماء أعضاء الحكومة الواردة في بيانات المجلس الوطني، محل تقويم وتحليل الخبراء المعنيين في السفارة البريطانية على وفق المعلومات والدراسات التي كانت قد أعدتها السفارة في أوقات سابقة عن أغلب الذين

التي وضعت الخطوط العامة والتوجهات الأرأسية لفكرة الانقلاب ومقدماته وسبل معالجة ردود الافعال المحتملة والممكنة. وكان عماش ينقل هذه الأفكار إلى المكتب العسكري.. لأن ماهية الخطة وابعادها، ونقاط قوتها وضعفها، والتهيئة النفسية لقوى الانقلاب وروح المغامرة التي كمنت فيها، وما تضمنته من فعل الصدمة ونفسيتها، والتصدي لردود افعال القوى المناهضة للانقلاب وكيفية دحرها، والتوقيت وزمنيته...ألخ توضح بجلاء أن واضعي خطة الانقلاب هم أخصائيين محترفين ومتمرسين في الانقلابات العسكرية في العالم الثالث، وليس مجموعة عسكرية لا يدلل تاريخها المهني عن ألمعية مهنية، وهذا ما سنركز عليه في سير التحليل لمسار الانقلاب. أو على الأقل رتب المنفذون المحليون الخطوط العامة .. ومن ثم تم إعادة صياغتها من قبل الخبراء الأجانب، الذين حرصوا بكل دقة على عدم ضياع هذه الفرصة.

ومن الجدير بالانتباه إلى إن العراق قد عج في زمن الجمهورية الأولى (١٤ تموز١٩٥٨- ٩ شباط ١٩٦٣) **بتوافد ضباط المخابرات والصحفيين الأمريكان المختصيين في شؤون العالم الثالث وانقلاباتها ومكافحة النزعات الوطنية والشيوعية فيها، حيث درسوا واقع العراق الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية .. بل وماهية القوى التي ستساند الانقلاب وتلك التي تعارضه، بحيث وضعوا حدود للافعال و لردودها وكيفية التصرف إزاءها.**

وبعد فض التحالف بين ضباط حركة القوميين العرب (جماعة عبد الكريم فرحان وصبحي عبد الحميد) والمكتب العسكري لحزب البعث، لأسباب عديدة استنبطناها من ماهيات التحالف ذاته ومن دوافعها، منها:

- المنطلقات الحزبية والفكرية للشأن العراقي ومآل مستقبله؛

ألفوا النخبة العراقية الحاكمة، لا سيما العسكرية والسياسية، التي *اتسمت اتجاهات ميولها ومصالحها نحو الغرب، فقد أرتبطت به بشكل أو بآخر وعلى وجه التحديد مع بريطانيا... ويهمنا هنا أسماء الشخصيات التي أشارت إليهم الوثائق البريطانية بأنهم مؤيدون للسياسة البريطانية ...".*

ص٩٨، ذات المصدر. (التوكيد منا- الناصري)

- الموقف من الزعامة الناصرية ؛

- طبيعة المعونة الخارجية لإسقاط النظام ومصدرها [١٦٥] ؛

الأبعاد الذاتوية والطموحات الأنوية (الحزبية أو للضباط أنفسهم) ؛

- الممارسات اللا أخلاقية في التحالف والاعتداءات المتكررة من البعثيين ضد القوميين[١٦٦] ، والتي مثل أحد جوانبها وشاية عماش ضدهم للسلطات العسكرية والتشهير بهم بين ضباط المؤسسة العسكرية[١٦٧].

وكانت اللجنة تتكون من ٩ أعضاء، خمسة منهم من حزب البعث وهم: **أحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وعبد الستار عبد اللطيف وحردان التكريتي وخالد مكي الهاشمي. أما الآخرون فهم صبحي عبد الحميد وخالد حسن فريد وابراهيم جاسم التكريتي وعبد الكريم فرحان وهم من حركة القوميين العرب.**

---

١٦٥ - يشير القيادي في مركة القوميين العرب أمير الحلو ، في مذكراته متهما قادة الانقلاب البعثيين بما سببوه من حوادث "... لم تكن بعيدة عن التخطيط الأجنبي والاهداف المشبوه في المنطقة. للمزيد راجع المذكرات، نقطة الحبر الخيرة، ص. ٣٨، ميزوبوتاميا ، بغداد ٢٠١٣.

١٦٦ ـ راجع عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ٥٥ وما بعدها، حيث يشرح كيفية انضمام اللجنة القومية العليا للضباط الاحرار إلى حزب البعث، والتي سوف تتولى [... اللجنة نفسها قيادة الحزب والبلاد...] في حالة نجاح الانقلاب. وكيف حُلت نتيجة الخديعة الحزبية والصراعات [... وكثرت اعتداءات البعثيين على القوميين، وكيف أن حزب البعث يتعمد تشويه سمعتنا وإن هناك حملة ظالمة ضدنا يقودها صالح مهدي عماش تتهمنا بالتجسس والعمالة لعبد الكريم قاسم... وعاتبت صالح ولمته على مهاجمتنا وأعترف بقيادة حملة التشهير ضدنا ويررها ليحول دون انضمام الضباط إلينا ثم قال أن سمعتكم ممتازة وتنظيمكم منافس خطر لنا].

١٦٧ - حول هذه الموضوعة راجع مذكرات كل من: صبحي عبد الحميد وجاسم العزاوي، وعبد الكريم فرحان، في كتابه حصاد ثورة. كذلك دراسة صالح حسين الجبوري، كلها مصادر سابقة.

بعد ذلك تألفت لجنة استشارية تضم ضباطاً بعثيين ومؤازريهم من مختلف القوى التي ناهضت ثورة تموز، بغض النظر عن مشاعر الولاء لهؤلاء الأخيرين تجاه النظرة الاجتماسياسية لحزب البعث، ومن ذوي الرتب العالية خاصةً، تأخذ على عاتقها مهمة التخطيط والتنفيذ العسكري للانقلاب، وكان منسقها صالح مهدي عماش. أما علاقتها بالمكتب العسكري لحزب البعث العراقي [... فلا توجد أي علاقة، فقد كتم (صالح مهدي عماش- الناصري) عن اللجنة الاستشارية وجود المكتب العسكري، أما المكتب العسكري فكان له علم أن هناك جماعة من ذوي الرتب العليا تدعى (اللجنة الاستشارية) مهمتها التخطيط للثورة. لكن المكتب العسكري لم يعرف تفاصيل هذه اللجنة حيث كتم عن المكتب العسكري (قضايا مهمة) عن اللجنة الاستشارية، وكانت هذه الخطة من تدبير صالح مهدي عماش... ومن هذه اللجنة تكون المجلس الوطني لقيادة الثورة، وكان تبرير عماش لذلك قوله (لم أخبر الجهتين خوفاً من الالتباس في الأمر)، إلا أن المكتب العسكري كان على علم باللجنة الاستشارية أما أعضاء اللجنة الاستشارية فلا يعلمون بأن هناك مكتباً عسكرياً... [١٦٨]]
. وكان يشارك في اجتماعات المكتب العسكري بعض من الضباط الحزبيين منهم: خالد مكي الهاشمي وحردان التكريتي ومنذر الونداوي ومنذ نهاية ١٩٦٢ أضيف إليهم ذياب العلكاوي وعبد الكريم مصطفى نصرت. ووسعت بعد نجاح الانقلاب بصورة كبيرة.

تتشابه خطة الانقلاب، كما أشرنا سابقاً، ومساراتها العامة مع تلك التي طبقتها المخابرات المركزية الأمريكية لإسقاط العديد من الأنظمة الوطنية في العالم الثالث. علماً بأن مسؤول محطة المخابرات الأمريكية (وليم ليكلاند) والذي نُقل من القاهرة خصيصاً إلى بغداد بعد ثورة ١٤ تموز، كان نفسه خبيراً في الانقلابات العسكرية، **وكانت له صلات بالعديد من البعثيين العراقيين، حسب قول طالب شبيب، كما مر بنا.** وليس من المستبعد، إن لم يكن أكيداً إلى درجة عالية، أن يكون هذا الخبير وزملاؤه الوافدين للعراق قد وضعوا الخطوط العامة للانقلاب ومساراته.

---

١٦٨ - راجع صالح حسين الجبوري، مصدر سابق، ص ٧٩ - ٨٠.

إذ [... في حوالي منتصف كانون الأول/ديسمبر ١٩٦٢ تقررت خطة العمل وحُدِّدت ساعة الصفر في الساعة التاسعة من صباح يوم الجمعة ١٨ كانون الثاني/يناير ١٩٦٣، وكان لتحرك القوات نهاراً بدلاً من تحركها تحت جنح الظلام الليلي، أن يجنبها إطلاق النار لأن عيون قاسم في الجيش أكثر تأقلماً مع اليقظة الليلية..."[١٦٩]].

هذه الميزة في الانقلاب جعلته يختلف عن كل العمليات والمحاولات الانقلابية السابقة، وجاء نتيجة لاستقراء موضوعي متقن لواقع حركة الجيش، وطبيعة نظام الحياة اليومي للزعيم قاسم، ومعرفة وتحليل ماهية القوى التي من المحتمل مناهضة الانقلاب، وما هي وسائلها وكيفية التصدي لهم، كذلك ما له علاقة بتصعيد الحالة اللا مستقرة سواءً في الريف أو المدينة او ما له بالحر الكردية وغيرها . مما يدعم استنتاجنا أن هذه الخطة أكبرمن عقلية القيادات التي نفذتها. إذ تكمن وراءها خبرة علمية وعملية في الانقلابات العسكرية في العالم الثالث. وهذا ما يمكن استخلاصه ضمنياً من أوراق حازم جواد الذي لخص خطة الانقلاب ب :

" أولاً: بما أن قاسم يعتبر نفسه أستاذاً ماهراً في المباغتة، يجب مباغتته على حين غرة وبعملية وتنفيذ غير تقليدي...

---

١٦٩ - راجع بطاطو، الجزء الثالث، مصدر سابق ص ٢٨٥.

في الوقت نفسه وبالاستناد إلى الوثائق الدبلوماسية البريطانية فقد "... كانت السفارة البريطانية ببغداد تعمل باتجاه توثيق علاقتها ب : (مجموعة الشباب) ذوي الميول القومية المعتدلة (الموالين للغرب) حسب ما أفادت به وثائق بريطانية لاحقة، إذ "...في حينها أكد ألين (السفير البريطاني في بغداد- الناصري) في رسالته للخارجية البريطانية في الحادي والثلاثين من كانون الأول ١٩٦٢، إن مصادر اتصاله ب (مجموعة الشباب) قد أطلعته بشكل مفصل على خطة انقلابهم المزمع القيام به ضد النظام... ثم التأكيد لنا بأن الخطة قد تم وضعها تفصيلياً بشكل جيد وإن الأسماء المقررة للمناصب الرئيسية قد تم اختيارها... وفي شأن التمويل المالي لمجموعة الشباب يبدو أنهم كانوا يعانون من شحة التمويل الذي أعاق تحركهم على نحو فاعل وسريع، فقد تعهد السفير ألين ببذل جهوده لتذليل هذه العقبة. .." د. طارق مجيد تقي العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٧١-٧١، مصدر سابق. و(مجموعة الشباب) هو الوصف الذي استخدمه البعثيون في توصيف رفاقهم، وقد كان متداولاً لغاية نهاية فترة السبعينيات.

وثانياً: أن يتم التنفيذ في يوم عطلة رسمية...

وثالثاً: التركيز على وحدة واحدة من القطاعات العسكرية لتجميع العناصر المختارة...

ورابعاً: السيطرة على مراسلات الإذاعة في أبي غريب واتخاذها مقراً لقيادة الحركة لحين تهيئة المقر البديل في مركز العاصمة أو قريب منها ؛

وخامساً: استثمار الضربات الجوية المتاحة للحركة لتثبيط همة قاسم وأعوانه ؛

وسادساً: الاستعانة بمنظمات الحزب المدنية..."[١٧٠]

إن هذه الخطوط الأراسية للخطة تقنعنا أكثر فأكثر، بما ذهبنا إليه من وجود خبرة تفوق القدرة المهنية للمكتب العسكري والضباط المشاركين في الانقلاب، وأغلبهم من الرتب الصغيرة، ورؤيتهم السياسية والسيسيولوجية والسيكولوجية للفعل الانقلابي واحتساب الاحتمالات والصدف وإمكانية مناهضة الانقلاب.. أقول أن واضعي خطة الانقلاب وهم الذين قادوا قطاره هي التي وضعت العناصر الأرأسية العامة ونفذها المكتب العسكري.

لكن من جهة أخرى يرى د. هيثم غالب الناهي، استناداً لمصادر بريطانية، **إلى أن خطة الانقلاب تمت مع السفارة البريطانية في بغداد من خلال صالح مهدي عماش وهو حلقة الوصل مع البعث ويقول "... ولعل السفارة البريطانية كانت قد أكملت ترتيباتها مع البكر وعماش ...وعلى ضوء ذلك فقد ارتأت السفارة البريطانية تدريب الشباب البعثي على السلاح فوراً لضمان نزولهم مع أول دقائق إعلان ساعة الصفر. كما ارتأت أن يكونوا مسلحين برشاشات بور سعيد، إذ قامت السفارة البريطانية بنقلها من سوريا... مهما يكن التحضير والخطط التي وضعت للإطاحة بالزعيم قاسم، ففي النهاية كان أهم أتصال للسفارة البريطانية بأحمد حسن البكر عن طريق صالح مهدي عماش في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٣، إذ أبلغته بأن**

---

١٧٠ - حازم جواد ، من أوراق حازم جواد، القدس العربي في ٢٠٠٦/٢/١٧، مصدر سابق.

الكتلة القومية وبمعاونة حركة القوميين العرب سوف ينفذون عملية الإطاحة بالنظام مع الأسبوع الأخير من شباط ١٩٦٣. وأنتدب الحزب صالح مهدي عماش وعلي صالح السعدي وعدنان القصاب للتباحث مع السفارة البريطانية في وضع خطة محكمة للإطاحة بالزعيم. وتم لقاؤهم مع هورد هـ. أستيفن بمقر السفارة البريطانية ببغداد مساء يوم السابع والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٦٣، حيث وضع الخبير البريطاني الخطة وموعد تنفيذها، وأشار إليهم بضرورة تجهيز الجناح المدني للبعث بالأسلحة الخفيفة ونزولهم لشوارع المدن الكبيرة بمجرد إعلان البيان الأول للحركة. ثم عاد أحمد حسن البكر يطلب من صالح مهدي عماش الاتصال بالسفارة البريطانية في ٣٠ كانون الثاني ١٩٦٣ لتحديد موعد مع المسؤولين لغرض مناقشة خطة الانقلاب. وبالفعل تم اللقاء ليلة الرابع من شباط ١٩٦٣ إذ أبلغهم البكر باعتقال صالح عماش فحددت السفارة البريطانية ساعة الصفر وكيفية عرقلة دفاعات الزعيم عبد الكريم قاسم..."[١٧١].

ويبدو من هذا العرض أن الخطة وضعت بالتعاون بين الاستخبارات الأمريكية والبريطانية معا كل من طرفه.. طالما كما تؤكد الوثائق البريطانية ان كلا الطرفين كانا ينسقان عملهما سوية.

كما قلنا سابقاً فقد ترافقت هذه الخطة مع الزيارات المحمومة لمسؤولي المخابرات المركزية للعراق [١٧٢] وعقد مؤتمرات لرؤساء محطاتها في دول المنطقة للبحث في طريق

---

١٧١ - د. هيثم غالب الناهي، خيانة النص، ص. ١٧١ وما بعدها، مصدر سابق.

١٧٢ - كتب سلام عادل سكرتير اللجنة المركزية للحزب الشيوعي آنذاك حول طبيعة الحركة الاضرابية بالقول: [... أن طبيعة الحركة والإضرابات القائمة رجعية، لأنها منطلقة من شعارات معادية للشيوعيين والحركة الديمقراطية ومنطلقها إنقسامي استفزازي وينبغي أن يلاحظ أيضاً توقيتها في الظروف الراهنة حيث المعلومات المتوفرة لدينا تؤكد وجود نشاط تآمري رجعي، وأن مستر ديفز مدير المخابرات المركزية في الشرق الأوسط الذي هو الآن في العراق، من خططه كما فهمنا إثارة اصطدامات ونزاعات ضد الحكومة...] مستل من صالح دكلة، من الذاكرة، مصدر سابق، ص ٢٠٦. كذلك ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، سيرة سلام عادل، مصدر سابق، ج.٢، ص ٤٦٧ ما بعدها.

تغيير الحكم والقضاء على التيار اليساري في العراق وبخاصة الشيوعي منه، الذي بات في حينها أكبر قوة يسارية مؤثرة في دول المنطقة آنذاك، مما أصاب المراكز الرأسمالية و دول المنطقة بالذعر الشديد لذا قررت اجتثاث النظام وقواه الاجتماعية والسياسية المؤيدة له. كما اقترن ذلك بوصول خبراء أمريكان في تخريب الأحزاب الشيوعية، إذ جُلب للشرق الأوسط جيمس كريتشفيلد الخبير في عمليات التخريب داخل الحركة الشيوعية، من أجل التعامل مع تصاعد الحركة الشيوعية في العراق.

وكان من أهم النقاط في الخطة التي عملت القوى الاجنبية المخططة تتمركز فى إبطال حذر قوى اليسار والحكم عن طريق تخدير الوعيين (الأمني و التحذيري) وذلك بالطلب إلى المنفذين المحليين تكرار تسريب موعد الحركة لأكثر من مرة، بغية إفقاد الثقة داخل قاعدة الحكم وأجهزته الأمنية من جهة، وقوى اليسار عامة والشيوعيين بخاصة من جهة أخرى، وانعدام مصداقية الإنذارات القصوى التي كان يوجهها الحزب الشيوعي لمنظماته الحزبية وبالتالي إبطال مفعولها. وكان هذا العمل جزءاً من استراتيجية وكالة المخابرات الأمريكية الرامية إلى خلق حالة عن (انقلاب وإشاعات انقلاب) المبنية على وقائع مادية تهيء لها مسبقاً.

وقد أثمرت الخطة الأمريكية البريطانية هذه، في شل القيادات العسكرية والحزبية عن القيام بما هو مطلوب منها من تصدي عملي في يوم الانقلاب. نسوق مثلاً على ذلك من تجارب الحزب الشيوعي في مدينة البصرة كمثال، التي أفاد بها أحد القياديين بالقول: [... ولعلمي بأهمية أن يقوم التنظيم العسكري بالتحرك المضاد، توجهت على الفور إلى الدار التي يسكنها مسؤول التنظيم العسكري الرفيق (عبد الله علك)، فإذا به جالساً ينتظر بدون أية حركة. فهززته من كتفه وقلت له: ما الذي تنتظره يا رفيق، تنتظر أن يأتي الانقلابيون لأخذك من الدار؟ فكان جوابه ما الذي يمكن أن أعمله والمفروض أن يأتي إلي بعض العسكريين إلى الدار لننسق عملنا معهم. فصرخت به: اذهب أنت إليهم، إلى دورهم...[١٧٣]]

---

١٧٣ - صالح دكلة، من الذاكرة، ص. ٩٤، مصدر سابق.

كما تميز الانقلاب في خطته العامة عن بقية المحاولات السابقة في كونه اعتمد بالأساس، ولأول مرة في تاريخية الانقلابات العسكرية في عراق القرن العشرين، على عنصر الطيران الحربي كحلقة أرأسية في الهجوم للتعويض عن النقص مما يملكون من قوات مؤيدة لهم من المشاة والدروع، وكذلك للتأثيرات النفسية التي تثيرها الطائرات الحربية في الشارع المعارض ومحاولة التصدي للقوات الجوية غير المؤيدة لهم. هذا العنصر، كما أعتقد، تم استخلاصه من فشل المؤامرات السابقة، ومن تجارب الانقلابات العسكرية في أمريكا اللاتينية التي كانت تدبرها الولايات المتحدة، لذا أدخل في الانقلاب كعنصر أرأس وكان عاملاً مهماً في نجاح الانقلاب[174].

تمحورت الخطة في القيام بانقلاب عسكري يعتمد على المباغته، بعد تهيئة المناخين السياسي والاقتصادي المضطربين والذي تمثل بإضراب الطلبة القوميين في ٢٤ كانون أول / ديسمبر ١٩٦٢، في ثانوية الكرادة الشرقية ومن ثم توسيعه إلى بقية الثانويات في بغداد، ومن بعدها ليشمل جامعة بغداد في التاسع والعشرين من ذاته الشهر وكذلك خلق صعوبات مالية للنظام بغية تشديد النقمة لدى قاعدة الحكم لعدم الايفاء بالتزاماتها..

تزامن هذا الإضراب مع تشديد الضباط المناهضين للحكم، وبخاصة ضباط القوة الجوية في كركوك، التي كان آمرها حردان التكريتي، على قصف الأماكن الآمنة في كردستان، بغية توتير الحالة العدائية للحكم وزيادة حالات التذمر وإحداث الاختناقات الاقتصادية والاحتقانات الاجتماعية، التي برزت في سعة الهجرة من

---

١٧٤ - كما أتضح أن مخططي الانقلاب الاجانب الذين وضعوا الخطة"... التي تبناها المكتب العسكري مستوحاة من الوضع القائم ، فقد بدأ منذر الونداوي وضباط آخرون يستطلعون أهدافهم ويحددون العلامات الدالة بالطيران فوق بغداد وعلى ارتفاعات شاهقة منذ أواخر كانون الأول ١٩٦٢. وهكذا حدد المكتب قوة قاسم في مركزين للتجمع هما وزارة الدفاع... ومعسكر الرشيد...". د. عبد الفتاح البوتاني، العراق دراسة في التطورات السياسية، ص. ٣٥٥، مصدر سابق.

الريف الكردستاني نتيجة القصف المتعمد، نحو المدن الكبيرة وتعطيل عملية الإنتاج الزراعي الذي لم تستقر فيه علاقات الإنتاج الجديدة القائمة على أساس الملكية الزراعية الفردية/التعاونية للأرض (كعلاقة إنتاج وعلاقة حقوقية)، التي أرستها سياسة الإصلاح الزراعي، ولأجل إبطال مفعول وقف إطلاق النار الذي أعلنه من جانب واحد الزعيم قاسم والذي اقترن بالعفو العام، وبالتالي إمكانية تسوية القضية الكردية سلمياً وإعادة الاستقرار إلى المنطقة التي بدأت ملامحها تتضح بعد ضغط الشارع السياسي، مما يعني أيضاً سحب أهم عوامل إضعاف السلطة والقضاء على تذمر القيادات العسكرية غير المنتمية للانقلاب وفكره.

كما تزامن هذا الوضع مع قيام شركات النفط الغربية العاملة بتخفيض الإنتاج والأسعار معاً، وهذا ما أثر بصورة محسوسة على موازنة الدولة وبالتالي تحجيم وإعاقة عملية البناء الاقتصادي الذي شرعت الثورة في تطبيقه سواءً في الريف أو المدينة.. طالما أن السلطة، أي سلطة، لا تستطيع تحقيق عملية البناء إلا ضمن سريان مفعول (الاستقرار السياسي) الذي فقد مكونات مضمونه منذ المحاولات المسعورة بين العسكريين للصراع على السلطة، وزادها حدة الصراع والاحتراب بين القوى السياسية. إذ [...كان الإجراء الأول لهذه الشركات خفض الأسعار المعلنة للنفط التي تحتسب بموجبها عائدات البلدان المنتجة، فكان معدل خسارة العراق عشرة ملايين دينار في السنة خلال الفترة بين ١٩٥٩ وحتى ١٩٦٣.. وقامت الشركات بجملة إجراءات لتقليص واردات الحكومة العراقية من النفط مسببة في ذلك ضيقاً اقتصاديا وزيادة أسعار البانزين وبعض المواد الغذائية، سارع لاستغلاله القوى المعادية للثورة...[١٧٥]].

إذ تؤكد الوقائع التاريخية أنه "... في عام ١٩٦١ عند صدور القانون رقم ٨٠، كان إنتاج العراق النفطي يعادل ٢٠٪ من إنتاج الخليج بأكمله... وبعد صدور قانون رقم

١٧٥ - نجم محمود، المقايضة، مصدر سابق، ص ٣٤٥.

٨٠ جمدت الشركات نشاطها ولم تجر عمليات استكشاف إطلاقاً منذ ١٩٦١ حتى قيام شركة النفط الوطنية، فانعكس ذلك على الموارد المالية وأثر فيها سلبياً..."[١٧٦].

كما أرادت شركات النفط، استباق الزعيم قاسم في عدم توقيعه على مشروع قانون تأسيس شركة النفط الوطنية، الذي سبق أن تمت مناقشته في مجلس الوزراء يوم ٦ شباط ١٩٦٣، لينشر في الجريدة الرسمية يوم التاسع من ذات الشهر ويصبح نافذ المفعول، مما يخلق لها إشكاليات في الاتفاقيات الدولية المبرمة مع دول المنطقة من جهة ويبدل من المضامين الجوهرية لسوق النفط، لذا سارعت الخطى في تحقيق وتسريع وتائر الفعل الانقلابي في العراق.

كما ترافق هذا النشاط الانقلابي ذو الرائحة النفطية وتزامن مع نشاط القوى الرجعية في المدينة والتي [... استعدت للانتفاض، إذ شعرت بأن الوقت قد أصبح في غير صالحها وقررت الإقدام على تنفيذ مؤامرتها. **ولقد تأكد فيما بعد أن دوائر الجاسوسية الأمريكية تخوفت من خطط قد يضعها الحزب الشيوعي العراقي للثورة بعد أن تسربت إليها أنباء عن ذلك بواسطة أحد عملائها داخل إحدى الهيئات الحزبية، وألحت على القوى الرجعية في العراق للتعجيل بانقلابها.** وقد قيل أن الرئيس كندي كان قد قرر في اجتماع لمجلس الأمن القومي الأمريكي حرق بغداد في حالة فشل الانقلاب الرجعي وانتصار القوى الديمقراطية التي يقودها الحزب الشيوعي...][١٧٧]. (التوكيد منا- الناصري)

---

١٧٦ - د. فاضل الجلبي مجلة الغد الديمقراطي، العدد ٣٤ ص. ١٩، تشرين الثاني/ نوفمبر، ٢٠٠٢ لندن

١٧٧ - نجم محمود، الصراع في الحزب الشيوعي العراقي وقضايا الخلاف في الحركة الشيوعية العالمية، ص ٦٦، باريس ١٩٨٠، دار النشر بلا. لم يفصح المؤلف عن تلك الشخصية التي سربت للامريكان خطة الحزب؟ كما لم يفصح عن كيفية معرفته بذلك. ويمكن أن يؤخذ هذا الرأي ضمن حملة الصراع الداخلي في الحزب الشيوعي وموقف المؤلف المعروف من اللجنة المركزية واختلافه معها في قراءة الواقع العراقي وآفاقه المستقبلية. وهذا ما يتضح من ذات عنوان الكتاب.

في الوقت ذاته استعادت القوى المتضررة من الثورة بالريف، نشاطها وبالتالي مساهماتها في تعميق حالة اللا استقرار، بالمفهوم الواسع. زاده سعة تدخل بعض رموز المؤسسة الدينية في عملية الصراع السياسي وتعاطفها مع القوى الانقلابية من خلال فتاوى التحريم والمناهضة للإصلاح الزراعي ومحاربة الحكم وقوى اليسار عامة والحزب الشيوعي بخاصة. هذا الوضع ترافق مع انشطار المؤسسة الأمنية والعسكرية إزاء الموقف من حكم الزعيم قاسم كذلك اشتداد الصراع الاجتماعي الجاري في المجتمع العراقي.

كما ازدادت تفاعلات المكونات السياسية/الاجتماعية الكامنة في داخل الظاهرة العراقية آنذاك، نتيجة تدخل العوامل الخارجية سواءً من دول الجوار أو/و المراكز الرأسمالية العالمية ومساهمتها في تنشيط عوامل اللا استقرار وتكاثف زخم الضغوطات المتعددة الأوجه والمصادر، على العراق وكيانه الاجتماعي السياسي وعلى السلطة الوطنية وزعامتها وقاعدتها الاجتماعية.. لنا من تدفق الأسلحة على العشائر العربية والكردية من أغلب دول الجوار خير دليل يساق هنا.

ويجدر بالذكر الأزمات التي أثارتها الحكومة الشاهنشاهية الإيرانية سواء فيما يتعلق بالادعاء بعائدية شط العرب وقطعها المياه عن العديد من الروافد التي تصب في الأراضي العراقية أو مساهماتها في دعم الحركة الكردية لأجل إضعاف الحكم تمهيداً لإسقاطه. ولم تثر هذه الحكومة (الشاهنشاهية) خلال عضوية العراق في حلف بغداد أية مشكلة حول المياه والحدود مع العراق. لقد تم اختلاق هذه المشاكل بالاتفاق مع المراكز الرأسمالية بخاصة بريطانيا وأمريكا لإسقاط نظام تموز/ قاسم وذبح الشيوعيين. وهذا ما يسري على بقية دول الجوار الأخرى بهذه الدرجة أو تلك.

كما سعت دول الجوار ومصر الناصرية والشركات النفطية والمراكز الرأسمالية إلى إحباط مشروع الفدرالية العراقية /الكويتية التي كانت منجزة بشكلها الأولي ومهيأة للتوقيع من قبل الزعيم قاسم بالأحرف الأولى [١٧٨]. وكان هذا يعني منح الجانب

---

١٧٨ - لقد قدم للعراق في مطلع عام ١٩٦٣ السفير العراقي في جيكوسلوفاكيا، قاسم حسن الذي ترأس الجانب العراقي في المفاوضات السرية مع الكويت. وقدم تقريره الرسمي والخطوط العامة للفدرالية

العراقي قوة تفاوضية كبيرة مع شركات النفط العاملة في العراق [١٧٩]. وبالتالي إمكانية استخدام هذه الثروة في المشروع التنموي العراقي ومساندة القضايا العربية وخاصةً التحررية.

[... إن عقابيل الثورة (المعني بها ثورة ١٤ تموز - الناصري) التي تلقاها الناس بما لا يوصف من مظاهر الترحيب والاستبشار لم تعد تشجع الجمهور على تقبل فكرة قيام ثورة ثانية. وفي ما عدا القتال في الشمال وأعمال الانتقام لأحداث ١٩٥٩ في بعض المناطق، فقد رحَّبت الجماهير بالهدوء النسبي في الفترة الأخيرة من عهد قاسم مما مكنهم من مزاولة أعمالهم بظروف عادية هادئة.

وقد سادت الرغبة في العودة إلى الحياة العادية بين أصحاب الحوانيت والتجار والموظفين والعمال، وانتشرت أيضاً بين الطلاب الذين أدركوا مؤخراً أن مؤهلاتهم العلمية وبالتالي مستقبل حياتهم قد تأثر بسبب غلبة الضجيج السياسي على سير الدراسة وانتظامها. وقد تبدو هذه الأمور واضحة وبديهية، ولكن أهميتها في التحليل السياسي غالباً ما تغفل من قبل دارسي العلوم السياسية الذين يركزون بصورة رئيسية على صراع العقائد والمذاهب. وعلى هذا فإن الرأي العام لمثل هذا الجمهور الخائف والمرتقب والخائبة (الخائف عن) آماله لم يكن يريد الإطاحة بالحكم. لكن الهدوء

المزمع الإعلان عنها بعد توقيعها من قبل الطرفين. وقد وجدت هذه الاتفاقية على طاولة الزعيم قاسم بعد استشهاده. هذا ما أفاد به السفير المذكور إلى الاديب عبد الغني الخليلي والذي بدوره وثقها لنا في استوكهولم صيف عام ١٩٩٦. كما يمكن الرجوع حول ذات الموضوع إلى كتاب، حسن العلوي أسوار الطين، ومذكرات إسماعيل العارف وغيرها من المصادر التي وثقت ذلك. وقد ألتفت حكومة الانقلاب على هذه المفاوضات مقابل رشوة للحكومة العراقية قدرها ٣٠ مليون دينار. كما سبق وان شرحناها.

١٧٩ - راجع دراستنا: القانون الذي حكم على عبد الكريم قاسم بالاعدام، مجلة الموسم، العدد ٣٢، مصدر سابق، ص ١٣٠ - ١٣٨

الظاهر في عامي ١٩٦١ - ١٩٦٢ في بغداد وأكثر أنحاء العراق - عدا الشمال - كان مظهراً خداعاً. فلو كان العراق معزولاً عن جيرانه لكان من الممكن لهذا الوضع أن يدوم. لكن حزب البعث القليل عدده كان قد انهمك في التآمر وثابر عليه، ولقلة عدده وبمساعدة أنصار له في الجيش فقد ظل يعمل سراً وبالتعاون مع فئات مناصرة له في سوريا للتخلص من قاسم... كان الجامع بين أعضاء التنظيم السري ضد قاسم عاملاً سلبياً..."[١٨٠].

في مثل هذه الظروف بدأت التحركات العملية لتنفيذ الانقلاب، الذي كان من المفروض في البدء أن يتم في ١٨ كانون الثاني ١٩٦٣، لكنه تأجل للمرة الثانية بسبب صدور قوائم الإحالة على التقاعد للعديد من الضباط نهاية كانون أول/ ديسمبر[١٨١] ١٩٦٢، وعلى ضوء ذلك حدد، يوم ٢٥ شباط ١٩٦٣ والمصادف أول أيام عيد الفطر ١٣٨٢ هجرية (١٩٦٣ ميلادية)، موعداً جديداً للانقلاب كما عين مكانه في جمعية المحاربين القدماء، إذ كان من المفترض اغتيال الزعيم قاسم هناك عند استقباله المهنئين من الضباط كما اعتاد سنوياً، ومن ثم تتحرك القوات العسكرية الموالية للانقلاب للسيطرة على وزارة الدفاع والمعسكرات القريبة من بغداد ومحطتي الإذاعة والتلفزيون والأماكن الحساسة الأخرى.

جمعت هذه الفكرة حالتين في آن واحد وهما: **الاغتيال الفردي والانقلاب العسكري**، مستفيدين من عقم تجربتهم السابقة في محاولة اغتيال الزعيم قاسم السابقة في ٠٧ /١٠/١٩٥٩ في رأس القرية وكذلك فشل اغلب الانقلابات العسكرية التي قدر عددها ٣٨ انقلاباً ومحاولة انقلابية.. وكان هذا الرأي هو الآخر

---

١٨٠ - الاكاديميان بينروز، مصدر سابق، ص ٤٤٥ - ٤٤٦

١٨١ - يذكر حنا بطاطو، في الجزء الثالث، أنه تمت الاحالة على التقاعد في٦ كانون ثاني/ يناير وكذلك محمد جمال باروت، وأعتقد أن في هذا الامر التباس، لأن القائمة الأولى صدرت في ٢٤ كانون أول، ربما كان الانفكاك في ٦ كانون الثاني لأن النظام المتبع في حالة نقل الضباط إلى وحدة أخرى أو إحالته على التقاعد، هو أن يجري تسليم ما بذمته إلى الضابط البديل في حالة وجوده أو إلى أقدم ضابط يليه، في المدة المقررة لإجراء الدور والتسليم التي أمدها ١٥ يوماً.

من وحي خبراء الانقلابات العسكرية [١٨٢]. حتى لا تسمح للقوى الأخرى (الشيوعيين والقاسميين) بإفشال الانقلاب أو الاستيلاء على السلطة عند حدوث الفراغ السياسي عند النجاح في اغتيال الزعيم قاسم وحده. ولأن العقول الاجنبية المخططة للانقلاب قد استقرأت واستوعبت اتجاهات الحياة العامة في البلد السائرة نحو الاستقرار وخفوت التأييد للإضراب الطلابي وفشله وجدية المشروع المتوجه نحو الحياة الدستورية التي وعد الزعيم قاسم بتحقيقها في آذار من نفس العام [١٨٣] ، كما أن إلقاء القبض على أمين السر علي صالح السعدي وعماش فكان عامل مهم أخر في تقديم الموعد.. وإن المنافسة مع حركة القوميين العرب في اغتيال قاسم، ممكن ان تُذكر هنا بقوة . لذا سارع البعثيون في تقديم موعد إنقلابهم. إذ أن [... **السباق على إسقاط حكم (الزعيم الأوحد) الذي فقد بريقه انحصر من الناحية العملية بين البعث وحركة القوميين العرب كل على حدة، لكن وفق تفاهم ضمني يقضي بدعم كل طرف للآخر حال قيامه بحركة ما.**

---

١٨٢ - رفعت السفارة البريطانية في بغداد بتاريخ ١٩٦٣/٠٢/٢٢ تقريراً إلى حكومتها حول الكيفية المحتملة لحكم الزعيم قاسم. ومما جاء في الفقرة السادسة من التقرير: [**أنه كان واضحاً منذ زمن طويل بأن إزاحة قاسم ممكنة بانقلاب عسكري فقط أو بالاغتيال أوبكليهما. أنه لمن المدهش كيف عاش لهذة الفترة الطويلة...**] راجع نص التقرير لدى حامد البياتي، أسرار انقلاب، مصدر سابق، ص ١٣٤. **وهذا يدلل ايضاً على ان فكرة الانقلاب قد وضعت من قبل المختصين الاجانب.** كما ان الغاية منه تتلخص في قتل عبد الكريم قاسم وبغض النظر عن محاكمته أو دونها.. ولما ظفروا به في ٩ شباط نفذوا الحكم فوراً وبدون ايجاد مبررات لذلك. وهذا كان امتداد لسياسة التيار القومي بأغلب فصائله، في تبني الاغتيال الفردي وكذلك الانقلابية العسكرية التي ساهموا بجميعها.

١٨٣ - ذكر د. علي كريم سعيد في محاضرة له نظمتها الجمعية العراقية لحقوق الإنسان في السويد بتاريخ ٢٠٠١/٠١/١٢ في استوكهولم، أن الوزير السابق محمد حديد أخبره بأن مشروع الدستور العراقي الدائم، قد استكمل بابه الثاني في شباط ١٩٦٣، وكان من المؤمل إنجازه كاملاً في منتصف شهر آذار ليعلن في عيد الحرية (الخروج من حلف بغداد) يوم ٢٤ من ذات الشهر، لأجل مناقشته عبر وسائل الاعلام وتجرى الانتخابات لاحقاً ويفتتح البرلمان الجمهوري في ١٤ تموز ١٩٦٣. وهذا ما أكده وزير العدل الأسبق مصطفى علي، في مذكراته . راجع الملحق العشرون في نهاية الكتاب.

ترقبت مجلة (الطليعة) الحركية في ١٦ كانون الثاني ١٩٦٣ سقوط قاسم وبث إشارات عن (شيء قد يحدث في المستقبل، وحولت إشاراتها في ٦ شباط، أي قبل يومين من إسقاط قاسم إلى تعريض واضح بالتعجيل) بإنهاء حكم قاسم، وربما كان ذلك على صلة بخطة انقلابية للحركة كان مقرراً لها أن تتم في أول عيد الفطر باغتيال قاسم في نادي الضباط..."[١٨٤] مع أن [... القائمين على ١٤ رمضان لم يبلغوا القوميين إرادتهم الانفراد بالسلطة، وقد وشى عماش قبل ذلك إلى قاسم عن نية القوميين القيام بالانقلاب، وكان هدفه أن لا يسبق القوميون البعثيين بحركتهم... "[١٨٥]. لكن فات القوميون العرب أن يذكروا أن الأمريكان كانوا لا يرغبون بهم ولهذا وشوا بهم، كما عبر عن ذلك أحد قادتهم العسكريين آنذاك في العراق.

وإزاء صدور مرسومي الإحالة على التقاعد لـ(٤٢) ضابطاً في الثالث والرابع من شباط؛ واعتقال الأمين العام القطري علي صالح السعدي وعضو المكتب العسكري صالح مهدي عماش في الخامس من ذات الشهر؛ وخوفاً من المزيد من الاعتقالات والإحالات على التقاعد؛ ولاستعداد وتواطئ العديد من ضباط المقر العام للزعيم قاسم وكتيبة الدبابات الرابعة؛ ولعلم خبراء الانقلابات الأمريكيين بانعدام فرص النجاح المستقبلية، لذا تقرر القيام بالانقلاب في موعده الجديد يوم ٨ شباط.

---

١٨٤ - محمد جمال باروت، مصدر سابق، ص ١٧٨ - ١٧٩، علماً بأن اعتقال نايف حواتمه (الأمين القطري) والإحالة على التقاعد للضباط قد أصابت [... قلب المؤامرة الحركية وهزت نبضه بإحالة المقدم جابر حسن حداد...] وغيره من الضباط إلى التقاعد [... ومن المؤكد أنه لم يكن هناك تنسيق مسبق ما بين الحركة والبعث، إلا أن الموعد الذي قرره البعث قد تسرب على الارجح، فحددته الحركة موعداً لها، لضمان نجاح العملية وتسديد الضربة ضد قاسم من أكثر من جهة ولاستباق البعث في السيطرة على السلطة.]، ذات المصدر، ص ٢٦٩. لكن هذا لم يمنع الحركيين من أن يزجوا بقواهم في الانقلاب التاسع والثلاثين منذ يومه الأولى.

١٨٥ - راجع د. علي كريم سعيد، مراجعات، ، هامش ص ٧٦، مقابلة مع أحمد الحبوبي. ويؤكد هذه الحالة صبحي عبد الحميد في مذكراته، وكذلك عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة.، وهي مصادر سابقة.

إن إجراءات الاعتقال (لم تمس قلب المؤامرة البعثية) حسب قول حنا بطاطو، وهذا ما كان، وليس لأن الزعيم [... لم يسمح بضربة شاملة لتنظيم البعث بل بضربات استكشافية... بهدف معرفة حقيقة ما كان يجري لتوجيه ضربة رئيسية واعتقال المدبرين]، كما يذهب إليه الباحث د. علي كريم سعيد[١٨٦]، بل بقدر كون الزعيم قاسم، وهذا ما أشار إليه الباحث ذاته وآخرين، كان يعتمد في توجيه الاتهام على توفر الأدلة المادية لارتكاب جريمة التآمر وليس الاعتماد على الحدس أو الوشاية. وهذا ما أشار إليه الزعيم نفسه في أخر مقابلة له عندما قال: [**أردتهم أن يشرعوا بالعمل ويتلبسوا بالفعل**]. وكانت غلطة العمر القاتلة، ليس له كذات فحسب، بل للتجربة بذاتها وكل القوى المناصرين له أو/و التجربة!

وهكذا سارع البعثيون وحلفاؤهم في الداخل والمخططين الأجانب إلى إعادة ترتيب خطتهم، وقرر الطلقاء من القياديين في المكتب العسكري والقيادة القطرية، تنفيذ الخطة وتحديد يوم الجمعة ٨ شباط موعداً للانقلاب. حيث [... في ٤ شباط ١٩٦٣، اجتمع المكتب السياسي للبعث، علي السعدي وحازم جواد وكريم شنتاف في داري، فوضعنا اللمسات النهائية للخطة وإقراراً أخيراً للتشكيلات التنفيذية كالمجلس الوطني لقيادة الثورة، ومجلس الوزراء والقيادة العامة لقوات الحرس القومي وغيرها. وبعد إتمام الخطة والمصادقة عليها... وتثبيت يوم ٨ شباط موعداً لإعلان الثورة، شعرنا بالرغبة في الاحتفال، فذهبت بسيارتي لشراء الويسكي وبعض اللوازم... وعند عودتي بلوازم الاحتفال...] تم اعتقال السعدي وكريم شنتاف وعماد شبيب وبهاء شبيب وصالح عماش وتم تحذير بقية أعضاء المكتب العسكري من الحضور إلى دار طالب شبيب. حيث كان المفروض أن يتم حضور [... كل أعضاء المكتب العسكري بمن فيهم الضباط المقترحون لعضوية المجلس الوطني كالعلكاوي ونصرت وكنت

١٨٦ـ د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ١٠٧.

أنتظر مساء اليوم نفسه عودة بهاء من اجتماع لجان الانذار في الأعظمية وأخي الملازم عماد شبيب ...[١٨٧]].

في الوقت ذاته استمر الأعضاء الطلقاء يواصلون خطتهم والإسراع في تنفيذها. وكان آخر اجتماع لهم قد تم في يوم ٧ شباط، حيث وزعت المهام وهيأت قيادة فرع بغداد لحزب البعث الأسلحة لتوزيعها على بعض الحزبيين المختارين من مدنيين وضباط متقاعدين.

---

١٨٧ - المصدر سابق، ص ٥٢. في حين ينسب عضو القيادة القطرية آنذاك فيصل حبيب الخيزران اعتقال السعدي وعماش إلى شيء أخر، إذ يقول: [وحينما اعتقلوا علي صالح السعدي وصالح مهدي عماش وطبعا لكل منهما سبب للاعتقال، فعلي كان في اجتماع المكتب العسكري وحينما خرج العسكريون وكانت هناك وشاية أخبارية عن الاجتماع وحضر رجال الشرطة كان علي صالح السعدي ما يزال موجودا في دار طالب شبيب فألقوا القبض عليه. صالح مهدي عماش لسبب آخر اعتقل. (قيل تردده على السفارة البريطانية – راجع هيثم غالب الناهي، نص الخيانة، ص.١٧١، مصدر سابق- الناصري) صحيح كان في الاجتماع لكنه كان قد خرج هو واحمد حسن البكر وعبد الستار عبد اللطيف، إذ غادروا المكان عقب انتهاء الاجتماع وكانت الشرطة قد تأخرت في الوصول لسبب مقصود أو غير مقصود. إذ آنذاك كان مدير شرطة المنطقة عبد محمد صالح التكريتي الذي أصبح مدير شرطة بغداد عام ١٩٦٨عقب ثورة ١٧ تموز وكان على راس المجموعة التي داهمت منزل طالب شبيب حيث كان الاجتماع]. راجع مذكرات الخيزران المنشورة في حلقات، في جريدة الزمان العدد ٩٨٣ في٠١/٠٨/٢٠٠١. مصدر سابق.

٤

٢- مسارات الانقلاب والشارع المؤيد:

أجمع رواة وقائع اليوم الأخير من حياة الزعيم قاسم ومهندسو ومنفذو الانقلاب، أن ساعة الصفر بدأت بقيام العديد من لجان **الإنذار الحزبية**[١٨٨] (فرق الاغتيال)

---

١٨٨ - ترجع بدايات تشكيل هذه اللجان، كما يقول فؤاد الركابي إلى سنة ١٩٥٩، وذلك عندما شرعت القيادة القطرية بالإعداد لتنفيذ محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم بدأ [... الشروع فوراً بتشكيل منظمات الفدائيين على غرار الحرس القومي لتقوم بالاسهام الشعبي المسلح إذا ما دعت الضرورة لذلك وتألفت قيادة خاصة لتأليف هذه المنظمات. أنيطت رئاستها بعبد الله الركابي]. الحل الأوحد، مصدر سابق، ص ٥٨. لكن هذا الشكل من العرض غير دقيق لا يتطابق مع الحراك السياسي وصراع (الأخوة الأعداء)، إذ بدأت أغلب قوى التيار القومي وبخاصة حزب البعث العراقي، بتشكيل لجان الاغتيال في العديد من المدن العراقية وأخذت المساعدات تنهال عليها من قبل بعض التجار والأثرياء "... وكان يدير عصابات القتل أكثر من لجنة تولت العمليات وتنظيمها وكانت في بداية الأمر متعاونة فيما بينها وتتبادل المعلومات وتساهم في تزويد القلة المأجورين، بما يسهل مهماتهم وتدفع أجورهم، ثم تشعبت وأنسحب قسم كبير منهم عندما اختلفت الأهداف ودخل عنصر الابتزاز والقتل بالإيجار وأصبح القتلة المحترفون يتولون المسؤولية بكاملها...". حامد مقصود ثورة ١٤ تموز، ص. ٣١٣ مصدر سابق.

لكن في غمرة التحضيرات الجدية لإسقاط حكم ثورة ١٤ تموز بمعونة المخططين الأجانب، الذين اقترحوا، كما اعتقد، إعادة تشكيل مثل هذه التنظيمات المسلحة على وفق المهام الجديدة لمساندة الانقلاب ومجابهة القوى المناهضة له المحتملة، فقد تم "... إنشاء في أوائل ١٩٦٢ ما سمي ب (الحرس القومي)، يضم أعضاء بعثيين ذوي خبرة وتجارب (نضالية)، أكثريتهم من الطلاب

بالتخطيط والتنفيذ ، ما أمكن لإغتيال مجموعة من أقرب المساعدين للزعيم قاسم والمنتمين إلى تيار اليسار وبالأخص جلال الأوقاتي قائد القوة الجوية وطه الشيخ أحمد وفاضل عباس المهداوي وسعيد مطر ووصفي طاهر وعبد الكريم الجدة وماجد محمد أمين وغيرهم. كما كانت من مهامه إلقاء القبض ما أمكن على بعض القيادات العسكرية غير الموالية وكذلك تنظيم مظاهرات التأييد للانقلاب ومنع تحرك الجماهير الشعبية المساندة لسلطة تموز.

إذ كلفت [... على سبيل المثال زمرة بقيادة صلاح سالم مهمتها دار عبد الكريم الجدة، وزمرة أخرى مهمتها مهاجمة دار سعيد مطر في الفحامة (الصحيح في المأمون - الناصري)، وكان طارق عزيز دليل المجموعة التي تضم صلاح مكي وحسن غافل وحسن علي ومهدي نجم إلى دار العقيد فاضل عباس المهداوي...[189]].

كما كانت هناك زمرة أخرى مهمتها اغتيال زعيم الجو الركن جلال الأوقاتي/قائد القوة الجوية.. وقد تم لها ذلك، إذ كانت قد رصدت تحركاته ونظام عمله اليومي، منذ فترة طويلة نسبيا، ساعدهما في ذلك مدير الإدارة في قيادة القوة الجوية صالح مهدي عماش[190] وبعض الضباط البعثيين وأنصارهم في مقر نفس القيادة، وكذلك التنظيم الحزبي المدني في كرادة مريم. ويعتبر الأوقاتي من أشد أنصار النظام الجمهوري ومؤيداً للزعيم قاسم، ويتوجس الانقلابيون وخبراء الانقلابات العسكرية

والمثقفين ويبلغ عددهم أكثر من ٣٠٠ عضو، موزعين في خلايا صغيرة وأرتباطهم مباشرة بقيادة الحزب القطرية ...:. مصطفى دندشلي، ص. ٢٤٦، مصدر سابق. ويؤكد ذات المصدر أن " كثير من قيادات وكادرات الحرس القومي كانت قد تدربت على حمل السلاح وحرب الشوارع زمن لجوئهم إلى الجمهورية العربية المتحدة (سوريا) أبتداءً من ١٩٥٩ ...". ذات الصفحة، هامش رقم ٣

١٨٩ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، هامش ص ٥٥.

١٩٠ - يذكر الضابط السابق حامد مقصود أن صالح مهدي عماش هو الذي وجه زمرة التنفيذ وقد "... عين ساعة الصفر باغتيال قائد القوة الجوية الزعيم الركن الطيار جلال الاوقاتي...". ١٤ تموز، ص. ٣٢٧، مصدر سابق. كما أن عماش زود الانقلابيين بمعلومات كافية عن حياته اليومية وقد وضعت دار الاوقاتي تحت مراقبة دقيقة ومتواصلة من قبل البعثيين الحزبيين. للمزيد راجع د. عبد الفتاح البوتاني، العراق دراسة في التطورات، ص. ٣٤٧ وما بعده، مصدر سابق.

الأمريكان من منصبه وإمكانياته العسكرية في إحباط محاولتهم الانقلابية في حالة نجاته من الاغتيال [191]، خاصةً، كما مر معنا، أن هؤلاء الخبراء كانوا قد اعتمدوا الطيران

---

١٩١ - ذكر لي زكي خيري، بتاريخ ١٠ شباط ١٩٩٣ في ستوكهولم، بأن قيادة الحزب الشيوعي العراقي، سبق أن أنذرت الاوقاتي، بضرورة الحذر من محاولة اغتياله وذلك قبل مدة قصيرة من الانقلاب، وذلك لمعرفتهم بنوايا الانقلابيين وماهية المخطط الذي ينوون تنفيذه. كما أكد لاحقاً ذات المضمون في مذكراته، ص ٢٠٨، مصدر سابق، من أنه: [... لدي انطباع وهو أن جلال الاوقاتي، وكان من أكثر الضباط العراقيين ثقافة وأوسعهم إطلاعاً، لم يكن مبادراً عسكرياً أو سياسياً أو يقظاً كما كان منتظراً من قائد للقوة الجوية في مثل تلك الظروف الحرجة. وقد تجلى سوء ظني يوم ٨ شباط ١٩٦٣، إذ رغم إنذار الحزب له قبل يوم بأن موعد الانقلاب غداً، فقد خرج مبكراً في اليوم المشؤوم ومعه طفله ليشتري له شيئاً. مع العلم أن ساعة صفر الانقلاب كانت إغتياله هو بالذات. وقد اغتالوه فعلاً وبدأ الانقلاب مباشرة بعد مصرعه]. ينفرد زكي خيري هنا عندما يحدد معرفة الحزب بموعد الانقلاب بالتحديد. لم أعثر على ما يؤكد ما ذهب إليه، في الكم الوفير من أدبيات الحزب الشيوعي العراقي. إذ لم ينذر الحزب، كما تقول المعلومات المتداولة اي من الضباط ولا التنظيم العسكري، كما سيأتي لاحقاً.

كما أن التقيم الداخلي الذي حرره زكي خيري وعزيز الحاج، والذي صدر عام ١٩٦٧ بعنوان (محاولة لتقييم سياسة الحزب الشيوعي العراقي في الفترة تموز ١٩٥٨ - نيسان ١٩٦٥)، لم يتطرق إلى هذا التحديد لموعد الانقلاب، بقدر ما حمل قيادة الحزب آنذاك المسؤولية بعدم اتخاذ أي إجراء ملموس لمواجهة الانقلاب الوشيك الوقوع.

وقد استفسرت بدوري من باقر إبراهيم عضو اللجنة المركزية آنذاك، حول مدى معرفة الحزب بتاريخ الانقلاب كما أوردها زكي خيري. فقد أجاب أنه كان في مدينة النجف، مسؤولاً عن منطقة الفرات الاوسط، وقد أرسلت قيادة الحزب زكي خيري للعمل في قيادة المنظمة، بصفة عضو بعد تنزيله من عضوية اللجنة المركزية. ولم يعرف الحزب بالضبط تاريخ وقوع الانقلاب، والا اتخذت الإجراءات الملموسة لمناهضته. ومن المعلوم أن بيان الحزب الشيوعي العراقي المؤرخ في ٣ كانون الثاني / يناير ١٩٦٣ لم يذكر موعد الانقلاب بالصورة التي ذكرها زكي خيري، إذ يقول البيان [أن المعلومات المتيسرة تشير إلى أن كتائب الدبابات في معسكرات بغداد واللواء التاسع عشر أصبح مركزاً لنشاط عدد من الضباط المتآمرين الرجعيين الذين يتوخون قلب هذه المراكز إلى قاعدة لتنفيذ حركة تهدد استقلال البلد، وقد اختاروا لذلك موعداً بعد آخر. والموعد الاخير (أحتمل يوم ١٨ من ذات الشهر- الناصري) يحمل أهمية خاصة بسبب حراجة الازمة السياسية الحاضرة

كعنصر أساسي في انقلابهم، ولهذا ليس اعتباطاً أن تكون ساعة الصفر هي اغتيال جلال الاوقاتي. لقد تمت عملية الاغتيال، كما يصفها القاتل رئيس الزمرة المنفذة المدعو غسان عبد القادر، في مقابلة أُجريت معه في ٢٤/ ٠١/ ١٩٨٥، بالشكل التالي:

[...كُلفت مجموعتي باعتقال جلال الأوقاتي، قائد القوة الجوية ومن قيادي الحزب الشيوعي، وإذا مانع بذلك فيتم قتله، وفي ساعة الصفر قامت المجموعة المكلفة بذلك بعمل دورية حول داره الكائنة في كرادة مريم، وبعد خروجه من داره وفي أحد الشوارع الفرعية القريبة من داره حوصر من قبل المجموعة، مما أدى به الأمر إلى ترك سيارته والهرب، فقامت المجموعة المنفذة بفتح النار عليه وقتلته في الحال، وبهذا استطاع الحزب أن يتخلص من أحد أقطاب السلطة المهمين والذي لو قدر له البقاء لكان له تأثير كبير في تغيير موازين القوى لصالح سلطة عبد الكريم قاسم...] وبعد ذلك اتصلت المجموعة المنفذة بقيادتها وأخبرتهم بإتمام التنفيذ وكانت المجموعة تتألف منه ومن [... ماهر الجعفري؛ عدنان داود القيسي؛ أكرم أسود؛ ومجيد رجب الحمداني... [192]]. وكان دليل المجموعة حسب إفادة عائلة الأوقاتي، محمد ثامر،

والزيارات التي يقوم بها بعض الجواسيس الامريكان للبلد]. مستل من إسماعيل العارف، ص ٤١٢، وذات المعنى لدى بطاطو، الجزء٣، ص ٢٨٨

١٩٢ - صالح حسين الجبوري، ثورة ١٤ رمضان، مصدر سابق، ص ٢٦٥. كذلك علي خيون، دبابات رمضان، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد ١٩٨٨، حسن العلوي، عراق دولة المنظمة السرية، مصدر سابق، ص ١٠٧. لقد أكد لي شاهد العيان المعلم المتقاعد نهاد السليم، الذي يسكن في ذات الشارع، في رسالته لي بتاريخ ١٨/١٠/ ٩٩ بالقول: [... **كان ذلك في صباح يوم الجمعة المصادف ١٤ رمضان - ٨ شباط ١٩٦٣، كانت عقارب ساعتي تشير التاسعة إلا سبع دقائق، عندما وقفت سيارة جيب عسكرية قرب الدكان المقابل للمشتمل الذي كنت أسكن فيه في كرادة مريم... كان يجلس في السيارة هذه أربع رجال: السائق وبجانبه شخص وأثنان في الخلف. وقد وضعوا رشاشاتهم على أرجلهم. وفي تلك اللحظة كان رجل طويل ذو أكتاف عريضة يسير بجنبه طفل وقد وضع يده بيد طفله ثم بدأ يتحدث.. ترجل الشخص الذي جنب السائق وفتح النار على الرجل الطويل وأرداه قتيلاً ثم تحركت السيارة وتركت الجثة مطروحة على الارض... وبعد**

اللاعب في المنتخب العراقي لكرة القدم وشقيق مدير الأمن العام، في منتصف الستينيات، أنور ثامر، حسب استطلاعات الدكتور علي كريم سعيد[١٩٣]. وقد تمت العملية بعد الثامنة والنصف وقبيل التاسعة صباحاً.

في الوقت ذاته يصف حنا بطاطو عملية الاغتيال بالكيفية التالي: [...**كان الأوقاتي قد قاد سيارته يرافقه ابنه الصغير إلى محل لبيع الحلويات قرب منزله، وما أن نزل من السيارة حتى توقفت مركبة آلية أخرج الركاب مسدساتهم وأطلقوا النار عليه، وأصيب الأوقاتي في كتفه وحاول أن يهرب ليختبئ، ولكنه أصيب ثانيةً في الرأس وسقط على الرصيف وأسرع المهاجمون بالهرب واختفوا...**[١٩٤]].

كانت عملية الاغتيال بمثابة إشارة الشروع للقوة الجوية في الحبانية ولقوى الانقلاب، العسكرية والمدنية، لكي تستولي على المرسلات في أبي غريب وتذيع البيان الأول، الذي كان بدوره إشارة البدء لتحرك كل المساهمين في العملية الانقلابية كل حسب المهام المناطة به والموقع المرسوم له.

ذلك سألت صاحب الدكان عن الذي قُتل. فأجاب أنه جلال الاوقاتي. وعندما جاءت سيارة الاسعاف، سألت أحدهم الذي نقل الجثة قال أنه جلال الاوقاتي...]

ومن المعلوم أن هذه الافادات وأن أختلفت في التفاصيل الصغيرة، إلا أنها تعرض ما ذكره مراسل الـ (لوموند) الفرنسية في بغداد التي قال فيها: [... وفي الوقت نفسه بوغت قائد القوة الجوية العراقية الزعيم جلال الاوقاتي، بجماعة أخرى من صغار الضباط نجحت باقتحام منزله وسارع أفرادها إلى غرس بنادقهم في صدره طالبين منه أن يضع توقيعه على أمرٍ يقضي بشن عملية جوية ضد وزارة الدفاع الوطني مقر إقامة الزعيم قاسم، ولما رفض أن يفعل ذلك إزداد الضباط الشباب حدة في عدوانيتهم، عندئذ وضع الزعيم الاوقاتي أحد أطفاله في أحضانه معتقداً أن ذلك كفيل بردعهم قليلاً، إلا أنهم على العكس صاروا أشد شراسةً وخطراً في تهديدهم. وهنا وتحت فوهات البنادق الرشاشة المتحفزة نحو رأسه وافق على توقيع أمر القيام بالعملية. بيد أنه وحال إنتهائه من وضع توقيعه أطلقوا عليه رشقات رصاص أردته قتيلاً في الحال]، مجلة أصوات، مصدر سابق، العدد١٣، ص ٤٥.

١٩٣ - مراجعات، مصدر سابق هامش ص ٨٤

١٩٤ - حنا بطاطو، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص ٢٩٨

ومنذ تلك اللحظة بدأ (مهرجان الدم العراقي) المنفلت، الذي خُطط له في الأروقة الغربية، ونفذته أيادٍ عراقية، حسب المصادر الانكلو- أمريكية، التي كانت [في تواطؤ واضح مع حكومة الكولونيل عبد الناصر المصرية وال سي آي أي C.I.A .] ١٩٥ وباركته أغلب الدول العربية وبخاصةً مصر الناصرية. وأمسى الدم يسال لمجرد الشبهة أو الهوية، بل حتى القتل من أجل ذات القتل. لقد تحول العنف المادي إلى نهج وممارسة يومية ذات طابع فاشي لدى سلطة القوى الانقلابية، إذ [... كان التعذيب يجري بأكثر أشكاله بدائية وثأرية، وفي بعض الأحيان لم يكن بقصد انتزاع مزيد من المعلومات بقدر ما كان تكراراً ثأرياً...]، كما عبر عن ذلك أحد مهندسي ومنفذي الانقلاب١٩٦.

وقد شملت هذه التصفيات الدموية، بعد ذلك وطالت حتى القوى التي سبق وأن تحالفت مع قيادة الانقلاب ومن ثم أخذت تصفي الحسابات معها، مادياً أو معنوياً. ففي البدء انصب العداء على قوى الحركة الكردية التي تحالفت قيادتها معهم، ثم أعقب ذلك مع بقية القوى القومية، غير البعثية، وخاصة حركة القوميين العرب، بعد اكتشاف حركتهم الانقلابية في ٢٥/ ٠٥/ ١٩٦٣، لينتهي مسلسل العنف بنتيجته المنطقية بصراع أجنحة البعث وأخيراً على البعث ذاته، مما أفقدهم السلطة وأثقلهم الإثم.

وبهذا الانقلاب ساهمت أحزاب التيار القومي عامةً، والبعث العراقي بخاصةً، وحلفاؤهم الآخرين، بدرجة كبيرة في إضاعة أهم فرصة تاريخية لتطوير عراق القرن العشرين. وتعمقت بهذا الفقدان وازدادت وتائر التعسف والاضطهاد وثقافة العنف والانقلابات العسكرية التي هدمت مكونات الاستقرار السياسي في العراق لعقود طويلة، وبخاصة بعد صعود، جناح ميشيل عفلق في حزب البعث، ثانيةً للسلطة عام ١٩٦٨. بحيث طال الاضطهاد الأعم الأغلب لمكونات المجتمع العراقي الأثنية والسياسية والاجتماعية. وهذا ما يمكن استقراؤه من خلال تتبع جملة الكوارث التي

---

١٩٥ - جيمس ادوارد سميث، حرب جورج بوش، ط. الثانية المترجمة، ص ٤٨.

١٩٦ - هاني الفكيكي، مصدر سابق، ص ٢٥٩.

حلت بالبلد نتيجة حروبه الداخلية والخارجية. ويرصد أيضاً مما حل بالقيادات التي تعاقبت على إدارة دفة القيادة، سواءً الحزبية أو الرسمية، المدنية أو العسكرية، حتى تحول الحزب من مرحلة التشارك الحزبي العام؛ إلى مرحلة نمو السيطرة القرابية؛ ومن ثم إلى مرحلة نمو السيطرة العائلية (عائلة الرئيس مباشرةً). بحيث أصبح من حقنا القول بعد الاستقراء التاريخي: إن **عائلة صدام تحكم بواسطة حزب البعث، أكثر من كون حزب البعث يحكم بواسطتها**[١٩٧].

كان اختيار يوم الجمعة الثامن من شباط، **من قبل العقول المخططة الاجنبية (البريطانية/ الأمريكية** [١٩٨])، ضرورة للانقلاب اقتضتها معرفتهم السابقة بالإحالة على التقاعد للعشرات من الضباط الموالين لهم، ومما زادها أهمية، هو اعتقال بعض القيادات العسكرية والحزبية العليا بما فيهم الأمين القطري كما مر بنا. يضاف إلى ذلك لكونه يوم العطلة الاسبوعية التي يكون فيها كثير من المدافعين، وبخاصة من المراتب والجنود، خارج الخدمة الفعلية، والذين أغلبهم ينتمون معنوياً وروحياً إلى التيار

---

١٩٧ - للمزيد حول هذه العلاقة وتمرحلها، راجع الدراسة الدقيقة للدكتور فالح عبد الجبار: الدولة والمجتمع المدني في العراق، مصدر سابق، الفصل الرابع. كذلك رصد هذه الحالة حنا بطاطو منذ سبعينيات القرن المنصرم، لكنه قصرها على المرحلة الثانية، حيث قال: [... **لن يكن من باب الاشتطاط القول إن التكريتيين يحكمون بواسطة حزب البعث، أكثر من كون حزب البعث يحكم بواسطة التكريتيين**]، أي قبيل نمو المرحلة الثالثة التي يرصدها تاريخياً د. فالح عبد الجبار، منذ إستيلاء صدام حسين على رئاسة الدولة عام ١٩٧٩.

١٩٨ - كتب السفير البريطاني في ٢٨ كانون ثاني إلى حكومته بالقول: **"...أخضعت السفارة البريطانية تطورات الوضع السياسي الداخلي في العراق لدراسة مكثفة مع سفارة الولايات المتحدة الأمريكية، فبعد لقاء السفير البريطاني والقائم بالأعمال الأمريكي في آواخر كانون الثاني ١٩٦٣ خلص السفير إلى اعتقاد مفاده "إن قاسما هزه اكتشاف مؤامرة تحاك ضده من البعثيين الموالين لعبد الناصر داخل الجيش ..." إن قاسم "...على حافة الهاوية ولا يحتاج إلى أكثر من مجرد تغيير بسيط أشعر به في الجو ربما سوف يأتي ريباً وبشكل معترف به..." ومن هذا التلميح يمكننا الاستنتاج المنطقي من أن بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية على إطلاع عن هذه المؤامرة التي خططوا لها في ٨ شباط ١٩٦٣.**

المؤيد للزعيم قاسم. كما اعتاد كثير من العسكريين السهر في الليالي الرمضانية ليوم الجمع حيث يكون النهوض فيها متأخراً. وعليه ينخفض قوام القوة العسكرية في كل الوحدات. فمثلاً في وزارة الدفاع ينخفض عدد العسكريين المتواجدين فيها في أيام الجمع من ٣٠٠٠ عسكري إلى ١٢٠٠ فقط، أي أن ٦٠٪ منهم لا يتواجدون في وحداتهم العسكرية. والأكثر من ذلك، قام الضباط الموالين للانقلاب بمنح الإجازات للمراتب والجنود والضباط المؤيدين للنظام ولقاسم، مما ساهم في تخفيض مجموع المدافعين عن الوزارة.

وهذا الاقتراح بالتحرك في يوم الجمعة وفي الصباح، تم من قبل **خبراء في الانقلابات في العالم الثالث**، استكشفت سبل نجاح الانقلاب من دراستها الدقيقة للمحاولات الانقلابية السابقة والتي رأت أن أحد أسباب فشلها يعود لكونها كانت تتم ليلاً، حيث الأجهزة الأمنية تكون أكثر يقظة من جهة. ومن جهة ثانية رأوا صعوبة التحرك الليلي للضباط المتقاعدين والقوى العسكرية المؤيدة وتجمعها لتنفيذ المهمات المناطة بها في الاستيلاء على محطة الإذاعة والوحدات العسكرية التي سينطلق الانقلاب منها. إذ كانت تقتضي خطة الانقلاب على تجمع مجموعة من العسكريين، بعضهم كان متقاعداً، ومن وحدات مختلفة في مركز كتيبة الدبابات الرابعة في أبي غريب. هذا الفعل سيثير اهتمام القوى الأمنية وكذلك المناهضة للانقلاب وبخاصة بالنسبة للضباط من الرتب العليا. ومن جهة ثالثة عدم قدرة لجان الإنذار الحزبية في نقل وتوزيع الأسلحة على أفرادها وتنفيذ مهمات الاغتيال والاعتقال للعناصر المناهضة لهم والسيطرة على معابر الجسور وتقاطع الطرق المهمة. وأخيراً من المعروف والشائع أن الزعيم قاسم كان يعمل إلى ساعات متأخرة من الليل، ومن ثم يقوم بجولة معتادة في أنحاء العاصمة وكان يهجع إلى النوم في ساعات الصباح الأولى[١٩٩].

وعلى ضوء ذلك، والحث المتزايد لخبراء الانقلابات، تم في السابع من شباط اتخاذ القرار النهائي وحسم التردد في إمكانية التأجيل لصالح المضي في الخطة الانقلابية. لأن عملية التأجيل ربما تؤدي إلى كشف أبعاد المؤامرة من خلال الاعترافات المحتملة من

---

١٩٩ - حول جدول العمل اليومي للزعيم قاسم راجع ما كتبه جاسم العزاوي في مذكراته، مصدر سابق.

العناصر القيادية المعتقلة، وبالتالي ستتساوى العاقبة في حالة الفشل. مما أدى بهم إلى السير في عملية التنفيذ، خاصةً أن هذه الفرصة ربما ستكون الوحيدة لديهم في الزمن المنظور آنذاك، بعد أن رُسمت عملية تقليم مخالبهم العسكرية التي كان يُفترض أن تتم في شهر شباط، مما يفسح المجال أمام حركة القوميين العرب للقيام بانقلابهم المخطط له وهذا ما لايريدونه لهم كحزب ولا القوى الخارجية المساندة لهم. كما يجب أن لا ننسى روح المغامرة ودورها لدى بعض القيادات في الحث على الإسراع في التنفيذ.

ومن المحتمل جداً أن وراء التنفيذ كان يقف عامل نفسي وقناعة ذاتية لدى الانقلابيين. مفاده: لنقم بالعمل، فإن نجحنا فيه فهذا جميل، وإذا فشلنا فإن روحية الزعيم قاسم الكارهة للعنف، واحترامه الكبير للنفس البشرية، سوف لا يعاقبنا بإعدام الحياة، بل سيسجننا لفترة زمنية معينة ومن ثم يعفو عنا بعدها، كما عفى مراراً عن كثير من المتورطين في المحاولات الانقلابية السابقة وممن حاولوا اغتياله، ومن ثم نكرر المحاولة مجدداً.

وعلى خلفية هذه الأبعاد، صدرت في يوم ٧ شباط التعليمات الحزبية النهائية لتحرك الانقلاب والتي تتلخص في:

١ - تواجد المكلفين بالتنفيذ من مدنيين وعسكريين في الساعة السابعة صباحاً في منطقتين هما: ساحة النسور في الكرخ بالقرب من جسر الخر (ساحة عبد الكريم قاسم سابقاً)، حيث ملتقى طريق بغداد - فلوجة و بغداد - المحمودية؛ وفي ساحة عنتر في الأعظمية قرب النادي الأولمبي (الذي تحول إلى مسلخ بشري بعد نجاح الانقلاب).

٢ - يبدأ الإستيلاء على محطة الإرسال في أبو غريب، ويقطع الاتصال بمحطة البث في الصالحية وبمحطة تقوية البث (محطة الموجات القصيرة) في سلمان باك. ويعتبر هذا

العمل أخطر حلقة في الانقلاب باعتباره وسيلة التبليغ الرئيسية في ذلك الصباح وبمثابة بدء ساعة الصفر لكل القوى الانقلابية بالتحرك العملي[٢٠٠]؛

---

٢٠٠ - يصف طالب شبيب وزير خارجية الانقلاب كيفية الاستيلاء على المراسلات بالقول : "... دخلنا أنا وحازم (جواد) ورياض (قدو) شاهرين مسدساتنا وبندقية يتيمة وفوراً صرخنا نحن الثلاثة بصوت واحد: (أوقفوا الإرسال حالاً) وفوجئنا بوجود ما يقرب من عشرين فنياً يعملون في القاعة أمام أجهزتهم المختلفة ويضع بعضهم السماعات على آذانه، نظروا إلينا بدهشة وك\انا أناس نزلوا من القمر لكنهم وبحركة سريعة وعفوية لا تصدر إلا عن موظفين لم يتعودوا على الحرية والممانعة ن ذهبوا إلى حيث توجد أجهزة الإيقاف الكهربائي (السويجات) فأوقفوا البث ورأينا المؤشرات التي تدل على الارسال تتحرك وتميل إلى الصفر ، حصل ذلك في التاسعة وبضع دقائق. وحينها طلبنا إلى الفنيين إرشادنا إلى أستوديو الإذاعة الاحتياطي الخاص، فإنبرى أحدهم قائلاً بلهجة الصادق الواثق(يا استاذ لقد سُحب الاستوديو قبل اسبوع واحد إن معلوماتكم عن وجود استوديو – إذاعة مؤقتة ددقيق ، لكنه سُحب.

وقع حديثه علينا وقع الصاعقة ، فلو صح ما يقول فإنه سيعني إصابة الحركة بكاملها بمقتل، إذ أن بث البيان يُعد أهم جانب في العملية الثورية، وبمثابة إشارة لكل الطيارين أن يطيروا ويباشروا قصف وحماية مواقع محددة ومرسومة... واذا لم نذع البيان الأول فستكون العواقب وخيمة وسيؤدي الأمر إلى ارتباك خطير جداً... تملكني استعداد للقيام بأي شيء يمكن أن يؤدي إلى إنقاذ الموقف... إلا إن الملازم رياض توتر وسحب اقسام رشاشته مهدداً وحدث ما لم يكن في الحسبان إذ أنخرطت الرصاصات وبدلاً من أن تستقر في سبطانة رشاشته، انزلقت ساقطة على الأرض الواحدة تلو الأخرى... وهنا تطوع أحد الفنيين مخاطباً : استاذ ليس هناك من فائدة لتخويف الفنيين لأن الإستوديو قد سحب من قبل مجموعة من ضباط الانضباط العسكري قبل أسبوع واحد... مرت علينا هواجس ثقيلة وشريط رهيب من التوقعات قبل أن يواصل المهندس الفني حديثه ليفاجئنا بما يشبه البشارة التي تسبب الصدمة قائلاً: ليس هناك ستوديو ولكن بإمكانكم أن تذيعوا ما تريدون إذاعته دون أن تتوفر لكم الأمور الفنية للبث الموسيقى الاتوماتيكي ولا محسنات الأداء وذلك بربط ميكروفونا على البث مباشرة بحيث يمكنكم الكلام في هذا الميكروفون، أما الاناشيد أو الموسيقى فبإمكانكم استخدام جهاز التسجيل الذي بحوزتكم. وأضاف : لكن الوضوح لن يكون بالشكل الكامل المطلوب إلا أن الناس سيسمعون... وفعلا انطلق المهندس المذكور وجلب ميكروفونا وربطه في أرضية أحد الغرف وأتك كل شيء بسرعة فائقة واستعد حازم أمام اللاقطة، ووقفت عند الباب شاهراً مسدسي حماية له، ووقف رياض في القاعة لمراقبة

٣ ـ يبدأ البث الإذاعي بإذاعة البيان الأول، الذي هو إشارة للطيارين لبدء الحركة والهجوم بطائراتهم الحربية، القادمة من الحبانية[٢٠١]، على وزارة الدفاع والقاعدة الجوية في معسكر الرشيد جنوب بغداد؛

الفنيين الذين أمرتهم أن يبدأوا البث. وفوراً أنطلق صوت حازم بقراءة البيان..." المراجعات، ص. ٦٨، مصدر سابق.

وفي احدى المقابلات العديدة التي اجريتها مع الروائي والصحفي إبراهيم الحريري في نيسان من عام ٢٠٠٩، روى لي أن: "... هذا المهندس الخفر هو زهير سليم الجلبي، وكان من المتأثرين بوالده الشيوعي والذي انتمى إلى المجموعة المنشقة والتي اسمها (الشيوعيين العرب)، والتي يعتقد، كما هو شائع، أن لها صلة بالمكتب الثاني في المخابرات السورية. وقد حاول سليم الجلبي الإتصال ببعض الشيوعيين العراقيين بغية انضمامهم إلى هذه المجموعة، لكن باءت محاولاته بالفشل.

وقد سعت الصحفية Mary O conner ، الكندية ذات الأصول الأيرلندية، في محاولة توثيق انقلاب شباط ١٩٦٣ وتاريخ العراق المعاصر، لذا أقامت صلات مع المعارضة العراقية لنظام صدام حسين. والصحفية محررة في جريدة cbc ومقدمة برنامج Sunday Morning منذ آواخر التسعينات ولغاية ٢٠٠٣:

ولذا اتصلت بإبراهيم الحريري وأجرت معه عدة مقابلات حول الموضوع .. ومن ضمن من اتصلت بهم في لندن المهندس زهير سليم الجلبي، الذي أيد لها هذه الوقائع، لأنه لم يكن يتصور ويتوقع ما ستؤول إليه الأمور من عمليات إبادة وانقلاب في المقاييس وانه نادم على ذلك لأن ضميره يؤنبه دوماً ...".

٢٠١ - **وكما ذكرنا سابقاً فإن المرجح أن أول طائرة قصفت وزارة الدفاع/ مقر الزعيم قاسم وكذلك القاعدة الجوية في معسكر الرشيد وتدمير سرب الطائرات الحربية (الميغ ١٧) لمنعها من التحليق والتصدي إلى الانقلابيين، قد قدمت من خارج حدود العراق بغية تمهيد السبيل لطائراتهم من أكمال مهمتهم، وحتى لو فشل الانقلاب فإنهم بهذا التخريب سيضعفون من قدرته العسكرية.**

وأثناء إلقائي محاضرة في اتحاد الأدباء العراقيين عن الانقلاب وكانت بعنوان (العامل الدولي في انقلاب شباط ١٩٦٣) ، بتاريخ ٦ /٢٠٠٨/٢، عقب على المحاضرة العميد المتقاعد محمد الطائي بالقول : " لقد سرى اعتقاد سَوَقي بين العسكريين، يصل حد اليقين والحقيقة التاريخية، من أن الطائرة الأولى التي قصفت بغداد قد قدمت من الحدود الغربية وليس من قاعدة الحبانية، كما تثبت ذلك مصادر الانقلابيين.

٤ ـ يتحرك الضباط المؤيدون للانقلاب، والموالون من مختلف فصائل التيار القومي، للسيطرة على وحداتهم بعد سماع البيان الأول؛

٥ ـ يتواجد الضباط المتقاعدون وبملابسهم العسكرية في منطقة أبوغريب ويكونون مهيئين للتحرك بعد الاستيلاء على وحدات الدروع ولتولي قيادة الدبابات والاستيلاء على الوحدات العسكرية القريبة؛

٦ ـ تبدأ الدبابات والمشاة بالتحرك من أبو غريب نحو أهدافها المرسومة.

وقد أوصى خبراء الانقلابات العسكرية - وهذا مستنبط من دراسة الإمكانيات المتاحة ـ الانقلابين بضرورة لصق صورة عبد الكريم قاسم على الآليات والدبابات أثناء توجهها إلى أهدافها، بغية خداع الجماهير المناهضة لهم. وهذا ما تم فعلاً.

لقد انطلق الانقلاب عملياً من نقطتين مركزيتين هما:

الأولى: القوة الأرضيـــة:

ومركزها كتيبة الدبابات الرابعة في معسكر أبو غريب، والتي كان آمرها العقيد الركن خالد مكي الهاشمي[٢٠٢]. لقد كرست قوى الانقلاب جهدها لتعزيز تواجدهم في هذه

وقد أكد هذه الواقعة (الحقيقة) التي كانت مستترة في واقع الانقلابيين، أحد الضباط الأحرار وهو المقدم الركن قاسم الجنابي، الذي لعب دوراً كبيراً ومهماً في إنجاح ثورة ١٤ تموز وذلك عندما قام باعتقال قائد الفرقة الثالثة في حينها (غازي الداغستاني) ومن ثم السيطرة على الفرقة، مما سهل مرور اللواء التاسع عشر إلى بغداد وتفادى اجهاض الثورة. يقول الجنابي، مرافق الزعيم قاسم عن هذا الموضوع: "... والذي أود أن أؤكده هنا أن الطائرة الأولى التي أغارت على وزارة الدفاع لم تكن عراقية وهذه الطائرة هي التي دمرت مدرج الطائرات وعرقلت حركة سرب جاهز للطيران...". للمزيد راجع قاسم الجنابي، يروي تفاصيل اليوم الأخير من حياة الزعيم، جريدة ١٤ تموز العدد ٦٣ شباط ٢٠٠٨.

٢٠٢- ينتمي الهاشمي إلى عائلة أحد الضباط الشريفيين، والتي كانت من أنصار العهد الملكي والعصبويين طائفياً. وكان من أكثر الانقلابيين كرهاً للزعيم قاسم. وقد أفتضح أمر مساهمته في

الوحدة العسكرية الضاربة، وزيادة وزنهم العددي فيها مقارنةً بالضباط الآخرين. لقد اعتمدوا على هذه الكتيبة لعوامل عدة منها:

الاطاحة بالحكم بشكل سافر. حتى أن الحزب الشيوعي العراقي قد شخصه والكتيبة التي بإمرته بإعتبارها رأس الحربة في الانقلاب المزمع القيام به. ويشير جاسم العزاوي، في مذكراته، ص ٢٦٥ إلى أن الزعيم قاسم أشار إلى تورط الهاشمي بالانقلاب عندما ذكر: [في كلمته بمناسبة عيد السلامة في أوائل كانون أول ١٩٦٢، ذكر أن هناك بعض من الخونة والعملاء يريد القيام بمحاولة شريرة وأن لديه معلومات كافية، لكن يريد أن يلقي القبض عليهم بعد الشروع بالتنفيذ (!!!؟؟).وقال أيضاً أن أحدهم أخبرني، ويأتيك بالأخبار من لم تزود، وبعد أنتهاء الأحتفال طلب مني دعوة قادة الفرق وآمري الوحدات في بغداد لحضور أجتماع عاجل في وزارة الدفاع... حضر الاجتماع قائد الفرقة الرابعة المدرعة العميد عبد الجبار السعدي، وآمر اللواء المدرع السادس العقيد سعدون حسين وآمروا كتائب الدبابات مع بعض ضباط المقر. وخلال الاجتماع شرح عبد الكريم خطة العملية (المقصود بها انقلاب شباط - الناصري) التي تستند إلى قيام بعض الضباط الاستيلاء على كتيبة الدبابات الرابعة في أبو غريب وقال: ((أنا أعرفهم وسوف ألقي القبض عليهم))، ثم أنفعل وقال ((العمل كله مستند إلى كتيبة خالد))، وبدا يتكلم عن كتيبة خالد الهاشمي. كتبت له ورقة وقلت له فيها أن كتيبة دبابات خالد غير خالد الهاشمي، الذي لم يكن حاضراً في الاجتماع. فإلتفت إليَّ شزراً وقال أنت معليك...].

بعد هذا الاجتماع دعا الزعيم قاسم، خالد الهاشمي وحذره من تآمره، والذي بدوره [... أعترف للزعيم قاسم بوجود ثلاثة آلاف قطعة سلاح خفيفة من رشاشات ومسدسات وقنابل يدوية كانت الكتيبة تحتفظ بها وأعادها فوراً إلى مخازن وزارة الدفاع (ولم يكن قاسم يعلم بها) ووعده بإفراغ الدبابات من الماء والوقود] حسب قول طالب شبيب، مراجعات، ص ٥٠. من النص أعلاه، يتضح أن خطة الانقلاب كانت واضحة للزعيم والحزب الشيوعي، أما كتيبة دبابات خالد، فقد كانت تعسكر في منطقة قناة الجيش قرب المشتل، ولم تتحرك لإسناد الزعيم قاسم صباح يوم الانقلاب لأسباب قيل أنها فنية سنتطرق إليها لاحقاً. إن هذا الموقف وتلك السياسة لمعالجة الوضع يمثل قمة الطوباوية الثورية لدى قاسم وبالتحديد تتضح أحدى مسؤولياته في ضياع الثورة، لأنه لم يتخذ الإجراءات اللازمة ويعلن حالة التأهب والانذار لإفشال المخطط التآمري. لانه كان مخدرا بالتقارير التي ترفعها مديرية الامن العامة حول الوضع الهادئ بالعراق.

١ - كثرة الضباط المناوئين للسلطة من ذوي الاتجاه القومي والإسلامي وغيرهم، بخاصة وأن آمرها كان من الانقلابيين وعضواً في المكتب العسكري لحزب البعث العراقي؛

٢ - قربها من مرسلات البث الإذاعي في أبو غريب، والتي انطلقوا منها، في البدء، في إذاعة بياناتهم صباح يوم الانقلاب ومن ثم استولوا على محطة الإذاعة والتلفزيون المركزية في الصالحية من بعد، بتواطئ آمر وحدة الحراسة العسكرية وكذلك جاسم العزاوي المشرف العام عليها؛

٣ - الدور الفعال للدروع وبخاصة في حرب المدن مقارنةً بالأصناف العسكرية الأخرى؛

٤ - وجود إسناد لهم من بعض ضباط الكتائب الأخرى في معسكر أبو غريب؛

٥ - قربها من مدينة بغداد، وأمانة الطرق السالكة نحوها، حيث تمر آليات وقوى الانقلاب من خلال مناطق نفوذ التيار القومي في كل من المأمون ومن ثم مناطق الكرخ القريبة من جسر الشهداء وفي الجعيفر من الجهة المقابلة لوزارة الدفاع، حيث كان لهم وزناً كبيراً فيها؛

٦ - قرب كتيبة الدبابات الرابعة من مخازن العتاد العسكري المركزية في معسكر أبو غريب.

الثانية: القوة الجوية في الحبانية:

لقد سيطر ضباط القوة الجوية من المنتمين والمؤيدين للتيارين القومي والإسلامي، على قاعدة الحبانية من خلال آمرها بالوكالة عارف عبد الرزاق، عكس القاعدة الجوية في معسكر الرشيد حيث تركزت قوة الحزب الشيوعي والقاسميين فيها. لعب منذر الونداوي آمر السرب السادس وكالة وعضو المكتب العسكري لحزب البعث، الدور الأرأس في عملية الاستيلاء على المعسكر وإجبار الضباط الآخرين على تهيئة

مستلزمات الطيران الأساسية وفي تنفيذ الضربات الجوية الأولى للانقلاب. أما أسباب اختيار هذه القاعدة كنقطة انطلاق فيعود إلى العوامل التالية:

[١ - قرب القاعدة الجوية من بغداد، حيث لا تزيد المسافة برمتها عن ٨٠ كم ولا تستغرق سوى ثلاث دقائق للطيران إليها، مما يساعد الطيران على الانقضاض على أهدافه والعودة؛

٢ - كثرة العناصر المؤيدة للانقلاب؛

٣ - أن طائرات هذه القاعدة من نوع (هوكر هنتر) والتي يجيد قيادتها الونداوي[٢٠٣]]؛

٤ - في حالة فشل الانقلاب، فهناك إمكانية الاختفاء في الرمادي أو/و سهولة الهروب إلى دول الجوار العربي في سوريا والأردن، كما حدث بعد مؤامرة الشواف.

لقد تم استبعاد القواعد الجوية الأخرى من المساهمة في العملية الانقلابية لأسباب مختلفة: فبالنسبة إلى قاعدة معسكر الرشيد، فكما قلنا، أغلب ضباطها من العناصر المستقلة أو الشيوعية وعدم وجود ضباط مؤيدين لهم فيها، رغم أن هذه القاعدة يعسكر فيها أسراب من الطائرات العسكرية الحديثة؛ كذلك الأمر بالنسبة إلى القاعدة الجوية في كركوك، التي استبعدت من المساهمة في الانقلاب لبعدها عن بغداد ولكونها كانت تحت الإنذار الدائم بسبب المعارك في كردستان، رغم وجود عدد من الطيارين المؤيدين للانقلاب فيها، منهم آمر القاعدة حردان التكريتي. ومع هذا تم الاستعانة بها في عملية الإسناد بعد منتصف نهار يوم الانقلاب.

وبعد التبلغ بنجاح اغتيال جلال الأوقاتي، بدأت قوى الانقلاب بتنفيذ المخطط:

---

٢٠٣ ـ صالح حسين الجبوري، مصدر سابق، ص ١٣٩

الهجوم الجوي: انطلقت في الساعة التاسعة وخمسة دقائق من ذلك الصباح، ثلاث طائرات من القاعدة الجوية في الحبانية باتجاه بغداد، ومرت فوق كتيبة الدبابات الرابعة في أبو غريب، وكانت تعني إشارة البدء بالتحرك للقوات الأرضية في المعسكر للتوجه إلى أهدافها. انقضت أثنتان منها على وزارة الدفاع: الأولى كانت من نوع (هوكر هنتر) بقيادة الرئيس الطيار منذر الونداوي، والثانية من نوع (ميك ١٧) يقودها الملازم الأول الطيار فهد السعدون، والثالثة من ذات النوع بقيادة الملازم الأول الطيار واثق عبد الله رمضان، الذي كُلف بمهاجمة القاعدة الجوية في معسكر الرشيد وشل الحركة في القاعدة.. وبعد بدء الهجوم ذهب أحد الضباط البعثيين إلى العقيد الطيار عارف عبد الرزاق واستصحبه ليلتحق بالقاعدة الجوية في الحبانية باعتباره كان آمر جناح إدارة عمليات الطيران ووكيل آمر القاعدة، ولم يكن مبلغاً بساعة الصفر، لأنه من ضباط حركة القوميين العرب المنافسة للبعثيين في الاستيلاء على السلطة وعند قدومه تولى إدارة عمليات إغارة الطائرات على وزارة الدفاع والقاعدة الجوية في معسكر الرشيد حيث تم تدمير أغلب طائرات السرب التاسع (ميك ١٩). كما دُمر مدرج الإقلاع الذي لم يعد صالحاً للعمل.

عادت الطائرات تكرر الهجوم على الوزارة وتدكها بقنابلها وتهاجم بأسلحتها الرشاشة الوحدات المقاومة إلى ساعة متأخرة من مساء ذلك اليوم. وقد تم إسقاط طائرة فهد السعدون بقذيفة مدفع مقاوم من وزارة الدفاع، لكنه نجا من الموت وهبط بمظلته خارج مدينة بغداد. وازدادت الهجمات شراسة بعد إشراك أغلب طائرات السرب السادس الذي مقره في الحبانية، منذ النصف الثاني من النهار. كما أرسلت القاعدة الجوية في كركوك، والتي آمرها حردان التكريتي، خمس طائرات لتساهم في عمليات القصف الجوي. كما أرسلت طائرة شحن محملة بالصواريخ لدعم طائرات الانقلابيين. وبلغ مجموع الطلعات في ذلك اليوم في حدود ٤٤ طلعة جوية، قامت بها ١٨ طائرة، وألقت ٧٢ صاروخاً على أهدافها المرسومة ولم يمنعها من المواصلة سوى حلول الظلام.

أما هجوم الدبابات فقد قاده العقيد المتقاعد أحمد حسن البكر، بالتعاون مع العقيد المتقاعد طاهر يحيى التكريتي، وكان الاثنان قد وصلا إلى أبو غريب بسيارات مدنية

بمعية مجموعة من الضباط من أمثال العقيد المتقاعد رشيد مصلح التكريتي والرئيس المتقاعد أنور الحديثي والعقيد المتقاعد ذياب العلكاوي والعقيد المتقاعد سعيد صليبي الجميلي والعقيد المظلي المتقاعد عبد الكريم مصطفى نصرت[٢٠٤] والضابط محمد المهداوي والمقدم المتقاعد عبد الستار عبد اللطيف الحديثي والضابط المتقاعد علي عريم. وبعد استيلائهم على كتيبة الدبابات. حددت الأدوار ووزعت المواقع بالشكل التالي:

- تحتل دبابتان مرسلات الإذاعة مع المقدم المتقاعد عبد الستار عبد اللطيف وحازم جواد وطالب شبيب، وكان هذان يرتديان الزي العسكري برتبة ملازم؛
- تحتل دبابتان معسكر أبو غريب مع العقيد المتقاعد فاضل العساف؛
- ثلاث دبابات لاحتلال مبنى الإذاعة والتلفزيون في الصالحية بقيادة العقيد المتقاعد ذياب العلكاوي؛ -
- ثلاث دبابات لاحتلال معسكر الرشيد مع كل من طاهر يحيى ورشيد مصلح وأنور عبد القادر الحديثي؛
- سبع دبابات (بعضهم يقول ٥ دبابات) إلى وزارة الدفاع، بقيادة العقيد الركن المتقاعد عبد الكريم مصطفى نصرت.. وأثناء توجهها إلى هدفها انقسمت هذه القوة إلى مجموعتين: الأولى توجهت إلى الوزارة عبر شارع الرشيد، أما الثانية فتمركزت في الجهة المواجهة للوزارة عبر نهر دجلة في جانب الكرخ (الجعيفر)، وأخذت تقصف الوزارة من هناك.

---

٢٠٤ - "... يلف هذه الشخصية الكثير من الغموض، إذ سبق وأن أُحيل على التقاعد بالمرسوم رقم ١٩٢، المنشور في الوقائع العراقية رقم ١٨ في ٢٥/٨/ ١٩٥٨. ومن ثم تم تعينه في شركة نفط العراق البريطانية ، وكاد أن يختفي من الحياة السياسية العلنية، إلى أن ظهر في انقلاب شباط.. ولعب دورا مرسوماً له ومن ثم تم قتله على يد رفاقه في مجيئهم الثاني عام ١٩٦٨...". وأخذ معه الكثير من الأسرار وخاصةً ما يتعلق بدور شركات النفط في تأزيم الوضع الداخلي.

تعززت القوة المهاجمة ذات السبع عشرة دبابة، بعد الظهر، نتيجة وصول اللواء الآلي الثامن من الحبانية، حيث انضم إلى قوى الانقلاب ووزعت أفواجه على مناطق المواجهة في وزارة الدفاع والصالحية وشارع الكفاح والكاظمية.

أما بصدد القوى المدنية الأخرى المؤيدة للانقلاب والتي أطلق عليها اسم (فرق الإنذار)، والتي كانت بمثابة نواة للقوة القمعية المسلحة التي أطلق عليها لاحقاً اسم (الحرس القومي)، فقد انحصر تواجدها وتحركها في البدء في مناطق محدودة ومعينة من بغداد وهي حصراً: الأعظمية والمسبح في رصافة بغداد؛ الجعفير والمأمون في كرخ بغداد. ويلغ عدد أعضائها، كما تقول بعض المصادر البعثية في حدود ٨٠٠ عضو[٢٠٥]. والتي يمكن أن نطلق عليها اسم فرق الموت التي حدد أحد مهامها هاني الفكيكي بـ:

[اغتيال عبد الكريم قاسم ووصفي طاهر وجلال الأوقاتي وعبد الكريم الجدة وطه الشيخ أحمد...[٢٠٦] وغيرهم من الضباط. ويؤكد طالب شبيب ذات المهام عندما يقول: [كما تمكنا من إعادة الاتصال بلجان الإنذار في منطقة الأعظمية وبفرقتها الحزبية وكان مسؤولها بهاء شبيب وهي مكلفة بمهام خطيرة كاغتيال المهداوي والأوقاتي وسعيد مطر عند خروجهم من منازلهم...[٢٠٧]].

---

٢٠٥ - في اعتقادنا أن الرقم مبالغ' فيه، لأن فرق الانذار هم الاعضاء الحزبيون المبلغون بساعة الصفر دون غيرهم، إن رقم كهذا ليس من السهولة بمكان إخفاء أسراره التنظيمية، كما أن فرق الانذار تم اختيارها من العناصر الحزبية الصدامية فحسب وهذا ما أشار إليه إستطلاع مؤلف كتاب، الساعات الأخيرة، أحمد فوزي، مصدر سابق. علماً أن عدد أعضاء الحزب آنذاك كان أقل من هذا الرقم كما تذكر عديد من الدراسات. ومن الجدير بالذكر إن فرق الحرس القومي قد استلهمت من تجربة الديكتاتور الاسباني السابق فرانكو.. وقد درست التجربة وأُخذ بها بعد ملائمتها مع البيئة العراقية.. وتبقى سمة التجربتين الأراسية كامنة في اجتثاث قوة المعارضة اليسارية عامة والشيوعية خاصةً.

٢٠٦- هاني الفكيكي، أوكار، مصدر سابق، ص ٢١٤.

٢٠٧ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٥٥

كما أنيط بالبعض منها مهمة إغلاق منافذ وصول العسكريين المناوئين للانقلاب إلى الوحدات العسكرية المنتمين إليها وخاصةً في معسكري أبو غريب والرشيد. فبالنسبة إلى المعسكر الأول قامت مجموعة الإنذار في المأمون بجانب الكرخ والمتكونة من: [... قحطان السامرائي، وحمود العزاوي وجاسم قره علي وعصام الراوي وفائز ضياء وفرات الزهاوي وحاتم قدوري وأكرم العاني...[٢٠٨]]، بالسيطرة على الطريق العام الواصل بين المعسكر وساحة النسور، قرب جسر الخر، والفروع المؤدية إليه، وبعد أن استولوا على مركز شرطة المأمون الذي أصبح مقراً لهم وللحرس القومي لاحقاً، أخذوا يتحكمون بحركة الناس ووسائط النقل لتسهيل مرور المؤيدين لهم، بعد إعطاء كلمة السر، وكانت:

رمضان/ مبارك.

كما احتلت هذه الزمرة جامع المأمون لتذيع منه البيانات المناهضة لسلطة الزعيم قاسم. وكان من [واجبات هذه المجموعة إحتجاز الضباط الموالين للزعيم والحزب الشيوعي من الالتحاق بالوحدات العسكرية، كما كلفت مجموعتين منهم: إحداهما تقوم بتطويق دار سعيد مطر وكان أحد قياديي الحزب الشيوعي في منطقة المأمون ومنعه من الخروج من داره والمجموعة الأخرى تقوم بالسيطرة على القرية القريبة من ساحة النسور والتي كان معظم ساكنيها من الضباط العسكريين الموالين لحكومة عبد الكريم قاسم...[٢٠٩]].

كما كانت [...هناك مجموعة من تنظيمات الكرادة الشرقية في بغداد مارست دوراً كبيراً في السيطرة على الشوارع الفرعية المؤدية إلى معسكر الرشيد والسيطرة على أبواب المعسكر ومنع الدخول إلى داخله والخروج منها...] كذلك أنيطت بها مهمة اغتيال العقيد فاضل عباس المهداوي والساكن في منطقة المسبح ضمن مسؤولية قطاع الكرادة.

---

٢٠٨ - المصدر السابق، هامش ص ٥٦

٢٠٩ - صالح حسين الجبوري، مصدر سابق، ص ١٣٩.

كما [... تم تكليف ضابط الاحتياط بهاء شبيب المهندس المناوب في مصلحة الكهرباء، فتكلف بمتابعة ومسؤولية إدامة محطات الكهرباء، وعلى سبيل المثال تم تكليفه مع هاشم قدوري واثنين من رفاقهما من شعبة الكرادة (الشرقية) بواجب السيطرة على محطة كهرباء بغداد في معسكر الرشيد، وكانت مهمة بهاء تسهيل مهمة دخول رفاقه إلى المحطة للسيطرة عليها وعلى مركز الشرطة والاستيلاء على السلاح وتوزيعه على بعض عمال الكهرباء البعثيين والقوميين، ثم الانطلاق إلى دار الحاكم العسكري أحمد صالح العبدي لاعتقاله أو قتله، وتقع في منطقة المعسكر خلف محطة الكهرباء...[٢١٠]].

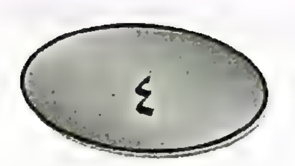
وأنيط بـ [مجموعة الأعظمية مساندة القوة العسكرية المهاجمة لوزارة الدفاع...[٢١١]] كما وأُنيطت بزمرة من هذه الأخيرة مهمة اغتيال المحامي توفيق منير الساكن [بدار هاشم عبد القادر، المملوكة لعزيز شريف، مقابل السفارة المصرية والمجاور لدار عز الدين الراوي (أخو عبد الهادي الراوي أحد قادة الانقلاب) وتمت العملية بعد أن أبلغ أحد عناصر الأمن بوجوده، فنزل عليه الحرس القومي من سطح الدار... ولم يكن يحمل سلاحاً، بل بادروه بالرمي بصليات كثيرة فتناثرت دماؤه في كل مكان...[٢١٢]]. كما أُنيطت بهذه المجموعة السيطرة على الجسور القريبة من تواجدها وهي جسري الصرافية والأئمة.



٢١٠ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، هامش ص ٧٧

٢١١ - المصدر السابق، ص ١٤٥ - ١٤٦

٢١٢ - المصدر السابق، هامش ص ٢٠٠



٣- تفكيك بيان الانقلاب الأول وتوجهاته:

من الناحية التاريخية فقد "... شهدت الأشهر ما بين شباط وتشرين الثاني (من عام ١٩٦٣ - الناصري) أكثر المشاهد رعباً من العنف الذي جرى في سنوات ما بعد الحرب العالمية الثانية في الشرق الأوسط كله. لقد اقترفت أفعال من العنف المنفلت والقسوة العابثة من قبل البعثيين وأعوانهم لدرجة لا يمكن للمطالبة بالثأر لأحداث الموصل وكركوك أن تبررها بأي شكل كان.بعد أن سيطر البعثيون على النقاط الاستراتيجية وبعد أن قتلوا قاسما هيؤوا أنفسهم للإبادة الجسدية لخصومهم، وتم إنجاز هذه المهمة بشكل كبير من خلال منظمتهم العسكرية- الحرس القومي..."[٢١٣].

يعتبر الانقلاب العسكري في ٨ شباط ١٩٦٣ بادرة خطيرة في تاريخية العنف المنفلت في العراق المعاصر، حيث مورست خلاله أنواع غير مألوفة من التعذيب وتفنن في إبادة الآلاف من الأشخاص بلغت في حدود ٥ آلاف شخص ابيدوا بوحشية بالغة تحت التعذيب، ناهيك عن أولئك الذين تم تصفيتهم الجسدية خارج أطر المؤسسة الرسمية المعنية بالأمن .. حتى برزت صيرورة الإبادة كظاهرة سياسية، اجتماعية تمارسها قوى العنف المنظم الرسمي وتساندها " مليشيا مسلحة يخضعون لقيادة حزب البعث وحده أطلق عليها أسم (الحرس القومي)، الذي أسس مكاتب تحقيقية

---

٢١٣ - ماريون فاروق وبيتر سوجليت، من الثورة إلى الدكتاتورية، ص. ١٢٥، مصدر سابق. كما شهدت سوريا بعد انقلاب البعث في شهر آذار من ذات العام ، اسوء حالات العنف السلطوي والذي اقترن وقنن بالمراسيم والقرارات المركزية لسلطة الانقلاب.

في عموم البلد ..مارست فعل الإرهاب المادي والمعنوي بكل قسوة وخساسة أخلاقية قل نظيرها في تاريخ العراق المعاصر.

هذا العنف المنفلت وبتلك السعة لم تمارسه الدولة العراقية المعاصرة إلا بعد الانقلاب الأنكلو/ أمريكي التخطيط والبعثي /القومي التنفيذ، كأنه إيذاناً بدخول العنف في مرحلة نوعية جديدة لم تكن التكوينات الاجتماعية العراقية قد عرفته بهذا الشكل سابقاً.. ويبدو انه مَثَلَ حجر الأساس للعنف المنفلت بعد سقوط الجمهورية الثانية (٩ شباط ١٩٦٣- ٩ نيسان ٢٠٠٣)، كما أن هذا العنف المنفلت كان بمثابة، إلى حدٍ بعيد، تعبيراً عن أنماط ثقافية/سيسيولوجية مضادة ومتناقضة لتلك التي تستمد مقومات وجودها من البعد المستقبلي المنطلق من روح العصر .. وبين ثقافات تحاول أن تتماثل مع الماضي رغم اختلاف الظروف ..أنه المعادل الثقافي بين المتحضر والمتريف "... **فإذا كان العنف هو مقابل التاريخ ومعادله، فإن الثقافة هي المعادل الثاني، وعليه فإن العنف الذي لا يوجد بذاته، إنما يشتبك بالتاريخ والثقافة ويوجد فيهما**[٢١٤] **...** ". خاصة في مجتمع تسوده علاقات ما قبل الرأسمالية، تتميز بحضورها المكثف العلاقات القرابية، التي لا تعني فقط برابطة الدم والنسب، بل هي علاقات انتاج وسلطة ذو منتجات فكرية وروابط زبائنية تحدد ماهية الموقف بين الجماعة والمجتمع من جهة وعلاقة بالفرد بالجماعة.. وما ينتج عن كل ذلك من توترات في الحقول الحياتية.

وهكذا عكس هذا العنف المنفلت والمخطط له من قبل مخططي الانقلاب الأجنبي ومنفذيه المحليين، هذه القيم الثقافية ذات السمات البدوية وتلك النظرات الاجتماعية التي اقل ما يقال عنها، إنها متدنية من الناحية الأخلاقية، والمتخلفة عن البعد الحضاري بمعنى آخر، أنه الصراع بين ذلك البعد الحضاري الذي فتحت ثورة تموز أبواب آفاقه وبين تلك المحاولات التي حاولت إغلاقها ..صراع الحضارة مع التخلف ..الحركة مع السكون.

---

٢١٤ - عباس بيضون، في تقديمه الى كتاب في الاحوال والاهوال، ص. ٧، مصدر سابق.

وفي الوقت نفسه تجلى العنف المعنوي المنفلت، في الفوضى التي سادت في آلية الحكم وفي إدارته فكانت هي بحق القفز (بالسلطة إلى المجهول).. مما ادى بحكومة الانقلاب إلى التيه و(الضياع في الحكم)، حسب قول علي صالح السعدي[٢١٥].

سنحاول هنا مناقشة بعض من تجليات هذا الانقلاب ولنبتدء ببيانه الأول .. لنقول: أُذيع، في حدود التاسعة واثنين وعشرين دقيقة من صباح الثامن من شباط، من قبل حازم جواد عضو القيادة القطرية آنذاك، والذي ساهم في كتابة نصه بالاشتراك مع عضوي القيادة القطرية كريم شنتاف وفيصل حبيب الخيزران[٢١٦]. وهذا نصه:

"البيان رقم واحد الصادر من المجلس الوطني لقيادة الثورة"

بسم الله الرحمن الرحيم

أيها الشعب العراقي الكريم..

---

٢١٥ - ملاحظات الرفيق علي صالح السعدي أمام المؤتمر القطري السوري الاستثنائي، سوريا شباط ١٩٦٤، مستل من دكتوره علياء محمد حسين الزبيدي، العهد العارفي في العراق ١٩٦٣-١٩٦٨، ص. ٢٤، دار ومكتبة عدنان، بغداد ٢٠١٣.

٢١٦ - يقول طالب شبيب: [أن نص البيان الأول الذي كُتب في البداية على صورة معينة، ثم عُدل من قبل فيصل حبيب الخيزران عندما كان عضواً في القيادة القطرية] لكن لم يوضح شبيب من هو الذي دوّن البيان بالتحديد. في حين ادعى فيصل حبيب الخيزران أنه هو الذي كتب البيان الأول، حيث يقول في حيثيات ذلك: [والشيء الثاني أن نعد البيان رقم واحد وبالنسبة للبيان قلت لهم أنه لابد أن نضع الخطوط العامة ونكلف شخصاً بصياغته أي التوجه العام، بمعنى ماذا نريد أن نقول فيه وبعدها صياغة يكلف شخص أو اثنان بوضعها ثم تقر القيادة البيان وتحدثنا حول مضمون البيان ضمن خطنا السياسي وكلفت أنا بكتابة البيان وفعلاً أنجزت أعداد البيان. ويقول في تعليقه: **أن البيان الأول أعطى الانطباع بأن صفحة الدم تم فتحها...**] راجع جريدة الزمان، مصدر سابق، العدد ٩٨٣ في ٢٠٠١/٠٨/٠١

لقد تم بعون الله القضاء على حكم عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة التى سخرت موارد البلاد لتطمين شهواتها وتأمين مصالحها.. فصادرت الحريات، وداست الكرامات، وخانت الأمانة، وعطلت القوانين، واضطهدت المواطنين.

أبناء الشعب الكرام

قامت ثورة ١٤ تموز لتحرير وطننا من الأوضاع الاستعمارية المتمثلة بالحكم الملكى وسيطرة الإقطاع وسياسة التبعية، ولتحقيق أوضاع ديمقراطية ينعم فيها الشعب بحياة كريمة، ولكن عدو الله وعدوكم المجرم الخداع استغل منصبه واندفع بكل الوسائل الدنيئة والأساليب الإجرامية لإقامة حكمه الأسود الذى أفقر البلاد وصدع الوحدة الوطنية وعزل العراق عن ركب العروبة المتحررة وطعن أمانى شعبنا القومية.

أيها المواطنون:

إن حرصنا على سلامة ووحدة شعبنا ومستقبل أجيالنا وإيماننا بأهداف ثورة تموز العظيمة قد حملّنا مسؤلية القضاء على الطغمة الفاسدة التى تسلطت على ثورة الشعب والجيش فأوقفت مسيرتها، وعطلت أنطلاقتها، وقد تم ذلك بمؤازرة كافة القوات المسلحة الوطنية وتأييد جماهير الشعب.

أبناء الشعب الكرام:

إن هذه الانتفاضة التى قام بها الشعب والجيش من أجل مواصلة المسيرة الظافرة لثورة ١٤ تموز المجيدة لابد لها من إنجاز هدفين:

الأول: تحقيق الوحدة الوطنية.

الثاني: تحقيق المشاركة الجماهيرية في توجيه الحكم وإرادته.

ولابد لإنجاز هذين الهدفين الاثنين من إطلاق الحريات وتعزيز مبدأ سيادة القانون، إن قيادة الثورة المتمثلة بالمجلس الوطنى لقيادة الثورة إذ تؤمن بهذا وتعمل على تحقيقه، تؤمن كذلك بما يزخر فيه هذا الشعب من روح وطنية وثابة وما يتحلى به من عزم ثوري، وما يتصف به من وعى عميق، لذا فنحن نأمل أن يترفع المواطنون في هذا اليوم المبارك عن الضغانة والأحقاد، وأن يعملوا جميعاً على ترسيخ وحدتهم الوطنية وتقوية التضامن والتفافهم حول أهداف ثورة ١٤ تموز المجيدة وأن لا يدعوا منفذاً لعميل أو مفسد أو مأجور يسعى إلى التفرقة.

أيها المواطنون:

إن المجلس الوطنى لقيادة الثورة يعمل على إقامة حكومة وطنية من المخلصين من أبناء الشعب، ومن المخلصين من أبناء هذا الوطن.

وستكون سياسة حكومة الثورة وفقاً لأهداف ثورة تموز المجيدة، لذا فإن الحكومة ستعمل على إطلاق الحريات الديمقراطية وتعزيز مبدأ سيادة القانون وتحقيق وحدة الشعب الوطنية بما يتطلب لها من تعزيز الأخوة العربية الكردية، وبما يضمن مصالحها القومية ويقوي نضالها المشترك ضد الاستعمار واحترام حقوق الأقليات وتمكنها من المساهمة في الحياة الوطنية.

كما أنها تتمسك بمبدأ الأمم المتحدة والالتزام بالعهود والمواثيق الدولية والمساهمة في تدعيم السلام العالمى ومكافحة الاستعمار بانتهاج سياسة عدم الانحياز والالتزام بمقررات مؤتمر باندونغ وتشجيع الحركات الوطنية المعادية للاستعمار وتأييدها. كما أن قيادة الثورة تعاهد الشعب على العمل نحو استكمال الوحدة العربية وتحقيق وحدة الكفاح العربى ضد الاستعمار والأوضاع الاستعمارية في الوطن العربى، والعمل على استرجاع فلسطين المحتلة، وسنحافظ على المكتسبات التقدمية للجماهير وفي مقدمتها قانون الإصلاح الزراعي وتطويره لمصلحة الشعب وإقامة

اقتصاد وطني يهدف إلى تصنيع البلد وزيادة إمكانياته المادية والثقافية. كما سيؤمن تدفق البترول إلى الخارج.

أيها الشعب الكريم:

إننا نعاهد الله ونعاهدكم أن نكون مخلصين لجمهوريتنا، أمينين على مبادئها، مضحين في سبيلها، وكلنا أمل وثقة بأن أبناء شعبنا الكرام سيكونون وحدة متراصة للمحافظة على هذه المبادئ والسير قدماً في طريق التقدم والرقي. والله ولي التوفيق.

كتب ببغداد في ١٤ رمضان ١٣٨٢ هجرية الموافق ٨ شباط ١٩٦٣ ميلادية"

إذا أمعنا النظر في البيان وحللنا مضامينه السياسية والفكرية، على ضوء الواقع الموضوعي الذي ساد العراق بعد نجاح ثورة ١٤ تموز وتحقق الكثير من المنجزات التي نقلت البلد إلى مرحلة نوعية جديدة، فيمكننا القول:

١ - ابتدأ البيان بالبسملة وأكثَرَ من العبارات ذات الطابع الديني، كمحاولة منهم في كسب واستنهاض أكبر عدد ممكن من الناس البسطاء لتأييد الانقلاب، من خلال مخاطبة الوازع الديني المناقض - كما هو مفترض - للغة الخطاب السياسي لحزب البعث العراقي، الذي كانت لغته، حسب تعبير الفكيكي: [ذا لثغة علمانية ورنين قومي ولم تلجأ أدبيات الحزب وبياناته في حملتها التعبوية والدعاوية ضد قاسم والشيوعيين إلى استخدام مثل هذه التعابير - فضلاً عن حرص الحزب وهو في أوج صراعه معهم على تجنب الاستعانة بالدين والإيمان لإبراز هويته القومية وبشيء من الاستحياء هويته العلمانية...٢١٧].

ومن نافلة القول، أن السلوكية العامة للانقلاب وعناصره مناهضة في جوهرها للمضمون الديني. وعلى سبيل المثال يذكر عبد الغني الراوي أحد ضباط التيار

٢١٧- هاني الفكيكي، أوكار، مصدر سابق، ص ٢٦٧.

الإسلامي المساند للانقلاب، في مذكراته أن [عبد الكريم مصطفى نصرت، بعد الانتصار على الشيوعيين في ١٤ رمضان، خرج سكراناً يتطوح قرب الانضباط العسكري بوزارة الدفاع، ويضرب بالمسدس ويقول: الله كان في إجازة يوم ١٤ رمضان...[٢١٨]].

٢ - إن الانقلاب من خلال بيانه الأول، رسخ أكثر فأكثر، تطبيق الشرعة الانقلابية العسكرية، ضمن، ما كانت تستهدفه، مواصلة احتكار السلطة بيد الأقلية التي ناهضت رغبة الحكم في إرساء الشرعة الانتخابية التي كان من المؤمل نشر قوانينها في آذار ١٩٦٣ والشروع في تطبيقها في تموز ذلك العام، حسب وعد الزعيم قاسم، وما تم إنجازه من مشاريع القوانين الخاصة بها التي نشرتها صحف تلك الفترة. كما أن أغلب المشاركين من الضباط هم من الضباط المغامرين وممن ارادوا استمرار حصر الحكم بالمؤسسة العسكرية.. حيث نظروا إلى انفسهم نظرة متضخمة وأنوية وتصوروا أن لديهم مشروعا تنموياً للحكم.

لكنهم تناكبوا مع حركة القوميين العرب وقوى الماضي السلفي وبعض التجمعات والاحزاب الإسلامية (كجماعة الخالصي والأخوان المسلمين وحزب التحرير وحزب الدعوة الاسلامية وبعض المتنفذين في المرجعية الدينية في النجف المساندين لحزب الدعوة الاسلامية) باستخدام مؤسسات العنف المنظم لقطع الطريق على هذه الشرعة، وسارعوا في انقلابهم، لأنهم يدركون ضيق قاعدتهم الاجتماعية المؤيدة، وفي أحسن الأحوال عدم إمكانية انفرادهم بالسلطة واحتكارهم إياها لو جاؤوا من

٢١٨- راجع جريدة الزمان في العدد المؤرخ بتاريخ ٠٩/ ٠٤/ ١٩٩٩ ، لندن. ويمكن أن نضع هذا التصور في الاختلاف الجذري الذي كمن في علاقات الإسلاميون (على مختلف مذاهبهم) مع البعثيين بعد ٨ شباط ، إذ أن الذي كان يوحدهم هو العداء للزعيم قاسم وللقوى اليسارية . والأكثر من ذلك عادة سلطة الانقلاب إلى ذات سياسة العهد الملكي المتمثلة ب (تمذهب السلطة) وهذا ما أشار إليه هاني الفكيكي في أوكار هزيمته وطالب شبيب في مراجعاته لحوار الدم، وكذلك حسن العلوي في كتابه : التأثيرات التركية في المشروع القومي العربي ، دار الزوراء لندن ١٩٨٨.

خلال صناديق الاقتراع. هذا الموقف مستنبط من نظرة البعث الفلسفية، حيث يقول ميشيل عفلق بهذا الصدد في كتابه (في سبيل البعث):

[... عقيدة البعث لا يمكن الوصول إليها بالعقل ولكن بالإيمان وحده. أن القدر الذي حملنا رسالة البعث وأعطانا الحق في أن نأمر بقوة ونتصرف بقسوة، أن البعث هو الطليعة وعلى الجماهير أن تمشي وراءه. الانقلابيون صورة سباقة لمجموع الأمة: إننا نعرف بأن هذه الفئة القليلة من الانقلابيين الذين تضمهم حركة البعث العربي، هم قلة في البدء، ولكن صفتهم القومية الصادقة تجعلهم صورة مصغرة وسباقة لمجموع الأمة؛ نحن نمثل مجموع الأمة الذي لا يزال غافياً، منكرا لحقيقته، ناسياً لهويته، غير مطلع على حاجاته، نحن سبقناه، فنحن نمثله... **فالانقلاب إذن طريق، طريق إلى الغاية المنشودة، إلى المجتمع السليم الذي ننشده، ولكنه ليس طريقاً من الطرق، إنما هو الطريق الوحيد...** [٢١٩]].

٣ ـ لم يخرج البيان في مساره الفكري عن كتابات التيار القومي عامةً والبعثي خاصةً، والتي اتسمت بالجفاف والخواء الروحي والفراغ الفكري، والمتخم بالعموميات

---

٢١٩ - مستل من مطيع نونو، دولة البعث، مصدر سابق، ص ١١٤. ومن الجدير بالذكر أن هذا العنف الدموي كان ملازما لانقلابهم الآخر ووسمه بمضامينه في سوريا في٨ آذار ١٩٦٣، حيث ،استطاع البعث "... وحافظ الأسد وزملاؤه في اللجنة العسكرية أن يقضوا على كل مقاومة منظمة لحكمهم الذي كانوا يمارسونه من وراء الستار. ومنذ اللحظة الأولى تقريباً، أي في غضون أربعة أشهر حافلة ودموية بدءاً من آذار ١٩٦٣، وكان عليهم أن يحكموا بالقوة وليس بالموافقة، ربما لأنهم كانوا مجموعة عسكرية منشقة من حزب شبه ميت، بدون قاعدة شعبية. ولقد أثرت تجربة تلك الأيام المبكرة في مواقفهم طيلة عدة سنوات لاحقة وحتى نما الحزب وأصبح قوياً وكبيراً بأنه لم يتخلص نفسه من عادات الحذر والقمع..."باتريك سيل ، الاسد - الصراع على الشرق الأوسط ط١٠، ٢٠٠٧ عن شركة المطبوعات للنشر والتوزيع -بيروت ص١٤٢.

واللجنة العسكرية ضمت كلاً من صلاح جديد، وعبدالكريم الجندي، ومحمد عمران، وحافظ الأسد، وأحمد المير، وهذه الخلية الحزبية كانت قد تشكلت بسرية أثناء فترة الوحدة، عندما تم اقرار حل الأحزاب في سورية، ولكن هؤلاء رفضوا الفكرة.

ذات الطابع الرومانسي وشعارات المدرسية والطوباوية، التي لا تمت بصلة للواقع المادي للمجتمع العراقي ولا منطلقه من الإيمانية المجردة والمطلقة. لقد ابتعد البيان عن كونه حصيلة التفكير المنظم والواعي لإشكاليات الحياة الاقتصادية والسياسية القائمة آنذاك. لذا جاء هزيلاً من الناحية الفكرية ومتسربلاً بالألفاظ القمعية القاسية.

كما كان البيان [... **يحمل سمة الاهتمام غير الكافي به وبإنشاء تكراري وفضفاض... إذ كان يقطر بتعابير المتعصبين للعراق وليس بتعابير واضعيه العروبيين وهذا ما كان يهدف بوضوح ليس فقط لاسترضاء الأكراد، الذين كان زعماؤهم قد استميلوا مسبقاً إلى جانب الانقلاب، بل أيضاً إلى تحييد عناصر الجيش التي، وإن لم تكن قاسمية، كانت تشكل جزءاً من الاتجاه القطري المحلي...** [٢٢٠]].

٤ ـ لم يطلق البيان على الانقلاب اسم ثورة، بل انتفاضة، كما أنه لم يكشف الهوية الحزبية الضيقة للانقلاب، لأنهم مدركين أن هنالك قطاعاً عريضاً من الفئات الاجتماعية سيناهضهم، لذلك أخذ البيان يكرر اسم ١٤ تموز أكثر من خمس مرات. وحتى المذيعين كانوا يذيعون في بعض الأحيان عبارة (هنا إذاعة ١٤ تموز). هذا التكرار أُريد له أن يكون مفتاح الدخول إلى أكثر الطبقات والفئات

---

٢٢٠ - حنا بطاطو، مصدر سابق، ص ٢٩٠، الجزء الثالث. ومن الملاحظ إن لغة البيان والخطاب السياسي للانقلاب كانت تتحفظ في البدء على ذكر أسم البعث إذ ركز الانقلابيين على استخدام مفردات قومية بغية جمع الكتل القومية لتأيد الانقلاب. لكنهم لم يستمروا على هذا النهج بعد مقتل الزعيم قاسم حيث أفصحوا عن ذاتهم الضيقة. هذه النصيحة قدمها الخبراء الأجانب الذين خططوا إلى الانقلاب إذ "**... كان التفاهم قد جرى أن يكون الإعلان عن الانقلاب قومياً، لكن ليس بالضرورة أن توافق بريطانيا على أن ينفرد القوميون الناصريون لقيادة الانقلاب وحدهم فقط. فقد نقل عما أفادت به وثائق دبلوماسية بريطانية بأن أهم اتصال أجرته السفارة البريطانية ببغداد مع البكر وعماش في الرابع والعشرين من كانون الثاني ١٩٦٣ أبلغهما فيه، أن بعض الكتل القومية وبالاتفاق مع حركة القوميين العرب سوف ينفذون عملية الإطاحة بالنظام في الأسبوع الأخير من شباط ١٩٦٣...**" د. طارق مجيد العقيلي، بريطانيا ولعبة السلطة، ص. ٨١، مصدر سابق.

الاجتماعية سعةً والتي كانت ثورة تموز أمل تحقيق حلمها اليومي في الحياة الكريمة. وكان الانقلابيين يطمحون، إذا لم يكن كسبها، فعلى الأقل تحييدها وعدم مشاركتها في مقاومة الانقلاب.

٥ ـ أعلن البيان كذباً، عن مقتل الزعيم قاسم، واصفاً إياه بلغة غير سياسية ولا أخلاقية ومتسربلة بالعدائية والثأرية ذات منحى سوقي كالقول: **عدو الشعب، عدو الله، عدوكم المجرم، الخداع، الحكم الأسود، الزمرة المستهترة، العميل، المفسد والمأجور**...الخ من مفردات قاموس الشتائم. كما كررها المذيعون أثناء قراءتهم للأخبار والأوامر العسكرية. هذه المفردات كانت امتداداً للخطاب السياسي الذي وسم البيانات الحزبية على مختلف اتجاهاتها ونسبية استخدامها.. وتعبرهذه الشتائم في الوقت نفسه عن معرفة الانقلابيين بموقع الزعيم قاسم لدى الجمهرة الشعبية الواسعة والتي ظلت [... منذ رحيل قاسم ولحد اللحظة الراهنة حذرة من تأييد كل الحكومات التالية. وظلت ذاكرة عهد عبد الكريم قاسم مثيرة للاهتمام أكثر من غيرها وطيبة في أذهان الكثيرين. بل إن قاسم ظل يضيق على كل الحكام اللاحقين بسبب إدمان الشعب على مقارنتهم به...[٢٢١]] كما شخص هذه الحالة العديد من الباحثين. ولهذا السبب بدأ البيان الأول بالنيل من مكانة الزعيم قاسم، وحرض عليه عله ينال منه. إن لغة البيان وأسلوبه فيها تشابه كبير جداً مع البيان الأول لمؤامرة الشواف فيما يخص مفردات الشتائم والخواء الفكري والإنشاء المدرسي وهذه سمة الانقلابات اليمينية في العالم الثالث.

٦ ـ اختفى من البيان شعار (**الوحدة الفورية**) الذي سبق أن رفعه الانقلابيين طيلة المرحلة القاسمية النيرة، ليحل محله عبارات لم تكن في موضع الصدارة، لا في البيان ولا في السياسة العملية للحكم، ووردت العبارة في سياق شعارات عمومية مجردة من إمكانية التحقيق المادي، أوردها البيان بالشكل التالي: [كما أن قيادة الثورة تعاهد الشعب على العمل نحو استكمال الوحدة العربية وتحقيق وحدة

---

٢٢١ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، هامش ص ١٠٣

الكفاح العربي...]. إن هذا التعبير قد قزم الشعارات الكبرى التي رُفعتْ سابقاً، باعتبارها من أساسياتها المستهدفة، مما يوضح عدم الجدية في تحقيق شعارهم الأساسي، وهم الذين حاربوا بها، ولا يزالون المرحلة التموزية/القاسمية من خلال كتاباتهم التاريخية.

لقد توسدوا سدة الحكم ما يقارب من أربعين عاماً، وبالضد المتناقض من هذه الشعارات الوحدوية، عمل التيار القومي، الحاكم في العراق بكل فصائله المختلفة، منذ إسقاطهم لنظام تموز ولحد الآن، على ذبح هذا الهدف النبيل أكثر من أي تيار سياسي آخر. حتى أصبحوا أكثر إقليمية وقطرية، وانتموا عملياً حتى إلى الولاءات الدنيا، من عشائرية وأسرية ورابطة الدم، رغم رنين شعارهم القومي المؤدلج بكثافة.

"... ومن مفارقات القدر أن القوميين والبعثيين الذين هيمنوا على السطة في العراق بعد ذلك طيلة عقود لم يفعلوا أي شيء من أجل الوحدة العربية، بل ربما أثبتوا في الواقع الفعلي وليس في الشعارات والنوايا هم الأكثر عداءً للوحدة العربية من كل الآخرين...[٢٢٢]".

بل والاكثر من ذلك أنهم عملوا على تهديم وحدة ١٩٥٨، إذ إن "...حزب البعث واقطابه اكرم الحورانى وصلاح الدين البيطار وميشيل عفلق الذى اختار بيروت بدلا من دمشق ويصدر تعليماته من هناك بصورة سرية، وقد كشف عن حقيقة كان يخفيها عندما صرح الى الصحيفة التى تصدر فى لبنان بعد اشهر من قيام وحدة مصر وسوريا **حيث صرح اعلاميا قائلا: ان الوحدة جريمة الحزب الاولى ومن واجب الحزب التكفير عن جريمته بفصلها.!**

وقد ثبت هذا الرأى صلاح الدين البيطار الذى منحه الانفصال الموافقة على اصدار جريدة البعث وكان يساعده بعض وزراء الوحدة السوريون وكذلك مسؤول البعثيين

---

٢٢٢ - فاضل العزاوي، الروح الحية، ص. ٧٢، مصدر سابق.

في جامعة دمشق حسن الخير بمقالاته في الجريدة وهو ينتقد الوحدة..."[٢٢٣]. (التوكيد منا —الناصري)

في الوقت نفسه ادعى حزب البعث العراقي لفترة طويلة، أنه حزب وحدوي عربي، لكن هذا الادعاء لم يخرج إلى الواقع العملي، حتى قبل انفصال سوريا عن الجمهورية العربية المتحدة في أيلول ١٩٦١. وكانت القيادة القومية مسؤولة نظرياً عن رسم السياسات لكل القيادات القطرية. لكن دللت التجربة التاريخية للحزب، أن سيطرة قيادته القومية على القيادات القطرية كانت ضعيفة وفي بعض الأحيان معدومة تماماً. إذ كانت تنتابها الصراعات والانقسامات مما هيأ الظرف الموضوعي للقيادات القطرية على الدوام لانتهاج سياسات قطرية تراعي المصالح المحلية، لدرجة أنها غرقت في هذه المحلية وتناست المصالح القومية الاستراتيجية. ولنا من سياسات البعث العراقي خير دليل.[٢٢٤]

إن هذا الموقف العملي لمضمون البيان، يدلل في الوقت نفسه، بالنسبة للساحة العراقية، على عمق قناعتهم الضمنية بأن أغلبية مكونات المجتمع العراقي غير طامحة **إلى الوحدة الفورية**، لذا لم يريدوا استفزاز مشاعرها الوطنية. وما يؤيد استنتاجنا هذا ما صرح به طالب شبيب وزير خارجية الانقلاب، عندما أشار إلى محادثاتهم مع الرئيس عبد الناصر بالقول: [...**أوضحنا لمضيفنا أن ظروف العراق تتطلب التعددية**

---

٢٢٣ - مستل من مقال ياسين الحسيني، ٢٨ أيلول .. يوم العار، جريدة المشرق في ٢٠١٣/١٠/١.

٢٢٤ - ويقيم الاديب والوزير السابق مصطفى علي في مخطوط مذكراته عن انقلاب شباط إلى ذات الموضوع بالقول: "... كان لدى هؤلاء الانقلابيين قضيتان مهمتان، إحداهما داخلية (القضية الكردية - الناصري) والثانية خارجية، نذروا انفسهم لحلّهما وتسويتهما. أما الخارجية فقد زعموا أنهم وفقوا لحلها بإقامة الوحدة الاتحادية الثلاثية بين العراق وسوريا ومصر، ثم سلكوا فيها سلوكاً غير مستقيم ولا سوي فاستعرت نيران الخلاف بينهم وبين سورية من جهة وبين مصر من جهة أخرى. ذلك لأن حزب البعث هو القابض على أزمة الحكم في سورية والعراق؛ ولابد أن يسود الاتفاق بين من يحكمون هذين القطرين. إذن فقد خسروا القضية الخارجية وما استطاعوا لها حلاً...". مخطوطة ، يوميات وخواطر وزير معتقل، قدم لها الكاتب عبد الحميد الرشودي. أنا مدين ثقافيا الى الصحفي المبدع علي حسين نائب رئيس تحرير المدى، على توفير هذه المذكرات.

السياسية الحزبية و أشياء وترتيبات وجهود كثيرة ووقتاً طويلاً... وحينذاك أدركنا بسرعة قياسية الفرق الكبير بين الشعارات التي كنا نرفعها وبين تنفيذها عملياً على أرض الواقع..."[225]]. بمعنى أنهم كانوا متخلفين عن الواقع العملي ومتطلباته وعن مدى واقعية موقف الزعيم قاسم من هذا الموضوع.

من هنا نصل إلى أن الوحدة لدى التيار القومي [قد استخدمت كأداة في خدمة الاستحواذ على المناصب وكراسي لا تعادلها أهمية وقدسية... أثقلوا كاهل الوحدة بشروط إضافية إمعاناً في الشيزوفرينيا السياسية التي سادت تلك المرحلة. ووصل بعضهم إلى تقسيم العراق الواحد إلى جهات، والجهات إلى قبائل، والقبائل إلى بيوت، وبيت واحد من تلك البيوت، يسيطر على البلاد بكاملها ويلونها بلونه..."[226]].

٧ - حدد البيان لنفسه هدفين أرأسين هما:

- تحقيق الوحدة الوطنية؛
- مشاركة الجماهير في توجيه وإدارة الحكم.

لكن من خلال استقراء الواقع الأجتصادي/السياسي الذي أعقب الانقلاب، فإن هذين الهدفين: ارتدا إلى الوراء بمسافة زمنية وفكرية شاسعتين؛ وانكفئا على نفسيهما وتعرقلت صيرورة الوحدة الوطنية التي منحتها ثورة تموز زخماً قوياً؛ وعادة الطائفية السياسية، والحق العرفي والعرقي في الحكم وفي سلم الافضليات الاجتماعية؛ وأُعيد الاعتبار للانتماءات الولائية المؤسسة على رابطة الدم (العشائرية والأسرية) والانتماء الجهوى، إلى صدارة السياسة الداخلية بكل أبعاد تحققها. "... لقد كان من المفروض بهؤلاء الضباط وهذه القوى، إن كان لديها الحد الأدنى من

---

٢٢٥ ـ د. علي كريم سعيد، مراجعات، ص ٢٠٧، مصدر سابق، لكن لا شبيب ولا كل التيار القومي نظروا ذات النظرة نحو موقف نظام تموز/ قاسم من الموضوع.

٢٢٦ - المصدر سابق، هامش ص ٢٠٨.

الحرص على البلاد ومستقبلها أن تسعى إلى تعزيز الجبهة الداخلية وتعمل على إشاعة الاستقرار والعمل على إطلاق الحريات الديمقراطية للشعب ... "[٢٢٧] .

والدليل على فشل سلطة الانقلاب في تحقيق الوحدة الوطنية وتهديم الجبهة الداخلية .. هو التقرير السياسي الذي أقرته اللجنة السياسية في المؤتمر القطري المنعقد في ايلول ١٩٦٣ ؛ حيث حدد ماهية القوى الطبقية المعادية و موقف الحزب منها، والتي كما جاء في التقرير، هي:

"... أولاً: الفئات المعادية:

أ. القوميين العرب ؛

ب. العربي الاشتراكي ؛

ت. الرابطة القومية ؛

ث. الوحدويون الاشتراكيون ؛

ج. الاخوان المسلمون وجبهة التحرير الاسلامي وما شابهها.

إن هذه التجمعات- ما عدا حركة القوميين العرب – تجمعات هزيلة ينحصر نفوذها المحدد في مناطق معينة من القطر وتتخذ اسماء مختلفة. وهؤلاء يمكنتصفيتهم عن طريق عزلهم جماهيرياً وفضحهم كأشخاص ومعاقبتهم كأفراد لا كتكتلات سياسية...وتعبئة الجماهير في تصفيتها وذلك بالاسلوب التالي :

١ ـ ضرب قياداتها وكشف وتعرية قادتها أمام الرأي العام ؛

---

٢٢٧ - صفحة من مذكرات ثابت حبيب العاني، ردة ٨ شباط الدموية في عام ١٩٦٣ ، اعداد عادل حبه، موقع الحوار المتمدن في ٢٠١٤/٢/٤.

٢ ـ تنظيف القطاع العسكري منهم بصورة نهائية وبشكل جدي ؛

٣ ـ محاولة كسب بعض وجوههم بإغرائهم ؛

٤ ـ الانفتاح على قواعدهم ومحاولة كسبهم بإشراكهم بالوظائف ضمن مصلحة الحزب وتطيطه.

ثانياً: الشيوعيون . يشكل هؤلاء أكبر قوة تقف في وجه الثورة رغم الضربات المميتة التي وجهت لهم لإمتدادهم إلى طبقات لم نتمكن من الوصول إليها في السابق... لذلك يمكن معالجة قضيتهم كما يلي:

١ ـ ضرب كل تنظيم جديد لهم بشدة وحزم وضرب قيادتهم وكوادرهم المتبقية في مناطق بعيدة ؛

٢ ـ دراسة قضايا الموقوفين الآخرين وإطلاق سراح من لا يشكل خطورة على الثورة ضمن فترات سياسية مناسبة ؛

٣ ـ من الضروري رفع كل الأساليب القسرية بحق الذين سايروا الحزب الشيوعي أثناء مدهم المعروف وخاصةً غير الحزبيين المنظمين منهم ؛

٤ ـ إمتصاص الفئات اليسارية والنظرية التي كانت ملتفة حولهم.

ثالثاً: البارتيون الانفصاليون. ثبت تآمر هذه الفئة وشهرها السلاح ضد الثورة لذلك يجب تصفيتهم والقضاء عليهم بأسرع وقت ممكن...

رابعاً: الرجعية ، تشمل الفصائل التالية:

أ- الاقطاعيون ؛

ب- الرجعية الدينية ؛

ت- البرجوازية المحتكرة...

خامساً: جماعات سياسية محترفة أخري عميلة للاستعمار عبر طريق محدود المعالم من الممكن ضربهم بحزم وعزلهم سياسيا، أمثال الجادرجي ، وسياسي العهد المندثر والوطني التقدمي (جماعة محمد حديد- الناصري).

سادساً: الفئات المتمردة والتي ممكن التعاون معها :

أولاً : جماعة حسين جميل ؛

ثانياً: جماعة الاستقلال ؛

ثالثاً: القوميون المستقلون ؛

رابعاً: مجموعة من المثقفين المستقلين ؛

خامساً البرجوازية الصغيرة...

سابعاً: قواعد الوطني الديمقراطي التي لم تتلوث بالحزب الشيوعي ولم ترتبط به... "[٢٢٨] .

ولو أمعنا النظر في ماهية هذه القوى التي تشمل الآغلبية المطلقة من القوى الحية في المجتمع العراقي .. فنستطيع على ضوئها أن نحكم بمعيار الموضوعية على أن الحكم كان تسلطياً سواء في نظرته النظرية المجردة أو ممارسته الفعلية للحكم وإدارته .. حيث عم اللون الواحد والفكر الواحد والحزب الواحد والايقاع الواحد للصيرورات الاجتماعية.وعليه لم يكن بيان الانقلاب إلا مسخ مدرسي انشائي خالي من مقومات الحياة الدائمة الخضرة، وعليه ارتد مطلب الوحدة الوطنية إلى الوراء ولا يزال المجتمع العراقي يعاني منه إلى الآن.

والأكثر من ذلك مارست عمليا سلطة الانقلاب تطبيقات سياسية متناقضة مع بيانها الأول وذلك بالعودة إلى ذات سياسة العهد الملكي المتمثلة ب (تمذهب السلطة)

---

٢٢٨ - مستل من تاريخ وزارات العهد الجمهوري، ط. ٢، ص. ٣١٧- ٣٢٠، مصدر سابق.

"...وبدأت مسيرة في المشروع القومي الجمهوري مشابه أو واقعة تحت تأثير الطابع التاريخي للمشروع القومي العربي في العراق. وباعتقادنا فإن أخطر النتائج على الحركتين الوطنية والقومية في العراق ، والتي ترتبت على سقوط حكومة ثورة ١٤ تموز، ظهور، الانعطاف الحاد باتجاه تشكيل السلطة وفقاً للاعتبار الطائفي والعشائري والإقليمي والظهور الرسمي للحق العرقي في السلطة والسيادة. وكان عبد السلام عارف رائد الحق العرقي والعزل المذهبي في النظرية السياسية وفي التطبيقات اليومية على مستوى أجهزة الدولة...".

بل والأنكى من ذلك "... **ظهر تصور جديد في العمل القومي ، يجعل الانتساب إلى الأمة العربية والنقاء القومي خاضعاً للنقاء الطائفي، وخاصة بحملة العرق الحاكم... وكانت عمليات العزل المذهبي والعرقي قائمة على مستوى إجرائي شامل . وكان الأسم المستحدث اصطلاحاً لوصف أصحاب الأغلبية المطلقة سواءً من العاملين في الأحزاب الوطنية أم في الحركات والأحزاب القومية هو الشعوبية...**"[٢٢٩]. (التوكيد منا- الناصري)

ومما عمق هذه التوجهات النظرة العصبوية والحزبية الضيقة، المنطلقة من عقدة (الصفوة المختارة) غير المؤمنة بالتعددية وبالديمقراطية والتداول السلمي للسلطة، التي عاملت المناطق والقوى التي ناهضته والتي كانت مستهدفة أساساً من قبله ، كما لو أنهم أعداء خارجيين. ومن منطلقات طائفية بحتة مغلفة بتبريرات أيديولوجية، تم تهجير العديد من أبناء الوطن (العرب الشيعة) بحجج واهية. كما قمعت الحركة الكردية ومطالبيها الشعبية بعنف لم يسبق له مثيل.. والأخطر من ذلك أنهم أعادوا إرساء السلطة على أسس خاطئة وظهر اا**الانعطاف الحاد باتجاه تشكيل السلطة وفقاً للاعتبار الطائفي والعشائري والإقليمي وظهور الحق العرقي للسلطة والسيادة**

---

٢٢٩ - حسن العلوي، التأثيرات التركية، ص، ١٣٨ ، مصدر سابق. ويذهب إلى هذه الفكرة أيضاً ولو بصورة أقل حدة كل من هاني الفكيكي وطالب شبيب في مذكراتهما. مصدران سابقان.

الطائفية... [٢٣٠] وجرى العمل علنياً بهذه الهويات والولاءات الدنيا والمتناقضة تناحرياً مع الهوية الوطنية الجامعة التي اختطتها لذاتها ثورة ١٤ تموز منذ بيانها الأول.

أدت سياستهم هذه في نهاية المطاف، إلى تدمير الأسس المادية للوحدة الوطنيةالعراقية وتفكيك عرى تلاحمها، وكبح تبلور وتطور الطبقات والفئات الاجتماعية الجديدة، وبخاصة الطبقة الوسطى والأنتلجنسيا منها، وبالأخص الفاعلة عضوياً، حيث هربت أعداد كبيرة منهما إلى الخارج، وحُرم على بعضها الأخر ممارسة حقوقها المدنية والسياسية. لقد نفذ الانقلاب أوسع عملية إرهاب ضد المثقفين باعتبارهم حوامل التغيير والمؤثرين الاجتماعيين، عندما أرسوا لأول مرة فكرة إدماجهم القسري بالدولة ومؤسساتها بصورة شمولية، **عِبرّ العسكرية العنفية وتوطيد مقوماتها رغم "... أن واجهة المؤامرة كانت بعثية، فقد كانت في الواقع من عمل الضباط المصممين على استمرار الطبيعة العسكرية للحكم وتعزيزها برغم النزاعات الآيديولوجية التي حاول البعث تغليف ذلك التوجه بها...[٢٣١]" وهذا ما تحقق في انقلاب ١٨ تشرين الثاني من عام ١٩٦٣.**

لقد عبرت تركيبة وزارة الانقلاب الأولى أفضل تعبير عن لا موضوعية البيان بصدد الوحدة الوطنية، إذ لم ينعكس هذا المفهوم المتسم بغنى وتعدد تركيباته الاجتماعية المكونة، لكون الأغلبية المطلقة من الوزراء كانوا من لون سياسي واحد (١٢ وزيراً بعثياً من أصل ٢٠). ويُكمل الصورة الأحادية للتيار القومي العربي، حيث ٥ وزراء من القوميين المستقلين، يضاف إليهم وزيرين كرديين لوزارات هامشية. والصورة تزداد قتامة بصدد المجلس الوطني، التي هي هيئة عينت نفسها بنفسها، واستمدت شرعيتها من الفعل الانقلابي الذي قامت به ومن سلطة ضباط مؤسسة العنف المنظم والدعم الأنكلو امريكي.

---

٢٣٠ - حسن العلوي، رؤية بعد العشرين، مصدر سابق /ص. ١٦٣

٢٣١ - محمد حديد، مذكراتي، ص. ٤٧١، مصدر سابق.

كذلك الحال بالنسبة إلى هدف مشاركة الجماهير في إدارة الدولة ومؤسساتها. إذ كان شعاراً تجريدياً خالياً من مقومات التحقق المادي، ومن المضامين العملية والنظرية. فعلى صعيد إدارة الحكم تسلطت القوى العسكرية ذات النزعة البونبارتية، التي كانت السلطة والحكم هما الغاية المنشودة لها، إذ كانت نسبتهم في مركز اتخاذ القرار (المجلس الوطني لقيادة الثورة) هي ٦٠٪ (١٢ من أصل ٢٠)، ناهيك عن دورهم في المؤسسات المؤثرة في الحياة السياسية/الاجتماعية العامة.

لقد أجهضت السياسة العملية للحكم نمو التكوينات الجنينية لمنظمات المجتمع المدني التي كانت ظهرت بقوة في أعقاب ثورة ١٤ تموز إذ زاد عددها عن ٧٠٠ منظمة مركزية، إضافة إلى كم كبير من الفروع، والتي اتسمت بالتمثيل المتنوع للفئات الاجتماعية، وذلك عندما استبدلوها بالقوة المادية بعناصر وأنساق فكرة الحزب الواحد المهيمن على المنظمات الاجتماعية، مما منع تداول أدواتها بين مختلف القوى والتيارات السياسية.

كما ألغوا كل الأحزاب السياسية العلنية التي كانت قائمة آنذاك والتي تشكلت بعد عام ١٩٦٠. حتى أن الانقلاب ألغى، بموجب البيان رقم ١٤، كل الفرق المسرحية التي كانت مجازة، وكل الصحف والمجلات والقوانين الوضعية المنظمة للواقع الاجتماعي ذات المضامين التقدمية: كقانون الأحوال المدنية وتعديل قوانين العمل والضمان الاجتماعي وغيرها و كما حاولوا تهديم النصب والتماثيل المعبرة عن نهج ١٤ تموز.[٢٣٢].

---

٢٣٢ - "... في انقلاب شباط /فبراير ١٩٦٣ أطلق الانقلابيون النار على نصب الحرية لجواد سليم في الباب الشرقي، وهرع الرسام فائق حسن فقتل حمامات السلام البيض المحلقة في جداريته المعلقة في ساحة الطيرن دافناً جثثها وراء طبقة كثيفة منَ الصبغ ، ومثلما كان القتلة الساكنون في الشوارع يقتلون الضحايا، كان هذا أخطر ما يمكن أن يمر به مجتمع من المجتمعات المعاصرة باعتباره الشكل السياسي للحرب الأهلية في ظل إنعدام البنية الديمقراطية للحياة...: والتي وسمت عراق تلك الفترة. فاضل العزاوي، الروح الحية، ص. ٥٢، مصدر سابق. كما أن سلطة الانقلاب قد اصدرت في اليوم الأول وفي حدود الساعة العاشرة ليلا ، البيان رقم ١٤ الذي حل كل الفرق الفنية والمسرحية ، ناهيك عن الصحف والمجلات والدوريات.

وتأسيساً على ذلك، يمكن القول إن هذين الهدفين (تحقيق الوطنية ومشاركة الجماهير في الحكم) كانا مجرد شعارين كبيرين من تلك الشعارات والمشاريع الفضفاضة التي كانت أذهانهم تضج بها [دون التفكير بآليات تحققها، ورغم ذلك عقدنا العزم واندفعنا، فإصطدمنا برجل مثل عبد الكريم قاسم الذي كان وطنياً ولا يخرج في أفكاره عن نطاق تصوراتنا. فقضينا على بعضنا وخرجنا جميعاً خاسرين...[٢٣٣]] حسب اعترافات طالب شبيب المتأخرة و(بعد خراب البصرة) كما يقال عراقياً.

وتستكمل أبعاد الاعتراف ذاتها بلسان القيادة القومية لحزب البعث التي تقول في تقييمها للانقلاب: [... إن من أسباب نكسة الحزب على الصعيد الشعبي هوعدم تحقيق أي إنجاز يُشعر الجماهير بأن الحكم جاء ليمثل مصالحها. لقد انحصرت الإنجازات في طيلة الأشهر التسعة من الحكم الحزبي، على الخطابات والتصريحات التي تستفز...] الذات الإنسانية، الجمعية والفردية.

وبعبارة أخرى وحسب رأي عبد الإله نصراوي القيادي القومي آنذاك : "... إن الخطر الأول الذي تعرضت له الحركة بعد ١٤ رمضان، والذي كان بداية لسلسلة اخطاء والانحرافات، هو غياب القيادة الحزبية في القطر العراقي عن الساحة والتوجيه والتنظيم وحلول عدد من أعضائها كأفراد في التوجيه والتنظيم ، فإنساق قسم منهم وراء هذا وذاك من المستأثرين ، وأنحرف القسم الآخر وراء دروب المصالح الشخصية... [٢٣٤]".

والأكثر من ذلك تولى البعثيون وحلفائهم، وأغلبيتهم من الشباب قليلي الخبرة والكفاءة، المناصب الرئيسية في مؤسسات الدولة : "... مما ولد فوضى في البلاد لم يشهد العراق طيلة تاريخه الحديث . ولكي تستمر القيادة في البقاء في الحكم لابد لها من أن تستخدم القوة والبطش ووسائل افرهاب تجاه من يعارض أو ينتقد بدلاً من

---

٢٣٣ - مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٠٧.، وكان الأحرى بشبيب القول: قضينا عليه وليس قضينا على بعضنا، حيث يساوي بينه (م) كجلاد (ين) وبين الضحية التي اغتالوها كفكر عراقي وواقع يتلائم وظروف العراق آنذاك.

٢٣٤- مستل من د. علياء محمد حسين الزبيدي، ص. ٢٥، مصدر سابق.

سيادة القانون ، وحجبوا الحرية عن الشعب ، فلا يستطيع أحد أن يشير إلى خلل أو زلل أو خطأ وقع فيه الحزب... "[٢٣٥] ، بل انهم ناصبوا العداء حتى لحلفائهم من القوميين وزجوهم بالسجون، بتهم ربما ملفقة. وهذا ما عكسه المؤتمر القطري الاستثنائي في العراق في عام ١٩٦٣.

٨ - يستطرد البيان الأول للانقلاب إلى أنه : [لابد لإنجاز هذين الهدفين الاثنين من إطلاق الحريات وتعزيز مبدأ سيادة القانون]. ترى كيف تصرف الحكم إزاء ذلك؟ وما هو حدود التجاوز على القانون من عدمه؟ وما هو مدى سعة الحرية التي أُطلقت؟!

ممكن تلمس الإجابة من خلال الموقف النظري والسياسة العملية لإدارة السلطة. فمفهوم الشعب، من الناحية النظرية، لدى حزب البعث: [... لا ينصرف إلى معنى مجموع السكان بحيث يكون مطلقاً وغير دقيق، **لأن هناك فئات وشرائح اجتماعية معادية لأهداف الأمة ورسالتها، يجب أن تحرم من حق ممارسة السلطة ومراقبتها، فالسلطة التي يقودها حزب البعث العربي الاشتراكي، لم تأتِ لمصلحة جميع طبقات الأمة** وإنما لمصلحة الطبقات التي ترتبط بالثورة التي تعبر عن إرادتها وتمثل مصالحها. الطبقات التي تمثل مفهوم الشعب صاحب السيادة والتي تمثل العمال والفلاحين والمثقفين الثوريين (عسكرين ومدنيين) والبرجوازية الصغيرة من (مهنيين وأصحاب حرف)..."[٢٣٦]]. بمعنى أن الحرمان من الحقوق المدنية لبعض الطبقات والفئات الاجتماعية يكمن في صلب الموقف النظري لدى حزب البعث العراقي، وقد تم التوسع في عملية الحرمان ليطال فئات اجتماعية أكثر مما ذُكر أعلاه، بل حتى تلك التي ذكرها البيان ذات الصيغة المدرسية والتهويم الفكري والضبابية في حقول المفاهيم.

---

٢٣٥ - المصدر السابق، ذات الصفحة.

٢٣٦ - راجع محمد كاظم علي، العراق في عهد عبد الكريم قاسم، دراسة في القوى السياسية والصراع الآيديولوجي ١٩٥٨ - ١٩٦٣، ص ١٩٦ - ١٩٧ بغداد ١٩٨٩ مكتبة اليقظة العربية. كذلك أنظر نضال البعث، الجزء الخامس ص ١٣٢، ط. الثالثة، دار الطليعة بيروت ١٩٧٦.

كذلك الحال بالنسبة للممارسة العملية، إذ اعترف الحزب ذاته في العديد من أدبياته وكذلك على لسان الكثيرين من قادته، التي سنستشهد بها دون غيرها، حول هاتين المسألتين، الحرية وسيادة القانون، ومدى كيفية التعامل إزاءهما؟. لقد دللت الممارسة العملية على أنهما الأكثر انتهاكاً، إلى حدٍ طالتا أغلب مكونات الشخصية العراقية الفردية منها والجمعية، وبلغت درجة من العمق بحيث تجسدت في مختلف نواحي الخطاب السياسي اليومي لقوى الانقلاب. ولإيضاح ذلك نسوق بعض الأمثلة:

- يذكر كتاب (نضال البعث) ومن باب المقارنة أنه: [... إذا قيست كتابات الحزب في سوريا بالذي كتب في العراق... فتصريحات بعض المسؤولين في القطر العراقي تدور حول **(السحق حتى العظام) و(إعدام الخونة) و(محو الرجعية من الوجود) إلى ما هناك من تعابير عنفية**. أما مقارنة إنجازات الحزب على صعيد الوقائع لا الكلام... فلم يصدر في تسعة أشهر تشريع واحد له صفة عميقة...[٢٣٧]. أما بصدد خرق القانون، فيشير ذات المصدر، إلى واحدة من تلك الخروقات فيقول:

[... **إن مكتب التحقيق الخاص الذي شُكل للأشراف على عمليات التحقيق قد تحول إلى جهاز بوليسي إرهابي جشع، أصبح الإرهاب والتعذيب بالنسبة إليه حرفة ولذة، كما تحول إلى عصابة من المستفيدين، وأن عمليات هذا المكتب أصبحت حرفة وتجارة يستفيد منها الأفراد المتنفذون فيه**... ووجد بين هؤلاء من ذوي المستوى الأخلاقي المنحط الذي يستهويه حمل السلاح وحب السيطرة والنفوذ...[٢٣٨].

---

٢٣٧ - نضال البعث ج. التاسع ص ص ٤٤ - ٧٧.

٢٣٨ - يقول شبيب في مراجعات، ص ١٧٥ أنه: [في الاسبوع الأول للثورة قرر المجلس الوطني تشكيل لجنة عليا من مسؤولين من الحزب لديه معرفة تنظيمية وسياسية بتركيبة الحزب الشيوعي وأساليب العمل السري المعتمدة... وكان من بين المكلفين بهذه اللجنة أعضاء من قيادة فرع بغداد وشعبها، كنجاد الصافي وأبو طالب الهاشمي ومدحت إبراهيم جمعة وأحمد العزاوي وبهاء شبيب وعمار علوش، ثم إلتحق بهم ناظم كزار وصدام التكريتي وعبد الكريم الشيخلي...].

وعلى أثر المجزرة التي اقترفها صالح مهدي عماش وأعدم الحياة لعشرين شيوعياً (وهناك من يقول ثلاثون شخصاً)، يُكمل شبيب القول (ص. ١٧٦): [... بعد تنفيذ الاعدام ذهب إلى مجلس

- ويكمل الصورة ميشيل عفلق في كتابه نقطة البداية بالقول: [... **ولم يكتفِ هؤلاء القادة بهذا المظهر من مظاهر الترف اللا اخلاقي.. فشاؤوا أن ينقلوا عقليتهم الاستفزازية إلى كل الأماكن العامة...** "[٢٣٩]].

- ويوضح ماهيات صورة الانتهاكات أمين سر القيادة القطرية آنذاك علي صالح السعدي، بالقول: [... **أنا أعتقد أن الإرهاب الحقيقي لم يكن بالسحل ولا بالقتل، بقدر ما هو إرهاب الأعصاب التي أرهبت كل عائلة يومياً وباستمرار، والذي أدى إلى حالات الانهيار العصبي في العراق. الآن تظهر بعد حالات الهدوء وتظهر بشكل حالات بين الشباب والاطفال والنساء وفي كل عائلة...** "[٢٤٠]]. ومن جهة أخرى في معرض أنتقاداته إلى السلطة وماهية إدارتها للصراع الاجتماعي يرجع السعدي، فشل الحزب في قيادة الدولة وتجاوزات الحرس القومي إلى غياب الديمقراطية داخل الحزب ذاته، قال: "...إن انعدام الديمقراطية داخل الحزب لا بد أن يؤدي إلى انعدام الديمقراطية خارج الحزب، عندما يكون الحزب وحيداً في السلطة وانعدام الديمقراطية قد يأخذ شكا ارهاب وقد يأخذ شكل وصايا على الشعب، والوصاية على الحزب

قيادة الثورة وحصل على قرار للمصادقة على قتلهم... ومنذ تلك الحادثة قررت القيادة القطرية ربط هيئة التحقيق كلها بمكتب جديد سمي بالمكتب الخاص ورئيسه عضو قيادة قطر العراق لحزب البعث وهو محسن الشيخ راضي، وتم بوجود المكتب الجديد قطع صلة هيئات التحقيق بوزارة الداخلية ووزيرها حازم جواد وبمدير الأمن العام جميل صبري البياتي...] من هذا النص يتضح أن القيادة القطرية كانت تشرف على أعمال التعذيب. وما أورده نضال البعث أعلاه يُكذب إدعاءات شبيب الذي يحاول رفع المسؤولية الجنائية عنهم أوتخفيفها بحجة شل فعالية الجهاز العسكري للحزب الشيوعي. علماً أن المكتب الخاص اتخذ من قصر النهاية (قصر الرحاب سابقاً) مقراً له حيث كان يداوم فيه يومياً السعدي والفكيكي وعماش والشيخ راضي وغيرهم من الخط الأول لحزب البعث العراقي.

٢٣٩ - ميشيل عفلق، نقطة البداية، ط. الخامسة، ص ٢٦٦

٢٤٠ - مستل من حسن السعيد، نواطير الغرب، مصدر سابق، ص ١٣٩، راجع للمزيد كذلك محمد سعيد النجدي، حصيلة الانقلابات الثورية في بعض الاقطار العربية.

محاولة تشويه الرأي العام بالاقناع (الديماغوجي). إن منطق الوصايا على الجماهير الذي طبقه الحزب في العراق ، هو الشكل العملي للمنطلقات العفلقية... [٢٤١]".

- كما تشير وثائق المؤتمر الثامن لحزب البعث في العراق، إلى المقارنة بين البيان الأول للانقلاب الدولي في ٣٠ تموز ١٩٦٨ وبين بيان الانقلاب الأنكلو- أمريكي في ١٩٦٣ بالقول: [... لذلك فإن قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي كانت ترى أن تسلم الحزب للسلطة، هذه المرة، يجب أن لا ترافقه صراعات دموية يمكن أن تشوه وجه الثورة، وتعيد إلى الأذهان أحداث ١٩٦٣ الدامية...[٢٤٢]].

- ويشير هاني الفكيكي إلى واقعة أكثر دلالة في الاستهانة بالقوانين والحقوق وحرية الناس وحقهم في الحياة، فيقول: [... إن عبد السلام طلب إلى عبد الغني الراوي، عند مغادرتنا القاعة التحضير لإعدام ١٥٠ ضابطاً شيوعياً، الأمر الذي رفضه الراوي بسبب قلة العدد وتواضعه...[٢٤٣]].

- وحول ذات الواقعة أو شبيهاً لها، يشير طالب شبيب إلى أن:[... ما أعرفه أن أحمد حسن البكر استدعى عبد الغني الراوي (عضو مجلس قيادة الثورة، قومي) وطلب منه أن يذهب إلى نقرة السلمان وهناك يجري تنفيذ إعدام بعض الضباط بعيداً عن بغداد... وأن عصبية عبد الغني الراوي، الذي رفض التنفيذ، لأن العدد المطلوب قتلهم قليل جداً بالنسبة له، وطالب بإعدام المئات، في حين أُبلغ بتنفيذ الإعدام بحق ثلاثين فقط. وبعد جدال طويل أقنعنا أحمد حسن البكر أن لا ينفذ حكم الإعدام سوى بثلاثين اسماً يتحددون بالاسم ويتم التنفيذ في نقرة السلمان... [٢٤٤]].

- وكذلك يعترف القيادي في حزب البعث صلاح عمر العلي عن هذه المارسات بالقول: "... أن أخطاءً (اقرأ جرائم وهل يعتبر الإعدام للحياة خطأ؟؟؟- الناصري)

---

٢٤١ - مستل من د. علياء محمد حسين الزبيدي، العهد العارفي، ص. ٢٨، مصدر سابق.

٢٤٢ - حزب البعث العربي الاشتراكي، وثائق المؤتمر القطري الثامن، الفصل ٣، الباب ٢، ص ٣٩

٢٤٣ - هاني الفكيكي، أوكار، مصدر سابق، ص ٢٨٠.

٢٤٤ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٨٠.

فضيعة وقعت لدى وصول الحزب إلى السلطة للمرة الأولى في ٨ شباط/ فبراير١٩٦٣ ، ويقر بأن الحرس القومي، ذهب بعيداً في ممارسة العنف ضد الشيوعيين وكان مطاردة الشيوعيين تحولت هدفاً في حد ذاته ويشير إلى لجنتين للتحقيق تسببتا في إعدام كثيرين خصوصاً اللجنة التي كانت تضم هاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي..." [٢٤٥].

- في حين يشير عبد الغني الراوي إلى هذه الواقعة بالقول:

[... خابرني طاهر يحيى /رئيس أركان الجيش، طالباً مني النزول إلى بغداد لمقابلته، وعند المواجهة أخبرني أن مجلس قيادة الثورة قرر تطبيق الشريعة الإسلامية في حق الشيوعيين بالقتل. وأن هناك في نقرة السلمان ٩ آلاف شيوعي سجين، وهناك حوالي ٢٦٠٠ (ألفين وستمائة) شيوعياً موقوفين في مخافر الشرطة في جميع أنحاء العراق، وفي الوحدات العسكرية، وبما أنك رئيس المحكمة العسكرية التي حاكمت عبد الكريم قاسم (حسب إدعائه - الناصري)، إذن فأنت تكون رئيساً لهذه المحكمة أيضاً وأنت بعد غد تذهب بالطائرة إلى نقرة السلمان بينما غداً تتحرك جماعة تنفيذ الرمي بالسيارات وأنت بالطائرة. وحسب ما تراه فالبريء يطلق سراحه مع منحه نقوداً عن الأيام التي قضاها بالتوقيف والشيوعي ينفذ به الإعدام فوراً ويدفنون في مقابر جماعية وسترسل بلدوزر لهذا الغرض مع جماعة التنفيذ أيضاً مع نقود ومخصصات كثيرة توزع حسب ما تراه. فقلت له: أن هذا يتطلب تعيين حكام قضاة اثنين من علماء الشيعة حسب تنسيب السيد محسن الحكيم واثنين من علماء السنة واثنين من الحكام المدنيين، وهذا يتطلب منحي الفتوى (القاضية بتحريم الانتماء للحزب الشيوعي - الناصري) من الشيخ مهدي الخالصي رحمه الله والسيد محسن الحكيم رحمه الله ثم من علماء السنة... وطلبت الفتوى من الخالصي وبأني مخول بنشرها وأمر ولده (الشيخ محمد مهدي الخالصي)... بالكتابة [الشيوعيون مرتدون وحكم المرتد القتل وإن تاب، وبين أن كان متزوجاً وحكم الزوجة والأولاد وإن كان لديه أموال منقولة وغير منقولة وحصة الإمام]،

٢٤٥- جريدة الحياة في ١٠/٢/ ٢٠٠٣، لندن.

وكان الأمر مع السيد محسن الحكيم الذي [... أمر ولده بالكتابة وهو يملي عليه: الشيوعيون مرتدون وحكم المرتد هو القتل وإن تاب... والشيوعيون نوعان الأول من آمن بها وحمد بها ولم يرجع عنها، فحكمه كما جاء أعلاه، والنوع الثاني من اعتبرها تقدمية ومعاونة المحتاجين، وهؤلاء يحجزون ويفهمون ويعلمون الصح من الخطأ، فإن تابوا يطلق سراحهم وإن أصروا عليها فحكمهم كما جاء أعلاه... وفي اليوم التالي وقبل الساعة ١١ صباحاً زرت طاهر يحيى في وزارة الدفاع وأخبرته، إذا طبق البعثيون الشريعة الإسلامية بكاملها وتركوا العلمانية والاشتراكية المؤدية للشيوعية والقومية، حينذاك الإسلام هو الذي يحكم... فنزل طاهر يحيى بالفشار والمسبة على كل من عبد الكريم مصطفى نصرت وخالد مكي الهاشمي. وقال لي أنت ارجع واعتبر القضية منتهية وأني أعرف أشلون راح أسلكهم... [٢٤٦]].

- كما أشار إلى حادثة مماثلة لهذه الانتهاكات العضو القيادي لحزب البعث في المؤتمر القطري السوري المنعقد في ١٧ آذار ١٩٦٤ ، محمد عمران بالقول: [... حين زرنا العراق أثرنا موضوع القسوة في قتل الشيوعيين، فكان الرأي أن المنفذين هم الحزبيون
- البعثيون.. وحادثة جرت ذات مرة أن كلف ضابط بعثي بإعدام ١٢ شيوعياً،

---

٢٤٦ - راجع مذكرات عبد الغني الراوي المنشورة في جريدة الزمان بتاريخ ١٩٩٩/٠٤/٠٩ لندن. هذا الموضوع أثير بعد قيام حركة حسن السريع في٥ تموز١٩٦٣ ، وذكرها الراوي في رده على مذكرات طالب شبيب، مصدرسابق، كما ذكرها الشيخ طه جابر العلواني في كتابه الردة والمرتدين. راجع د. رشيد الخيون، أمالي السيد طالب الرفاعي، الذي قال عن هذه الفتوى التي جمعها الراوي "...وفي اعتقادي أن تلك الفتاوى سياسية أكثر منها دينية، حماية لنظام حكومي هش سلطوي بالعراق والمنطقة بأسرها ، وكان ذلك بعد انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣ ... ولم يحدث صدور مثلها إلا من أدعياء الإفتاء زوراً وبهتاناً...". ص. ١٨٩. ويعتقد السيد الرفاعي إن سلطة الانقلاب قد فبركت هذه الفتاوى ونسبتها إلى علماء الدين. كما يشير د. الخيون في مقالته الموسومة (الراوي ... قسوة توظيف الدين في السياسة) إلى هذه الفتاوى ويذكر أن الذي أثنى الراوي عن التنفيذ هو الشيخ طه العلواني لأنه هو الآخر يعتقد أنها فتاوى سياسية وليست دينية. راجع هامش ص.١٩٣ من ذات المصدر.

فقال أمام الكثيرين أنا لا أذهب إلا لإعدام خمسمائة على الأقل ولا أذهب لإعدام١٢...].

- هذه الخروقات لكل القيم والشرائع الإنسانية، أجبرت الرئيس عبد الناصر، أثناء مباحثات الوحدة الثلاثية، على وصف ممارسات حزب البعث، بكونه: [... كان يهدف أول ما يهدف إلى إقامة حكم فاشستي متسلط ينفرد فيه بالحكم، ولم يكن حزب البعث يفكر في الحرية. لقد نادى حزب البعث دائماً بحرية الصحافة ولكن أول ما عمله هو إلغاء الصحف كلها عدا صحف الحزب الفاشستي. وكم نادى حزب البعث بالحرية وكان أول ما عمله أن حرم الشعب كله من الحرية. وأصبحت الحرية وقفاً على أعضاء الحزب والحرس البعثي فقط. ماهو شعار الحرية بالنسبة للبعثيين؟ شعار الحرية بالنسبة للبعثيين، هو السجون والقتل والمحاكمة بدون دفاع والإعدام. وشعار الحرية بالنسبة للبعثيين، هو أن يحرم حزبهم الشعب كله من الحرية، لتترك الحرية لحزب الأقلية فقط. شعار الحرية لحزب البعثيين هو أن تكون المغانم للبعثيين وتكون الفرص للبعثيين وتكون المساواة للبعثيين، أما باقي الشعب فيحرم من المساواة ويحرم من حقه في الحياة ويحرم من حقه في العيش ويحرم من حقه في العمل...[٢٤٧]].

وهكذا تعكس هذه العينة من الأمثلة على مدى الخروقات التي أصابت واقع الحياة المدنية وتكرارها اليومي وبزخم عال، حتى وصل الأمر إلى أنه:

[لم يكن هناك داخل القيادة في تلك الأيام الحاسمة، أي ميل لاعتبار مثل هذه الأعمال غير قانونية أو جرمية، فقد كان هناك أشياء من هذا أو رضاً من ذلك، ولكننا لم نختلف إطلاقاً على مثل هذه الأمور] كما يعترف طالب شبيب. ويؤكد أن [حوادث الإعدام الفوضوية وبشكل خاص بمجزرة معسكر الرشيد ضد ضباط لم تكن سمعتهم سيئة، قد تمت بأمر من صالح مهدي عماش وبحضور السعدي، إذ جيء بهؤلاء في الليلة الثانية للثورة وجرى ضربهم وإهانتهم وإدانتهم بأعمال مختلفة ثم قتلهم... وعندما سمعنا بما حصل لم نعلق ولم نعترض...] والمناخ آنذاك ضمن الحزب

---

٢٤٧ - محاضر مباحثات الوحدة الثلاثية في القاهرة عام ١٩٦٣، مستل من مطبع نونو، دولة البعث، مصدر سابق، ص ٢١١.

وضع [... انتعش واختبأ بداخله أشخاص مجرمون لا ينتمون لأي من اتجاهي الحزب، أشخاص كثيرون غريبوا الأطوار ساعدتهم الخلافات وتعدد مراكز النفوذ على نشر الفساد والجريمة...[٢٤٨]].

وهكذا [...أصبح البعثيون بلا بعث والبعث بلا بعثيين، أيديهم مصبوغة بالدم والعار، يتسابقون إلى القتل والظلم والركوع أمام مهماز الجزمة...[٢٤٩]] . وبممارستهم

---

٢٤٨ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ١٩٣. ويعترف حازم جواد بحالة الانفلات ويقول حول ذلك: "... وبالفعل دوهم في تلك الليلة ٣٥ مقراً سرياً للحزب الشيوعي جميعها... والخطأ كان في إيكال هذه المهمة إلى الحرس القومي، وليس إلى أجهزة الأمن خشية أن تكون مخترقة. وكنا نعتقد أن هؤلاء بعد اعتقالهم سيسلمون إلى الدولة. لكن ثبت في ما بعد أن القرارين اللذين اتخذناهما في ذلك الاجتماع، ذهاب علي السعدي إلى مصر والحملة ضد الشيوعيين، جلبا لنا المشاكل والعثرات والأخطاء (؟؟ قتل الناس على وفق انتمائهم الفكري خطأ وليس جريمة بكل المعايير الاخلاقية والسياسية وحتى الجمالية- الناصري) كما لم يجلبها لنا أي من أعدائنا، وبدلاً من أن يبتلع الحزب والحرس القومي الحزب الشيوعي، أبتلع الشيوعيون حزب البعث والحركة القومية عبر شغل الجهاز البعثي لتسعة أشهر قادمة بقضية واحدة، هي قضية الحزب الشيوعي ، وأصبحت هذه القضية الشاغل الرئيسي للحزب وفقدنا السيطرة كقيادة على هذا الأمر ... لكن الفشل والتعثر وأسباب أخرى لا أعلمها وأيدي مجهولة أبقت الوضع على ما هو عليه حتى رحيلنا في ١٨ تشرين الثاني ..." المذكرات، ص. ٦٣. مصدر سابق.

تصوروا أن أمين سر القطر لا يعرف ما يدور حول ابادة الآلاف. كما أنه يناقض نفسه عندما يذكر في مكان آخر من المذكرات أن الاعتقالات لم تبدأ إلا في يوم ٢٠ شباط؟؟ هذه التبريرية غير الموضوعية تسمح لنا بالاستنتاج أنه يحاول الإيحاء بوجود قوة خفية تعاونت مع القوى الأجنبية وأبادت هؤلاء البشر، لكنه لم يشر إليها بصراحة ويحدد ماهياتها وطبيعتها.

ولنقارن هذا الكلام مع ما ذكره هاني الفكيكي حيث يقول: "... تشكلت لجان تحقيق خاصة مع الذين اعتقلوا ولم يتجاوز عددهم العشرات من عسكريين ومدنيين، إذ لم تتوفر آنذاك معلومات دقيقة عن تنظيمات الحزب الشيوعي ومؤسساته..." ، اوكار الهزيمة، ص. ٢٥٤ ، مصدر سابق. في الوقت الذي بلغ عدد المعتقلين عشرات الألوف غطت المساحتين الجغرافية والاجتماعية للمجتمع العراقي برمته.

القوة عبر النخبة وعدم مشاركة (الجماهير الواسعة)، قد عبروا عن جوهر المدرسة الميكيافلية التي [تعتبر أن الدولة (والنظام السياسي) تقوم على الفصل الكامل بين الحكام والمحكومين. وتركز على أهمية القهر في علاقات القوة، وتعتبر سيطرة القلة أوالنخبة (المكونة من الأقوى أو الأفضل) أمراً مسلماً به مهما كان نوع النظام السياسي (ما يسمى القانون الحديدي للأوليغاركي)... [٢٥٠]]. لقد كانوالا يمتلكون وعياً تاريخياً وواقعياً، لذا خاطبوا المواطن بلغةٍ فيها الكثير جداً من الرطانة والجمل الفارغة "... لم يستسغها حس الأمة ومزاجها ولم تنفذ إلى مغاليق النفس العربية والاسلامية، مما زاد في تغربها، وحال دون تحديث المجتمع ودون تجديد ثقافته ووعيه..."[٢٥١].

وتأسيساً على ذلك أصبحوا يعيشون حالة من الركود في حركتهم اليومية، إذ كان الفكر، إن كان موجوداً لديهم فكر، غارقاً في الكثير من الهوامش الذهنية الضبابية، والتفاصيل تأكل حيويتهم، إن وجدت، لأنهم كانوا يتحركون في ذهنية الانتقام والثأر لا في ذهنية حركة الواقع المستقبلي.. مما أدى بالحياة إلى أن تطردهم من مواقع اخضرارها.

٩ ـ تطرق البيان إلى فكرة [تعزيز الأخوة العربية - الكردية[٢٥٢]]. إن وجود هذا النص في سياق تحقيق الهدفين المشار إليهما أعلاه، أريد منه تطمين قيادة الحركة

---

٢٤٩ ـ راجع سامي الجندي، البعث، ص ١٢، دار النهار بيروت ١٩٦٩، مستل من نواطير الغرب، مصدر سابق. علماً بأن حكومة عبد السلام عارف نشرت بعد انقلاب تشرين كتاباً عن خروقات الحرس القومي، وأطلق عليه اسم (المنحرفون)، وبعد المجيء الثاني للبعث العراقي للسلطة تم سحب الكتاب من التداول، لكن أعيد طبعه في الآونة الأخيرة، ١٩٩٥ في لندن وصدر عن دار الهلال.

٢٥٠ - د. خلدون حسن النقيب، الدولة التسلطية في المشرق العربي المعاصر، دراسة بنائية مقارنة، ص ٣٠، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩١.

٢٥١ - هاني الفكيكي، الثورة والانقلاب العسكري، ص. ٦١٨، مصدر سابق.

٢٥٢ - لكن دعونا نرى هل أن أدبيات الحزب تصب في هذا الرأي "... يؤكد الأمين العام لحزب البعث بهذا الصدد، بعد أن رفض مفهوم (القومية الطاغية المتعصبة) بأن المشكلة الكردية ، كغيرها من

الكردية، التي سبق وإن عقدت مع حزب البعث، تحالفاً غير مكتوباً، بغية إسقاط نظام حكم الزعيم قاسم برعاية دولة خارجية [٢٥٣].

مشاكل الاقليات تجد حلها الصحيح، إذا اعطيت حركة القومية العربية الموحدة مضموناً اشتراكيا ومحتوى ديمقراطياً. فمن الواجب قبل كل شيء آخر، برأي الاستاذ عفلق، أن ننظر إلى (الشعب) بمجموعه، دون تفرقة بين من هم عرب ومن هم غير عرب، وأن نقيم نظاماً يمنع استغلال الانسان للانسان أو فئة من الناس لفئة أخرى. ثم يوضح بعد ذلك قائلاً: لقد كان هاك رد فعل على القومية العربية المتعصبة من الأكراد والاشوريين والأرمن، ورد فعل ديني ومذهبي...لا أحد يمنع الأكراد أن يتعلموا لغتهم شريطة **أن يكونوا خاضعين لقوانين الدولة ولا يشكلون خطراً على الدولة...". "... اما فيما يتعلق بالحركة العسكرية في كردستان العراق، في أيلول/ سبتمبر ١٩٦١ بقيادة ملا مصطفى البرزاني، فإن حزب البعث كحركة قومية عربية وحدوية سيرفضها ويهاجمها قطعاً، معتبراً اياها (حركة انفصالية) تحت قيادة (عشائرية واقطاعية) ومدعومة من قبل الدول الاجنبية ، خاصةً الدول الأعضاء في حلف (السانتو)، وهي بالاضافة إلى ذلك لا تمثل المصالح الحقيقة للشعب الكردي بمجموعه...".** مصطفى دندشلي، حزب البعث، ص. ٢٦٣،٢٥٩ مصدر سابق. (التوكيد منا- الناصري)

٢٥٣ - شكلت علاقة الحركة التحررية الكردية بالقوى القومية العربية ،وكذلك بالقوى الخارجية، أحد أهم عناصر ضعفها. وقد نشرت جريدة نيويورك تايمس مقالة لمراسلها ادان شميت، أعادة نشره في لندن يوم ١٩٦٢/٠٩/١٠ جريدة الديلي تلغراف اللندنية يقول المراسل فيها: بأن شخصاً ما في بيروت دعاه لمقابلة البارزاني وأن انتقاله تم بمساعدة جهات أجنبية يقصد إيران. ويقول المراسل حرفياً أن الملا مصطفى البارزاني يطلب الآن المساعدة الامريكية بإلحاح وإصرار وهو يعرض لقاء ذلك الإطاحة برئيس الوزراء العراقي اللواء قاسم وبتحويل العراق إلى أقوى حليف للغرب في الشرق الأوسط.

ومن هذا المنطلق شاركت قيادة الحركة الكردية تطلعات الانقلابيين وأقامت معهم رابطة تحالفية هشة ومؤقتة بطبيعتها منذ ١٩٦٢، تكللت بالاتفاق مع البارزاني على إسقاط الحكم الوطني مقابل وعود غير ملموسة. إذ في تلك الفترة لاتصل الاكراد بالحزب عن طريق العسكريين من أصدقاء البعث، فعرضوا التعاون والتنسيق بهدف إطاحة الزعيم وحكمه، ولكن لم يتعد همسهم إيقاف الأعمال العسكرية ضد الشعب الكردي وضمان الحكم الذاتي لكردستنان في المستقبل. كان همنا توثيق الصلة بالحركة الكردية وتمني إستمرار القتال في الشمال] (الفكيكي، ص ١٩١).

وحول هذه النقطة بالذات أيضاً نشير إلى رأي جرجيس فتح الله كما جاء في الجزء الثاني من كتاب (العراق في عهد قاسم - أراء وخواطر، ص ٨٦١ - ٨٦٣) يقول فيها [... لم يكن في الأمر مفاجئة، فصالح اليوسفي كان قد أرسل سراً قبلها ببضعة أيام إلى بغداد لإكمال المحادثات التي بدأها البارتي مع المؤتمرين. وفي الخامس من شهر شباط قصدني اليوسفي برفقة المهندس شوكت عقراوي العضو في الحزب قبل أن يحضر اجتماعاً تم الاتفاق عليه مع مسؤولي البعث. في حينه كنت متشائماً من التقارب، إذ لم يكن ذلك من إستراتيجية الحزب وفلسفته فقط. كذلك لم أكن أتصور أن تحرز أية محاولة انقلابية ضد قاسم نجاحاً كبيراً... وعلمي أيضاً منه أنه ليس هناك اتفاق كتابي، وإنما شيء ممكن أن نطلق عليه (اتفاق جنتلمان) الشفوي وبعض الوعود الغامضة...].

وذكر الزعيم فؤاد عارف في مذكراته عن ذات الموضوع بالقول: [... لقد كان بعض مخططي انقلاب رمضان على علاقة مستمرة بيّ. فقد كان طاهر يحيى والبكر وغيرهما يزوروني بين الحين والأخر وكنت أعرف ثمة إعداداً ومقدمات لتغيّر الحكم... وبعد فترة أشعرني أحد الأصدقاء من المشتركين في تخطيط ثورة ١٤ رمضان برغبة أمين سر حزب البعث العربي الاشتراكي، علي صالح السعدي بأن يلتقي بيّ. وفعلاً إلتقينا في بيت كاظم العبادي الذي كان زميلي منذ الدراسة وهو آمر القوة الجوية في العهد الملكي (وأحد وزراء ذلك العهد - الناصري)... وفاتحني في موضوع القضية الكردية وسبل حلها، إذ ما نجحت الثورة. وقلت أني وإن كنت كردياً وتهمني القضية الكردية، لكنني أعتقد أن الأجدى أن يصار إلى الاتصال بممثلي الحركة الكردية مباشرةً، واقترحت عليه الاتصال بصالح اليوسفي. فوافق على الاقتراح وفعلاً جرى الاتصال في حينه. إتصلت أنا بدوري بالسيد شوكت العقراوي وأفهمته بالموضوع، لأن شوكت العقراوي يعرف مقر صالح اليوسفي. وفي اليوم التالي في الساعة العاشرة مساءً تم لقاء صالح اليوسفي مع علي صالح السعدي بصحبة شوكت عقراوي في ساحة عنتر ومن هناك أصطحبه السعدي بسيارته الشخصية إلى مكان الاجتماع. في هذا الاجتماع تمت المداولة بين اليوسفي والسعدي ومن معه حول القضية الكردية والاتفاق بشأنها إذا ما نجحت الثورة] جريدة القدس العربي العددان ٢٩٢٨و٢٩٢٩ في٩ و٨أكتوبر ١٩٩٨.

أني أعتقد أن هذا التكتيك البعثي كان من وحي خبراء الانقلابات الامريكان، الذين سبق وأن سبروا غور توجهات القيادة الرئيسية للحركة الكردية وموقفها من نظام الزعيم قاسم وحبذوا لهم المشاركة في اسقاط نظام الجمهورية الأولى. في وقت كان حزب البعث ينظر للحركة الكردية نظرة غير موضوعية واسماً إياها بالعمالة وما شابه ذلك من قاموس الشتيمة السياسية.

ويذكر ريتشارد أندريك في مقالته الموسومة : لا جديد تحت الشمس، المذكرات الكردية١٩٦٢ – ١٩٦٣ ، ويقول : [... لقد أخبر البعثيون الأكراد، قبل فترة طويلة من الانقلاب ضد قاسم، واعدين إياهم بالحكم الذاتي تحت حكمهم المدني... وبعد سنوات أخبرني جلال (الطالباني) بأنه كان ينقل إلى البارزاني عروض حزب البعث، مقترحا التعاون مع الأكراد لإحداث انقلاب كانوا يخططونه ضد الجنرال قاسم في وقت ما في السنة التالية]. مجلة كردستان تايمز المجلد الأول، العدد ٢ صيف ١٩٩٢. مستل من د. كمال مجيد، النفط والأكراد، مصدر سابق. ص ٤٥.

كما يشير المؤلف أيضاً في ص ٤٥ - ٤٦ إلى التقرير الذي [... قدمه عمر شيخ موسى، عضو المكتب السياسي للاتحاد الوطني الكردستاني في فيينا يوم ١٩٨٤/٠٤/٢٨ مايلي: قام عدد من ضباط الجيش العراقي والقوميين بصورة رئيسية بقيادة عبد السلام عارف وأحمد حسن البكر وطاهر يحيى بإجراء المفاوضات السرية مع الحزب الديمقراطي الكردي لقلب حكم عبد الكريم قاسم على شرط الاعتراف بالحكم الذاتي للأكراد حال سيطرتهم على الحكم... كان النظام البعثي مسنوداً من قبل القوى الغربية بكل شدة].

كما أشار زكي خيري في مذكراته ص ٢٤٧ إلى أنه: [ساهمت عناصر من البارتي في انقلاب ٨ شباط ولاسيما في القوة الجوية بتعطيلها الطائرات في معسكر الرشيد] ويشير محمود عثمان إلى أن صلة البعث قد بدأت منذ ١٩٦٠ لأن [علاقتنا (البارتي) مع الشيوعيين كانت متوترة بسبب مساندتهم لقاسم حتى سقوطه، ولوجود خلافات شديدة بين البارزاني ومكتبه السياسي... أن هنالك اتصالات كثيرة قبل ١٤ رمضان ١٩٦٣ لكن أهم اتصال كان بين البعث والمكتب السياسي للبارتي وسكرتيره ابراهيم أحمد عن طريق طاهر يحيى التكريتي] مراجعات، هامش ص ٢٥٢.

وارتباطاً بما ذكر أعلاه، ودور خبراء الانقلابات العسكرية تشير بعض وثائق الحزب الشيوعي العراقي المنشورة إلى أن إجتماع سكرتارية اللجنة المركزية في ١٢/٣١ /١٩٦٢، قد ناقشت رسالة حزبية مرفوعة من أحد الحزبيين بتاريخ ٢٤ /١٢ إلى أنه:

[.. تم لقاء في الاسبوع الماضي بين مبعوث من الولايات المتحدة والملا وبعد مداولات بينهما توصلا إلى: ١ - إعلان الحكومة الكردية والانفصال وأن الحكومة الامريكية تتعهد من جانبها الاعتراف بهذه الحكومة فوراً وتبادر إلى تقديم العون العسكري والمادي وتمارس الضغط على الحكومات السائرة في ركابها للاعتراف الفوري بحكومة كردستان العراق وفق الحدود المتفق عليها والمبتدئة من حدود جبل حمرين جنوباً إلى الحدود التركية العراقية الإيرانية شرقاً وشمالاً والمحاولة لإثارة الموضوع في هيئة الأمم المتحدة لقبولها عضواً فيها. ٢ - يتعهد الملا وقيادة الحركة الكردية للامريكان بإعادة النظر في إمتيازات شركات النفط لإعطاء حصة للامريكان من النفط تعادل

٣٠٪. كما تتعهد حركة القوميين الأكراد في حالة تشكيل الدولة الكردية الامتناع عن بيع النفط ومنتجاته وعدم التعامل مع أي دولة أجنبية في الأمور الستراتيجية والعسكرية إلا بعد استشارة الحكومة الامريكية. ٣ - وبناءً على هذه الاتفاقية تم في الأيام الأخيرة، وكنقطة انطلاق لتنفيذها، تخلية كافة مراكز حرس الحدود التابعة لإيران وتركيا لإستعمالها من قبل القوميين الأكراد كمستشفيات ومذاخر ومخازن تموين بإعتبارها مراكز آمنة من القصف الجوي وقد طرحت هذه الاتفاقية على كافة لجان حزب البارتي والقوميين الأكراد في كافة أنحاء العراق وكانت الموافقة في لجنة بغداد إجماعية!. مستل من صالح دكلة، مصدر سابق، ص ٢١٩.، وكذلك ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، محضر اجتماع سكرتارية اللجنة المركزية في ١٩٦٢/١٢/٣١مصدر سابق، ج.٢، ص ٤٧٤ وما بعدها. كذلك راجع حول الموضوع ديفيد ادامسن وجرجيس فتح الله، الحرب الكردية وإنشقاق ١٩٦٤، ستوكهولم ١٩٩٠، دار النشر بلا. (التوكيد منا- الناصري).

وتأكيداً لما ذكر أعلاه "... تشير الوثائق الأمريكية في هذا الصدد، أن أحد موظفي السفارة الأمريكية ببغداد، إلتقى سراً في الثامن عشر من أيلول ١٩٦٢ مع عضو في الحزب الوطني الكردستاني بوصفه ممثلاً عن الملا مصطفى البرزاني، وقدم الزائر الكردي إلتماساً (قوياً) للحصول على دعم مادي من حكومة الولايات المتحدة لصالح الحركة . وفي حالة الموافقة ستعهد البرزاني للولايات المتحدة بما يأتي:

١- التخلص من العناصر الكردية كافة التي تعهدهم واشنطون موضع شك.

٢- تعاون الحركة الكردية مع العناصر العربية العراقية المحافظة. وإعادة العراق إلى عضوية ميثاق بغداد، إن رغبت واشنطن بذلك.

٣- تزويد الأمريكان بمعلومات كافية عن التطورات السياسية في كردستان، وسيكون هذا العرض ملزماً على أكراد إيران وسوريا أيضاً.

وفي الشأن نفسه... أن القيادي الكردي أعلمه برفض الكويت تقديم مساعدات للأكراد وبتوجيه بريطاني. أما مصر فإنها لا تعد سوى صديقة ولم تقدم المساعدات للاكراد... أما إيران فإنها فتحت المعابر الحدودية للأكراد مقابل إيقاف المساعدات (الثورة مقترحة) في كردستان إيران... ويبدو مما سبق إن عقدة النفوذ الشيوعي في الحركة الكردية كانت العامل الأقوى في أحجام الادارة الأمريكية عن تقديم أية مساعدة للأكراد... ففي اللقاء الذي أجراه مراسل صحيفة نيويرك تايمس في أيلول ١٩٦٢ مع البرزاني ، أبدى الأخير، رغبته في تحويل الأكراد إلى حلفاء للولايات المتحدة في المنطقة، وسيعمل جاهداً على إسقاط حكم عبد الكريم قاسم لقاء دعم مالي وعسكري

إن هذا التحالف (غير المقدس) لم يكن قائماً على القناعة المشتركة لحل القضية الوطنية عامةً والكردية خاصةً. لقد نظر إليه البعث برغماتياً لكونه عامل تمني[...لاستمرار القتال لإضعاف قاسم من جهة، وضمان عدم تحرك الأكراد ضدنا إذا نجحنا في استلام السلطة من جهة أخرى. أما في حالة الفشل فالعلاقة بالحركة الكردية تتيح لنا الهرب إلى الشمال] حسب تعبير هاني الفكيكي، عضو القيادتين القومية والقطرية آنذاك. إذ كان البعثيون وأغلب قوى التيار القومي ينظرون إلى الأمة الكردية المجزئة على [...أنها قومية نازحة إلى الأراضي العربية، جاءت لتحل ضيفاً

تقدمه الإدارة الأمريكية للحركة الكردية... ". د. سنان الزيدي، سياسية الولايات المتحدة تجاه قاسم، ص. ٢٧٤- ٢٧٦، مصدر سابق.

وفي الوقت نفسه يستكمل وزير العدل في أول حكومة بعد ثورة تموز، مصطفى علي، فشل قادة انقلاب شباط في تحقيق المسألة الداخلية (القضية الكردية) بالقول: "... فهي في حقيقة الأمر قضايا لا قضية واحدة ومشاكل لا مشكلة واحدة: إلا أنهم يعنون بها القضية الكردية، وقد أعلنوا وادعوا أنهم سيحلونها حلاً سلمياً. ثم شرعوا في المفاوضات تمويهاً وخداعاً، وهم إنما يحاولون بها تهدئة الخواطر، وتخدير الأعصاب ليكسبوا الوقت استعدادا لإستئناف الحرب، وقد غفلوا عن حقيقة كان يجب ألا يغفل عنها العسكريون البعيدو النظر ، ولا تخفى عليهم. فالمفروض فيهم أن لا يقدموا على عمل دون دراسته، ولا يخطوا خطوة دون تقدير موقفهم. تلك الحقيقة هي ان خصمهم يقظ متنبه وسيستفيد ، مثلهم ، من هذه الفرصة أو الهدنة إن لم يكن أكثر منهم.

ثم ما لبثنا أن سمعناهم يعلنون لجوءهم إلى الحرب، إلى الطيارة والمدفع ، إلى الحديد والنار ، إلى سفك الدماء وإزهاق الأرواح ، إلى تخريب البلاد وتدميرها ، إلى القضاء على الحرث والنسل. وبهذا زادوا القضية تعقيداً وإشكالاً، وباغتوا أخوانهم الأكراد بحرب طاحنة ظهرت فيها الضراوة والوحشية بأقسى مظاهرها : حرب إبادة لا تبقي ولا تذر ، ولا ترق ولا ترحم... شعارات وهتافات من شأنها أن تعصف بوحدة الشعب فتفرق جمعه وتشتت شمل قومياته ومعتقداته . وأي شيء يرضي الاستعمار ويسرّه أكثر من تفرق جمع الشعوب وتشتت شملها". المذكرات، ص. ١٤٣، ١٤٠، مصدر سابق.

على العرب في بلادهم ولم تكن الحقيقة كذلك... [٢٥٤]] حسب قول طالب شبيب، الذي كان نفسه[من المعادين الأشداء للمطالب الكردية ودائم التهديد لهم ...[٢٥٥]].

وهنا لابد من التذكير من "... أن حزب البعث العربي الاشتراكي منذ تأسيه، لم يعر المشكلة الكردية أي انتباه، وبشكل أعم لم يعطي مسألة الاقليات القومية والدينية التي تعيش في العالم العربي أية أهمية كبرى. بل على العكس من ذلك، في مؤتمره التاسيس الأول (نيسان/ابريل ١٩٤٧) الذي أعلن دستور الحزب (أي برنامجه السياسي– الايديولوجي)، فإننا نلاحظ إن المادة ١١ من هذا الدستور ينص على أنه: " يجلى عن الوطن العربي كل من دعا أو أنضم إلى تكتل عنصري ضد العرب...". وبتعبير آخر، لا يحق لأية مجموعة قومية في دولة البعث الموحدة، أن تنتظم في حركة سياسية لا تعلن انتماءها إلى العروبة. وهكذا فإننا نرى بأن قضية بهذه الحساسية وفي غاية الأهمية من التعقيد تتعلق بمختلف الاقليات(الأثنية) أو القومية قد أغفلت وأبعدت عن بساط البحث..."[٢٥٦]. (التوكيد منا- الناصري)

في الوقت ذاته كان [... قادة الانقلاب وأعوانهم يضغطون على قاسم باعتباره لا يقمع الحركة القومية الكردية بالقسوة والشدة اللازمة. كانوا ومازالوا يطمحون إلى

---

٢٥٤ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٤٧

٢٥٥ - الأكاديميان بينروز، مصدر سابق الجزء الثاني ص ٢٢.

٢٥٦ - مصطفى دندشلي، حزب البعث، ص. ٢٥٩، مصدر سابق. ويؤكد المؤلف، في ذات الصفحة، أنه لم نجد في ادبيات البعث السياسية حتى اشتعال الحرب في كردستان العراق في صيف ١٩٦١ سوى مقالة واحدة للأستاذ عفلق، كتبت عام ١٩٥٥ إذ لم يتطرق للمسألة الكردية إلا عرضا وضمن الاطار العربي العام. ومن هنا يمكننا الاستنتاج بأن (الاخوة العربية الكردية) التي ذكرها بيان الانقلاب، وسياستهم العملية إزاء القضية الكردية لم تكن سوى مجموعة من الشعارات ولم تترق إلى برنامج واضح المعالم.

قمع عسكري أشد دموية وقسوة ضد الشعب الكردي. ان منشوراتهم حتى قبل انقلابهم بأيام اعتبرت حركة القوميين الأكراد حركة استعمارية مشبوهة... [٢٥٧]].

كما أن هذا الاتفاق الشفوي لم يضمن للحركة الكردية الحدود الدنيا لما كانت تطمح إليه، لأن البعث وأجنحة الحكم غير مؤمنة بالحل الجذري العادل للقضية الكردية بغية تحقق وتعزيز البعدين الوطني للعراق وامتداده القومي الطبيعي من جهة وللأكراد تحقيق الذات القومية وفقاً لمبدأ حق تقرير المصير من جهة أخرى. والدليل على ذلك أن البعث لم يقر آنذاك إلا بـ: [الحقوق الثقافية للأكراد وإشارات عامة إلى اللامركزية]، حسب تعبير أحد قادتهم بعد المؤتمر القطري الخامس. وحتى هذه الحقوق على بساطتها لم تتحقق. إذ بعد أقل من ١٠٠ ساعة على الانقلاب، بدأت السلطة بحملتها الشعواء لاعتقال عشرات المئات من أنصار وأعضاء الحزب الوطني الكردستاني، رغم وجود وزيرين كرديين في حكومة الانقلاب.. وعقدت جلسات تفاوضية مشتركة بين سلطة الانقلاب والحركة الكردية لم تسفرعن شيء جدي لإحلال السلام في كردستان وحل القضية سياسياً، مما أدى إلى انفراط عقد التحالف وشن حرب إبادة على الحركة في ١٠ حزيران من العام ذاته، وبضراوة ووحشية لم تشهدها المنطقة من قبل لأن:

[... عبد الكريم قاسم قاتل الحركة الكردية بمسؤولية السياسي، في حين قاتل عماش وعبد الكريم فرحان والعقيلي وطه الشكرجي وإبراهيم فيصل الأنصاري وصبحي

---

٢٥٧ - راجع آخر توجيه أصدره سلام عادل قبل اعتقاله، وهو بمثابة تقييم لانقلاب شباط، وكان بعنوان (ملاحظات أولية إلى لجان المناطق والالوية وقد حمل سلام عادل جزء من مسؤولية الانقلاب على عاتق الحركة الكردية عندما قال: [...**ان القوميين الاكراد حاربوا قاسم بصورة عمياء طالبوا العون من أية جهة لإسقاط قاسم، وغازلوا القوميين العرب اليمينيين وتعاونوا معهم وتصوروا بأن انقلاب ٨ شباط كما لو كان انتصار لهم، أن هذه السياسة تنم عن ضيق الآفق القومي وقصر نظر البرجوازي. أنهم يجابهون الآن عدو أشرس من قاسم، أن مطامح الشعب الكردي تتعارض مع أهداف الانقلاب على خط مستقيم تماماً**]. راجع نص التقرير في الملحق رقم ١ من هذا الكتاب.

عبد الحميد ضد الأكراد كضباط فنيين يعالجون عدواً شطرنجياً أو مختبرياً...وأعتقد أن قاسم كان يقاتل الأكراد متألماً... قتال المضطرين ... [٢٥٨]].

ولقد لعب الضباط البعثيون وغيرهم من التيار القومي دوراً كابحاً في حل المسألة التحررية الكردية إنطلاقاً من كونهم هم الصانعون الحقيقيون للانقلاب. حول ذلك يقول علي صالح السعدي: "... وأخذوا حينئذ يمارسون ضغطاً قوياً من أجل أعلان الحرب في كردستان... وكانت وجهة نظرهم تتلخص بأن ما يقصده الأكراد في الحقيقة (ليس الحصول على الحقوق القومية للشعب الكردي ضمن الوحدة العراقية) بقدر ما كانوا ينوون تكريس انفصال لا يكاد يكون خافياً. لذلك فقد طلب مجلس قيادة الثورة، من ممثليه في المفاوضات العراقية– الكردية بان تطول المحادثات أكبر وقت ممكن، حتى يستطيع أن يتسلح الجيش العراقي بمعدات حربية حديثة ويضع خطة هجومية جديدة وعلى نطاق واسع..."[٢٥٩].

وقد رصد هذه الحالة الأكاديميان بينروز، عندما قارنا طبيعة القتال إبان الحقبة التموزية/القاسمية بالقول: [وإذا نظرنا إلى هذه الفترة على ضوء ما تلاها من أحداث وجدنا أن الاشتباكات بين الفريقين أقل عنفاً وأكثر تراخياً مما حدث بعدها في العهود التالية... [٢٦٠]]، حتى أن حكومة الانقلاب أشركت الجيش السوري في هذه الحرب الضروس ونسقت مع تركيا وإيران وساهمت مصر آنذاك في مد يد العون المادي من عتاد ورشاشات، حسب قول طالب شبيب [٢٦١].

عندئذ "... بدات طبول الحرب تدق في كل زاوية وفي كل مقام حزبياً ووظيفياً وفي صفوف قادة الجيش ووحداته. وقد أضفى ميشيل عفلق أمين سر القيادة القومية شرعية الاقتتال بتصريحاته المعادية للشعب الكردي وإتهام قيادته بالعمالة والعداء

---

٢٥٨ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٦٢

٢٥٩ - مستل من مصطفى دندشلي، ص. ٢٦٩، مصدر سابق.

٢٦٠ - الاكاديميان بينروز مصدر السابق، ص ٤٤٢.

٢٦١ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٥٨

للأمة العربية. وقد صب بتحريضاته المعادية زيت الحقد على نيران الصراع بين أبناء الشعب الواحد... [٢٦٢]".(التوكيد منا- الناصري).

إن المنطق البرغماتي والشوفيني المنغلقين واللذين تغلفت بهما السياسة العملية للبعث العراقي غير قادرتين على فهم جدلية العلاقة القائمة بين المكونات الأرأسية للشعب العراقي من جهة، ولا الطموحات المشروعة للشعب الكردي المجزأ، في تكوين دولته القومية الموحدة مستقبلاً من جهة ثانية. وبالمحصلة لم يتمكن الحكم من الترجمة الفعلية لفحوى بيانه الأول، والمتعلق بالقضية الكردية.

١٠ ـ سطر البيان جملة من الأهداف السياسية الداخلية التي يتماشى جوهرها، باعتراف البيان، مع أهداف ثورة ١٤ تموز، وفي مقدمتها قانون الإصلاح الزراعي، وأخرى في السياسة الخارجية ذات لثغة تحررية، منها: الالتزام بالمواثيق والعهود الدولية؛ مكافحة الاستعمار؛ تعزيز السلم العالمي؛ استكمال الوحدة العربية واسترجاع فلسطين المحتلة... والأهم [سيؤمن تدفق البترول إلى الخارج].

واستقراءً للواقع التاريخي الذي أعقب الانقلاب، فإن هذه الأهداف كانت شعارات مجردة خالية من آلية التحقق، بل تراجعت عما تحقق في فترة الجمهورية الأولى _ ١٤ تموز ١٩٥٨- ٩ شباط ١٩٦٣) النيرة. إذ لم يكملوا تحقيق الأهداف التي لم تستطع ثورة تموز من إنجازها سواءً الداخلية أو الخارجية.. فلا الوحدة العربية (الفورية أو غير الفورية) أُنجزت؛ ولم يتم الحفاظ على المكتسبات التي تحققت بعد تموز؛ وبخاصة تلك التي تهم الفئات الاجتماعية الفقيرة والكادحة، وما له علاقة بالمرأة وحقوقها والعائلة والقوانين المنظمة لها؛ ولم يتطور الإنتاج الوطني مقارنةً بالسنة السابقة ولم تتحقق العدالة الاجتماعية لتوزيع الثروة الوطنية ولا إشراك الجماهير في إدارة الحكم...الخ. رغم أنهم لم يكونوا منشغلين كما كان عليه الزعيم قاسم [**...في مدة حكمه القصير لمواجهة حلف بغداد وامتداداته وشركات النفط وألاعيبها، وقضية الإقطاع ومهمات تصفيته بكل متعلقاته الاجتماعية والاقتصادية والفنية، وتصفية**

٢٦٢ - أحمد أمين، المذكرات، ص. ١٧١، مصدر سابق.

القواعد العسكرية، وتحرير الدينار العراقي من سطوة الاسترليني، وتسليح الجيش والقوات المسلحة بالسلاح السوفييتي بعد قطع علاقاته بالسلاح الغربي، وهي قضايا لم تكن تشغل حكومات معارضيه. فقد استلموا العراق من عبد الكريم قاسم وهو مستقل ومتحرر ..."[٢٦٣]، ناهيك عن عملية البناء الاجتماعي - الاقتصادي، وما فرضته جغرافية العراق من إمتدادات وتاريخيته من تعمق في تكوين الهوية الوطنية.

لكن الشيء الذي تحقق فعلاً كان: (تأمين تدفق النفط إلى الخارج)، وكذلك (القضاء على عدو الشعب عبد الكريم قاسم وزمرته المستهترة) حسب نص البيان.

لقد أكد وزير خارجية الانقلاب في أول مؤتمر صحفي له جوهر بيانهم عندما قال:

[... لن يلحق أي ضرر بشركة نفط العراق، وستحترم الحكومة جميع اتفاقياتها مع الشركة وتؤمن تدفق النفط من العراق... "[٢٦٤]. لأن أحد أهم دوافع الإنقلاب بالنسبة للمخططين الأجانب له: هو مسألة النفط، خاصةً بعد صدور قانون رقم ٨٠ ونشر مسودات قانون شركة النفط الوطنية نهاية عام ١٩٦٢ [... لأن الاستيلاء على الحقول النفطية غير المستثمرة يعتبر تحدياً للاحتكارات وإن على الزعيم التراجع عما يريد الإقدام عليه والا سيواجه ما لا تحمد عقباه]. فكان إعدامه هو العقبى لتحديه.[٢٦٥]

لقد آلت إلى النسيان والإهمال كل تلك الشعارات العريضة التي حاربوا نظام الزعيم قاسم بها وتلك المسطرة بهلامية في برامجهم. فكان الإفلاس السياسي قرينتها الأبرز، ليس على صعيد المجتمع فحسب، بل حتى على قوى الانقلاب ذاتها كحصيلة متناقضة جمعها عداؤها للزعيم قاسم، ولحزب البعث كتنظيم سياسي تشرذم

---

٢٦٣ - حسن العلوي، رؤية بعد العشرين، مصدر سابق، ص ١٥٧.

٢٦٤ - التصريح مستل من كتاب يونس بحري، ثورة ١٤ رمضان المبارك، مصدر سابق ص ١٠٦.

٢٦٥ - تشير الوثائق البريطانية المرفوع عنها السرية إلى أن السفير البريطاني في بغداد، قد اجتمع مع وزير خارجية حكومة الانقلاب طالب شبيب، في ١٠ شباط وبعد اعلان اعدام الحياة للزعيم قاسم، ونصحه بإصدار"... بيان رسمي حول سياسة الحكومة الجديدة وموقفها من الالتزامات الدولية" راجع حامد البياتي، الانقلاب الدامي، ص.٣١، ط.٢، مصدر سابق.

وتشتت. وقد رصد هذا أحمد حسن البكر عندما كان رئيس وزراء حكومة الانقلاب عندما قال: [...لقد كنت ألمح علائم الحب في عيون الناس، أما الآن فإني ألجأ إلى الطرق البعيدة وليس فيها البشر، لكي أختبئ وأتحاشى عيون الناس، لأني لم أعد أرى إلا الكره في عيون الناس...][٢٦٦].

وهذا صحيح جداً طالما أن التنظيم الحزبي والحرس القومي [... وبتعبير غير حزبي فإنها، ضمت المتحمسين والباحثين عن المغامرة، كما ضمت متوحشين حقيقيين إن كان للمرء أن يحكم من خلال السلوك...] وأن [... قيادة الحرس القومي تصرفت كما لو كانت هي السلطة العليا وأصبحت متهورة ومهووسة بالسلطة... فإنها شكلت مصدراً للتمزيق السياسي... وأكثر من هذا فإنها بانتقامها الموجه ضد أعدائها السياسيين والقدر الكبير من القسوة التي لجأت إليها، نجحت في جعل نفسها مكروهة عموماً وفي إلحاق أكبر الأذى بصورة الحزب في أذهان الناس...][٢٦٧].

١١ - خلى البيان من طبيعة التوجه الاجتصادي اللاحق، بصورة واضحة، وهذا ناجم عن عدم قدرة قوى الحكم ومحدودية أفق فكرها، على صياغة أسس السياسة الاقتصادية والاجتماعية التي سوف تنتهجها. هذا الظرف اضطرها إلى الالتجاء إلى مفكريها في القيادة القومية، لكي يجدوا علاجاً وحلولاً آنية للقضايا التي طرحتها الحياة، ولأجل تجاوز المشروع القاسمي الذي كان هاجسهم الدائم. لكن وحتى [... القيادة القومية نفسها، باعتبارها أعلى سلطة قيادية في الحزب، كانت هي الأخرى أعجز بكثير من أن تقوم بمهامها وتنفذ ما هو مترتب

---

٢٦٦ - نضال البعث عبر بيانات قيادته القومية ١٩٦٣ - ١٩٦٦، ص ٨٨ وما بعدها. مستل من حسن السعيد، نواطير الغرب، مصدر سابق، ص ١٣٧.

٢٦٧ - حنا بطاطو، الجزء الثالث، ص ٣٢٤، مصدر سابق. وقد استند المؤلف إلى وثيقة داخلية لحزب البعث معنونة ب (محاولة لتفسير الأزمة الراهنة ولتقييم تجربة الحزب في العراق) شباط ١٩٦٤.

عليها، ولا يعود ذلك لكونها تعاني شللاً كاملاً فقط... وإنما لأنه ينقصها أيضاً المعرفة العملية للواقع المعقد في العراق... [٢٦٨].

إن فقدان حكومة الانقلاب لبرنامج محدد واضح الأبعاد يُعبر عن توجهاتها، عمق من معضلة مدى قدرتها على المكوث والاستمرار في عربة الحكم طالما أن قيادة العربة (الأمريكان) هي التي حددت ماهية المهام الأرأسية للانقلاب. كما أفصح عن خوائها وعقمها حيث أنتجت إدارة:[...فوضوية من قبل سلطة حزبية غير مستقرة وغير خاضعة لبرلمان، سيؤدي إلى صراع شديد حول مكاسبها، وهذا أمر برز في أوضح صورة في عام ١٩٦٣ عندما أوضحت أجهزة الدولة العراقية بين مجموعة تقرر ما تشاء بصورة غير منضبطة وأصبح كل واحد يتمسك بسطوته ومكاسبه وطموحاته التي أعطتها له السلطة ولم يكن بمقدور أية جهة... إيقاف تلك الموجة المتطلعة والمتحدية. فلقد وجد البسطاء والمحرومين المنتمين للحرس القومي، سهولة في إدارة الفوضى والتحلل من المسؤوليات... كانت ثقافة الحزب ممتلئة بذم السلطة والحكم وتنأى بالبعثيين عن شؤون السلطة، لكنهم فوجئوا بتربعهم على رأس حكومة العراق المتعدد الأديان والقوميات والمذاهب والثروات والمتنوع بتياراته السياسية، بل إن الموجة الفوضوية حلّت في كل شيء ما عدا تطوير جهاز الدولة والتخطيط الاقتصادي...[٢٦٩] كما يعترف طالب شبيب.

و [... عند التحري نجد أن حكومة ٨ شباط لم تقدم ولم يكن بين يديها أي برنامج مؤقت أو ثابت لتقديمه ولم تعلن أية آلية تطبيقية متميزة، لكي يقال، في حالة

---

٢٦٨ - مصطفى الدندشلي، مصدر سابق. مستل من حسن السعيد، مصدر سابق، ص ١٣٥. وحول البرنامج المرحلي، راجع الملحق رقم خمسة من الكتاب.

٢٦٩ - مراجعات، مصدر سابق، ص ١٥٢. على ضوء هذه الاعترافات المتأخرة والفشل في الحكم [... لذلك تفرض سنة الحياة على الفاشلين أن يفسحوا الطريق لغيرهم بإرادتهم أم بغيرها، وتستمر الحياة ويزول الأفراد مهما كانت مشاعرهم ومبرراتهم. ولن يُخلّد أحداً إذا لم يترك آثاراً مادية أو معنوية بين الناس مرمزة في التراث وتتناقلها الأجيال] هامش ص ١٥٣، كان الأولى بشبيب أن يطرح على نفسه السؤال الكبير لماذا قتلوا الزعيم قاسم وهدموا النظام وما بناه، قبل تبرير فشلهم.

الإخفاق، أن الظروف كانت أقوى من إمكانية التطبيق... وما يثير العجب أن جميع قادة تلك المرحلة أخبرونا، مباشرة أو عبر قنوات مختلفة، أنهم لم يفكروا بغير إسقاط نظام قاسم ولم تكن لديهم أية فكرة عن شكل البناء السياسي الاقتصادي القادم... ولم تنجح سوى بتغيير بعض الموظفين القاسميين وبعض الهياكل الإدارية وتغيير بنية الجيش (الضباط) حيث تم طرد أكثر من ألفي ضابط منه خلال أقل من ثلاثة أشهر... وبهذا تكون سمة السلطة العامة في ٨ شباط هي فقدان الاتجاه..."[٢٧٠].

١٢ ـ دعى البيان الأول إلى أن النظام [سيحافظ على المكتسبات التقدمية وفي مقدمتها الإصلاح الزراعي وتطويره لمصلحة الشعب وإقامة اقتصاد وطني يهدف إلى تصنيع البلد وزيادة إمكانياته المادية]. في البدء يعترف البيان وواضعوه أن المرحلة القاسمية قد حققت مكاسب ذات طابع تقدمي شمل قطاعات واسعة مست أكثر من ٥٠ - ٦٠٪ من السكان وبخاصة الفلاحين وسكنة الريف؛ فقراء وكادحي المدن؛ النساء والانتلجنسيا؛ وقطاعات واسعة من الفئات الاجتماعية الوسيطة، الذين أمسوا جميعهم يمثلون القاعدة الاجتماعية للحكم.

في حين انخفضت قيمة الإنتاج الزراعي الإجمالي في عام ١٩٦٣، بالقياس إلى الأعوام: ١٩٥٣،١٩٥٩،١٩٦٠،١٩٦١،١٩٦٢. كما افتقر قادة الانقلاب من سياسيين وعسكريين البرنامج لإدارة البلاد أو الحكومة. فحسب ما يشير حنا بطاطو فقد انكبت القيادة الجديدة بالحماقات المتسرعة والسخافات المبتذلة كما انساقت وراء الأوهام والنزوات المتمثلة بالعداوات الشخصية، الارتجال والعفوية، التراكض وراء المناصب العليا والرواتب الضخمة. فافتقار الحزب لبرنامج محدد عمق معضلة النظام، التي أصبحت عملية حلها أو التصدي لها ميؤوساً منها. فبدلاً من هذا البرنامج امتلك الحزب عموميات أو أفكارعامة غير ناضجة، كانت بعيدة عن التفكير المنظم الواعي

٢٧٠- المصدر السابق، هامش د. علي كريم سعيد، ص ١٥٣

لأوضاع الحياة في البلاد وبكلمات أخرى، فالبعثي الذي يتصفح عبثاً أدبيات حزبه، سوف لن يجد تحليلاً موضوعياً لمشكلة مفردة، تكتنف أو تعالج مسيرة العراق...[٢٧١]].

واستكمالاً لهذه المقارنة، يرى الأكاديميان بينروز بصدد آراء الزعيم قاسم ومعالجة أوضاع البلد: [... **فمن الصعب أن ننكر، أن هذه الأراء، هي الأصلح للعراق مما كان يريده خصومه في فرض آرائهم على من يخالفونهم فيها. وكانت النتيجة خرقاً لما كانوا يدعون إليه. فكانت العواطف دائمة التكرار في خطب قاسم وفي دعوته للعراقيين أن ينبذوا خصوماته واختلافاتهم من أجل خير الوطن. كانت غريزة قاسم أصح من غريزة خصومه... وبالنسبة إلى الشؤون الداخلية، أبدى قاسم نظرة أكثر تقدماً من جميع أسلافه وخلفائه... وكانت أعماله تنسجم مع دعواته المتكررة والملحة إلى** ضرورة الوحدة الداخلية في العراق... فقد كان دائم الاهتمام برفع مستوى الحياة للطبقات الفقيرة والضعيفة اقتصادياً وخاصةً في تحويل الصرائف إلى دور يتوفر فيها الماء والكهرباء...[٢٧٢]].

أن توقف النمو المضطرد لواقع البناء الاقتصادي المنطلق مع تموز والذي تبينه الأرقام الصماء للناتج الاجتماعي الوطني، تؤشر بقوة الموضوعية، إلى نسب النمو المتقهقرة، والتي انعكست في تعمق قانون التفاوت الاقتصادي للطبقات الاجتماعية والمناطق الجغرافية؛ وازدياد عدد العاطلين عن العمل والمطرودين منه لأسباب سياسية؛ ونمو عسكرة البلد (ارتفاع نسبة العاملين بالمؤسسة العسكرية لكل ألف من السكان) حيث بلغت في حدود ١١ ٪، في حين أن النسبة العالمية المعتمدة في الأوضاع غير الحربية لا تتجاوز ٧٪؛ كذلك ازدياد الهجرة غير الطبيعية من الريف إلى المدينة؛ وهروب رؤوس الأموال الوطنية والعقول العلمية نحو الخارج بسبب انعدام الاستقرار السياسي.

---

٢٧١ - راجع د. عباس النصراوي، الاقتصاد العراقي: النفط. التنمية. الحروب. التدمير. الافاق. ١٩٥٠ - ٢٠١٠، ترجمة محمد سعيد عبد العزيز، دار الكنوز الادبية، صص ٥٦ - ٦٥

٢٧٢ ـ الأكاديميان بينروز، مصدر سابق، ص ٤٥٤.

أن البيان وواضعوه أشبعوا الناس شعارات جوفاء لم تسفر سوى عن تعميق الاستلاب والاغتراب وزادها عمقاً الإرهاب المادي والمعنوي الذي أمسى هو الحالة العامة وليست الاستثنائية.. ولهذه الأسباب ولغياب البرنامج المحدد لتنمية البلاد، وانطلاقاً من ضرورة قيام الحكومة بإنجاز وظائفها الاعتيادية، استمر النظام الجديد بتنفيذ الخطة الاقتصادية التفصيلية لعهد الزعيم قاسم.

ومن العرض السابق للبيان الأول وطبيعة السلطة وممارستها، يمكننا القول **أنها عكست السمات العامة للدولة البيروقراطية التسلطية والتي يمكن استخلاصها من مفهوم (القوة التسلطية) المستمدة من تنسيق البنى التحتية للمجتمع.** بعبارة أخرى أن هذا المفهوم يعني **ثلاثة أسس لا تستهدف العملية التنموية بقدر ما تستهدف إدامة نظام الحكم**، وهي:

"١ - احتكار مصادر القوة والسلطة في المجتمع؛ (وهكذا تم اختراق المجتمع المدني)

٢ - بقرطة الاقتصاد إما من خلال توسعه للقطاع العام (الأحرى الحكومي - الناصري) وإما بإحكام السيطرة عليه بالتشريع واللوائح (أي رأسمالية الدولة التابعة)؛

٣ - كون شرعية نظام الحكم تقوم على القهر من خلال ممارسة الدولة للإرهاب المنظم ضد المواطنين..."

وعندما ندرس من الناحية النظرية أدوات الحكم التسلطي التي هي:

"أ - النخبة المتسلطة (عسكرية ومدنية)، وفي بعض الحالات الحزب الحاكم؛

ب - التركيبة البيروقراطية - العسكرية للدولة؛

ج - البنى الموازية لنظام الحكم كالتضامنيات القبلية والطائفية والمهنية، أوالترتيبات غير المؤسسية كمجلس قيادة الثورة مثلاً، التي تعتبر امتداداً لسلطة الدولة؛

د - البنى المساعدة كالحرس الوطني والبوليس السري والمباحث والاستخبارات والميليشيات الطائفية أو القبلية.

إن هناك عنصراً إضافيا للدولة التسلطية في العالم الثالث وهو أن لها حضارة مميزة، وهي حضارة الطبقات الوسطى أو الحضارة الاستهلاكية. كما أن للدولة التسلطية بيئة مميزة هي بيئة المجتمع الجماهيري. وللدولة التسلطية كذلك نظام اقتصادي خاص هو النظام الرأسمالي التابع، وبمعنى أدق: رأسمالية الدولة التابعة...[٢٧٣] ".

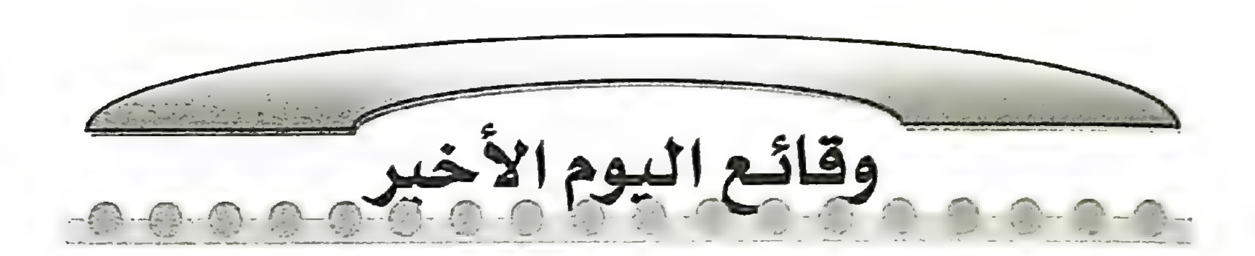
وعند مقارنة هذه الابعاد النظرية بالممارسات العملية لحكومة انقلاب ٨ شباط، نصل إلى أنها كانت سلطة تسلطية استبدادية. وقد أعترف أحد أعضاء القيادة القومية بذلك، عندما وصف ممارسات الحكم آنذاك، بأنها قد اتسمت: [... بارتجال عجيب وترك للعناصر المستعجلة أن تستولي على اتجاهات بضعة ضباط هنا وهناك باسم الحزب؟ هيأ بعد ذلك لإنحراف خطير ظهرت آثاره بعد ذلك حين تولى الحزب الحكم في العراق وسورية. لقد كنا نتخبط في التناقضات بسبب الخلافات الحزبية، كل ذلك كان يقتضينا في بحث النقطة الصغيرة غير المهمة ساعات وساعات من الجدل العقيم في جو من الاتهام والتهديد وإنهاك الأعصاب واليأس والرغبة في الخلاص من هذا كله. ويجب أن أعترف هنا بأنني كنت غريباً في مثل هذا الجو فقد قضيت زهرة سني حياتي في الحزب و لكنني لم أرَ مثل هذه الأجواء إطلاقاً كان السجن أهون عندي من النزول إلى هذا الدرك ولطالما فكرت بالاستقالة ... إن طابع حكم البعث كان طابعاً عسكرياً مباحثياً يستند إلى أجهزة القمع أكثر بكثير من استناده إلى ثقة الجماهير به وثقته بالجماهير، وبرغم أن الحكم كان ينادي بأنه حكم الجماهير وحكم العمال والفلاحين، كانت (الجماهير) تعيش في ظل حكم عسكري مباحثي وأن السلطة الحقيقة هي بيد ضباط الجيش والمخابرات.. وكيف يمكن أن يقتنع الشعب بأن هذا الحكم حكمه... وهو يعلم أنه ليس له طريق، أي طريق، لإيصال رأيه إلى الدولة فضلاً عن اشتراكه في حمل المسؤولية التي يتولاها بضعة عشر رجلاً في رأس الدولة، يأمرون وينهون في غرف مقفلة لا يطلع الشعب على ما يدور فيها إلا من خلال ما يصدر عنها من أوامر وتعليمات وقوانين...[٢٧٤]].

---

٢٧٣ - د. خلدون حسن النقيب، الدولة التسلطية، مصدر سابق، ص ٣٢ - ٣٣.

٢٧٤ - منيف الرزاز، التجربة المرة، مصدر سابق، ص ٣٩.

الفصل الخامس



وقائع اليوم الأخير

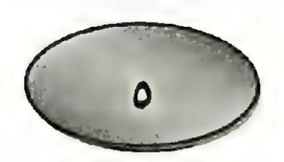
١,٥- البدايات

٢,٥- الخطابان الاخيران لعبد الكريم قاسم

٣,٥- في الشارع المقاوم

- صورة من المقاومة

٤,٥- بيان الإبادة رقم ١٣



١ ـ البدايـــات:

يصف قاسم الجنابي [٢٧٥]، مرافق الزعيم قاسم، وقائع الليلة السابقة للانقلاب بالقول:

[... انتهى مجلس الوزراء من جلسته المنعقدة في ٧ شباط في الساعة الثانية والنصف بعد منتصف الليل، وبعدها رافقت عبد الكريم قاسم (بعد تناوله طعام الفطور، إذ كان صائماً، واستراح قليلا في غرفته، كما يذكر جاسم العزاوي عن لسان قاسم الجنابي) في جولته العادية الليلية التي كان يكررها كل يوم تقريباً. وفي هذه الليلة اتجهنا إلى بيت يحيى الجدة (شقيق الزعيم عبد الكريم الجدة آمر الانضباط العسكري) في الأعظمية والذي كان صديقه وكثيراً ما كان يزوره و يتصل به هاتفياً. كانت دار يحيى الجدة تقع مقابل دار عبد السلام عارف، ولكننا لم نر أية حركة تلفت النظر. وبعد أن استقر بنا المقام هناك وتبادل الأحاديث وتناول طعام السحور، طلب مني الزعيم أن أذهب إلى

---

٢٧٥ - هنالك أكثر من مصدر نشر التقرير الذي كتبه قاسم الجنابي إلى الجهات المختصة في ١٩٦٥/٠٤/٠٥، منهم جاسم العزاوي وإسماعيل العارف وأحمد فوزي، كلها مصادر سابقة، لكن خليل إبراهيم حسين يدعي أن قاسم الجنابي كتب التقرير له وهو لا يخرج في فحواه العام عما دونه الآخرون، سوى في لوي عنق النص بما يرغب خليل إبراهيم نفسه. وهذا ديدنه حيثما كتب عن عبد الكريم قاسم. النص الذي ورد أعلاه مقتبس من كل هذه المصادر، بعد مقارنتها.

دار الأستاذ مصطفى علي، وزير العدل السابق في بغداد الجديدة [٢٧٦] ولم أكن أعرف موقعه ولكنه رسم لي مخططاً ودلني على بيته، وكانت الساعة تشير إلى الثانية والنصف بعد منتصف الليل.

أخذت سيارة الحرس المعقبة التي كان فيها بين ٣ - ٤ حراس بعد أن طلبت منهم ترك السيارة والبقاء لحراسة عبد الكريم قاسم. وصلت الدار وبلغته رغبة الزعيم بمقابلته ولكنه قال انه سيأتي إلى دار عبد الكريم في السعدون، وعدت راجعاً إلى دار يحيى الجدة وبلغت الزعيم النتيجة.

وبلغت الساعة الثالثة والنصف ولما سمع عبد الكريم قاسم ما قلته له غادر الدار وذهب إلى داره في السعدون. دخل الزعيم داره أما أنا فبقيت في الدار المجاورة والمستأجرة لمبيت فصيل الحماية وهو نفسه فصيل الدفاع والواجبات للواء ١٩ قديماً والذي دخل بغداد مع اللواء صبيحة ١٤ تموز وكان يقوده النقيب حافظ علوان الذي تعين بعد الثورة مرافقاً للقائد العام للقوات المسلحة. وكان الفصيل يقسم إلى وجبتين نصف يرتاح ونصف أخر يقوم بواجب الحراسة.

كنت نائما عندما أيقظني العريف قائلاً سيدي الإذاعة تذيع بيانات خلي نحضر فصيل الدفاع. ذهبت إلى دار الزعيم فوجدته لازال يفطر (المصادر الأخرى تقول يحلق. لأنه

٢٧٦- كتب مصطفى علي في الملحق الأول من مذكراته المخطوطة، مصدر سابق، حول موضوع استدعائه من قبل الزعيم قاسم وكان بسبب رفع مذكرة له : "... لحل مشكلة كردستان الذي وجهناه في ٢٥ كانون الثاني ٩٦٣ صممنا، نحن الموقعين عليه، أن نؤلف وفداً يقابل رئيس الوزراء، ثم يسافر لمقابلة الملا مصطفى البارزاني لإصلاح ذات البين. فألفنا الوفد من المحامي أحمد الأوقاتي والمهندس عبد الرزاق مطر ومني... " لذا استدعى الزعيم قاسم الوزير مصطفى علي الذي ضَمَّنَ مضمونها في رسالته الموجهة الى قاسم بتاريخ ٥ شباط ١٩٦٣ التي ذكر فيها إن علاقته بقاسم هو الاخ بالرضاعة.. لان والدة مصطفى قد ارضعت عبد الكريم قاسم بعد ولادته، لهذا عنون الرسالة بعبارة (أخي عبد الكريم) ثم يستطرد في شرح مواضيع المقابلة ويشير إلى أن قاسم اطلعه على محافظ " ... ثم أفرد من بينها محفظة وقال : هذه تضم مشروع الدستور .. الدستور الذي ستضعه لجنة خاصة .. وسوف تشتغل معي فيه وتعاونني...". راجع نص الرسالة في الملحق (١٩).

كان صائماً - الناصري) وهو يعلم بما حدث وقال لي: سنذهب إلى معسكر الرشيد وطلب مني أن اتصل باللواء التاسع عشر الذي يقوده العميد الركن فاضل عباس حلمي. اتصلت تلفونياً حسب الأمر وكان المتكلم مقدم اللواء الرائد الركن عزيز جعفر الصندوق، الذي طلب منه عبد الكريم قاسم بعد أن عرفه بنفسه تهيئة سرية في باب المعسكر وكرر عليه أنا جاي أنا جاي (بمعنى أنا قادم، أنا قادم - الناصري).

وبينما كان الزعيم يهم بمغادرة داره وإذا بالزعيم الركن طه الشيخ أحمد يصل، حيث كانت داره قريبة من دار الزعيم (ولا تبعد سوى حوالي ٥٠٠ متر، حوالي٤ بيوت)، فاقترح على الزعيم أن نذهب إلى وزارة الدفاع وقال هؤلاء قلة بعثيين، ولم يرد عليه عبد الكريم قاسم. والتحق كذلك النقيب حافظ علوان لتبديلي، إذ إن خفارتي قد انتهت[٢٧٧] .

خرج عبد الكريم قاسم وسار بسيارته وتبعته سيارة الحرس باتجاه وزارة الدفاع عبر الباب الشرقي ووصلنا شارع الجمهورية وكان الوضع عادياً وكان يحي الناس والناس تحييه ودخلنا وزارة الدفاع وصعد عبد الكريم قاسم إلى مقره وفي هذه الأثناء التحق عبد الكريم الجدة...[٢٧٨] [.

---

٢٧٧ - يشير أحمد فوزي، في الساعات الأخيرة، مصدر سابق، ص ١١١ دون غيره ممن أرخوا لهذا اليوم، إلى أن: [عقارب الساعة تقترب من التاسعة صباحاً يوم الرابع عشر من رمضان ١٣٨٢ الموافق ٨ شباط ١٩٦٣، عندما رن جرس الهاتف في مسكن الفريق الركن عبد الكريم قاسم رئيس وزراء الجمهورية العراقية.. يخبره (أحدهم) بأن جماعة قد احتلت مركز شرطة المأمون في الكرخ.. ولم يعر عبد الكريم قاسم أهمية لهذه المكالمة، ولكنه بدأ يحلق ذقنه ويتهيأ لارتداء ملابسه العسكرية. وبينما كان قاسم الجنابي يرتدي ملابسه العسكرية... اتصل به مدير الأمن العام عبد المجيد جليل وطلب إليه إيقاظ الزعيم لأن انقلاب قد وقع]. أن تقرير قاسم الجنابي لم يتطرق إلى مكالمة مدير الأمن العام، كما أن أحمد فوزي، كعادته، لم يشر إلى مصدر معلوماته.

٢٧٨ ـ راجع نص التقرير في الموسوعة، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص ٤٠٠، كذلك في كتاب، أين الحقيقة في مصرع عبد الكريم قاسم، لأحمد فوزي، مصدر سابق، ص ١١٩.

اتصل الزعيم قاسم في الساعة العاشرة إلا ربعا من صباح يوم ٨ شباط بمجموعة من الضباط المقربين، الذين أخذ البعض منهم يتقاطر على وزارة الدفاع، حتى دون استدعاء رسمي، وتم تداول الموقف لرسم خطة التحرك. وكان يردد كما يقول قاسم الجنابي:

[بسيطة، بسيطة هؤلاء ضباط صغار، وأنا أعرف العملية منذ مدة، وأردتهم أن يشرعوا بالعمل ويتلبسوا بالفعل حتى ينالوا الجزاء العادل...[٢٧٩]].

ترى هل فعلاً كان الزعيم قاسم يعرف بالمؤامرة ورؤوسها؟ كما تساءلنا سابقاً، وأجبنا بأنه كان يعرف كل أبعاد التحرك العسكري للمؤامرة ومنطلقها من خلال عدة مصادر. يؤكد ذلك اسماعيل العارف عندما يقول: [...**ولم يكن أمر الحركة الانقلابية خافياً على عبد الكريم قاسم، بل كان على علم تام بتفاصيل الحركة وأسماء القائمين بها من مصادر أجهزة الأمن، وبعض الضباط المخلصين له الذين عرفوا بها، ومن مصادر الحزب الشيوعي الذي ضمنها في نشرات علنية أصدرها في ٣ كانون الثاني/يناير ١٩٦٣.. كما وردت إلى الزعيم عبد الكريم معلومات أكيدة من ضباط اشتركوا في المؤامرة ولكنهم تراجعوا بسبب محبتهم لعبد الكريم قاسم...[٢٨٠]].**

ويؤكد ذلك باحث آخر عندما يقول ما توصل إليه: [... لم تخف تلك الاستعدادات لا عن أجهزة الأمن والاستخبارات العسكرية ولا عن الحزب الشيوعي العراقي الذي وصلت إلى قيادته معلومات موثقة عن تحركات مشبوهة يقوم بها ضباط قوميون وبعثيون في عدد من وحدات الجيش، فأصدرت بياناً في ٣ كانون الثاني ١٩٦٣ حذرت فيه من خطورة الموقف: [...**إن كتائب المدرعات المرابطة في معسكرات بغداد، وكذلك لواء المشاة التاسع عشر قد أصبحا بؤراً لنشاط عدد لا يستهان به من الضباط الرجعيين والمغامرين الذين يأملون اتخاذ هذه المراكز منطلقاً للانقضاض على استقلال البلاد ويحددون لهذا الغرض المواعيد تلو المواعيد...** وفي أوائل شباط ازداد توارد

---

٢٧٩ - راجع جاسم العزاوي، المذكرات، مصدر سابق، ص ٢٦٨

٢٨٠ - إسماعيل العارف، المذكرات، مصدر سابق، ص ٤١٢

المعلومات إلى قيادة الحزب الشيوعي وهي تؤكد على أن خطة انقلابية معادية على وشك التنفيذ وأن الأيام القادمة ستكون حاسمة...[٢٨١]].

وقد لعب أحد ضباط الاستخبارات دوراً مهماً في الكشف عن هذه المؤامرة، وهو بعثي الانتماء ومن مجموعة صالح مهدي عماش وهو (المقدم جابر علي كاظم)، كما أشارت إلى ذلك الوثائق التي عُثر عليها في مقر الزعيم وفي الاستخبارات العسكرية، وهو ما أشار إليه وأكده هاني الفكيكي في (أوكار هزيمته)، وطالب شبيب في مذكراته. وليس كما أشاع وادعى عماش من كون السفارة البريطانية كانت مصدر معلومات الزعيم قاسم[٢٨٢].

---

٢٨١ - صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ الحركة الشيوعية، مصدر سابق، ص ١٠٣

٢٨٢ - ولأجل أن يُخرج عماش نفسه من دائرة ظل المشبوهية والاتهامات الصريحة بتعاونه مع المخابرات الامريكية، وتبرير اعتقاله يوم ٥ شباط، فقد صرح في مقابلة له مع مؤلف كتاب ثورة ١٤ رمضان صالح الجبوري، مصدر سابق، ص ١٣١، بأنه: [... بعد ٨ شباط تسلمت مذكرة من قبل محمد يوسف طه (أحد ضباط الانقلاب المشتركين في لجنة جرد مقر الزعيم قاسم مع جعفر قاسم حمودي والمقدم علي عريم - الناصري) وقد عثر عليها في غرفة عبد الكريم قاسم. تفيد هذه المذكرة **(حفظاً على نظامكم الصديق والعلاقات الوطيدة معكم، نحذركم من محاولة سيقوم بها المقدم صالح مهدي عماش، أحد ضباط الانضباط العسكري وهو من الضباط الناصريين وهذه المحاولة لصالح عبد الناصر) ويتساءل عماش عن مصدر هذه المذكرة ويُرجح أن مصدرها السفارة البريطانية]**.

ناقش د. علي كريم سعيد في هامش ص ٢٨، هذا الادعاء بالقول: [... **ولاشك بأن ما قاله عماش هو محض تزوير وافتراء**، لأنه أولاً: لم يجرؤ على قول ذلك منذ عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٨ (المقابلة جرت معه بتاريخ ١٩٨٤/١٢/١٦ - الناصري). ثانياً تَصَنّعَ أن تخطيء المذكرة المزعومة بانتمائه إلى الناصرية وليس إلى البعث بينما كان الجميع يعرفه بعثياً وذلك لكي يوحي بأن أجنبياً كتبها. ثالثاً الجميع حاول تبرئة ساحته مشككاً بقاسم، لكن البحث والتقصي أكد بياض صفحة قاسم ويديه في حين أظهر استعداد الآخرين المتعجل لخيانة الوطن. رابعاً أين المذكرة وإذا كان أمرها صحيحاً لماذا لم يحتفظ بها وهي تحمل برهان براءته. خامساً لم يشر أي شخص لهذا الأمر، بمن فيهم محمد طه يوسف الذي لم يعد موجوداً الآن. وبهذا يكون عماش واحداً من الذين يحاولون السخرية من ضحاياهم. يريد بعد خيانته لهم وتدميرهم أن يقول أنه أنظف من عبد

كما وجدت قائمة بأسماء المتآمرين على مكتبه بعد التاسع من شباط وكان المفروض إحالتهم للتقاعد قبيل ذلك اليوم.. لكن تباطؤ، إن لم نقل تواطؤ، مدير الاستخبارات العسكرية محسن الرفيعي الذي طلب من الزعيم تأجيل البت فيها إلى يوم السبت ٩ شباط، كما أُشيع آنذاك، لذا كان ذلك أحد أسباب تقديم موعد الانقلاب كما مر بنا.

ولأجل إثبات معرفة الزعيم بهذه العملية، نورد ما يؤكدها على لسان سكرتيره جاسم العزاوي [٢٨٣]، الذي قال: "... وقبيل ثورة رمضان بحوالي أكثر من شهر جرت محاولة لتوحيد الجهود، فقد عقد اجتماع في دار صبحي عبد الحميد بالوزيرية بين ممثل الحزب (المقصود البعث- الناصري) وممثلي القيادة البديلة- أنا وصبحي عبد الحميد (حركة القوميين العرب- الناصري). وخلال الاجتماع جرت مناقشة طويلة طرحت خلالها الرأي في أن يكون العمل ضمن نطاق الضباط الأحرار وليس الحزب، وكل ضابط يبقى حراً في ولائه الحزبي على ألا يدخل هذا الولاء في العمل للإعداد للثورة. وعلى إثر ذلك امتعض عماش وحدثت مشادة كلامية بيني وبينه...

يبدو أن أخبار تلك الاجتماعات قد أُبلغت إلى عبد الكريم قاسم، ففي كلمته بمناسبة عيد السلامة والابتهاج في أوائل كانون الأول ١٩٦٢، ذكر أن هناك بعض الخونة

الكريم قاسم وإن قاسم صديق للانكليز وموجهاً من قبلهم. ويذكر أن محمد يوسف كان واحداً من لجنة جردت موجودات مكتب قاسم ولو عرف بشيء فسيعرفه الآخرون!! وقد ذكر كل الذين اشتركوا بجرد مكتب قاسم برسائل بعثوا بها إلى خليل إبراهيم حسين وإلى أحمد فوزي أو كتبوا مذكراتهم ولم يذكروا تلك البرقية رغم خطورتها، ولو كانت صحيحة فستكون أول وثيقة تدين عبد الكريم قاسم ...]

٢٨٣ - و يعترف جاسم العزاوي في مذكراته ص ٢٠٦ - ٢٠٨ بتآمره، حيث ورد أسمه في مؤامرة رشيد عالي الكيلاني مع مجموعة من الضباط من أمثال الطبقجلي وسري والعبدي وسعدون حسين وعبد الكريم محمد، وقد أثبت التاريخ تورطهم جميعاً في العمليات الانقلابية. وساهم الأخيران بصورة غير مباشرة في الانقلاب الأخير، حيث تعاون الأول معهم لتسليم الإذاعة، والثاني لم يهب لنجدة قاسم عندما كان قائداً للفرقة الثالثة يوم الانقلاب.

والعملاء يريدون القيام بمحاولة شريرة وأن لديه معلومات كافية، لكنه يريد أن يلقي القبض عليهم بعد الشروع بالتنفيذ.

وقال أيضاً: إن أحدهم أخبرني، (ويأتيك بالأخبار من لم تزود)... ازدادت شكوك عبد الكريم فيّ وراح يسمعني كلمات تدل على عدم رضاه عني، ولم أكن أعرف سبب ذلك. لكن المقدم محمد يوسف طه، الذي احتل وزارة الدفاع يوم الثورة، أخبرني أنه وجد تحت سماعة هاتف عبد الكريم تقريراً عن الضباط الأحرار العاملين للإطاحة به وبتوقيع مدير الاستخبارات العسكرية محسن الرفيعي وفيه أسماء أخرى، اسمي مشطوب بالحبر فأعيدت كتابته بقلم الرصاص... ووجد ظرفاً فيه تقرير عن وجود تنظيمين عسكريين أحدهما يقوده صالح مهدي عماش وهو تنظيم بعثي والآخر تنظيم قومي وحدوي قيادته جماعية تضم كلا من صبحي عبد الحميد وابراهيم جاسم التكريتي وخالد حسن فريد... عرف أن كاتب التقرير هو الرئيس الأول (الأصح المقدم الركن - الناصري) جابر علي كاظم، مدير شعبة في الاستخبارات العسكرية... [٢٨٤].

---

٢٨٤ - راجع، جاسم العزاوي، المذكرات، مصدر سابق، ص ٢٦٦ - ٢٦٧.

ويشرح صبحي عبد الحميد هذه المذكرة بالقول: (لقد أطلعت على المذكرة في حينه وشاركت في التحقيق لكشف كاتبها، وفحواها يختلف عما ذكرته في كتابكم. كما أنها رفعت إلى عبد الكريم قاسم من قبل الاستخبارات العسكرية وليس من جهة أجنبية، (كما ادعى عماش- الناصري) وتفاصيل الحدث كما يلي: في يوم ١٩٦٣/٠٢/٠٩ عندما أكمل المقدم الركن محمد يوسف احتلال مبنى وزارة الدفاع ودخل مكتب عبد الكريم قاسم وجد في أحد أدراج المكتب رسائل سبق للمرحوم عبد السلام عارف أرسلها من سجنه إليه. كما وجدت تحت جهاز التلفون مذكرة مرفوعة من أحد ضباط مديرية الاستخبارات العسكرية إلى مديرها العقيد محسن الرفيعي، الذي رفعها بدوره إلى عبد الكريم قاسم وكان منصبه وتوقيعه عليها.

لقد عرض عليّ محمد يوسف الرسائل والمذكرة في يوم ١٢/٠٢/ ١٩٦٣ وسألني الرأي في كيفية التصرف بهما... سلم محمد يوسف الرسائل الى عبد السلام وسلم المذكرة إلى وزير الدفاع (عماش- الناصري). استدعاني المرحوم صالح وعرض عليّ المذكرة فتناقشنا في أمرها واتفقنا بان كاتبها لابد أن يكون منتمياً لأحد التنظيمين لأن المعلومات التي فيها لا يعرفها إلا من كان

وعلى ضوء ذلك صدرت القائمة الأولى بإحالة حوالي ثمانين ضابطاً من ذوي الاتجاه القومي على التقاعد، مما جعل الانقلابيين يعجلون في تنفيذ انقلابهم، خوفاً من صدور القائمة الثانية والتي كانت تحتوي على أسماء ضباط بعثيين من ذات الكتيبة التي أُنيط بها القيام بالانقلاب. وعليه فإن ترديد الزعيم بمعرفته للتآمر كان صحيحاً.

وعوداً لموضوع بداية الانقلاب.. فقد ذكرت بعض المصادر أن المرافق الأقدم الزعيم وصفي طاهر قد إلتحق بالزعيم قاسم عندما كان في بيته وجرت مناقشة صيغة التحرك المطلوب لإخماد الانقلاب في مهده مع الزعيم الركن طه الشيخ أحمد، وتمت مناقشة المقترحات التالية:

١ - اقترح الزعيم قاسم الذهاب إلى معسكر الرشيد حيث مقر لوائه التاسع عشر ومنه يبدأ باتخاذ الإجراءات المطلوبة لإخماد الانقلاب، خاصة أن في هذا المعسكر قوات آلية كبيرة، بالإضافة إلى القاعدة الجوية، التي باستطاعتها إخماد كافة مناطق تحرك الانقلاب. وهذا ما أكده قاسم الجنابي كما مر بنا.

٢ - بينما اقترح وصفي طاهر الذهاب إلى كتيبة (دبابات خالد) المعسكرة في ساحة السباق القديم في بغداد الجديدة والتي كان آمرها من الموالين للزعيم قاسم. كما أن الدبابات، كما أوضح وصفي طاهر، هي عامل مهم في إخماد الانقلابات

عضواً في أحدهما. وقررنا استدعاء مدير الاستخبارات السابق (العقيد محسن الرفيعي- الناصري) من السجن رقم (١) للاستفسار منه عن كاتبها... فاعترف بأنه رفعها إلى عبد الكريم قاسم معللاً ذلك بأن كاتبها قد يكون قد أرسل نسخة منها إليه مباشرةً أو بواسطة طه الشيخ أحمد، وأمتنع عن ذكر اسم المخبر. وادعى بأنه لا يتذكر من رفعها إليه... وبعد تدقيق المسودات تبين بأن الخط مشابه لخط المقدم الركن جابر علي كاظم... فأمر الوزير توقيفه والتحقيق معه، فاعترف وعلل أسباب كتابته للمذكرة بأشياء غير واقعية. ولقد أكتفت الجهات المختصة بإحالته على التقاعد وبقى فترة في السجن ثم أطلق سراحه.! مستل من أحمد فوزي، الساعات، ط. الثانية مصدر سابق، ص ٢٥٣.

العسكرية في المدن وهي أهم من المشاة. لكن (اتضح فيما بعد أن أحمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش والحاكم العسكري العام كان قد سحب منها الأعتدة دون إعلام أحد من القيادة العليا، قبل يومين من موعد الانقلاب، كما تشير بعض المصادر التي لم توضح في الوقت نفسه، هل كان هذا العمل بحسن نية أم بتواطؤ مسبق مع الانقلابيين؟)

٣ - أما الاقتراح الثالث فكان لطه الشيخ أحمد، مدير الخطط العسكرية في وزارة الدفاع، الذي رأى أنه من الأفضل الذهاب إلى وزارة الدفاع لعوامل عدة منها: باعتبارها المقر الرئيسي للزعيم قاسم؛ وأن تواجده في مقر الوزارة يعطي لأنصاره قوة وصموداً؛ كما أنها محصنة وفيها قوات جيدة وكبيرة تربو على ثلاثة آلاف عسكري؛ ولوجود وسائل اتصال حديثة فيها مع كافة مرافق الدولة والوحدات العسكرية المنتشرة في جميع أنحاء العراق؛ وبالتالي تستطيع بواسطتها إدارة العمليات لإفشال الانقلاب. وأضاف بأنه لا ينصح الزعيم بالذهاب إلى اللواء التاسع عشر في معسكر الرشيد، لأن هناك بعض الضباط المناوئين وربما يعتدون عليه[٢٨٥].

وقد أكد هذا الرأي المقدم الركن قاسم الجنابي عندما قال: "... وبينما كان الزعيم يتحدث معه وصل العميد طه الشيخ أحمد والعميد وصفي طاهر المرافق الأقدم للزعيم والمقدم الركن حافظ علوان مرافقه الأخر، فقال لهم الزعيم: لنذهب إلى مقر اللواء التاسع عشر في معسكر الرشيد، فاعترض العميد طه الشيخ أحمد وقال: أنا لا أنصح بذهابك إلى مقر اللواء التاسع عشر لأن هناك بعض الضباط البعثيين وقد

---

٢٨٥ - في الوقت نفسه يورد الضابط حامد مقصود رأي عكس ما ذكر أعلاه، حيث يقول إن الزعيم قاسم: "... ظل يدافع داخل ثكنة وزارة الدفاع رغم تواجد قوات الحماية الكافية للخروج بها ودحر قوات الانقلاب القليلة في بداية النهار ولم يسمع نصيحة الزعيم طه الشيخ أحمد بالتوجه بقواته إلى معسكر الرشيد لإكمال تحشده بقوات اللواء التاسع عشر المؤيدة له، بل اكتفى بإعطاء الوصايا وطلب التأييد بالهاتف ...". ثورة ١٤ تموز، ص. ٣٣٠، مصدر سابق.

يعتدون عليك، وأقترح الذهاب إلى وزارة الدفاع ، فوافق الزعيم على ذلك الاقتراح...[٢٨٦]".

في حين يروي إسماعيل العارف أن الزعيم الركن طه الشيخ أحمد كان قد اقترح:

[... أن يترك الزعيم عبد الكريم قاسم بناية وزارة الدفاع بدلاً من أن يقبع فيها منتظراً مصيره ويقود القطعات الموجودة فيها ويقوم بحركة عسكرية خاطفة للخروج من البناية ويتجه إلى معسكر المنصور ومن هناك يجمع القطعات الموالية من الفرقة الثالثة والثانية ويزحف على بغداد ثانيةً ويكرر ما قام به في صباح الرابع عشر من تموز ١٩٥٨...[٢٨٧]].

يبدو من النص أن هذا الاقتراح قد تمت مناقشته بعد اشتداد الحصار على وزارة الدفاع بعد ظهر اليوم الأول للانقلاب. وليس في الصباح حيث تمت المناقشة في دار الزعيم قاسم في البتاويين. لكننا لا نعرف لماذا لم يأخذ به الزعيم قاسم؟ هل لصعوبة الخروج من الوزارة أم لأن هذا الاقتراح سيؤدي إلى حرب أهلية هو كاره حدوثها؟ أم هناك أسباب فنية حالت دون ذلك؟ أم أنه كان يتوقع قدوم المساندة من الأنصار والموالين؟

كانت وزارة الدفاع قلعة حشدت فيها قوات كبيرة مجهزة بمختلف الأسلحة يزيد تعدادها على ثلاثة آلاف عسكري، وكان فيها أيضاً فوج من اللواء التاسع عشر وقوات الانضباط العسكري المجهزة بالمدرعات. كما توجد في البناية وحدات مدفعية مضادة للجو وضد الدبابات.

وعلى ضوء هذه المناقشة المستعجلة، تقرر الأخذ بالرأي الأخير والتوجه إلى وزارة الدفاع. وكانت السيارة تشق طريقها بصعوبة وسط الجماهير التي احتشدت للتظاهر

---

٢٨٦ ـ قاسم الجنابي، مستذكرا أحداث عصره، مجلة الينابيع الحلقة ٤ ، حاوره طارق إبراهيم شريف.

٢٨٧ ـ إسماعيل العارف، المذكرات، مصدر سابق، ص ٤١٢.

ضد الانقلاب. وكانت تزداد كثرة كلما اقتربت السيارة من وزارة الدفاع. كانت الجماهير عزلاء وضمت مختلف القوى السياسية وخاصةً الشيوعيين والوطنيين الديمقراطيين والمستقلين والقاسميين. وكانت تطالب بحرارة، توزيع السلاح عليها لحمايته والنظام وحماية مصالحها وآمالها المرتقبة. كما كانت المطالبة بالسلاح تقترن بالهتاف المعبر عن موقفها منه، إذ كانوا يهتفون بحياته ووحدانية زعامته بالهتاف المشهور(ماكو زعيم إلا كريم).

في الوقت نفسه [... أشعلت حماسهم البيانات التي أصدرها الحزب الشيوعي في المناطق الشعبية التي ركز جهوده عليها لرفع مستوى سكانها الفقراء. فعندما سمع سكرتير الحزب الشيوعي حسين الرضوي قصف الطائرات لمعسكر الرشيد، حرر بيانا على عجل وزعه إلى أعضاء الحزب الشيوعي في الشوارع والأماكن الشعبية وتولى بعضهم قراءته على الجماهير التي تجمعت بكثافة في شارع الرشيد...[٢٨٨]].

وعند المدخل الرئيسي لوزارة الدفاع المطل على شارع الرشيد، ترجل الزعيم من سيارته وحيا الجماهير المحتشدة وخاطبها بنبرة تتسم بالثقة العالية المشوبة بالاعتزاز بالنفس، وعدم المعرفه في الوقت نفسه بعمق التآمر وأبعاده قائلاً لها: (سوف ننهيهم خلال ساعة واحدة)!

في هذا الوقت بدأ يتقاطر الضباط الكبار على مقر الوزارة تباعاً لمعرفتهم بوصول عبد الكريم قاسم إليها وليس بدافع الإحساس بالواجب إزاء الخطر المحدق. كما حضر فاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر وسعيد كاظم مطر وعبد الكريم الجدة وأحمد صالح العبدي وغيرهم من الضباط المناوئين للانقلاب وبعض الضباط العاملين في مكتب الزعيم قاسم، منهم سعيد الدوري المسؤول عن تدوين الخطابات والعديد من الضباط الصغار في الانضباط العسكري. كما بدأ بالالتحاق المراتب والجنود المجازين في وحدة حماية الوزارة وبعض العاملين في مديرياتها المتعددة.

---

٢٨٨ - المصدر السابق، ص ٤١٢

آنذاك بدأ الزعيم بتحديد الضربة الأولى الأرأس والتي تمثلت بضرورة إعادة احتلال المرسلات في أبو غريب والتي كانت بمثابة العصب الرئيس لفشل الانقلاب، لذا طلب من آمر الانضباط العسكري الزعيم عبد الكريم الجدة [٢٨٩]، إرسال مفرزة من الانضباط العسكري بأقصى سرعة إلى هناك، وإرسال مفرزة ثانية لاحتلال بوابات معسكر الرشيد ومنع قوى الانقلاب من احتلالها، نظراً لما فيها من قوة عسكرية. لكننا لم نستطع معرفة السبب في عدم تطبيق هذه القرارات ولماذا لم تُرسل القوة إلى هذه الأماكن المحددة؟ هل لأن هذه المفارز عندما بدأت بالتحرك تزامن ذلك مع قدوم دبابات الانقلابيين؟ وهذا هو الأرجح ومن ثم أبادتها طائرات الانقلابيين كما سنرى.

وكانت من أولى الاتصالات التي أجراها الزعيم قاسم مع مرسلات الإذاعة في أبو غريب، بغية معرفة ماذا كان يجري وما هو عمق الانقلاب وكذلك تحديد ومعرفة هوية القائمين به وما هو حجمهم والقوى المنضوية تحتهم لأجل تطبيق خطة أمن بغداد لإجهاض الانقلاب [٢٩٠].

---

٢٨٩ - يعتبر الزعيم عبد الكريم الجدة من أشد المتحمسين للزعيم قاسم، إذ سبق وأن عمل معه قبيل الثورة وكان من ضباطه المؤتمنين في حركة الضباط الاحرار، وقد سبق لأخيه عبد الرزاق الجدة أن نبه الزعيم قاسم عن بعض الوشايات التي كانت تصل للجهات العليا عندما كان مرافقاً أقدماً لنوري السعيد. كما أن عبد الكريم الجدة سبق وأن ألف كتاباً عن الزعيم قاسم سماه (ثورة الزعيم المنقذ) والذي يمكن إعتباره شبه سيرة ذاتية للزعيم قاسم، والذي أطلع عليه قبيل طبعه، كما تقول بعض المصادر، وقد أستشهد الجدة يوم ٨ شباط وهو يقاتل قوى الانقلاب في وزارة الدفاع.

٢٩٠ - يقول الإذاعي إبراهيم الزبيدي، أنه في التاسعة والنصف تبلغت من قبل الحزب بضرورة الحضور إلى الإذاعة ، لقد أرادت القيادة أن تستعين بمذيعين محترفين لإضفاء نوع من مظاهر الوضع الذي عاد طبيعياً لتوحي باستتباب الأمور لعهدها الجديد... أقلتني سيارة عسكرية من منزلي في الجعيفر إلى الصالحية. وصلت في حوالي العاشرة أو قبل ذلك بقليل، دخلت ، لكنني فوجئت بأن كل شيء عادي في الإذاعة ولا شيء في المبنى مما كنا نسمعه بالراديو، فعلمت ساعتها بأن البث يجري من المرسلات في منطقة أبي غريب... وفجأةً طلت دبابة واتخذت موقعاً مواجها لنا تماماً، وأدارت ماسورتها نحونا، صرخ النقيب جواد : لا ترم .. لا ترم ، وهنا نزل ابن مدينتي(تكريت-

تحدث طالب شبيب عن تلك المكالمات بالشكل التالي:

[... وفي غرفة مجاورة لنا، غرفة الضابط المتغيب عن الحراسة، كان يوجد خط تلفوني سري (خاص)، ولم نكن نعرف بوجوده. وفجأةً رن الجرس فيه فتقدمت إلى تلك الغرفة وكان الجهاز موضوعاً على مكتب آمر السرية، ورفعت سماعة الهاتف ليأتي من الطرف الآخر صوت عبد الكريم قاسم قال: أنا الزعيم عبد الكريم!! من المتكلم؟ وماذا يحدث؟ وكنت أغلق الجهاز فوراً، لكنه يبدأ بالرنين بعد أقل من دقيقة واحدة، وبعد مكالمات عديدة دون أن أرد عليه قررت قطع الخط بسحب أشرطته من الحائط وذلك بعد ما يزيد عن نصف ساعة من الرنين المستمر فانقطعت صلته بنا]. ثم يكرر الواقعة، بالقول: [... بدأ التلفون الموجود في غرفة آمر سرية حراسة مرسلات أبو غريب، يرن بصورة مستمرة مباشرة بعد إذاعة بيان الثورة الأول. وتناوبتُ وحازم جواد على رفع السماعة وكان المتكلم يصيح بصوت عالٍ: أنا الزعيم عبد الكريم قاسم، من المتكلم؟ فنغلق السماعة دون إجابته. تكررت اتصالاته عدة مرات بينما نواصل بث ما بحوزتنا من بيانات وتوجيهات وكنا نخشى أن يرفع السماعة أحد الإداريين أو الفنيين أو الجنود خلال انشغالنا ليفاجأ بصوت عبد الكريم قاسم حياً وقد أذعنا قبلها بقليل خبر مقتله في وزارة الدفاع على أيدي ضباط مؤيدين للثورة. ولو حصل ذلك فسنواجه مشكلة جديدة. إذ ربما يصدق العاملون هناك بأنه ما زال

الناصري) أبي قيس (ذياب العلكاوي) وهو يسأل: هل أنت ثائر معنا لإسقاط النظام ؟ فقال جواد أمرك سيدي.

قال له: أصدر أوامرك بنزول الجنود المتمرسين على سطح المبنى، فرد النقيب جواد: أمرك سيدي، ودخل العلكاوي ودخل خلفه حميد التكريتي... وظل في هذه الأثناء كل من شفيق الكمالي وهناء العمري (زوجة علي صالح السعدي) والمذيع عبد اللطيف السعدون وقاسم نعمان السعدي. وفور عودة البث إلى استوديوهاتنا في الصالحية رحنا الكمالي وهناء والسعدي وأنا نتبادل الجلوس خلف الميكروفون ...". صديق طفولة صدام يتكلم، دولة الإذاعة —سيرة وشهادات عراقية ١٩٥٦- ١٩٧٤، ص. ٩٤، دار الحكمة لندن ٢٠٠٣.

حياً وقادراً وعلى الجميع طاعته، مما سيئفي مصداقية بياناتنا وادعاءاتنا، فلم يكن من بد غير قطع الاتصال نهائياً، فقطعته بنفسي باقتلاع الأسلاك من الجدار مباشرةً...[٢٩١]].

كما أجرى الزعيم قاسم وضباط المقر عدة اتصالات مع رؤساء الوحدات العسكرية في بغداد وضواحيها، وأخذ الزعيم يعطي الأوامر الشفوية لتطبيق خطة (أمن بغداد) إلى المسؤولين عنها والطلب منهم التحرك الفوري. وكان جواب أغلب هؤلاء المسؤولين، أنهم سينفذون الأوامر.. لكن في الواقع العملي وبما يقتضيه الحال، لم يتحرك أحد منهم ولم ينفذ أمراً، إلا النادر والذي أجهض في مهده من قبل العناصر المناوئة للزعيم قاسم، انتظاراً لتطور ووضوح الموقف.. وهذه نفسية الموالين والمتخاذلين دائماً. لقد كوّن هؤلاء ثقلاً مهماً في رئاسة وإدارة مؤسسات الدولة آنذاك وخاصةً في المؤسسة العسكرية. ولم يعر الزعيم قاسم أهمية لهذه المسألة في واقع البلد المعقد وفي خضم تكالب الصراع الدولي وانعكاساته الداخلية. وكانت هذه واحدة من أهم أخطائه الإدارية التي ساعدت في التعجيل في إنهاء نظام حكمه.

وهذا ما كان، على سبيل المثال، بالنسبة إلى كتيبة دبابات خالد المرابطة بالقرب من ملعب سباق الخيل القديم حيث اتصل الزعيم قاسم بآمر الكتيبة العقيد صفاء محمود وأمره بالتحرك السريع والفوري لتطبيق خطة (أمن بغداد)، كان الجواب نعم، لكنهم لم يتحركوا قيد أنملة. [... وكان الزعيم يعتقد أن الضباط سينفذون أوامره وكان كلما كلمَ ضابطاً على انفراد، أبدى استعداده وقال نعم، وسنخرج حالاً وسننفذ الأوامر، لكن ما أن يقفل الزعيم سماعة التلفون، فإن أوامره لم تنفذ]، حسب ما أفاد به شاهد العيان قاسم الجنابي في تقريره السابق الذكر.

أن هذه المواقف يمكن تفسيرها بعدة وجوه، وكل وجه يتعلق مع من كان يتكلم الزعيم قاسم. فإن كان من أنصار الانقلاب فهذا الموقف منسجم مع ذاته وقناعته. أما إذا كان من غيرهم، فإن هؤلاء الضباط تعاملوا في المواقف الحرجة، معه تعاملاً إدارياً

---

٢٩١ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، صص ٧٠ و ٩٥

روتينياً ومن منطق غياب المسؤولية العسكرية ولم ينطلقوا من منطلق التجانس الفكري، باتجاهاته العامة من جهة، كما أنهم تصرفوا كمحصل تابع، مع واقع الحالة الظرفية القلقة التي لم تتضح أبعادها، ومن مضمون منظومة قيم المؤسسة العسكرية وعلاقاتها الرأسية ومن مفردات ثالوثها المقدس (الطاعة، الانضباط والثقة العمياء) للرؤساء من جهة ثانية، خاصةً في ظروف بلدان العالم الثالث، ومن جهة ثالثة كان موقف الضباط الموالين مستنبط كمحصل مستقل، من الصراعات السياسية التي عصفت في البلد، إذ كان الموالون دائماً مع الأقوى.

مثل هؤلاء الموالون الأغلبية المطلقة من الضباط، خاصةً بعد تطبيق الزعيم قاسم في السنتين الأخيرتين، **سياسة إبعاد ما أمكن من الضباط الحزبيين عامةً والشيوعيين خاصةً من قيادة الوحدات العسكرية. إن الانتقاء العشوائي للقيادات العليا للوحدات العسكرية مثلت إحدى نقاط الضعف في حماية النظام لنفسه.** إذ من المفروض أن يتحلى هؤلاء الضباط بالتأييد الكامل للنظام على الأقل. كما كانت العشوائية تمثل عدم دقة مقاييس الانتقاء وعدم كفاية المعيار المهني وحده. وهذه تمثل عدم فهم الزعيم لنفوس الموالين الذين وضعهم على رأس القيادات العسكرية.

وبعد استكمال وصول قادة دوائر وزارة الدفاع وضباط الاستخبارات (دون رئيسهم العقيد ذو النزعة القومية محسن الرفيعي، الذي قيل أنه كان خارج بغداد، كما أشيع آنذاك، لتواطئه مع قوى الانقلاب.. لكنه في الحقيقة كان في مديرية الأمن العامة وليس وزارة الدفاع [٢٩٢])، جرت مداولات بينهم حول إمكانية تطويق الانقلاب

٢٩٢- نشر محسن الرفيعي قبيل وفاته، بعض من ذكرياته بعنوان: أنا والزعيم، أتضح من خلالها انه فضل الذهاب إلى مديرية الأمن العامة لأنه، لدى وصوله محيط وزارة الدفاع، كما يقول: "...وجدت الجماهير تحيط بها وتهتف بهتافات شيوعية، فوجدت من المستحيل عليَّ الدخول إلى الوزارة، فلا يمكن لأية سيارة مدنية أن تخترق تلك الحشود وتصل بوابة الوزارة، وإذا ما ترجلت في وسط تلك الحشود فإن ذلك الأمر قد يسبب مشاكل كبيرة لا سيما **وإن الشيوعيين يضمرون لي مشاعر عدم ارتياح فرجوتهما أن يوصلاني إلى مديرية الأمن العامة...**". ص. ٩٨، مصدر سابق. (التوكيد منا- الناصري)

وشل حركته. في واقع الأمر لم نعثر على مصادر توضح أبعاد ذلك، سوى ما ذكره بعض الكتاب والضباط المناوئين للزعيم قاسم، والتي تميزت بكونها مقتضبة جداً

أميل إلى الاعتقاد أن هذا يُمثل تهافت للتبرير واللا مسؤولية الاخلاقية والمهنية، والتساؤل الذي يطرح نفسه هنا: لماذا يضمر الشيوعيين له العداء؟؟ لأنه حسب الشائعات التي راجت آنذاك، إنه كان من المساهمين في الانقلاب أو على الأقل من العارفين به وبشخوص قادته من العسكريين، لما كان يُنقَل له من تقارير إستخباراتية أشار إلى بعضها جاسم العزاوي في مذكراته عندما تم رفع أحد التقارير وكان الأخير من ضمن الأسماء المتآمرة على قاسم كما مر بنا.

كما أن قادة الانقلاب لم يحاسبوا الرفيعي، **بل تم التحفظ عليه في سجن رقم واحد لمدة لا تزيد عن ثلاثة أسابيع ونيف حيث أطلق سراحه بتوسط من قادة الانقلاب ومنهم حردان التكريتي، وزار بعد خروجه من السجن رئيس وزراء حكومة الانقلاب البكر** الذي حسب قوله: "... رحب بي **كثيراً واعتذر عما حصل لي من سجن وإحالة على التقاعد**، وقال له " كان من المقرر أن تبقى مديرا للاستخبارات العسكرية لمدة ستة اشهر ومن ثم تسلم المسؤولية لمن تعينه الثورة مديرا للاستخبارات". وأردف (البكر –الناصري) "... أنت تعرف أنني مسلم وأقسم لك بطلاق زوجتي بأنني سأصدر أمراً بتعيينك بأي منصب تختاره ويتناسب مع رتبتك وموقعك". فشكرته واعتذرت عن قبولي أية وظيفة وقلت له أني متعب وأن رجائي له هو أن يسمح لي بالسفر إلى لبنان لغرض الراحة والاستجمام، وقد وعدني خيراً وأصدر أوامره للمسؤولين لتسهيل أمر سفري ووفى بوعده فتركت العراق في أوائل آذار ١٩٦٣...". (ص.١٠٢) وأقيمت له حفلة غداء في مديرية الاستخبارات العسكرية اعتزازا وتكريماً. (ص.١٠٣) ومن ثم تم تكريمه أيضاً وذلك بتعينه محافظاً لواسط (الكوت سابقاً) عام ١٩٦٦. (التوكيد منا- الناصري).

ثمة سؤال يُطرح هنا ومن خلال تتبعي للكثير جداً عما كتب عن الانقلاب فلاحظت أن هناك صمت عن دور كل من الاستخبارات العسكرية والأمن العامة في تسهيل ونجاح الانقلاب؟؟ كما أن قاسم، حسب المعلومات المنشورة، لم يطلب من مرافقيه دعوة مدير الاستخبارات إلى الوزارة يوم الانقلاب، حسب الإفادات التي نُشرت من قبل قاسم الجنابي أوغيره. ألا يستدعي هذا الاستفهام؟ هل يكمن في معرفة قاسم لموقف الرفيعي من نظامه؟؟ ومن طبيعة وهوية الانقلاب المنسجمة مع تصورات الرفيعي القومية؟؟ وأليس ان نعطي الحق للقوى الديمقراطية واليسارية والشيوعية عندما شخصت كل من مديرية الامن والاستخبارات العسكرية بكونهما عارفين بمخطط الانقلاب؟؟ و وبتسهيلاتهم وبصمتهم سهلوا نجاحه المادي؟؟

وفيها كثير من التناقض، كما أن ما دُوِن كان اعتماداً على الذاكرة وبعد مدة طويلة من انقضاء الحدث. لذا سنحاول باحتراس تتبع مجريات إجهاض الانقلاب.

صباح ذلك اليوم وفي حدود العاشرة صباحاً، طلب الزعيم قاسم من أحد ضباط مديرية الحركات العسكرية الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا، إصدار برقية بإنذار الجيش وعدم تنفيذ أي أمر عسكري إلا من رئيس أركان الجيش/أحمد صالح العبدي. كما أمره طه الشيخ أحمد/مدير الخطط، بإرسال برقية يطلب تحريك سرية دبابات من كتيبة الدبابات الثانية التي مقرها بالقرب من كتيبة الدبابات الرابعة (مركز الانقلاب)، في معسكر أبو غريب، لإعادة السيطرة على مرسلات الإذاعة هناك. لكن هذين الأمرين لم ينفذا، لكون البرقيتان، حسب ما اتضح فيما بعد، قد وقعتا بيد الضباط المتعاطفين مع قوى الانقلاب في ذات الوزارة.

كما جرت مناقشة، بعد ذلك، بين الزعيم قاسم وطه الشيخ أحمد ومدير الحركات العسكرية الزعيم الركن عبد الرحمن عبد الستار، (لم يحضر إلى الوزارة إلا بعد الاتصال به مرتين بعد وصول الزعيم قاسم للوزارة، حسب إفادة ضابط خفر المديرية المذكورة ذلك اليوم) [٢٩٣]، اذ جرت مداولات سريعة بينهم ونوقشت عدة اقتراحات منها:

---

٢٩٣ - راجع، الموسوعة، مصدر سابق، ص ٤٠٨. يقول ضابط الخفر الرائد الركن عبد اللطيف عبد الرضا [... دخلت غرفة مدير الحركات العسكرية لأخبر المدير بذلك بواسطة التلفون الخاص وسألني عن نوع الطائرات التي أغارت على الدفاع وأخبرته بنوعها وقال سواها عارف عبد الرزاق (بمعنى أنه يحدس بل ويعلم أن هناك تآمر سابق - الناصري). ثم قال أنه سيحضر. ثم اتصلت بالمقدم الركن علي حسين جاسم مدير الشعبة الأولى في مديرية الحركات العسكرية حيث هذه الشعبة المسؤولة عن الأمن والحركات وكنت ضابط ركن في هذه الشعبة، وأخبرني بأنه سيأتي وطلب سيارة فقلت له لا توجد سيارة الموقف صعب إلا أنه لم يأتي... وفي الساعة العاشرة سمعت التصفيق والهتافات في وزارة الدفاع، ثم عرفت دخول عبد الكريم قاسم إلى الوزارة، حيث اعتدنا سماع التصفيق والهتاف كلما دخل الوزارة وتأيد بأنه لم يكن في وزارة الدفاع عند المباشرة في قصف وزارة الدفاع وكان يصحبه رئيس أركان الجيش والحاكم العسكري العام أحمد صالح (أغلب التقارير تقول ان وصفي طاهر كان معه وليس العبدي- الناصري) وطه الشيخ

- [... قيام اللواء الخامس والعشرون المرابط في معسكر الوشاش بقيادة الزعيم الركن زكي حسين حلمي، بالسيطرة على الطريق القادم من الحبانية وأبو غريب إلى غربي بغداد ...] لسد الطريق أمام زحف قوى الانقلاب القادمة من مركز انطلاقها من أبي غريب ؛

- [...قيام لواء المشاة التاسع عشر (لواء عبد الكريم قاسم) بالزحف من معسكر الرشيد باتجاه شارع الرشيد للسيطرة على رؤوس الجسور لمنع تدفق قوات الثوار من الكرخ إلى الرصافة باتجاه مبنى وزارة الدفاع.

رفض عبد الكريم قاسم هذه المقترحات وقال أن أنصاري يهيمنون الآن على شوارع بغداد. وهم القادرون على شل مسيرة قوى (الخونة) والحيلولة دون وصولهم إلى وزارة الدفاع... [٢٩٤]]، كما تقول بعض المصادر.

هذا الادعاء برفض الزعيم قاسم، والذي يسرده أحمد فوزي الذي لم يشر إلى مصدر معلوماته، فإن الوقائع تكذبه، على لسان قوى الانقلاب ذاتها. يقول النقيب آنذاك أحمد الحديثي، ضابط ركن الحركات للواء التاسع عشر بأنه :

[... رن التلفون وأخذ السماعة آمر اللواء (فاضل عباس حلمي) وعرفت من مجرى الحديث المتقطع أن المتكلم كان عبد الكريم قاسم، وكان ذلك حوالي الساعة الحادية عشر والنصف. وكان آمر اللواء يتلكأ بإجاباته. عندئذ طلب عبد الكريم قاسم مقدم اللواء المقدم عزيز جعفر الصندوق (الذي تمكن بمساعدة الانضباط العسكري مباغتة جميع أفراد الحرس القومي الذين كانوا في باب معسكر الرشيد وأودعهم السجن في ذلك الصباح - الناصري) وبلغه أوامره. وبعد أن أغلق التلفون أراد أن يغادر الغرفة لتنفيذ أوامر عبد الكريم قاسم، وعندئذ قلت لمقدم اللواء، أرجو أن لا نفقد أعصابنا

أحمد. واتصلت مرة ثانية بالزعيم الركن عبد الرحمن عبد الستار وأخبرته بالموقف وحضور عبد الكريم قاسم ورئيس أركان الجيش إلى وزارة الدفاع، وأخبرني بأنه سيحضر].

٢٩٤ - أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، مصدر سابق، ص ١١٤

ويجب التمسك بالسياقات العسكرية، وبصفتي ضابط ركن الحركات، دعني أقوم بواجباتي لتنفيذ الأوامر على الوجه الأكمل... قال مقدم اللواء: إذا كان الأمر كما تقول فيجب إثبات إخلاصك الآن والمطلوب مايلي:

١ - إرسال سرية بكامل أسلحتها إلى القاعدة الجوية في معسكر الرشيد للسيطرة عليها حتى تسمح للطائرات العسكرية من أداء واجباتها؛

٢ - توجيه سرية أخرى إلى الشارع العام لمعسكر الرشيد لمنع كتائب الدبابات من التحرك إلا بأمر من القيادة العامة. وبعد أن أملى مقدم اللواء أوامره طلبت الرئيس الأول شاكر محمود ياس، أحد آمري سرايا الفوج الأول للواء وبلغته بالأمر وعليه أن يذهب فوراً لقيادة سريته ويأتي إلى مقر اللواء. وهمست في أذنه عندما خرج: عليك أن تعتقل كافة الضباط الموالين لعبد الكريم قاسم وفي مقدمتهم مقدم اللواء. وخلال ربع ساعة كان الرئيس شاكر محمود ياس يقود سريته، وعندما وصل إلى مقر اللواء أمر سريته أن تقف بالنسق، وكانت بيده غدارة، وتقدم إلى مقدم اللواء وقال له أنت معتقل، وتم اعتقاله وكذلك اعتقل آمر فصيل الدفاع والواجبات، ثم التفت إلى آمر اللواء وقال له: سيدي أنت رجل طيب، خوش آدمي، أرجو أن تجلس في غرفتك ولا تتحرك أي حركة... لابد من الذكر أن الجنود الواقفين في النسق والمتجمعين حول مقر اللواء كانوا يهتفون: ماكو زعيم إلا كريم، ولا يعرفون ماذا كان يدور، وماهي الغاية من هذه الأوامر التي تنفذ...].

هكذا أذعن آمر اللواء وجلس ساكناً!! وينطبق ذات الأمر على قائد الفرقة الثالثة الزعيم الركن عبد الكريم محمد التي يعود إليها اللواء التاسع عشر الذي حضر إلى المقر ولم يحرك ساكناً [٢٩٥]. إذ سبق وأن ذهب إليه ذات الضابط وقال له: [سيدي إن

---

٢٩٥ - كتب الضابط المتقاعد لطفي شفيق سعيد عن بعض من هؤلاء الضباط والعناصر المناوئة والتى أصبحت بالقرب من الزعيم قاسم وتعاملوا واياه معاملة وظيفية روتينية خالية من التفاعل الحيوي.. بل والأكثر انهم بقوا "... الى يوم الانقلاب في مراكز مهمه وحساسة ومن الذين كان لهم دور كبير بأنجاح الانقلاب هم:

١- الزعيم الركن عبد الكريم محمد والذي كان قبل الثورة يشغل منصب آمر الفوج الأول من اللواء التاسع عشر ولايعرف عن توجه الزعيم ولم يفاتحه قبل يوم من الثورة عندما كانت خلايا الضباط الاحرار منهمكة بواجباتها التى عهدت اليهم من قبل الزعيم وكان همه الوحيد ان يكمل الخدمة ويحصل على راتب تقاعدي جيد وعند أندلاع الثورة عينه الزعيم في أهم مركز حساس وهو آمر اللواء التاسع عشر ومقره في بداية معسكر الرشيد وتحت أمرته فوجين من اللواء هما الفوج الأول والفوج الثالث ومنحه شارة الأركان باعتباره قد أكمل الصف الأول ورسب في الصف الثانى وكان اتجاهه هو قومى عربى ومتشدد دينيا ولا يؤمن قط بالديمقراطية والتقدم وموقفه في يوم الأنقلاب أن أتصل به الزعيم ليهيأ قطعاته الا أنه أغلق التلفون في وجهه ولم ينفذ الأمر.

٢- المقدم طه نوري الشكرجى آسند له منصب حساس هو مقدم لواء التاسع عشر وعند أتصال الزعيم به صباح يوم الانقلاب وبعد أن خذله آمر اللواء بادره المقدم طه الشكرجى بالشتائم مما أثار غضبه وحاول أن يستقل السيارة ويذهب اليه قائلا له انتظرنى فأنا قادم اليك لأريك من هو عبد الكريم قاسم الا أن المحيطين به منعوه من تنفيذ فكرته خوفا على سلامته وبتصوري أنه لو نفذ ما كان يروم به لتغيرت الأمور لان جميع الجنود سيكونون في صفه ويطيعون أوامره وللعلم إن المقدم طه الشكرجى قد أصبح بعد ذلك رئيسا للجان التحقيقية في السجن رقم واحد وتفنن بتعذيب الضباط المعتقلين فيه وبعدها تم تعينه آمرا للواء التاسع عشر خلال الحرب الشرسة التى أثارها المشير عبد السلام عارف ضد الاكراد وخلال تلك الفترة أعدم بنفسه مجموعة من ضباط صف اللواء القدماء باعتبارهم موالين للزعيم.

٣- عقيد الركن فا ضل عباس فضلى وكان يشغل منصب آمر فوج الثانى في اللواء التاسع عشر وإنه لا علم له بالثورة وبعد انبثا قها توقع إ حا لته على التقاعد باعتباره من مجموعة الأمناء ا لمسؤولين على حياة العائلة المالكة وإنه أرسل خصيصا من قبل الاستخبارات العسكرية قبل أشهر من قيام الثورة لمراقبة تحركات الزعيم الذي دارت حوله الشكوك في تلك الفترة وكان ذلك الآمر مشخصا من قبل تنظيمات الاحرار الا أن الزعيم وبعد الثورة أبقاه في منصبه آمرا للفوج الثانى في وزارة الدفاع وفي أخطر مكان والمفروض أن عناصرتلك القوة يجب أن تكون من المخلصين له وللجمهورية والثورة وكان موقف ذلك الضابط في صبيحة الانقلاب سلبيا ولم يساهم بأصدار الاوامر لقطعات الدفاع لمقاومة الانقلابين وانزوى بعيدا عن الأحداث.

٤- الزعيم الركن عبد الغنى الراوي من العناصر القومية المتشددة وينتمى لجماعة الأخوان المسلمين قبل الثورة وأعلن عن كرهه للزعيم ولجميع القوى الوطنية بعد الثورة وخاصة

الموقف يتطلب وجودك في مقر اللواء وقلت له: سيدي إنها ثورة قومية وانتهى الموقف لصالح الثورة وأنت رجل طيب، فأرجو ألا تحاول أو تحرك أي ساكن وأنت المعروف بسلوكك الممتاز. فسكت الرجل ووصلنا إلى مقر اللواء وتمت السيطرة على اللواء ولم يقم الرجل بأي عمل معاد ووُضع مع آمر اللواء في نفس الغرفة...[٢٩٦]]، كما تقول المصادر المتوفرة.

بعد مدة اتصل ثانيةً الزعيم قاسم بآمر اللواء التاسع عشر، والذي لم يكن في مقر لوائه عندها رفع السماعة أحد ضباط ركن اللواء وهو الرئيس طه الشكرجي[٢٩٧]، فكرر الطلب منه بتحريك قوات اللواء إلى المواقع التي سبق وأن حددت لها لمقاومة

الشيوعيين منهم وقد كان يشغل منصب آمرا للواء الثامن في الحبانية عند الانقلاب ومهيأ لتنفيذ صفحة مهمة منه وهو التحرك إلى بغداد بقطعاته عند أستمرار الانقلاب وبالفعل فقد كان له الدور المؤثر في إدامة زخم الانقلاب ومن مواقفه الشريرة إنه بعد فشل انتفاضة ٣ تموز التى قادها نائب العريف الشجاع حسن سريع أقترح إعدام جميع الضباط الموجودين في سجن رقم واحد وقد أيد فكرته كل من عبد السلام محمد عارف وأحمد حسن البكر وصالح مهدي عماش وقد أعترض بعض أعضاء قيادة البعث المدنية على الفكرة وتم التوصل الى أرسال المعتقلين الى سجن نقرة السلمان بقطار حمل حديدي أطلق عليه بعد ذلك قطار الموت وبتقدير الجميع أن من كان فيه سيلفضون انفاسهم قبل وصولهم السماوة وفي حالة و صول أحياء منهم فقد تم الأتفاق على أن يذهب عبد العنى الراوي الى سجن نقرة السلمان ويختار مائة ضابط لأعدامهم هناك ثم أصبح العدد المقترح لاعدامهم خمسة عشر فرفض الراوي هذا المقترح قائلا إن هذا العدد لايساوي تحمل عناء الذهاب الى تلك المنطقة الصحراوية النائية وإنه يوافق على شرط أعدام الجميع...". شفيق لطفى سعيد، إعادة كتابة سطور ممسوحة.. عن انقلاب الثامن من شباط ١٩٦٣.http://almothaqaf.com .

٢٩٦ - الموسوعة، الجزء الخامس مصدر السابق، ص ٣٨٦.

٢٩٧ - استناداً لرواية الضابط البعثي عدنان محمد نوري وهو من الضباط المساهمين في الانقلاب ضد حكم الزعيم قاسم، أن قائد الحرس الجمهوري السابق، قال له: [... أن البكر وصدام يريدان ضباطاً من أمثال عبد الجبار شنشل وعبد الجبار الاسدي جبناء أو مجرمين قتلة من أمثال طه الشكرجي]، راجع جريدة العراق الحر العدد ١٤٩ في ٢٦ /٠٥/١٩٩٩

الانقلاب.. لكن هذا الأخير كان من الانقلابيين، فأجاب الزعيم بكلمات سوقية داعرة ونابية، كشفت عن مكنونات ذاته إزاء الزعيم قاسم وأغلق الهاتف في وجهه.

ينقل أحمد فوزي الحادثة بالشكل التالي:

[...أجاب على الهاتف هذه المرة النقيب طه الشكرجي بخشونة حيث قال له:

- **إنجب.. اليوم ذبحتَك**

فاجابه الزعيم مهددا ومتوعدا وبصوت عال

- **انتظر هسة راح أجيلك.**

قفز الزعيم من مكانه ونزل السلم مسرعا شاهراً مسدسه باتجاه سيارته، فلحق به المرافقون وعبد الكريم الجدة، وتوسلوا إليه أن يعود ولا يذهب إلى معسكر الرشيد وكان أكثرهم إلحاحاً الزعيم عبد الكريم الجدة...[٢٩٨]].

في هذا الظرف بالذات[...أرسل الزعيم مرافقه حافظ علوان ليبلغ آمر الفوج المكلف بحماية وزارة الدفاع، (العقيد عارف يحيى الحافظ آمر الفوج الثاني في اللواء التاسع عشر وهو قومي من ضباط الموصل- الناصري)، لفك الحصار الذي بدأ يُضرب على الوزارة وطرد الانقلابين منها. ولكن أمره لم ينفذ، لذا أرسل بطلب حضوره إليه لكنه لم يحضر...[٢٩٩]].

٢٩٨- أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، مصدر سابق ص ١١٥، هذا النص مقتبس من تقرير الجنابي المنشور والذي نشره إسماعيل العارف في مذكراته، ص ٤١٥، ولم توجد فيه هذه عبارة (شاهراً مسدسه) التي أقحمها أحمد فوزي، بغية بيان الفزع لدى الزعيم قاسم. كما يبدو أنها من بقايا تراثه الصحفي عندما كتب كتبه حول الزعيم قاسم بلغة اقل ما يقال عنها مملوءة حقد بل سوقيه في تعبيراتها.

٢٩٩ - هادي حسن عليوي، محاولات القضاء على عبد الكريم قاسم، مصدر سابق، ص ١١٢ - ١١٥

ومع تقدم الساعات الثقيلة، وإزاء اشتداد القتال الأرضي الضاري الذي بدأ يطوق الوزارة، وازدياد القصف الجوي، بعد انضمام طائرات أخرى، على وزارة الدفاع، بالإضافة إلى قصفها من الدبابات المتمركزة في جانب الكرخ.. واصل الزعيم قاسم والمحيطين به، اتصالاتهم ببطء شديد. إذ اتصل بقائد الفرقة الثانية في كركوك، الزعيم الركن عبد الرزاق محمود وطلب منه تحريك قطعاته العسكرية نحو بغداد لأجل إحباط الانقلاب، فاستجاب شفويا كما تقول المصادر المتوفرة، ووعد بتحريكها بسرعة.. لكن الوعد تاه طريقه نحو بغداد ولم تتوفر المعلومات عن سبب ذلك. وقيل أنه تم اعتقاله والعديد من الضباط الشيوعيين والقاسميين في مقر الفرقة على يد حردان التكريتي آمر القاعدة الجوية في كركوك مع مجموعة الضباط المؤيدين للانقلاب.

وأعتقد أن الزعيم قاسم قد اتصل، إذ أن منطق الأحداث يوجب ذلك، بقادة الفرق: الثالثة والرابعة والخامسة والوحدات العسكرية الأخرى وبخاصة تلك المحيطة ببغداد أو القريبة منها، كما هو في بعقوبة والمسيب والمحاويل وغيرها، حيث أغلب آمريها من الموالين. لكن لم تتوفر لنا المعلومات عن ذلك في الوقت الحاضر. وإذا كان نعم فما هو الموقف الذي اتخذوه؟ أكثر الدلائل تشير إلى استكانتهم وعدم قيامهم بأية مبادرة ذاتية تحبط الانقلاب وتمد يد المساعدة إلى الزعيم قاسم في بغداد. حتى أن بعضهم ذهب بنفسه إلى قيادات الانقلاب طوعاً ومنحهم زمام التصرف بوحدته العسكرية.

والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه هنا لماذا وقفوا هذا الموقف؟ هل البيانات الكاذبة التي أذاعتها إذاعة الانقلابين؟ أم طبيعة العلاقة الوظيفية التي تربطهم بالزعيم قاسم؟ أم التعاطف الخفي مع الانقلاب أو بعض من فقراته؟ أم التهديد والخوف من المستقبل؟ قد يكون السبب، للبعض منهم، عدم وصول الأوامر إليهم، وبخاصة تلك الشفوية، بسبب إلقاء القبض على العديد من المراسلين أثناء خروجهم من وزارة الدفاع في النصف الثاني من يوم ٨ شباط؟ وإذا كان هذا صحيحاً، فأين متطلبات المسؤولية الوظيفية والأخلاقية العسكرية في عدم تنفيذ الواجب المناط بهم؟ ولماذا يثقون بالأوامر الصادرة من إذاعة الانقلاب، وينفذوها وهي لا تلزمهم من حيث السياقات العسكرية وأنظمتها؟!

أم لعل غير ذلك من المسببات غير المنشورة والقابعة في مذكراتهم؟ ولعل الدراسة الموضوعية لملفات الدولة العراقية لتلك الحقبة ستميط اللثام عن العديد من أسرار انقلاب رمضان، إذا لم تتلفها الحكومات الانقلابية، والتي سبق أن تساءل عنها حسن العلوي[٣٠٠] ، كما مر بنا، من أبطال (!) الانقلاب و نحن بدورنا نطلب بقوة من أنصار عبد الكريم قاسم وذلك من قيادات تلك المرحلة أن يكشفوا الحقيقة التاريخية بكل ماهياتها.

وبعد التقاعس التي بدأت ملامحه بالتأثير على المعارك الدائرة في وزارة الدفاع أو بالقرب منها، اتصل الزعيم قاسم بمرافق الحاكم العسكري العام عبد الستار الجنابي وطلب منه جلب قوة الحراسة الموجودة لحراسة مسكن أحمد صالح العبدي.. لكن الموما إليه تباطأ متعمداً في جمع القوة، بغية كسب الوقت لمعرفة موازين القوى في هذه المعركة الحاسمة. ولما جاء بها إلى باب المعظم، وبلغ البناية المجاورة لمصلحة نقل الركاب المقابلة لقاعة الشعب ثم رأى أن دبابات الانقلابيين تطوق وزارة الدفاع التي كانت النيران فيها تشتعل، قرر الالتحاق بالانقلابيين وتوجيه نيران القوة ضد الوزارة والمتحصنين فيها. علماً بأن الموما إليه لم يكن يحمل للزعيم قاسم وداً، بل كان من المتآمرين عليه، حسب اعترافاته هو بعد نجاح الانقلاب.

عند الظهر، في حدود الحادية عشر والنصف، وصل على [مقربة من بناية الوزارة عدد من الدبابات يقودها العقيد مصطفى نصرت ألصقت عليها صورة عبد الكريم قاسم لكي يتصورها الناس دبابات موالية. وعندما شعرت الجماهير بأنها معادية هاجمتها فاضطر عبد الكريم مصطفى نصرت أن يفتح النار على الجماهير فأوقع فيها

٣٠٠ـ حسن العلوي، دولة المنظمة السرية، مصدر سابق، ص ٢٤ حيث يقول: [حركة ٨ شباط ١٩٦٣م أبطالها صامتون. فإذا تحدثوا. فحديثهم لا يشبع حاجة السنتهم عن أسرارها... لم يتحدث أبطال انقلاب ٨ شاط وأغلبهم حي مرزوق. فهل يختفي وراء صمتهم سر كبير؟ أم أن هؤلاء الذين نعرفهم ابطالاً للانقلاب وهم - اعضاء بارزون في قيادة المنظمة السرية لحزب البعث - لم يكونوا سوى عناوين على جدار يجلس وراءه المتآمرون الكبار الذين وحدهم يحتفظون بأسرار الانقلاب!]

خسائر جسيمة بالأرواح. ومع ذلك لم تتمكن الدبابات من اقتحام وزارة الدفاع...[٣٠١].

في ذلك الحين أمر الزعيم قاسم بتحريك مجموعة من سيارات حاملات الجنود قدر عددها بستة، من ثكنة الوزارة، بالتوجه إلى الصالحية، لأجل الاستيلاء على محطة الإذاعة والتلفزيون وفك الحصار عنها، بعد تقاعس وتواطؤ المشرف العام عليها، وهو سكرتيره جاسم العزاوي، لأجل إذاعة خطابه المسجل من خلال التلفزيون بعد تعذر الاتصال بالمرسلات، **ولأجل تكذيب خبر إذاعة الانقلاب عن مقتله. لكن هذه القوة من الانضباط العسكري، ما أن بدأت بالتحرك نحو هدفها، حتى انقضت عليها إحدى الطائرات المهاجمة، كما يقول عارف عبد الرزاق، بقيادة الملازم الأول الطيار محمد جسام الجبوري والذي شاهد حركة تجمعها وبدء حركتها عندما كان يحوم بطائرته فوق الوزارة، فهوى عليها بطائرته وأمطرها برشاشاته حتى شبت النيران فيها وتعطلت حركتها وقتل جميع من فيها.**

في الوقت ذاته، نسب الملازم الطيار فهد السعدون، لنفسه هو الآخر جريمة إبادة هذه القوة العسكرية، عندما قال: [... **ذهبت أنا وواثق إلى وزارة الدفاع وشاهدنا رتلاً كاملاً من الانضباط يتجمعون بالسيارات وهي تحمل الرشاشات (سيارات الانضباط المسلح)، فانقضضنا عليها بسرعة وعالجناها بالمدافع وظل واثق يقصفها. أما أنا فعملت عملية دوران شديدة لأرى ما حدث بالهدف بعد قصفه، وإذا أرى منظراً مروعاً، فقد أصيبت معظم السيارات وانفجر قسم منها وطارت أقسام منها بعيداً، وقتل قسم من الجنود وهم ممددون على الأرض، وقسم منهم قد اشتعلت به النيران، كما قتل قسم من الانضباط العسكري وهم يتجمعون أمام وزارة الدفاع**

٣٠١ - إسماعيل العارف، مذكرات، مصدر سابق، ص ٤١٣.

وكان عددهم كبيراً جداً...[٣٠٢]]. وهكذا [... تمكن بضربة واحدة من قتل جميع جنود رتل من السيارات وخلف وراءه ١٩٨ جثة...[٣٠٣]].

وبعد اشتداد الحصار على الوزارة واحتدام وطيس المعركة، وتكاثف القصف الجوي والأرضي سواءً من شارع الرشيد أو من الجانب الآخر لنهر دجلة، من منطقة الكرخ، ذهب الزعيم قاسم إلى بناية الانضباط العسكري وتجمع حوله عبد الكريم الجدة، الذي كان يقود عمليات الهجوم المعاكسة، وأحمد صالح العبدي، وطه الشيخ أحمد وفاضل عباس المهداوي وسعيد مطر وكنعان خليل **[الذي أبدى شجاعة نادرة في المقاومة]** حسب قول قاسم الجنابي، والعديد من المراتب والجنود والذين كانوا حلقة إيصال الأوامر.. في حين بقي المرافق الأقدم الزعيم وصفي طاهر في البناية المركزية للوزارة وهو يحاول الاتصال بالوحدات العسكرية ويقود في عين الوقت قوات المقاومة رغم إصابته بجروح نتيجة القصف الجوي. أرسل الزعيم آنذاك مرافقه حافظ علوان ليستدعي آمر فوج حماية الوزارة عارف يحيى الحافظ، فلم يعد المرافق، كما تقول بعض المصادر، ولم يأت الآمر، وهذا ما سنعود إليه لاحقاً.

في الوقت نفسه فهم الزعيم سر الانقلاب وحدس ماهية القوى التي تقف خلفه، فطلب من مرافقه حافظ علوان[٣٠٤]، كما تقول العديد من المصادر المتوفرة، إحضار لائحة:

---

٣٠٢ - خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، مصدر سابق، ص ٣٥٣، الجزء الخامس.

٣٠٣ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، ص ٨٤ - ٨٥، في حين يحاول طالب شبيب بإسلوب غير منطقي التقليل من عمليات القتل والقول بأنها كانت [قليلة جدا] ليس لهذه الواقعة فحسب، بل لكل معركة وزارة الدفاع يومي الثامن والتاسع من شباط.

٣٠٤ - شامل عبد القادر، اغتيال بالدبابة، ص. ١٢٤، مصدر سابق. وتكلم حافظ علوان عن تلك الظروف بالقول: "... **الشيء الغريب الذي تسرب في أعماقي في تلك اللحظات إنني تساءلت مع نفسي وأنا أنظر إلى قاسم وهو يكلفني وتحت وابل من القصف الجوي بأن أجلب له ملف قانون شركة النفط الوطنية.. قلت مع نفسي وأنا أرمقه وهو يوقع على القانون بهدوء عجيب (أشو عبد الكريم ترك كلشي وراح يوقع على القانون).. وبعد توقيعه طلب مني أن أعيد الملف على منضدته**

{ قانون شركة النفط الوطنية العراقية }

ليصحح بعض العبارات الواردة في أسبابه الموجبة لأجل توقيعه، وكان هذا آخر توقيع له، ويصبح نافذ المفعول، ثم قال قولته البليغة الدلالة:

[أريد أن أوقع هذا القانون الآن] [٣٠٥].

... وإزداد القصف و سمعت قاسم يقول لي كل هذه الهوسة من أجل قانون رقم ٨٠...". ذات المصدر، ص.٣٤٠.

٣٠٥ـ أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، مصدر سابق، ص ١١٥. وقد سبق وأن نشرت مسودة اللائحة في نهاية ١٩٦٢. وحول هذه الموضوعة، يشير حسن العلوي في كتابه عراق، منظمة الدولة السرية، مصدر سابق، ص ٢٦ إلى واقعة مفادها: [حدثني السيد مرتضى العسكري (٨٧ عاماً)، أثناء زيارتي له في لندن يوم ٣٠ حزيران (يونيه) ١٩٩٠، أن وزيراً من وزراء عبد الكريم قاسم، أخبره بعد صدور قانون رقم ٨٠، بأن رئيس الوزراء عبد الكريم قاسم بدأ جلسة المجلس المخصصة لمناقشة وإصدار قانون رقم ٨٠ بقوله: تعالوا نوقع على الحكم بإعدامنا ثم وقع ووقعنا من بعد]. وقد أشار إسماعيل العارف إلى ذات الواقعة، في مذكراته ص ٤٠٦، كذلك راجع مقالتنا (القانون الذي حكم على الزعيم بالاعدام) مجلة الموسم العدد ٣٢ لعام ١٩٩٧، امستردام.

وحول الموضوع ذاته، أشار زكي خيري إلى ذات النقطة بالقول: [... ومن ثم شرع قاسم قانون شركة النفط الوطنية التي كان عليها أن تستثمر الأراضي المنتزعة من الكونسرسيوم، بما فيه حقل الرميلة... ولكن صدور مشروع قانون الشركة الوطنية أقضّ مضاجعها فاتصل السفير الامريكي في بيروت بضابط عراقي وهو شقيق محمد علي جواد آمر القوة الجوية الذي قتل مع بكر صدقي ومن أقرباء قاسم كلفه السفير بأن يعود إلى بغداد ويحذر قريبه من مغبة توقيعه على مسودة القانون. وكانت جاهزة للتوقيع لتصبح قانوناً نافذاً. وكان قاسم متردداً في التوقيع حتى تلك اللحظة. فلما سمع بالانذار الامريكي له، طلب اللائحة ووقعها في الحال. وكان هذا التوقيع بمثابة التوقيع على حكم بالاعدام على صاحبه رمياً بالرصاص. وقد نفذه انقلابيو ٨ شباط حالما قبضوا على قاسم فقدموه قرباناً للإحتكارات الامبريالية. كان الإنذار الأمريكي بمثابة الضوء الأخضر لانقلابي ٨ شباط] صدى السنين، مصدر سابق، ص ٢٣٩.

أما الضابط المذكور أعلاه فهو اللواء الركن عبد الجبار جواد، قائد الفرقة الخامسة وهو أبن بنت عمة الزعيم وزوج أخته أمينة. وكان يوم الانقلاب مريضاً بالقلب وكان بمنصب قائد الفرقة الخامسة في حينها وفي إجازة عن العمل مما سهل للانقلابين السيطرة على الفرقة لأن معاونه كان

تكشف هذه العبارة الموجزة والمقتضبة، الشديدة العمق والمغزى، سر كل التراجيديا السياسية في العراق المعاصر عامةً والعهد الجمهوري الأول (المرحلة التموزية/ القاسمية النيرة) بخاصةً. إذ تكمن في ماهيتها ليس فقط أسباب مقتل الزعيم قاسم، بل ماهية وطبيعة القوى الدافعة والمحرضة على إسقاط حكمه والمبادئ التي سار عليها، وكذلك على الحلم العراقي في التطور المنشود. كما ترسم، العبارة أعلاه، تراجيدية المصير العراقي وإصرار بعض القوى السياسية على المضي في توتير الحياة السياسية أثناء تلك الفترة. حتى أصبح بالإمكان القول بأن النفط الذي أراده الزعيم قاسم أن يكون نعمة للبلد، أصبح نقمة عليه.

وخلف عبارة الزعيم أعلاه يتضح الدور الخفي/العلني لدور شركات النفط في الانقلاب على الحكم الوطني في عراق تموز، كما سبق وأن كان ضد إيران مصدق عام ١٩٥٢، والتي عبرت عنها مقولة السعدي (جئنا بقطار أمريكي) وركضنا معهم (المسافات الطويلة) نحو الهاوية[٣٠٦].

الآمر الفعلي يوم الانقلاب ومن المتعاطفين مع الانقلابيين. لقد أكد مضمون هذه الواقعة قبل زكي خيري، نجم محمود في مؤلفه القيم: المقايضة برلين - بغداد، مصدر سابق. وقد أسند الرواية إلى مرافق عبد الجبار جواد الملازم الأول (آنذاك والوزير فيما بعد) حماد شهاب.

٣٠٦ - يشير عبد الله إسماعيل، عضو الوفد العراقي المفاوض مع شركات النفط آنذاك إلى ماهيات الصراع معها بالقول: [... **لقد ثبت لي بأن عبد الكريم قاسم كان على إطلاع تام على ماهية مواضيع الخلاف مع شركات النفط، وأنه كان يدرس بعناية محاضر جلسات المفاوضات التي كنت أقوم بضبطها وطبعها وتزويده بنسخ منها بعد إنتهاء كل جلسة، حيث كان يطلب في بعض الاحيان... تصحيح بعض الكلمات أو الفقرات**] راجع كتابه الموسوم (مفاوضات العراق النفطية ١٩٥٢ - ١٩٦٨) منشورات لام، لندن ١٩٨٩. أن العراق مهم بالنسبة إلى بريطانيا وأن ثورة ١٤ تموز زعزعت من مركزها بالشرق الاوسط، وعجلت في أفول شمس أمبراطوريتها، مما دفعها للتآمر عليه بالتعاون مع حلفاءها الداخليين والخارجيين وتحديداً امريكا وهذا ما كان في العديد من المحاولات الانقلابية أثناء الفترة التموزية/ القاسمية.

بعد توقيع مشروع القانون، اشتد الخناق أكثر فأكثر حول وزارة الدفاع، ومن أغلب جهاتها، وكان الزعيم قاسم والمحيطون به ينتظرون قدوم الإمدادت من الأنصار والموالين الذين وعدوا بإرسال قواتهم. وطال الانتظار حتى أصبح في ذمة التاريخ، وتحول إلى أداة قهر للمشروع الوطني عامةً ولقيادته خاصةً، وحتى لهؤلاء الموالين من الضباط، الذين توقعوا الشفاعة من الانقلابيين، والتي لم يحصلوا عليه.

أما الانتهازيون من قادة الوحدات العسكرية، فمنهم من اختبأ في داره أو لزم حضن زوجته، أو وقف على التل متفرجاً وكأن الصراع الدموي الجاري في البلد لا يعنيه بشيء، بخاصة بعد أن تسرب إلى نفوسهم الشك والريبة في حسم الصراع لصالح النظام. لقد كانوا غير مبدئيين في مواقفهم وغير ملتزمين حتى بأخلاقيات المؤسسة العسكرية وقواعد التعامل المعمول بها.

هذا الموقف في خطوطه العامة، سرى على العديد من الضباط الذين سبق أن انتقاهم الزعيم قاسم وسلمهم مسؤوليات وحدات عسكرية مهمة حتى داخل وزارة الدفاع نفسها، وكانوا بصحبته صباح يوم الانقلاب يتظاهرون بتأييده طالما الموقف لم يحسم بعد. لكنهم أخذوا يتسللون خفية الواحد تلو الأخر من الأبواب الخلفية أو يختبؤون داخل المباني بعيداً عن إدارة المعركة. لذا كان تشخيص قاسم الجنابي دقيقاً جداً عندما قال ما معناه:

[قاتل الجنود والمراتب بضراوة وبدون ضباط].

وقد قيل أن الأخبار الكاذبة التي أذاعتها إذاعة الانقلابيين، عن موت الزعيم قاسم، وبرقيات التأييد المفبركة والكاذبة [٣٠٧] من قادة الفرق والوحدات العسكرية، أثرت

٣٠٧- هذا ما رواه عبد الستار الدوري حول هذه الأخبار والبرقيات المفبركة، وأوضحها هاني الفكيكي في (أوكار الهزيمة) ص ٢٤٠، وكذلك طالب شبيب إذ قال [... وفي حينها دبجنا برقيات كثيرة بإنفسنا وأذعناها من مرسلات أبو غريب وإذاعة الصالحية، بدعوى أنها وصلت من أمراء الوحدات العسكرية] مراجعات، ص ٧٩. كما أشار إليها حازم جواد في مقابلتيه المنشورتين في صحيفة الحياة في شهر شباط عام ٢٠٠٤ والقدس العربي في شباط من عام ٢٠٠٦ في لندن، كلها مصادر سابقة.

سلبياً على الموالين الذين تعاملوا مع قياداتهم العليا تعاملاً وظيفياً، إذ تصوروا أن الأمر قد استتب للانقلابيين، لذا استسلم أكثرهم للأمر الواقع. وكانت هذه الاخبار الكاذبة وتلك البرقيات من وحي مخططي الانقلاب الأجانب.

كما أن بعضهم ساهم عملياً في دعم الانقلاب من خلال تحويل البندقية من كتف إلى آخر. لنا من موقف **الرائد عبد الله مريوش** مثال، إذ ساهم في تغيير موازين القوى في معركة وزارة الدفاع في يومها الأول. لقد كان المومأ إليه أحد أمراء السرايا المكلفة بحماية وزارة الدفاع.. وأثناء المعركة خرج بكامل سريته لأجل فك الحصار عن الوزارة، وإذا به يطوقها ويوجه البنادق نحوها، مما أحدث شرخاً كبيراً في الموقف الدفاعي لقوات حماية الوزارة، ورجح إلى درجة كبيرة من فرص نجاح الانقلاب.

كذلك الأمر بالنسبة لآمر اللواء التاسع عشر العميد الركن فاضل عباس حلمي، المناط بلوائه مسؤولية حماية بغداد من الانقلابات العسكرية في الحالات الاستثنائية. وكان يعتبر من الألوية المهمة تسليحاً وموقعاً، وثقتةً بالنسبة إلى الزعيم قاسم الذي كان يعتمد عليه بدرجةٍ كبيرة. وهو ذات اللواء الذي دخل به الزعيم قاسم بغداد صبيحة الرابع عشر من تموز ١٩٥٨. يصف هذا العميد حالة تشتته، إن لم نقل تخاذله، بشكل تراجيدي قائلاً:

[... وصلت مقر اللواء بعد إعلان الثورة بأقل من ساعة وكانت الغارات الجوية مستمرة على معسكر القوة الجوية والدخان يتصاعد من هناك والقصف مستمر، كذلك في منطقة باب المعسكر، حيث الوضع لم يكن هادئاً وشبه غامض وفي خلال هذه الفترة رن التلفون السري، وإذا بالمتكلم عبد الكريم قاسم نفسه مستفسراً عن الموقف وكان يتكلم من مقره في وزارة الدفاع فأخبرته أني وصلت تواً. وأن العناصر الثائرة تحاصر باب المعسكر بالدبابات وطائراتهم تقصف المطار والحرائق هناك كبيرة والموقف غامض ويخشى من وقوع مجازر داخل المعسكر، لأن الزمام قد يفلت من الأيدي وقد لاحظت تغلغل الثوار في كل مكان على طول الطريق المؤدي من بيتي في الاعظمية حتى باب معسكر الرشيد الشمالي. فقال: (لا الموقف جيد لدينا في وزارة

الدفاع) فقلت ما هي إذن أصوات القصف الكثيف التي أسمعها عبر التلفون. فغضب من ملحوظتي هذه وتوعد، وقال أنه سيرسل الدبابات لفك الحصار عن المعسكر وأنه بحاجة إلى بعض الاعتدة لهذه الدبابات وهي متيسرة في مخازن عتاد الرسمية والتي سيعطيك تفاصيلها الآن الزعيم الركن عبد الرحمن عبد الستار مدير الحركات الموجود معي. فكررت عليه تعذر ذلك حيث الثوار سيطروا على تلك المخازن وعلى الطرق المؤدية إليها (في الواقع العملي لم يكن قد تم ذلك، أنها لغة التبجح والتملق والتخاذل- الناصري).

وهنا بدأ الكلام الزعيم الركن عبد الرحمن عبد الستار وهو يسرد أنواع الأعتدة المطلوبة، وكنت أبادره بالقول (يا عبد الرحمن ماذا تعمل بالدفاع أرجوك اترك مكانك وتعال إلينا فإن الموقف منته). وأني فاتحته بذلك لمعرفتي الأكيدة بوطنيته وإخلاصه... والظاهر كان في موقف حرج لوقوف عبد الكريم قاسم على رأسه، فلم يرد علي، بل استمر في سرد قائمته، وأنا أكرر عليه بضرورة مغادرة وزارة الدفاع. وقبل الانتهاء من كلامه قال لي، وهاك السيد رئيس أركان الجيش اللواء الركن أحمد صالح العبدي يكلمك، فأول ما ناداني هذا الرجل الطيب حتى بادرته قائلاً: (سيدي إن الموقف منته، وأرجوك اترك وزارة الدفاع) وعلى الرغم أنه لم يعلق على كلامي هذا لوجود عبد الكريم قاسم بجانبه ولكنه كان يريد أن يقول لي اعمل جهدك للحصول على الأعتدة، وأنا أكرر عليه نفس كلامي آنف الذكر لثقتي الكبيرة به، حيث كان دائماً يتحسس ما كنا نعانيه نحن القوميون، ويمد لنا يد العون عن طريق مدير الحركات الزعيم الركن عبد الرحمن عبد الستار ومدير الاستخبارات العقيد محسن الرفيعي في نقل العناصر المسيئة من لوائنا...][٣٠٨].

هناك روايتان تكذبان هذا التبجح بالبطولة التي أشار إليها الضابط أعلاه، أوردها العميد خليل إبراهيم حسين في كتابه (سقوط عبد الكريم قاسم) وردت الأولى على لسان طاهر يحيى عندما قال وهو يصف كيفية الاستيلاء على معسكر الرشيد:

٣٠٨- خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، الجزء الخامس، مصدر سابق. ص ٣٧٧

[... كان في المعسكر آمر اللواء العميد فاضل عباس حلمي وقائد الفرقة اللواء عبد الكريم محمد، الذي كان موجوداً أيضاً في مقر اللواء. وجهت إليهم إنذار بالتسليم وطلبت جمع مفاتيح المشاجب وتسليمها خلال ساعتين... وتركنا الدبابة الثانية تراقب لاحتلال مقر اللواء، كان آمر اللواء بانتظارنا وسلمنا مفاتيح المشاجب. تمت السيطرة على مقر اللواء بفضل مساعدة أحمد الحديثي وطه الشكرجي... أبرقنا إلى الإذاعة برقية حيث كان هناك السيد أحمد حسن البكر وغيره من الضباط الثائرين نخبرهم فيها أن السيطرة تمت على معسكر الرشيد ووقعتها أنا ورشيد مصلح وأنور الحديثي...[٣٠٩]].

أما الرواية الثانية فهي كما وردت سابقاً على لسان الضابط أحمد الحديثي الذي شرح كيف أذعن آمر اللواء دون أن ينبس ببنت شفة[٣١٠].

وهكذا سيناريو جرى مع العديد من قادة الوحدات العسكرية. ومنهم قائد الفرقة الرابعة المدرعة عبد الجبار السعدي، الذي كانت فرقته معسكرة بالقرب من الحبانية. حيث تم أرضاء الانقلابيين طواعية وتسليم نفسه إلى الانقلابيين، حسب ما صرح به عارف عبد الرزاق، وأضاف يقول: [... وصل العقيد عبد الغني الراوي الذي عينته الثورة لقيادة قوات غرب الفرات في الساعة العاشرة والنصف وتولى قيادة اللواء.. طلب قائد الفرقة زيارة الراوي، لكننا طلبنا منه أن ينفذ طلباتنا بفتح مخازن العتاد والسلاح وتلبية طلباتنا الأخرى. وأوعز قائد الفرقة إلى ضابط ركنه الأول بأن يلبي جميع طلباتنا فأوعز إلى كتيبة المدفعية المضادة للطيران بتسليم سياراتها وتسليم كل سيارة متيسرة بالفرقة لتسهيل حركة اللواء الثامن...[٣١١]] بالتوجه نحو بغداد. وهذا ما تم وتحرك اللواء المذكور في حدود الثانية عشر وقلب موازين القوى بصورة كبيرة جداً، في المعركة الجارية في بغداد سواء في وزارة الدفاع أو المناطق الشعبية في الكريمات والكاظمية والكفاح وغيرها، لصالح الانقلابيين.

٣٠٩ـ المصدر سابق، ص ٣٤٧ وما بعدها.

٣١٠ - المصدر السابق ص ٣٨٠ وما بعدها

٣١١ - المصدر السابق، ص. ٣٧١

ويشرح عارف عبد الرزاق الكيفية التي تم فيها الاستيلاء على الفرقة بالقول: [... أن الطيار حامد الضاحي أبلغه أن قائد الفرقة الرابعة المدرعة عبد الجبار السعدي، يبحث عنه، فكلمته هاتفياً وقال له: إن المكان الأكثر أمناً له أن يأتي إلى عنده، فجاء وطلب إليه أن يأمر بفتح المخازن. وقد فعل فحصلنا على الأسلحة..."[٣١٢]].

لكن من الامور التي يتوقف المرء عندها حائراً، هي أن الزعيم قاسم كان يعرف سرائر هؤلاء و دواخلهم، ومدى تزلفهم بل حتى تآمرهم عليه ومع هذا أبقاهم في مناصبهم الحساسة، وهذا أودى به إلى سوء العاقبة. هكذا بحسن النية قضى الزعيم قاسم أو مهد السبيل للقضاء على نفسه وعلى مصير الجمهورية الاولى وآمال الفقراء والكادحين. وتلك الأماني التي علقت عليها مصائر الأجيال اللاحقة.

وبعد الساعة الثانية ظهراً، ومع اشتداد القتال اتصل الزعيم قاسم بمدير الأمن العام عبد المجيد جليل وأملى عليه صيغة بيان تحريضي للجماهير وطلب منه أن يطبعه ويوزعه في الشوارع بأقصى سرعة. حيث دعا البيان إلى عدم الامتثال لمنع التجول الذي قرره الانقلابيون بعد الساعة الثالثة ظهراً، وتحدي قوات الانقلاب أينما كانوا..

وعند حلول الثالثة ومع عدم سريان مفعول بيانه، لأن قوى الأمن العامة لم توزعه، إذ أن مديرها العام عبد المجيد جليل كان يُظهر الود للزعيم لكنه، حسب قول السفير البريطاني السابق في بغداد همفري تريفيليان، [كان من وقت إلى آخر يتورط في مؤامرات ضد قاسم وإن الأمن كان ودياً معنا بدرجة كافية لإخبارنا بمعلومات سرية بين الحين والآخر عندما كان هناك شئ يجري ضدنا..."[٣١٣]].

٣١٢ـ د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، هامش ص ٧٥. وقد أكد مضمون الواقعة التي تخلى فيها قائد الفرقة الرابعة عن قيادة فرقته طوعياً، عبد الغني الراوي في مذكراته المنشورة في جريدة الزمان العدد ٢٩٢ في ١٩٩٩/٠٤/٠٩، لندن

٣١٣ - راجع د. حامد البياتي، أسرار انقلاب ٨ شباط، مصدر سابق، ص ٢٤٨. ونص قول السفير في الملاحق ملحق رقم ٧. وحول موقف الأمن العامة من النظام آنذاك. راجع للمزيد: هاني الفكيكي، ص ١٩١ - ١٩٢؛ طالب شبيب، ص ٥٥؛ الموسوعة، ص ٥٤، الجزء ٥. علماً بأن مديرية الأمن العامة كانت "... دائماً إلى جانب القوى القومية العربية وجماعة الأخوان

وحول ذات الموضوع يشير إسماعيل العارف لحادثة ذات دلالة ومغزى جرت مع عبد المجيد جليل بعد اعتقالهما في معسكر الرشيد، تصب في الاتجاه العام لقول السفير أعلاه، إذ يقول: [كان يجلس في بهو اللواء التاسع عشر على مسافة مني العقيد عبد المجيد جليل مدير الأمن العام في حكومتنا، يختلس النظر إلي بين الفينة والفينة. وتبادر إلى ذهني أنه يتذكر ما جرى قبل أسبوع عندما طلبت منه أن يزورني في وزارة الأرشاد وقلت له: ((إن سياستك العشوائية ستهدم على رؤوسنا ورأسك هذه الجمهورية. وبعد برهة اقترب منه علي صالح السعدي يحاوره ويسأله عن أمر أصر عبد المجيد جليل على عدم الإباحة به. فبصق في وجهه وصفعه صفعة قوية مؤذية. فبادره جليل بالقول: ((لماذ تضربني.. لولاي لما نجحت ثورتكم ولما استوليتم على الحكم)) وبعد فترة قصيرة اقتيد عبد الجليل إلى الساحة الواقعة خلف البهو ونفذ به حكم الإعدام رمياً بالرصاص في تلك الليلة...[٣١٤]].

المسلمين والرجعية...قولاً وعملاً في مجابهة التيار الديمقراطي...". د. عبد الفتاح بوتاني، ص. ٨، كلها مصادر سابقة. كذلك ما كتبه كل من الدكاترة عادل البلداوي، نبض الشارع، وعبد الفتاح البوتاني، الحركة الشيوعية في تقاريلر الامن، وجعفر عباس حميدي، التطورات السياسية في ضوء التقارير الأمنية الخاصة، كلها مصادر سابق.

٣١٤ - إسماعيل العارف، المذكرات، مصدر سابق، ص ٤٢٧. وحول تاريخ عبد المجيد جليل، يقول الضابط والسياسي سليم الفخري، في اخر محاضرة له بتاريخ ١١ تشرين الأول ١٩٩٠ و قبيل وفاته في لندن، أن المومأ إليه كان يعمل في المرحلة الملكية ضابطاً في الاستخبارات العسكرية ومسؤول قسم مكافحة الشيوعية. كما كان يكن العداء لليساريين، حيث يقول في هذا الصدد جاسم العزاوي في مذكراته، مصدر سابق، ص ٢٣٧ أن [...عبد المجيد جليل مدير الأمن العام الذي امتدح خطتي في الإذاعة وإبعادي لحافظ القباني، قائلاً سأخلصك منه نهائياً. أدبر دعوة له إلى التجنيد بحجة عدم إدائه الخدمة العسكرية، الأمر الذي يدفع القباني إلى مغادرة العراق ...]. وفي ذات السياق يشير الضابط السابق حامد مقصود إلى دور عبد المجيد جليل في ملاحقة الضباط المناوئين للنظام الملكي (ص.٣١) وكيف أنه تعجب عندما أخبره الزعيم فجر ١٤ تموز عند بدء زحف اللواء التاسع عشر نحو بغداد ليساند ويعضد اللواء العشرين، يقول: "... مفاجأني بوجود العقيد عبد المجيد جليل وهو ضابط مخابرات حكومية كان المفروض تصفيته، جالساً على المقعد

ترى هل فعلاً قال ذلك؟ أم أن العارف أراد تحميل مدير الأمن بعض أوزار الانقلاب، وهذا ما يمكن تلمسه في مذكراته ونقده له. وهذا ما يستحق الوقوف عنده وضرورة التفريق بين الموقف الشخصي لمدير الأمن العام وعلاقته بمركز السلطة وبين طبيعة جهاز الأمن وآلية العلاقة الداخلية التي تنظمه وتوجهه، وتلك التي تربى عليها منذ تأسيس نواته الأولى بعد احتلال بغداد عام ١٩١٧ والتي انصبت على محاربة القوى الديمقراطية عامةً والشيوعية خاصةً. إذ درب ملاكه إلى حد منتصف الستينيات على نوع واحد من النشاط وهو ملاحقة الشيوعيين واقتناصهم، وأصبحوا لايتقنون غير هذا، كالكلاب المدربة على تعقب طائفة معينة من الطرائد.. لذلك رأينا أن العديد من ضباطه كانوا مساهمين في أغلب، إن لم يكن كل، المحاولات الانقلابية ضد سلطة تموز/ قاسم، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

ويؤكد هاني الفكيكي من زاوية أخرى دور أجهزة الأمن المساندة لهم من خلال فرع [... **تنظيم حزب البعث آنذاك في تنظيمات الشرطة، حيث تم اعتقال بعضهم، الأمر الذي أساء للحزب كثيراً وأفقده الثقة التي كان يتمتع بها من حيث متانة حصانته التنظيمية وسرية أسماء منتسبيه**]. وقد لعب هذا التنظيم البعثي، كما يرى طالب شبيب، دوراً في [**تدني ولاء الأجهزة الأمنية للسلطة ووصول معلومات من داخلها عن خطط قاسم ونواياه**] ولأنه [**جهاز بيروقراطي غير متحمس ولا تربط بين أعضائه وقيادة الدولة رابطة الحزب الواحد أو الإيديولوجية الواحدة...**[٣١٥]].

وسبق أن أدلى برأي مشابه الضابط السابق المحامي ناصر فارس الحسن، حيث أفاد في نهاية عام ١٩٥٨ بـ: [**أن الإخباريات التي ترد ضده إلى مديرية الأمن العامة والاستخبارات العسكرية تعاد إليه مباشرةً دون أن يفتح فيها أي تحقيق... (لأنه حسب رأيه لا يزال) هناك كثير من الشرطة المحتفظين بقوميتهم ويمكن الاعتماد عليهم...**[٣١٦]].

الخلفي وبجانبه العقيد الركن عبد الرحمن عبد الستار...:. ثورة ١٤ تموز، ص. ١١٣، مصدر سابق.

٣١٥- د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٥٥

٣١٦- الموسوعة، الجزء الخامس، ص ٥٤ - ٥٥.

يشير إلى تراجيديا هذا الموقف د. علاء الدين الظاهر بالقول: [...**إن قوات الأمن اعتقلت شيوعيين أكراداً كانوا يوزعون منشورات تأييد لحكومة قاسم ضد البارزاني، إن المنشورات كانت موقعة باسم (الشيوعيين الأكراد)، وكانت أجهزة الأمن تلاحق الشيوعيين حتى عندما يكونون ضحية للعنف السياسي وتخلق التهم ضدهم.** وهذه هي مأساة الزعيم. كانت أجهزته الأمنية تضرب مسانديه وتتساهل مع معارضيه..[٣١٧]].

وعليه يمكننا التأكيد على أن موقف إغماض العين الذي تبنته دوائر الأمن خلال السنتين الأخيرتين من عمر الجمهورية الأولى، ساعد الانقلابيين على تنظيم وتدريب وتجميع قواهم. وعندما أزفت ساعة الانقلاب كانت هذه القوى مهيأة للنزول إلى الشارع والمساهمة في تنفيذ مخطط الانقلاب.

ومن زاوية أخرى كانت مديرية الأمن العامة ترفع تقاريرها الأمنية إلى الزعيم قاسم، وقد تمركزت ماهياتها على إثارة مخاوفه من كثر من المواضيع التي تموج في الساحة والعقل السياسيين وتعرقل مشاريعه الدستورية، فعلى سبيل المثال كتبت في تقريرها الخاص، إن "... انتخاب مجلس وطني يتسرب إليه، كما كانت تكتب له (رجال المعارضة) الذين سيتحولون إلى حجر عثرة في المجلس المنتظر في سبيل تقدم الجمهورية السريع في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية مما يؤدي إلى تعميق المشاكل السياسية في البلاد كالمطالبة مثلاً بإعادة التحقيق من جديد في الحوادث التي وقعت في الموصل وكركوك وبعض المدن العراقية الأخرى التي تعرضت للعدوان الشيوعي الحزبي السافر، وتحديد مسؤولية الفاعلين مرة أخرى، وإلى زيادة التفرقة بين المواطنين والبلبلة والانقسامات الداخلية في صفوف الشعب ...[٣١٨] ".

ولهذا السبب يكيل بعض قادة الانقلاب المديح لعبد المجيد جليل. يقول طالب شبيب عنه:

---

٣١٧ - د. علاء الدين الظاهر، التاريخ كما يكتبه القصخون، مصدر سابق، ص ١٢

٣١٨- **تقرير الأمن العامة/ خاص في ١٦ تموز ١٩٦٢، ص. ٣. مستل من د. عادل تقي البلداوي ، الحزب الوطني التقدمي في العراق، ص. ١٠٧ ، مصدر سابق.**

[...لا أدري لحد الآن لماذا أمر (عماش) بقتل العقيد عبد المجيد جليل، الذي ما كان يجب أن يُعدم، **لأنه أرحم مدير أمن عام في تاريخ العراق كله ولم يظهر أية عداوة للقوميين والبعثيين، وأصطدم بالشيوعيين أكثر من إصطدامه بنا**، ولم يسيء إلى عماش وعماد وبهاء شبيب (وكان الأخيرين ضابطين) ولا السعدي وكريم شنتاف عندما تمكن من اعتقالهم قبيل ٨ شباط بأربعة أيام رغم خطورة أمرهم. فلو كان قد حاول وإنتزع منهم المعلومات قسراً لأنقذ حكومته...[٣١٩]]. (التوكيدات منا - الناصري).

ولكن كيف يمكن تفسير موقف مدير الأمن العامة؟؟ بالتأكيد يكمن في عداءه لليسار عامةً وانحيازه للقوميين على تعدد أحزابهم. لأنه كما قيل "... كان له علم مسبق، ومن منطلق حسه الأمني، إن هناك محاولات انقلاب ضد نظام عبد الكريم قاسم تحوكها فئة قومية مما دفعه للذهاب إلى عادل جلال وزير الزراعة في عهد عبد الكريم قاسم وطلب منه ترتيب لقاء مع كامل الجادرجي عن طريق الوطني الديمقراطي المعروف صلاح عبد الوهاب الذي كان موظفاً محترما في وزارة الزراعة يومذاك، عن هذا اللقاء ذكر صلاح عبد الوهاب ما نصه: "... إن هدف اللقاء هو أما تهيئة الجادرجي وحزبه لإستلام السلطة بدلا عن تلك الفئة القومية بعد أن يقوم عبد المجيد جليل بتهيئة جميع الضباط الذين يثق بهم لمساندة الجادرجي، أو تهيئة الجادرجي وحزبه لمساندة عدد من الضباط الذي بدء استيائهم يزداد ضد عبد الكريم قاسم. أني شعرت عند لقائي بعبد المجيد جليل أنه توصل إلى قناعة تامة أن وجود عبد الكريم قاسم بحد ذاته خطراً على البلاد ، وإن إزالته هو أخطر من ذلك خصوصاً إذا ما تسلمت تلك الفئة القومية مقاليد الأمور في البلاد . مع العلم إن لقاء الجادرجي وجليل لم يحصل بسبب تسارع الأحداث التي أدت إلى سقوط قاسم...[٣٢٠] ".

ويلقي هاني الفكيكي هو الآخر، تبعية إعدام مدير الأمن على عاتق عماش، عندما يقول:

---

٣١٩ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٢٨.

٣٢٠ - د. عادل البلداوي ، نبض الشارع العراقي في عهد عبد الكريم قاسم ج وثائق أمنية جديدة، ص. ١٤ ، دار النشر بلا ، بغداد ٢٠٠٤.

[...عند الصباح سمعنا إذاعة بغداد تعلن وباسم مجلس قيادة الثورة إعدام العقيد عبد المجيد جليل والعقيد حسين خضر الدوري وفاضل البياتي وحسن عوينه الأمر الذي فاجأنا وأثار امتعاضنا. وعندما اتصل حازم بآمر السجن العسكري المقدم حازم الصباغ (الأحمر) أعلمه بأن عماش أبلغه فجر ذلك اليوم بالقرار وطلب تنفيذه بالحال...[٣٢١]].

ويعلل محمد حديد إعدام الحياة لعبد المجيد جليل بأنه "... كان من أجل اخفاء أسرار كثيرة تتعلق بحزب البعث... "[٣٢٢]. كما يروي فؤاد عارف كيفية تصفية الموما إليه ب" شهادته الموثوقة وفق الصيغة التالية: زرت علي صالح السعدي بمقره في لندن علم ١٩٧٠ وعندما تذكرنا أيام عهد عبد الكريم قاسم وأحداث انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، بكى أمامي علي صالح السعدي، بكاءً مراً وهو يتذكر ما فعله ضد عبد المجيد جليل عندما خلع أسنانه وعيونه بطريقة بشعة كونه كان أنساناً طيباً ولم يسبب له أي أذى عندما كان السعدي مسجوناً في عهد عبد الكريم قاسم ...".

ومع مضي الوقت أخذ وطئ المعركة يتعمق بالتواؤم مع عدم استجابة المؤسسة العسكرية لنداءات الضمير والشعور بالمسؤولية والإحساس بأفق مستقبل ذاتها

---

٣٢١ ـ هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص ٢٥٣. واعتقد أن الفكيكي يحاول تبرير موقف صاحبه علي صالح السعدي وإلقاء هذه التهمة على غريمه المشبوه عماش.

كما "... وقد ذكر الأستاذ محسن الرفيعي/ مدير الاستخبارات العسكرية في عهد عبد الكريم قاسم فقد ذكر ما نصه: أعتقل عبد المجيد جليل في ٨ شباط وأعتقله سجينه علي صالح السعدي الذي كان معتقلا لديه ..."وأخذ يشتمه بأقذر الكلمات... وكان المرحوم في سجن رقم واحد وكنا في غرفة واحدة وقد استدعاه السعدي للتحقيق معه وأعتقد أن السعدي قرر إعدامه بسبب شخص بعثي قيادي مارس ضغوطه على السعدي لإعدام عبد المجيد جليل لكيلا يفضحه الأخير باعتباره أحد المتعاونين في حزب البعث مع الأمن ؟! إعدام عبد المجيد خطأ كبيراً أرتكبه السعدي والقيادة آنذاك ...". وحامت الشبهات حول صالح مهدي عماش باعتباره القيادي الذي مارس الضغط على السعدي. مستل من د. عادل تقي البلداوي، نبض الشارع العراقي، ص. ١٣ مصدر سابق.

٣٢٢ - محمد حديد، المذكرات، ص.٤٧٤، مصدر سابق

ومستقبل الوطن. وأخذ الخناق يشتد وكأنه بداية النهاية، إذ بدأت تلوح في الأفق علاءم المعركة الفاصلة خاصةً، بعد انضمام العديد من الموالين إلى قوى الانقلاب، لإنقاذ جلودهم، التي لم ينقذها موقفهم هذا مما خططه الانقلابيون لهم من جهة؛ ومن جهة ثانية لتطويق ما يقارب ٦٠٠ عسكري من المدافعين عن وزارة الدفاع في حدود الساعة السادسة مساءً، ومن ثم استسلامهم نتيجة تقاعس وخيانة قائدهم عارف يحيى الحافظ آمر الفوج الثاني لواء التاسع عشر والمكلف بحماية الوزارة، الذي برر خيانته بالقول:

[... اتصل في داري تلفونياً صباح ٨ شباط مساعد الفوج النقيب غانم حسون (قومي من الموصل) قائلاً: إن الطائرات تقصف وزارة الدفاع. حضرت إلى مقر الفوج وحضر عبد الكريم قاسم مع مرافقيه قاسم الجنابي وحافظ علوان إلى وزارة الدفاع. ذهبت إلى مواجهة عبد الكريم قاسم بناءً على طلبه وكان يحاول الاتصال بمقر اللواء التاسع عشر وجرت مشادة كلامية بين قاسم وطه الشكرجي الذي شتم قاسم، مما أثار غضبه وحنقه وتهديده. رجعت إلى مقري وقلت أن طه الشكرجي (بعثي من الموصل) فالمعركة إذن بين القوميين من جهة وبين الشيوعيين وقاسم من جهة أخرى. وبما أنني قومي وضد تصرفات الشيوعيين اللاقانونية وضد ما قاموا به من مذابح في الموصل و كركوك وغيرها من المدن العراقية فمن الطبيعي أن أكون مع الجانب القومي.

وبعد الظهر جاءني النقيب حافظ علوان وأبلغني أن الزعيم عبد الكريم يريد مواجهتي وقلت له طيب ثم انصرف وعاد، أما أنا فأصدرت أمراً بسحب جنودي وإدخالهم إلى القاعات لحمايتهم من شظايا القنابل المتطايرة.

لم أنفذ أوامر عبد الكريم قاسم في مقاومة الثوار، وأخليت الجرحى الذين أصيبوا من جراء القصف حيث كانوا يسكنون الخيم وأرسلتهم مع آمر الفوج إلى مستشفى الرشيد العسكري، ولم يعترض أحد ولم يقتل إلا جندي واحد من جراء القصف عندما كان في الخيمة، وفي المساء دعوت المساعد وأبلغته بأن يبلغ الجنود بعدم إطلاق

النار وأن لا يتدخلوا (!؟! - الناصري) أو يتحركوا وإننا لا نريد أن يقتل أبناء البلد بعضهم بعضاً. نفذ المساعد الأمر وأبلغهم أمري وطلب منهم البقاء في محلاتهم.

وعندما حل الغروب وصل فوج من اللواء الثاني في الحبانية بقيادة المقدم الركن محمد يوسف طه (قومي - الموصل) فبعثت إليه ضابط صف ليقول له: أني أريد أخراج جنودي من وزارة الدفاع حتى لا نتقاتل، ثم قابلت المقدم الركن يوسف وتعانقنا وترك فوجي الوزارة وعسكرنا في الثكنة الشمالية، ولم يقتل أحد من جنود الفوج إلا الجندي الذي أشرت إليه.

وظلت جماعات الانضباط العسكري بقيادة آمرهم العقيد عبد الكريم الجدة تقاتل حتى استسلام عبد الكريم قاسم ومقتل الجدة وقد قتل وجرح الكثير منهم من جراء مقاومتهم والقصف الجوي..."[٣٢٣]].

لكن لسان حال الضابط أعلاه وقبيل تدهور الوضع في معركة الدفاع، كان يردد أمام الزعيم قاسم (أنا معك يا سيادة الزعيم) كما ينقلها الشاهد يونس الطائي لجرجيس فتح الله.

ومع استمرار معركة وزارة الدفاع، كان الزعيم قاسم يستمع إلى بيانات الإذاعة من راديو ترانسستر يحمله معه.. وكان يتعرف على بعض الشخصيات التي أنيطت بها

---

٣٢٣ ـ الموسوعة، الجزء الخامس، ص ٣٨٩ – ٣٩٠. ويذكر قاسم الجنابي [كان في وزارة الدفاع فوج واجبه الدفاع عنها وعن عبد الكريم قاسم. أرسل عبد الكريم قاسم حافظ علوان ليبلغ آمره العمل على فك الحصار عن وزارة الدفاع وقتال المحاصرين ولكنه لم ينفذ، وأرسله ثانية لتبليغه الحضور لمقابلته ولكنه لم ينفذ] المصدر نفسه، ص ٤٠٣. وكانت قوة وزارة الدفاع تتألف من : | الفوج الثاني للواء التاسع عشر وسرية حراسة وأربعة سرايا انضباط وبطرية مدفعية٢٠ ملم ضد الجو والتي سحبت أبر المدفع قبل يوم من قبل آمرها الملازم كنعان مخلص، فكان تعداد قوة الحماية ١٥٠٠ جندي لكنهم لم يقاتلو بجدية لوجود آمر الفوج الثاني العقيد عارف يحيى حافظ غير المتحمس والمؤيد للزعيم وقبول الدفاع المستكن دون الخروج من الدفاع ومقاتلة الدبابات الاربعة لحين وصول التعزيزات المدرعة ومشاة اللواء الثامن فاحكمت حصارها واجبرت القوة المتخاذلة إلى الاستسلام بشكل مهين..". حامد مقصود، ص.٣٢٨ مصدر سابق.

المسؤوليات الجديدة وعلى الجهات التي أرسلت برقيات التهنئة والتأييد (الصادقة منها والكاذبة) وقد عرف طبيعة الانقلاب وتوجهاته من خطابه السياسي ولغته التي اتسمت بالعدوانية والمشبعة بالكراهية والحقد والثأر.

وعند حلول الإفطار في الساعة الخامسة والدقيقة السابعة والعشرين استولت قوات الانقلابيين على بعض أجنحة الوزارة بقيادة العقيد محمد مجيد، من حركة القوميين العرب ذات التوجه الناصري، والذي أنيطت به مهمة قيادة معركة الدفاع التي استمرت ليلاً.. آنذاك وقف مع الراحل كل من طه الشيخ أحمد، فاضل عباس المهداوي، وصفي طاهر، عبد الكريم الجدة، سعيد مطر، قاسم الجنابي وكنعان حداد ومجموعة من مراتب ضباط الصف والجنود.. أما أحمد صالح العبدي فمكث معهم طوال النهار، ومساء التفت الراحل مخاطبا إياه وطلب منه أن يترك مرافقته له ويذهب في حال سبيله [٣٢٤]. وألقي القبض عليه في اليوم التالي.

في حين يروي قاسم الجنابي أن الزعيم طلب ممن حوله [... إن من يريد يذهب فليذهب! وعندما اشتد الخناق و أخذ الرصاص ينهمر بغزارة وأخذت المقاومة تنهار وساحة المناورة تضيق ولم يعد هناك أمل، اقترح عبد الكريم قاسم على اللواء أحمد صالح العبدي الحاكم العسكري أن يخرج بنفسه على الطريق حتى ينجو من الموت المحتم من جراء شدة النيران وخرج فعلاً...[٣٢٥]] إلى حافة نهر دجلة سالكاً طريق الضفة اليسرى وسلم نفسه إلى القوات التي كانت تطوق وزارة الدفاع في الجهة الشمالية الغربية ونُقل إلى مقر اللواء التاسع عشر حيث استقبله طاهر يحيى وأنور

٣٢٤ـ قيل أن الزعيم سمح للعبدي، أن يترك مرافقته له صباح يوم ٩ شباط، وقيل في ليلة الثامن/ التاسع من شباط، فإتجه لشاطيء دجلة وسلم نفسه إلى قوات الانقلاب، كما أوردها أحمد فوزي في (الساعات الأخيرة، ص ١٤٣). أو لعله هروبه، كما قال الفكيكي. وربما يحاول العبدي تبرءة ذمته، لأنه سبق وأن أتفق مع نجيب الربيعي على أن يقوم بالإستيلاء على السلطة إذا قتل الزعيم قاسم أثناء محاولة اغتياله. وهذا الموقف أكده العديد من قادة الانقلاب منهم شبيب، وفؤاد الركابي وغيرهم. وكذلك الدراسات الاكاديمية لباحثين عراقيين و اجانب.

٣٢٥ - راجع الموسوعة، الجزء الخامس، ، مصدر سابق، ص ٤٠٤.

الحديثي ومن ثم اعتقل وتم إرساله إلى السجن رقم واحد مع التوصية بالعناية به. حسب ما صرح به آمر اللواء المذكور فاضل عباس حلمي.

يقول العميد المتقاعد ابراهيم حسين الجبوري، اليساري التوجه وواحد من أقدم منظمي خلايا الضباط الأحرار في الجيش العراقي، في مقتطف من مذكراته حول العبدي أنه:

[... في اعتقادي أن أحمد صالح العبدي كان على علم تام بالمؤامرة فسكت وترك الأمور تجري في أعنتها، إذ كان يهمه أمر نفسه وقد انكشف موقفه منذ محاولة اغتيال قاسم. وما أقصه هنا ليس بخفي، فالكثير يعرفه، مثلاً كان بإمرة العقيد (خالد كتبْة) أربع وستون دبابة من طراز T٥٤ زنة خمسين طناً. قام العبدي قبل ٨ شباط بثلاثة أيام بسحب عتادها كُلّه زاعماً أنهما فعل ذلك إلا لعلمه بأن هذا العقيد يتهيأ للقيام بمحاولة انقلاب. وذُكِر لي أن وصفي طاهر ثارت ثائرته على إثرها وهَمّ بالفتك بالعبدي، إلا أن قاسماً مال إلى تصديق العبدي، وحال دون قصد سيء ضده وبقيت الدبابات دون عتاد...[٣٢٦]].

وقد طالب بعض الضباط، حسب بعض الروايات، من الزعيم الخروج معهم من وزارة الدفاع باتجاه المستشفى الجمهوري، وإدارة المعركة من خارجها، وقيادة

---

٣٢٦ - راجع جرجيس فتح الله، العراق في عهد قاسم، الجزء الثاني ص ٨٩٣ علماً بأن العبدي شهد كذباً على الجبوري أما المجلس العرفي الذي حكم عليه ب ١٥ سنة سجناً، مدعياً أنه قابل الزعيم قاسم صباح الثامن من شباط، وهذا لم يتم حسب تصريح الجبوري.

وهناك رواية أخرى يوردها حامد مقصود مفادها أن "... كتيبة دبابات خالد كانت مسؤولة لحماية بغداد ضد أي تآمر ، ولكن الحاكم العسكري العام أحمد صالح العبدي ، أقنع الزعيم عبد الكريم قاسم بسحب عتادها مدعياً بأنها ضالعة في المؤامرة وحاول العقيد وصفي طاهر بإيقاف هذا القرار، ولكن الزعيم عبد الكريم قاسم أقر برأي العبدي وأمر بسحب عتاد كتيبة دبابات خالد، فأصبح الطريق ممهداً لكتيبة الدبابات الرابعة بالتحرك من معسكر ابو غريب لإحتلال وزارة الدفاع والإذاعة...". ثورة ١٤ تموز، ص. ٣٢٥، مصدر سابق. للمزيد راجع الملحق التاسع عشر حول دور العبدي ونجيب الربيعي.

الهجوم المعاكس من المعسكرات القريبة من بغداد، كان سعيد مطر أحد هؤلاء إلا أنه رفض ذلك انطلاقاً من ذاته العسكرية التي نظرت إلى الأمر وكأنه الهزيمة قبل انتهاء المعركة. وقد سمح الزعيم قاسم للبعض بالخروج من الوزارة، بينما بدأ البعض الآخر الابتعاد عن رفقته والهروب لإنقاذ جلودهم أو لعدم موافقتهم على فكرة المقاومة من داخل الوزارة.

ومما له علاقة بالموضوع، تشير بعض المعلومات إلى حادثة خلاصتها كما يرويها **الضابط أحمد علوان مفادها "... انه في عصر يوم ٨ شباط ١٩٦٣ عندما حاصرت قوى الشر وزارة الدفاع وبدأت الكفة تميل لصالحهم أتصل المرحوم ناصر حسن الجنابي – مدير عام الخطوط الجوية العراقية في حينه وتكلم مع شقيقي المرحوم حافظ علوان واعلمه بانه قد جهز طائرة مدنية في مطار بغداد يمكنهم استعمالها للخروج من بغداد الى أي جهة يقررونها وطلب منه أخذ رأي الزعيم في ذلك وعند أخبار الزعيم بالموضوع طلب من شقيقي حافظ أن يبلغ المرحوم ناصر الجنابي شكره وانه يفضل البقاء والموت بين جنوده في وزارة الدفاع وتم التبلغ بذلك وعلق الزعيم بعد ذلك: ماذا ستقول الاجيال القادمة من العراقين لو انني تركت وزارة الدفاع الى أي جهة أمنة...** [٣٢٧] "

وهنا يمكننا التوقف قليلاً والتساؤل عن ماهية الأفكار التي كانت تختلج في ذات الزعيم قاسم ساعتئذ، عن عزوف الموالين من الوقوف معه؟! و لماذا طلب من العبدي ترك رفقته في هذه الساعة الحرجة! هل هي لمعرفته به! وبنواياه السابقة؟ أم أيقن آنذاك أن العبدي من هؤلاء غير المخلصين! ومن الملفت للنظر أنه بقي معه فقط الضباط المحسوبين على اليسار وبالتحديد على الحزب الشيوعي وبعض من أنصاره المخلصين من أمثال: طه الشيخ أحمد وفاضل عباس المهداوي ووصفي طاهر وعبد الكريم الجدة وقاسم الجنابي وغيرهم. وهذه لها دلالتها بكل تأكيد.. لما عرف عن هؤلاء الضباط من درجة الإخلاص المبدئي له من جهة؛ ولمعرفتهم بطبيعة القوى

---

٣٢٧ - مستل من مقالة الدكتور أحمد حمودي ربيعة، المستور من احداث انقلاب ٨ شباط الأسود، والمنشور بتاريخ ٢٠٠٤/١/٢٧ في موقع: http://www.iraqcenter.net

الانقلابية من جهة أخرى؛ وما يتوقعونه منهم عند استيلائهم على السلطة بالنسبة لهم وللمجتمع من جهة ثالثة.

وباعتراف العديد من أنصار الانقلاب ومن واقع الحدث وموضوعيته يمكن التأكيد على أن الجنود وضباط الصف قاتلوا في معركة الوزارة بشجاعةٍ متناهية وبدون ضباط، عكس هؤلاء الموالين، الذين كانوا مترددين حتى في الأوقات الاعتيادية، بل ساهم بعضهم بالتآمر وتسهيل مهمة قوى الانقلاب وذلك عندما قام بعض الضباط بـ "... سحب أبر المدافع المضادة للجو من قبل آمرها الملازم كنعان مخلص..." وقبول بعض الضباط تكتيك "... الدفاع المستكن دون الخروج من الدفاع ومقاتلة الدبابات الأربعة لحين وصول التعزيزات المدرعة ومشاة اللواء الثامن ، فأحكمت حصارها وأجبرت القوة المتخاذلة إلى الاستسلام بشكل مهين ..."[٣٢٨].

نسوق واقعةً ذات دلالة أوردها جاسم العزاوي في مذكراته، توضح بعض خصال هؤلاء ومدى تزلفهم، وكان العديد منهم متسنمين مراكز حساسة وخطيرة في مؤسسات الدولة يقول: [... أُقيمت دعوتا عشاء في إحدى المناسبات (في بداية - الناصري) شتاء ١٩٦٣ وكانت الدعوة الأولى في دار العقيد شمس الدين عبد الله رئيس المجلس العرفي، والدعوى الثانية كانت في بستان عائلة الأورفه لي في جسر ديالى أقامها اللواء الركن أحمد صالح العبدي رئيس أركان الجيش، كان الحاضرون في كلا الدعوتين هم الأشخاص أنفسهم تقريباً، وربما تخلف منهم واحد أو اثنان عن إحدى الدعوتين، والحاضرون هم:

١ - رئيس أركان الجيش - اللواء الركن أحمد صالح العبدي

٢ - رئيس المجلس العرفي - العقيد شمس الدين عبد الله

٣ - مدير الأمن العام - العقيد عبد المجيد جليل

---

٣٢٨ - حامد مقصود ثورة ١٤ تموز، ص، ٣٢٨، مصدر سابق. كما قام بعض الضباط الموالين للانقلاب بمنح الاجازات للضباط والمراتب والجنود بصورة خاصة، بغية تخفيض عددهم، لآن هذه الفئة من أكثر المدافعين عن نظام تموز/ قاسم.

٤ - مدير الاستخبارات العسكرية - العقيد محسن الرفيعي

٥ - وزير الزراعة - عادل جلال،

٦ - ضابط ركن الحاكم العسكري - العقيد الركن سعدون حسين

٧ - مرافق رئيس أركان الجيش - الرئيس الأول عبد الستار الجنابي

٨ - سكرتير وزير الدفاع - الرئيس الأول الركن جاسم العزاوي

٩ - وزير التربية والتعليم - العقيد الركن إسماعيل إبراهيم العارف

١٠ - مدير الشرطة العام - العقيد ناظم رشيد

١١ - قائد الفرقة الثانية - العميد عبد الرزاق محمود

١٢ - وزير الشؤون الاجتماعية - العقيد الركن عبد الوهاب الأمين.

وربما هناك أسماء أخرى نسيت أن أذكرها، وهي بالتالي لا تقلل من الحدث بشيء... بعد تناول العشاء تشعبت الأحاديث وتنوعت إلى أن أخذ بعضهم يقدم طروحات جريئة وحادة بدأت همساً وتطورت إلى العلانية من لدن الجميع وملخصها:

(إن الوضع سيء جداً، وإننا ننتظر نهايتنا وربما تكون قريبة (لمساهمة البعض منهم وهو أحدهم بالتآمر، ومعرفة البعض الآخر به - الناصري) وأن مثل هذا الوضع الفوضوي المنفلت سيصيبنا جميعاً ولابد أن نعمل شيئاً). وإلى آخر أمثال هذه الأقوال التي تدل على التذمر الشديد والشعور بالأسى المرير.. عجبت جداً من سماع هذه الأقاويل فقلت بصوت مسموع من الجميع:

أنني لا أصدق ما أسمع، فإذا كنتم بمراكزكم الهامة تتذمرون من الوضع، فمن هو المسيء والمسبب لهذا الوضع المزري الذي نحن فيه؟ ثم ما فائدة التذمر والتشكي وبيدكم مراكز الدولة وأهمها؟ أنا لا أتفق معكم على ذلك بالرغم من أنني أصغر منكم رتبةً، فقد فهمت من فحوى كلامكم أن سبب المصائب هو واحد ليس إلا، ولذا أقترح عليكم إما أن نعمل شيئاً للتخلص من هذا الوضع (يبدو أن الفكرة

الانقلابية التي كان مساهماً في الإعداد لها، تعبر عن ذاتها هنا - الناصري) أو نذهب مجتمعين لمقابلة الزعيم عبد الكريم ونعرض عليه ما وصل إليه الوضع في العراق بشكل صريح ومفصل كلٌ من زاوية عمله وموقعه وبخاصة فيكم مدير الاستخبارات، ومدير الأمن، والحاكم العسكري ورئيس أركان الجيش وأهم وزيرين وأنا سكرتير الزعيم. وفي حالة عدم رغبتكم في ذلك فإني أعتقد أن السكوت عن مثل هذا الوضع أفضل وعدم طرحها لأنها تسيء لنا ولكم وللوضع... بعد هذا الكلام ساد صمت مطبق رهيب..."[٣٢٩].

---

٣٢٩ - جاسم العزاوي، المذكرات، مصدر سابق، ص ٢٧١.

ومما يؤكد ذلك أن: "...٣- تعاون مدير الأمن العام عبد المجيد جليل وأجهزته على تشديد الخناق ومحاربة العناصر الوطنية والمؤيدة للزعيم في كافة مجالات الحياة يقابله رفع الرقابة عن العناصر المتآمرة.

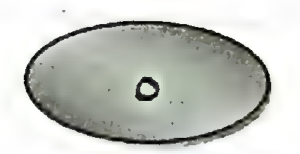
٤- دائرة الحاكم العسكري ورئاسة أركان الجيش التي كانت معبأة بالضباط المتآمرين على الثورة والزعيم، أمثال أحمد صالح العبدي وضباط ركنه المقدم الركن محمد مجيد (قائد الهجوم على وزارة الدفاع يوم ٨ شباط ومن حركة القوميين العرب- الناصري) والرئيس الأول الركن عبد الستار عبد اللطيف والرئيس الأول الركن صبحي عبد الحميد والمقدم الركن عبد الكريم فرحان ومدير الاستخبارات العسكرية العقيد محسن الرفيعي ومدير صنف الدروع عبد الرحمن عارف شقيق عبد السلام عارف الذي لعب دورا هاما في جعل صنف الدروع شبه مقفل للعناصر المتآمرة.

٥- مقر الزعيم عبد الكريم قاسم كان ضباطه متعاطفين مع التيار المعادي وعلى رأسهم سكرتير الزعيم جاسم العزاوي...". حامد مقصود، ثورة ١٤ تموز، ص. ٣٣٦، مصدر سابق.

وقد أزيح النقاب بعد سقوط النظام السابق من أن السفارة البريطانية ببغداد، قد ذكرت في رسالتها إلى وزارة الخارجية البريطانية في ٢٤ كانون الثاني ١٩٦١، إنها كانت تتعاون مع القوى الأمنية التي كانت تزودوها "...بتقارير تحصل عليها من مصادر أمنية رسمية متعاونة معها، إذ من المؤكد أيضاً أن عبد الكريم قاسم لم يكن على علم ببعض قيادات أجهزته الأمنية، كانت على ارتباط ودي مع أعضاء السفارة البريطانية فقد عدَّ أحد تقاريرها: أن مدير أمن بغداد ياسين درويش، من أفضل الشخصيات التي تعاملت السفارة معهم فقد كان (يبدي تحرره من القيود الرسمية في أحاديثه مع المسؤولين كلما اتيحت له مناسبة في زيارة لندن). ولذلك كان التقرير

وبسكوتهم هذا ساهموا بوعي في اغتيال الثورة وزعيمها ولم يمس جميع المذكورين أعلاه، أي أذى باستثناء مدير الأمن العام الذي أعدم رغم مساعدته المباشرة وغير المباشرة للانقلابيين، حقداً عليه لما عنده من مستمسكات ومعلومات عن هوية وصلة الانقلابيين بالقوى الخارجية، ولذا لابد من دفن ذلك. وبخاصة فيما يتعلق بعلاقة حزب البعث العراقي بالجهات الأجنبية الغربية تحديداً، ومعرفته القوية بصلة صالح مهدي عماش على وجه اليقين وغيره من القياديين في حزب البعث كما يقول طالب شبيب، كما مر بنا..

يصفه: (بأنه أفضل ضمانة لهم في بغداد خلال الأوقات العصيبة التي ستأتي مستقبلاً). د. طارق مجيد العقيلي، بريطانيا ولعبة، ص. ٧٦، مصدر سابق.



٢ - الخطابان الأخيران للزعيم عبد الكريم قاسم:

في خضم الجو المشحون بالحركة السريعة والإيقاع المتواصل من قبل الانقلابيين، والسكون والسكوت النسبي للضباط الموالين وتخاذلهم، اتصل الزعيم قاسم في صباح ذلك اليوم بالإذاعة في الصالحية. وكانت محطة التلفزيون تشتغل، وأخبر المشرف عليها سكرتيره جاسم العزاوي بأنه سيحضر لإذاعة بيان هام. وَهَمّ بالخروج، لكن الزعيم طه الشيخ أحمد، كما تقول بعض المصادر، منعه من الذهاب واقترح علية أن يسجل الخطاب [٣٣٠] ويرسله مع سكرتيره الشخصي، عندئذ طلب الزعيم في

٣٣٠ - تقول ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، أن مسألة الخطاب كانت من أفكار سلام عادل حيث طلب من الزعيم قاسم [إذاعة بيان موجه إلى القوات المسلحة بصوته من الإذاعة السرية التي كان الحزب يعتقد بوجودها في وزارة الدفاع يدعو فيها الجماهير إلى مقاومة الانقلاب وتسليم السلاح للجماهير] سيرة سلام عادل مصدر سابق ص ٣٣٩.

يبقى هذا الادعاء في حاجة إلى توثيق. خاصةً عندما يقول المؤلفان في عرضهما للموضوع، أن عبد الكريم قاسم قد أعتذر إلى سلام عادل وقال له [...بأننا أخطأنا مع الشيوعيين، وبأنه سيضعهم في المكان المناسب واعداً بمعالجة الأخطاء التي ارتكبت بحق الحزب. لكن سلام عادل قطع حديثه بلباقة موضحاً له بأن الوضع حرج يحتاج العمل السريع وعدم مناقشة الماضي...]. ترى هل كان الوضع في وزارة الدفاع يسمح بمثل هذا الحديث وهم مشغولون في إفشال الانقلاب. علماً أن المؤلفان سبق وأن أشارا في ذات الكتاب إلى وجود حالة من عدم الود بين الطرفين، أتضحت إحدى معالمه في تقيم سلام عادل لطبيعة الانقلاب، حيث يحمّل الزعيم قاسم و (دكتاتوريته!) الدور الأكبر في نجاح الانقلاب، راجع الملحق رقم ١.

حدود الساعة الحادية عشر من ذلك الصباح من الرئيس سعيد الدوري المسؤول عن تدوين خطاباته، مسجلا وسجل عندها خطابا على كاسيت وأرسله بيده لإيصاله إلى الإذاعة في الصالحية لإذاعته.

يصف أحد الضباط تلك الحالة بالشكل التالي:

[... حضر مدير الحركات العسكرية مع ض. ر (ضابط ركن - الناصري) الحاكم العسكري العام الزعيم الركن سعدون عوني المدفعي وبعد أن اتصل برئيس أركان الجيش حضر الزعيم إليهم وذهب الجميع ودخلوا دائرة مدير الحركات وهناك جرت مداولات في معالجة الوضع، واتفق على إصدار بيان مسجل من قبل قاسم وإذاعته من دار الإذاعة في الصالحية أو من إذاعة الحرية، وأعد السكرتير الصحفي الرئيس الأول سعيد الدوري البيان وعلمت بعد ذلك أنه لم يتمكن من إذاعته لأنها كانت تحت سيطرة الثوار وأن الشريط أصبح في حوزتهم...[٣٣١]].

أما بصدد نص الخطاب فقد عثرنا على نصين مختلفين من حيث الصياغة، الأول عند الباحث جرجيس فتح الله، الذي يحتمل أنه أدمجه مع الخطاب الثاني واعتبرهما خطاباً واحداً. أما النص الثاني فقد ذكره أحمد فوزي بالصيغة التالية[٣٣٢] :

" السلام عليكم يا أبناء الشعب..

أيها الضباط... يا أبناء الشعب.. إن نفراً من أذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والعسكرين من أذنابه، يحاولون الانقضاض على جمهوريتنا، ولكن شعبنا المظفر، شعب ١٤ تموز واقف لإنزال الضربات الخاطفة بهم، بأذناب العهد المباد والخونة.

٣٣١- الموسوعة، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص ٤١٠ – ٤١١

٣٣٢- أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، ص ١١٣. وعند جرجيس فتح الله، العراق في عهد قاسم، الجزء الثاني، ص ٩٠٣، مصدران سابقان.

أبناء الشعب..

إن النصر معنا، وأننا صممنا على سحق الاستعمار وأعوانه فلا تلتفتوا إلى الخونة والغادرين، فإن الله معكم، وسيعلم الدساسون، سوف يعلمون عندما توجه الضربات الخاطفة إليهم، وقد بادرنا بتوجيهها إليهم.. الله ينصركم أبناء الخير الغيارى.

أيها الضباط..

اسحقوا الخونة الغادرين. اسحقوهم. إنني عبد الكريم قاسم. وإننا أقوى وأشد عزماً في سبيل الفقراء، والنصر لشعب العراق المظفر.".

في هذا الظرف الحالك نرى أن قوة الخطاب تتركز في: الكشف عن موقفه الاجتماعي من خلال تركيزه على الموقف من الفقراء، إذ أراد البوح بأن الانقلاب من وحي المناوئين للفقراء الذين يعمل من أجلهم. وهو قطع لسيرورة تحقيق سياسته الاجتماعية/ الاقتصادية. والخطاب هو في نفس الوقت دعوة لهذه القاعدة الاجتماعية، التي عمل بشكل ملموس من أجل تحسين نمط حياتها، لأجل المشاركة السلمية في التصدي للانقلاب.

تكشف قوة النبرة في الخطاب في الوقت ذاته، عن الجهة التي تقف وراء العملية الانقلابية التي حددها بأذناب العهد المباد؛ والقوى الاستعمارية؛ والقوى المتضررة من غادرين وعسكريين. إن هذا التحديد لم يأتِ ضمن السياق الحدسي لقوى الانقلاب، بقدر كونه يمثل معرفة مسبقة بها والمستندة على معطيات مادية.

كما أن اللهجة الحادة تكمن، في اعتقادي، في حسرته على ما كان يبديه من تسامح وعفو عن القوى المتآمرة عليه، وهو قطع لموقفه (الطوباوي) السابق والمتمثل في تمثيله للكل، وفي لا محدودية التسامح في سياسته إزاء طبيعة الصراع الاجتماعي/السياسي الكامن في رحم المجتمع العراقي وقواه المحركة، والذي احتد بعد نهج التغيير الكبير الذي قاده يوم ١٤ تموز ١٩٥٨. كما يستدل من الخطاب شعوره الكبير بالمرارة من طبيعة إدارته وعلاقاته بالقوى السياسية التي ناهضت توجهاته وسياسته.

أما ما أورده جرجيس فتح الله، المقتبس من مجلة الهدف، هو في الواقع الخطاب الثاني وليس الأول وقد أورده بالشكل التالي:

بيان من الزعيم عبد الكريم

إلى أبناء الشعب الكرام والى أبناء الجيش المظفر (..) [٣٣٣].

إن أذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والمفسدين، الذين يحركهم الاستعمار لتحطيم جمهوريتنا (..) الذين يحاربوننا بحركات طائشة للنيل من جمهوريتنا وتحطيم كيانها، إن الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لا تقهر (..) وإنها تسحق الاستعمار وتسحق كل عميل خائن. إنما نحن نعمل فى سبيل الشعب، وفي سبيل الفقراء بصورةٍ خاصة، وتقوية كيان البلاد، فنحن لا نُقهر وان الله معنا.

أبناء الجيش المظفر والقطعات والوحدات والكتائب والأفراد. أيها الجنود الغيارى مزقوا الخونة، اقتلوهم، اسحقوهم، إنهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب، ثورتنا هذه الثورة التى حطمت، الاستعمار وانطلقت فى طريق الحرية والنصر وإنما النصر من عند الله وإن الله معنا (..) كونوا أشداء، اسحقوا الخونة والظالمين (..) هاجموهم فى كل منعطف وفي كل زاوية (..) إنهم خونة (..) إنهم أذناب الاستعمار (..) والله ينصرنا على الاستعمار وعلى أذنابه، وأعوانه.

٣٣٣- راجع المصدرين السابقين وفي ذات الصفحات.

(ملاحظة: هذا القوس (..) يعني ورود كلمة غير مفهومة. أما هذه الأشارة <> فتعني دوي لقصف مدفعي وغارات الطائرات)

وعندما لم تبث الإذاعة الخطاب الذي أرسله الزعيم قاسم ولم يستمع إليه من الراديو الترانسستور الذي كان يحمله معه. أمر بجلب المسجل ثانيةً وسجل خطاباً آخر، كان الأخير في حياته، وذلك في حدود الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم، والذي اتسم بالانفعال الواضح نتيجة تراكم الضغوط النفسية والتي انعكست في مفردات الخطاب. إنها الوقفة الأليمة حيث يرى ببصيرته تهديم ما كان يؤسس له، لذا كانت العبارات حادة وقوية، عبّرت عن عمق خلجاته النفسية والتي زادها ألماً هو تخلي الموالين عنه في مثل هذه الساعة وتعقيدات الظروف.

ندون نصه كما ورد في المصدرين السابقين بالتتابع:

من الزعيم عبد الكريم قاسم، إلى أبناء الشعب الكريم

إلى الشعب المظفر..

إن أذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرين والعسكريين الذين يركبهم الاستعمار يريدون أن يسحقوا جمهوريتنا.. إن الجمهورية العراقية الخالدة وليدة ١٤ تموز لا تسحق. وإنها تسحق الاستعمار، وتسحق كل عميل خائن، وفي سبيل الفقراء بصورةٍ خاصة، فنحن أبناء الجيش من مختلف القطعات..

أيها الجنود

اسحقوا الخونة، اقتلوهم إنهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا في طريق الحرية والنصر، وإنما النصر من عند الله. إن الله معنا. واسحقوا الخونة. قاتلوهم في كل دائرة. إنهم أذناب الاستعمار. والله ينصرنا على الاستعمار وأعوانه.

بينما أورد جرجيس فتح الله الخطاب الثاني بصيغةٍ أخرى ندونها أدناه:

السلام عليكم أبناء الجيش (..) أيها الضباط، أيها الجنود، أيها الضباط الصف الأشاوس، أيها العمال، الغيارى (..) إن

الاستعمار يحاول أن يسخّر نفراً من أذنابه للقضاء على جمهوريتنا لكنه (..) بتصميمنا وبتصميم الشعب المظفر (..) فإننا نحن جنود وشعب ١٤ تموز الخالد الذي وجه الضربات الخاطفة إلى العهد المباد رغم (..) الاستعمار وحرر أمتنا واسترد لها كرامتها (..) فإن هذا اليوم المجيد (..) لسحق الخونة والغادرين (..)

أبناء الشعب، أبناء الجيش المظفر إن النصر أمامنا وإننا صممنا على سحق الاستعمار وأعوانه فلا (..) إلى الخونة والغادرين فإن الله معكم وسوف (..) الظالمون والغادرون والسفاكون وأذناب الاستعمار سوف (..) والله ينصركم وينصر جمهوريتنا. اسحقوهم ، مزقوهم (..) إنني الزعيم عبد الكريم قاسم (..) وإننا أقوى وأمضى وأشد عزماً وكفاحاً في سبيل الفقراء والنصر للشعب العراقي المظفر والنصر لكم أيها الغيارى (..).

ونشر د. علي كريم سعيد نصاً آخر للخطاب الثاني مأخوذ مباشرة، كما يشير، من الكاسيت المسجل بصوت الزعيم قاسم، وهذا نصه:

من الزعيم عبد الكريم قاسم إلى أبناء الشعب الكرام

إلى أبناء الجيش المظفر.

إن أذناب الاستعمار وبعض الخونة والغادرون والمفسدون الذين يحركهم الاستعمار لسحق جمهوريتنا، الذين يحاولون بحركات طائشة النيل من جمهوريتنا وتقويض كيانها. إن الجمهورية العراقية الخالدة، وليدة ثورة ١٤ تموز الخالدة لا تنسحق، وإنها تسحق الاستعمار وتسحق كل عميل خائن، نحن نعمل في سبيل الشعب وفي سبيل الفقراء بصورة خاصة، وتقوية كيان البلاد، فنحن لا نقهر وإن الله معنا.

أبناء الجيش من مختلف القطعات والكتائب والأفراد، أيها الجنود البررة مزقوا الخونة، اقتلوهم، اسحقوهم، إنهم يتآمرون على جمهوريتنا ليحطموا مكاسب ثورتنا، هذه الثورة التي حطمت الاستعمار وانطلقت في طريق الحرية والنصر، وإنما النصر من عند الله والله معنا. كونوا أشداء، أسقطوا الخونة والغادرين.

أبناء الشعب في كل مكان، أسقطوا الخونة والغادرين. والله ينصرنا على الاستعمار وعلى أذنابه وأعوانه [٣٣٤].

أما بصدد مصير الكاسيت الأول وحامله سعيد الدوري فهناك أكثر من رواية وأشهرها روايتان، **مضمون الأولى** تقول: إن هذا الاخير سلم الكاسيت إلى المذيع قاسم نعمان السعدي، من الإسلاميين المتعاطفين مع الانقلابيين، وطلب منه إذاعته، إلا ان هذا الأخير سلمه إلى ضابط وحدة الإذاعة في الصالحية، والذي ساعد الانقلابيين في الاستيلاء والسيطرة على دار الإذاعة وانضم إليهم. لذا لم يذع الخطاب الأول. وهذه الرواية ضعيفة

في حين تقول **الرواية الثانية**.. أن المومأ إليه سلم الشريط بواسطة زوج أخته، إلى طاهر يحيى التكريتي ومن ثم التحق بالانقلابيين، فكوفئ على ذلك وأبقي في الجيش حتى أحيل على التقاعد برتبة عميد. كما يقول جاسم العزاوي في مذكراته.[٣٣٥] .

في حين يذكر حازم جواد ويؤكد أن الزعيم قاسم بعد أن سجل شريط الكاسيت "... وأعطاها لمرافقه (في الحقيقة سكرتيره الصحفي- الناصري) سعيد الدوري عسى أن

٣٣٤ـ د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، هامش ص ٧٨.

٣٣٥ـ جاسم العزاوي، المذكرات، مصدر سابق، ص ٢٧٠. لكن طاهر يحيى التكريتي كان، كما تدل الوقائع، موجود في معسكر الرشيد ليحكم السيطرة عليه، حيث مكث إلى اليوم التالي. ربما سُلم الشريط إلى أحد قادة الانقلاب في الإذاعة، غير طاهر يحيى.

يتمكن من إذاعتها. قام الضابط الدوري بتسليم الشريط إلى قوات الثورة في باب وزارة الدفاع ولم يبذل أي جهد لإذاعتها...[٣٣٦]".

وقد سأل يونس الطائي، بعد فترة طويلة من الانقلاب، سعيد الدوري، لماذا لم يذع الخطاب، فاعتذر بقوله لم يكن بوسعه[٣٣٧] ؟! دون أن يوضح الأسباب، لكن في كلتا الروايتين، فإن هذا الموقف عبر عن تقاعس المومأ إليه. فإن صحت الرواية الأولى كان المفروض إجبار المذيع بالاتفاق مع المشرف العام على الإذاعة والتلفزيون جاسم العزاوي وكانا يمثلان السلطة الرسمية والقيادة السياسية المعترف بها.. أما الرواية الثانية فهي تنم عن تحكم العلاقات الأسرية وانتماءات رابطة الدم وجغرافية الولاء التي انحاز إليها الدوري، لذا كوفئ على عمله[٣٣٨].

وقد سبق للزعيم قاسم أن اتصل بالمقدم جاسم العزاوي، سكرتيره و في الوقت نفسه المشرف العام على الإذاعة والتلفزيون وكان يسكن في الدار المجاورة للإذاعة، وقال له:

[سيصلك شريط مسجل عليه خطابي وعليك إذاعته]، إلا ان هذا الأخير لم يذع الكلمة من التلفزيون الذي لم يسيطر عليه الانقلابيون بعد، بل اكتفى بقطع البث التلفزيوني وأخرج صورة الزعيم على الشاشة فحسب، حتى وصلت قوات الانقلاب إلى الإذاعة والتي كان يقودها العقيد ذياب العلكاوي التكريتي، واحتلوها دون مقاومةٍ تذكر بسبب تواطؤ وخيانة كل من: العزاوي الذي ترك الإذاعة وخرج

---

٣٣٦ - من أوراق حازم جواد، جريدة القدس في ٢٨/٢/ ٢٠٠٦، مصدر سابق.

٣٣٧ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، هامش ص ٧٨.

٣٣٨ ـ أما أحمد فوزي فيشير إلى أن سعيد الدوري، حمل [... الشريط المسجل وخرج به من وزارة الدفاع لتهريبه إلى المحطة السرية في القصر الأبيض.. وبعد ذلك اتصل الدوري تلفونيا من الخارج بالوزارة وقال أن الطرق مغلقة ولا يستطيع الإفلات.. ثم وقع الدوري بعد ذلك في قبضة الوطنيين فامسكوه وأخذوا منه الشريط المسجل] ثورة ١٤ رمضان، مصدر سابق، ص ١٩٠. أن هذه الرواية ضعيفة جداً مقارنة بما ذكر أعلاه. خاصةً وأنه لم يذكر مصدر معلوماته، وهذه الرواية لم يذكرها في كتبه اللاحقة التي ناقشت ذات الموضوع.، مصدر سابق. ٧٩

من الباب الخلفي؛ وآمر سرية حراسة الإذاعة الذي انضم إلى الانقلاب وسحب الوحدة من مواقعها وجمع أسلحتها، حتى لا يقاوم الجنود وضباط الصف.

وهناك رواية تقول أن الزعيم قاسم طلب أن يُذاع محتوى الكاسيت من إذاعة الحرية في سلمان باك، لكنه ظهر لدى الانقلابيين [... فيما بعد مما يؤكد أن الدوري لم يكن بدرجة المسؤولية التي تصورها الزعيم قاسم...[٣٣٩]].

فالسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا لم يقم العزاوي بما طلب منه؟ أو حتى اذا لم يطلب منه، لماذا لم يقم بما يتوجب عليه القيام به في مثل هذا الظرف الحرج؟ وهو سكرتير وزير الدفاع عبد الكريم قاسم والمشرف على الإذاعة والتلفزيون، بخاصة أن الزعيم اتصل به تليفونيا وطلب منه إذاعة الخطاب آنذاك، مع العلم أن مضمونه كما مر بنا، كان بمثابة دعوة لكل الجماهير للانقضاض على الحركة والقائمين بها، وكان غليان الشارع في أوجه، والجماهير متلهفة إلى معرفة مصير الزعيم ورفاقه حقا. خاصة إذا علمنا أن إذاعة الانقلابيين كانت تذيع أنباء كاذبة عن مقتله!!

إن الجواب على هذه الأسئلة يكمن فيما ذكره المؤلف نفسه في مذكراته[٣٤٠] وكذلك عبد الكريم فرحان في تجربته في الحكم[٣٤١]، **من كون العزاوي كان من جملة المتآمرين على الزعيم قاسم، إذ شكل مع كل من:**

[أحمد حسن البكر، عبد الكريم فرحان، خالد حسن فريد، عبد الستار عبد اللطيف، صبحي عبد الحميد، صالح مهدي عماش، إبراهيم التكريتي، خالد مكي الهاشمي وحردان التكريتي]. ما تسمى باللجنة القومية العليا للضباط الأحرار عام

---

٣٣٩ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، هامش ص ١

٣٤٠ - جاسم العزاوي، ص ٢٦٦ وما بعدها

٣٤١ - عبد الكريم فرحان، حصاد ثورة، مصدر سابق، ص ٥٥.

١٩٦٠، لأجل القضاء على حكم الزعيم قاسم ونظامه السياسي[٣٤٢]. وهم من الذين كانت:

[تحركهم كراهيتهم لقاسم والشيوعيين... والتأييد والشعبية اللذين يتمتع بهما قاسم في أوساط الجنود والطبقات الشعبية الفقيرة، وبالأخص في مدينة الثورة والريف الجنوبي، أُضيفت للعوامل المذكورة (مشاعر سنية) دفعت...[٣٤٣]] بهم إلى التآمر على الزعيم، كذلك روابط العشيرة وجغرافية الانتماء للمناطق والمدن الصغيرة، التي رأت في الوحدة العراقية بدون تمييز طائفي تهديداً لديمومة هيمنتها على الحكم، لذا كثفت من دوافع الإطاحة بالزعيم قاسم وسياسته الوطنية الشاملة.

وهذا ما أكده جاسم العزاوي بنفسه حيث يشير في (ص ٢٦٦)، من مذكراته، كما مر بنا، أن اسمه كان ضمن القائمة التي رفعت للزعيم مع بقية المتآمرين وكان مشطوبا حيث شطبه مدير الاستخبارات محسن الرفيعي قبل تقديمها للزعيم، ولما استفسر منه عن هذا الاسم المشطوب أجابه الرفيعي إنه سكرتيرك. فكتبه الراحل بقلم الرصاص بيده.

مَثَّلَ هذا الجانب أحد المآخذ المهمة على سياسة ونهج حكم الزعيم نتيجة الوازع الذاتي و(إيمانه الأكثر من اللازم) بالنوايا الحسنة. كما أن أغلب المذكورين أعلاه

---

٣٤٢ - حول هذه اللجنة راجع على سبيل المثال: عبد الكريم فرحان في حصاد ثورة؛ مذكرات جاسم العزاوي؛ الذاكرة التاريخية لثورة١٤ تموز؛ مذكرات صبحي عبد الحميد؛ صالح حسين الجبوري في أطروحته؛ كلها مصادر سابقة وغيرهم.

٣٤٣ - راجع، الفكيكي، مصدر سابق، ص ٢١٩. ويؤكد هذه الشعبية طالب شبيب عندما يقول: [لمعرفتنا الجيدة بميول الشارع العراقي المؤيد لعبد الكريم قاسم وحلفائه]، مراجعات، ص ٢٧، ويؤكدها في ذات المصدر ص ٦٥ انقلابي أخر هو عبد الستار عبد اللطيف الذي قال: [يجب أن تحافظوا على صورة عبد الكريم قاسم وعلى شعارات حكومته مرفوعة... لأن الجنود يحبونه ويرون صورته في السماء]

وغيرهم كانوا في سدة الحكم وفي وحدات فعالة وبعضهم في مراكز حساسة في وزارة الدفاع ذاتها ومن المحيطين به آنذاك ويعلم، بأنهم يتآمرون عليه، وقد أشار هو إلى ذلك في آخر مقابلة صحفية له مع إدوارد صعب من جريدة (لوموند) التي نشرتها في ٥ شباط ١٩٦٣ عندما قال: [فهم (يعني الأمريكان) يسعون إلى تلغيم البلاد من الداخل، إنني أعرف أسماء كافة العناصر المخربة، إلا أن الأمر لايعود لي بصفتي رئيساً للحكومة أصدار أوامر باعتقالهم، إنما أترك الأجهزة المسؤولة في الدولة كي تقوم بواجباتها الملقاة على عاتقها أيضاً. وإن من المفيد أن نمنح كل فرد منهم فرصة العودة إلى رشده... أنني أُفضل العفو عند المقدرة. لكن يجب عدم استغلال ذلك وكما تعلمون فإن عليّ منع عناصر التخريب من التقاط أنفاسها.

ورغم هذا كله لا تتوقف إذاعات وصحف بعض الدول العربية من اتهامي بالاختلال وحتى الجنون الحاد وبالدكتاتورية وبغيرها من الاتهامات.. لكننا لن نترك لهذه الاتهامات أن تستفزنا، سيما ونحن نعرف أنها تصدر عن أدوات في خدمة الاستعمار...[٣٤٤]].

ترى أية طوباوية هذه التي شرنقت تفكير وفلسفة وسياسة الزعيم إزاء أعدائه!! ومع هذا يصمونه بالدكتاتورية!! في الوقت الذي يصفه أحد الصحفيين الأجانب بالقول:

[لقد وجدته إصلاحياً مؤمناً برسالته ويتمتع بطريقة تفكير راجحة وأكثر تطوراً من تلك التي يتمتع بها الكثير من زعماء الدول العربية سواءً من أولئك الذين ينظرون له نظرة حقد أو الآخرون الذين ينظرون إليه نظرة شفقة...[٣٤٥]].

أما بصدد عدم إذاعة خطاب الزعيم، فيسرد لنا العزاوي وفي لغةٍ تبريرية لعجزه، قل خيانته، يسرد لنا بصورة باهتة لا حياة فيها لماذا لم يستجب لنداء الزعيم، إذ يقول:

٣٤٤- راجع مجلة، أصوات، العدد١٣، مصدر سابق، ص ٤١.

٣٤٥- المصدر السابق، ذات الصفحة.

[... عبد الكريم قاسم اتصل بي هاتفيا في البيت مستفسرا عما يجري في الإذاعة وكان في نبرات صوته استجداء (يا للقذارة الاخلاقية؟! - الناصري) للنجدة. وبانفعال البدوي الفطري، ومع صراخ زوجتي لمنعي من الخروج، ذهبت إلى الإذاعة، من خلال الفتحة التي تربط بيتي بها ودخلت ستوديو التلفزيون، **وأنا لا أدري ماذا أفعل، ولماذا ذهبت إلى هناك فعدت إلى بيتي دون أي عمل بعد أن بقيت هناك لبضعة دقائق...**[٣٤٦]] (التوكيد منا ـ الناصري). تلكم هي لغة التخاذل، لغة الموالين الذين حسب لسانهم، يدعون أنهم لا يدرون في الساعات الحرجة ماذا يفعلون؟ ألا يدل هذا على التواطؤ المسبق أو لنقل الضمني، خاصة اذا علمنا بأنه عرف هوية الانقلابيين قبل قدوم دباباتهم لاحتلال الإذاعة والتلفزيون في الصالحية! وهذا ما يذكره هو نفسه وفي الصفحة ذاتها من مذكراته، حيث علم هذا من خلال اتصاله بصبحي عبد الحميد، من حركة القوميين العرب ذات التوجه الناصري، والذي كان حلقة الوصل بينه وبين اللجنة العليا للضباط القوميين الأحرار المذكورة أعلاه. لذا انسحب وترك لهم الحبل على الغارب!. يكذبه يونس الطائي ما قاله العزاوي من نبرة استجداء قاسم بالقول:

"... إن الزعيم قاسم اتصل بالعزاوي في منزله، وبعد محادثة قصيرة أغلق الزعيم قاسم السماعة بوجه العزاوي، واستدار قائلاً: إن جاسم خائن[٣٤٧]...".

---

٣٤٦ - جاسم العزاوي، المذكرات، مصدر سابق، ص ٢٦٩

٣٤٧ - مراجعات، مصدر سابق، هامش ص ٧٨. وحول موقف العزاوي من الزعيم قاسم، يشير صبحي عبدالحميد في مذكراته كيف كان العزاوي يحمل حقداً وضغينة ضد الزعيم قاسم منذ العهد الملكي عندما وصفه في أحد إجتماعات الحلقة الوسيطة للضباط الاحرار بكلمات سوقية ونعته بالجنون، مما حدى بالمنظم العقيد رجب عبد المجيد إلى تأنيبه وإنسحابه من هذه اللجنة التي كان هو صلة الوصل بينها وبين الهيئة العليا للضباط الاحرار. وقد ذكر الحادثة العزاوي نفسه في مذكراته ص ٨٧ دون أن يشير بالآسم إلى الزعيم، لكنه ذكرها في مقابلة له مع مجلة الهلال المصرية عام ١٩٦٤.

ويشير العزاوي في مذكراته، ص ٢٥٨ إلى واقعة ذات دلالة، مضمونها أن الزعيم قاسم كان يقدم هدية العيد إلى ضباط صف مديرية الموسيقى العسكرية في عيدي الفطر والاضحى. [... وفي إحدى

ويؤكد موقف العزاوي المتخاذل في ذلك الصباح، العقيد ذياب العلكاوي التكريتي، الذي كان على رأس المجموعة التي احتلت الإذاعة في الصالحية عندما قال: [...بعد وصول القوة إلى الإذاعة، دون أية مقاومة من رجال الإذاعة، والسبب يعود إلى تعاون آمر سرية حراسة الإذاعة مع العناصر الثورية(النقيب جواد)...**إضافةً إلى عدم اتخاذ قرار حاسم من قبل جاسم العزاوي الذي كان متواجداً في الإذاعة ساعة إعلان الثورة... وبعد وصول القوات المهاجمة للثورة، ترك الإذاعة من الباب الخلفي دون علم أحد ولم يتابعه أحد من قوات الثورة...**[٣٤٨]](التوكيد منا- الناصري) وهذه دلالة تآمره، كما مر بنا.

أما بصدد **الكاسيت الثاني**، فقد حاول الزعيم تهريب هذا الشريط إلى خارج الوزارة، كما تقول بعض الروايات، بواسطة مرافقه الرئيس حافظ علوان. وعند خروجه من وزارة الدفاع بمعية بعض جنود الحماية، تم اعتقاله من قبل الوحدات العسكرية المهاجمة والمطوقة للوزارة، حيث تعرف عليه بعض الضباط، وتم إرساله

المرات شاهد عبد الكريم قاسم القوائم بأسماء ضباط الصف فسألني لماذا هذه القوائم؟ فأجبته حتى يكون التوزيع نظامياً والأمر متروك للزمن، علماً بأن المخصصات السرية تصرف دون قوائم أو محاسبة، فقال: هذا يعني أنك غير مؤمن بدوام النظام وتعتقد إنك ستبقى وتخشى الحساب!! تأكد أننا سنذهب معاً وكررها مرةً أخرى. و في مرة أخرى كنت أروم الدراسة في كلية الحقوق المسائية فهيأت شهادة التخرج الاعدادية وعندما رآها عبد الكريم قاسم، سألني ماذا تعمل بها؟ فأجبته: أريد الدخول إلى كلية الحقوق. فقال تريد تؤمن مستقبلك، كأنك تخشى شيئاً].

يقول إسماعيل العارف في مذكراته، مصدر سابق (ص. ٣٥٣) عن العزاوي: [... وبالرغم من التقارير الشفهية والمكتوبة التي كان يرفعها خصوم جاسم العزاوي إلى عبد الكريم قاسم، متهمين إياه بالتآمر عليه لم يفرط عبد الكريم قاسم به ولم يشك بإخلاصه له ولم يعر تلك التقارير بالاً وظل يعتمد عليه حتى آخر يوم من أيام حياته. أما جاسم العزاوي فقد كان، كما عرفت لاحقاً، يضمر كرهاً لعبد الكريم قاسم وإن كان يظهر الكثير من التفاني في خدمته وحبه وينظم في مدحه القصائد والأشعار التي كانت تنشدها المغنيات المحليات والمغنون الشعبيين].

٣٤٨- راجع تصريح العلكاوي لدى، صالح حسين الجبوري، مصدر سابق، ص ١٥٠

مخفوراً إلى السجن بعد أخذ الشريط منه. هذه الرواية الأكثر شيوعاً، ربما هناك ما يصحجها عندما يماط اللثام عن أسرار ووقائع الانقلاب.

في الوقت الذي يشير فيه مؤلفا سيرة سلام عادل إلى أنه أرسل [... رسالة ثانية مؤرخة في التاسع من شباط أي في اليوم الثاني من الانقلاب قال فيها: (لم نفلح في الحصول على شريط قاسم الذي سجله. وسجل اليوم شريطاً آخر أرسله بيد عناصر مشبوهة لم تذعه...[٣٤٩]. يخالف النص أعلاه الوقائع المنشورة. وكل الدلائل المادية لا تؤيد ما ذهب إليه المؤلفان، حيث بسط الانقلابيون سيطرتهم شبه الكاملة على المفاصل الرئيسية في بغداد منذ ليلة الثامن/التاسع من شباط، كما مر بنا.

وبعد تطويق وزارة الدفاع من قبل القوات الانقلابية، كان القصف المدفعي مستمراً من الجهات التالية: من جانب الكرخ، وقصف الدبابات من ساحة الميدان وباب المعظم، والقصف الجوي للطائرات لمقر الزعيم، وزادت حدة القصف من بعد الظهر إلى الثامنة ليلاً، حيث توقف القصف الجوي بعدها، بعد أن طوقت بعض من قوات اللواء الثامن الوزارة من كافة الجهات، مما أرغم جميع المدافعين على الهبوط إلى الطابق الأسفل من الوزارة ودخلوا الملجأ تجنباً لشراسة القصف الجوي والأرضي. حول ذلك يقول أحد شهود العيان:

[... كان القصف مستمراً على وزارة الدفاع من جميع الجهات وازدادت شدته حتى هبط الجميع إلى الطابق الأسفل من وزارة الدفاع ودخلنا ملجأ تحت الأرض تجنباً للقصف والصواريخ من طائرات الهنتر المغيرة، وبينما نحن في الملجأ مع عدد من الجنود وضباط الصف دخل قاسم الملجأ وأخذ يتجول في داخله علماً أن الملجأ كان في حالة مزرية من الأوساخ والروائح الكريهة والظلام الدامس حيث كان مهملاً تماما ولم يفكر أحد بإعداده لمثل هذه الأمور. ولم يظهر على قاسم بأنه خائف أو مرتبك وكانت أعصابه قوية ومبتسماً، وقد يكون لرفع معنويات الباقين والله أعلم، إلا أنه كان ثابت الجنان، ثم توقف في مدخل الملجأ وكان هناك ضوء ضعيف من مصباح

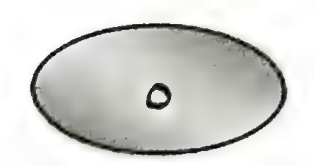
---

٣٤٩ - ثمينة ناجي يوسف ونزار خالد، سيرة مناضل، مصدر سابق، الجزء الثاني، ص ٣٤٣

نفطي أُشعل لانقطاع الكهرباء ويبدأ بخطبة قصيرة ويظهر أنها آخر خطبة في حياته وأقصر خطبة، وشاء القدر أن نحضرها لأول مرة وجهاً لوجه مع قاسم. قال:

إن ثورة ١٤ تموز لن تموت ونحن على الحق وحررنا البلد من الاستعمار واسترجعنا قاعدة الشعيبة والحبانية وإن هذه الجماعة خارجة عن إرادة الشعب وسنقضي عليها حتماً. ودوت عاصفة من التصفيق...[٣٥٠]].

٣٥٠ - خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، مصدر سابق، الجزء الخامس، ص ٤١١.



٣- في الشارع المقاوم:

هناك رأى فيه الكثير من المنطقية والموضوعية يعتبر "... إن الانقلاب كان موجهاً بشكل رئيسى ضد الحزب الشيوعى، وليس ضد أنصار عبد الكريم قاسم. ولم يكن الهدف من الانقلاب هو شأن محلى فقط، بل هو شأن دولى وإقليمى بالنسبة للدول الغربية والدول الموالية لها في المنطقة. ولقد انضم المتطرفون القوميون العرب أحزاباً وشخصيات وحكومات إلى مخططى الانقلاب لدوافع أنانية ضيقة. فالانقلاب كان في صدر جدول عمل الدول الغربية في المنطقة، والتى كانت تنظر بقلق إلى تطورات الوضع في العراق ضمن منظار السياسة التى كانت تنتهجها في أوج سعار الحرب الباردة. وهذا ما جرى تنفيذه بعد اعدام عبد الكريم قاسم، حيث بدأت المجازر الدموية العشوائية بالأساس ضد الشيوعيين وبدون محاكمة وبمساعدة من أجهزة استخباراتية غربية. وسقط الآلاف من الشهداء من الشيوعيين والديمقراطيين على يد الانقلابيين..."[٣٥١].

إذ قبل الانقلاب وبفترة طويلة كان الحزب الشيوعي يرصد تحرك العملية الانقلابية وتحركات القوى الموالية لها الداخلية والخارجية، والتي كانت تجري في عموم الوطن، وقد أصدر الحزب بيانه الشهير في ٣ كانون الثاني/ يناير ١٩٦٣ الذي حدد

---

٣٥١ - ثابت حبيب العاني، صفحة من مذكرات، ج.٢، مصدر سابق.

فيه منطلق الانقلاب وهي الكتائب المدرعة ولواء المشاة التاسع عشر. وهذا ما اعترف به الفكيكي عندما قال:

[... إن الحزب الشيوعي كان على علم بمعظم مواعيد تنفيذ حركتنا المسلحة من خلال أحد ضباطنا المقدم حاتم ياسين الكرخي الذي كانت له خليلة اسمها فريال تتردد عليه دائما وتتصيد منه الأخبار والمعلومات عن قرب التخلص من قاسم... إذ كانت فريال قد أعلمت الشيوعيين بتحركنا في ٨ شباط. وهناك من يقول بأن قيادة الحزب الشيوعي أنذرت جهازها إلا أن جورج تلو عضو المكتب لسياسي ومسؤول التنظيم العسكري لم يُنذر تنظيماتهم في الجيش...[٣٥٢]].

ويؤكد ذلك في مكان آخر ويقول:

[... واللافت أن المقدم حاتم حسن الياسين (الكرخي لدى مصطفى دندشلي مصدر سابق- الناصري) كان قد أخبر خليلته فريال بموعد الحركة وتفاصيلها يوم الجمعة ١ شباط قبل عودته إلى الموصل حيث كانت وحدته العسكرية، ووعدها بالمجيء إلى بغداد الأربعاء ليشارك في التنفيذ يوم الجمعة. كما أن محمد الجلبي كان قد اتصل يوم ٧ شباط بباسم مشتاق (كلاهما من الكوادر المتقدمة في منطقة بغداد للحزب الشيوعي أنذاك - الناصري) وأعلمه بموعد الحركة وتفاصيلها طالباً إليه إنذار الجهاز الحزبي والمنظمات الطلابية...[٣٥٣]].

---

٣٥٢ - هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، مصدر سابق، ص ٢٢٥ . كذلك مصطفى دندشلي، حزب البعث، ص. ٢٤٩، مصدر سابق. معتمداً على مقابلات أجراها المؤلف مع كل من علي صالح السعدي وهاني الفكيكي ومحسن الشيخ راضي في آب ١٩٦٥.

٣٥٣ - المصدر السابق، ص ٢٥٥. لكن كلام الفكيكي غير دقيق هنا بصدد ما قاله المقدم حاتم الياسين. لأن موعد الحركة في ٨ شباط/ فبراير لم يحدد من قبل القيادة القطرية إلا بعد اعتقال السعدي وعماش، أي بعد يوم ٥ شباط. كما تقول أغلب الروايات وما ذكرناه سابقاً. ربما جاء المقدم الياسين بصورة مفاجئة يوم الخميس ٧ شباط ليشترك في اليوم التالي، مما حدى بصديقته فريال إلى إخبار الحزب بالموعد والذي بلغته إلى قيادة الحزب في تلك الليلة. حيث وصل لقيادة الحزب في حدود منتصف الليل، كما يذكر مؤلفا سيرة سلام عادل، واللذان وقعا في ذات خطأ الفكيكي.

كان للحزب الشيوعي امتدادات تنظيمية إلى كل مسامات المؤسسات الاجتماعية المدنية والعسكرية. وفريال إحدى هذه الحلقات المتعددة. وليست المصدر الوحيد كما يريد الفكيكي تصويرها.

أما بصدد ما تناوله حول دور جورج تلو، فقد أشار مؤلفا سيرة سلام عادل إلى أنهما يُحملان جورج تلو ومكتب لجنة بغداد، الذنب بسبب تقاعسهم. بهذا الصدد، يقولان: [ولا يعدو سبب فشل المقاومة إلى الخطة التي رسمها سلام عادل لإحباط الانقلاب، بل نتيجة تقاعس عدد من أعضاء اللجنة المركزية للحزب في اداء واجبهم في تلك الأيام وضعف موقف السلطة وتخاذل القوى الوطنية الأخرى]. لأن موعد الانقلاب والذي مصدره فريال، [... عند منتصف الليل وصل الخبر إلى سلام عادل الذي ذهب إلى دار جورج تلو - مسؤول الخط العسكري آنذاك - طالباً منه اتخاذ الاحراءات الضرورية الممكنة وقد أكد عليه بصورة خاصة... بضرورة إبلاغ جلال الاوقاتي بمغادرة الدار التي يسكن فيها والمبيت في مكان آخر - وبسبب عدم اشتغال سيارة جورج تلو - بسبب البرد الشديد في تلك الليلة - أجل التبليغ إلى الصباح] ص ٣٤٧. ٣٣٦ مصدر سابق. لكن المؤلفان لم يوضحا لماذا لم يتحرك السكرتير العام و جمال الحيدري المسؤول عن قيادة الحزب آنذاك إزاء هذا العمل الخطير الذي يهدد كيان الشيوعيين العراقيين قبل غيرهم، ولماذا لم يأخذا بيديهما إبلاغ المكتب العسكري ومتابعة الأمر مع التنظيمات الأخرى؟

في الوقت نفسه يثير نجم محمود (إبراهيم علاوي) في كتابه المقايظة، برلين- بغداد، الشكوك حول جورج تلو بالقول: "... وقد دارت روايات متناقضة حول مقتله في انقلاب ٨ شباط ١٩٦٣، إذ نقل حنا بطاطو في كتابه (ص. ٩٩٠، الطبعة الانكليزية، عن الشعبة الأولى في مديرية الأمن العامة، أن عبد الرحيم شريف عضو اللجنة المركزية، أطلق النار عليه أثناء التحقيق بعد اعتقالهما في بيت واحد، من قبل قوات الحرس القومي. لكن الشواهد الكثيرة لا تؤيد هذه الرواية. وأتهم جورج تلو فيما بعد في تقرير حزبي، بحجز معلومات هامة عن تحركات عسكرية مشبوه عشية انقلاب شباط إلى قيادة الحزب. (معلومات خاصة ومقابلات مع شخصيات مطلعه)...".هامش ص. ٣١٨، مصدر سابق.

كما يشير حامد مقصود، إلى واقعة مغايرة تخالف ما أشار إليه مؤلفا كتاب سلام عادل، مضمونها: "... والغريب في الأمر، كما علمته لاحقاً في عصر يوم ٨ شباط ١٩٦٣، بأن سكرتير الحزب سلام عادل قد بعث برسالة شخصية مرفقة بمخطط الانقلاب بيد باسم مشتاق لإبلاغها للزعيم عبد الكريم قاسم قبل يوم، لكن حامل الرسالة كان سكراناً، فاجل الموضوع إلى اليوم الثاني وفيها حدث الانقلاب...". ثورة ١٤ تموز، ص. ٣٣٥، مصدر سابق.

وبهذا الصدد يذكر حامد مقصود "... كانت الخطة الانقلابية قد وصلت تفاصيلها إلى سكرتير الحزب الشيوعي الرفيق سلام عادل قبل خمسة أيام ولم يبادر بالتحرك على كافة الأصعدة ، بل بقى منتظراً الأحداث ليتخذ القرار المناسب متكلاً على لجنته العسكرية غير المتخصصة وغير الكفوءة ووجدت الخطة المكتوبة بجيب سلام عادل بعد اعتقاله في قصر النهاية، وعندما علم سكرتير حزب البعث علي صالح السعدي بأن الحزب الشيوعي كان على علم كافي بمخطط التآمر على الجمهورية ..."[٣٥٤].

كما كان الحزب يركز في مطلبيته السياسية في الأيام الأخيرة قبل الانقلاب على ضرورة السلم في كردستان وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين وإجراء تطهير واسع وفعال في صفوف القوات المسلحة وقوى الأمن الداخلي الذين يهددون الاستقلال الوطني. لكن المثير للاستغراب أنهم لم يتخذوا أي إجراء مادي ملموس لمواجهة الانقلاب الوشيك وبخاصة من قبل التنظيم العسكري ذا الوزن النوعي الكبير والمؤثر. وفي أوائل شهر شباط ازدادت المعلومات إلى قيادة الحزب الشيوعي وهي تؤكد على:

[إن خطة انقلابية معادية على وشك التنفيذ وأن الأيام القليلة القادمة ستكون حاسمة... وكإجراء احترازي أُبلغت بعض المنظمات الحزبية لتكون على أهبة الاستعداد واُستنفر التنظيم العسكري الذي يعاني في الأساس من مظاهر ضعف

أما بصدد ما تداوله الكادران الشيوعيان في منطقة بغداد فهذا يصيب كبد الحقيقة. وهذا ما أعلنته ادبيات الحزب الشيوعي عبر وثائقه، وما تطرق إليه العديد من كوادره المتقدمة. يقول د. مجيد الراضي إلى أنه: [... في مساء يوم ٤ شباط (فبراير)١٩٦٣ عُقد اجتماع في دار د. مجيد الراضي وحضره إلى جانبه عدنان البراك وبديع نظمي ورحيم شريف، ونوقش في ذلك اللقاء تقرير مُذيل بتوقيع مُطلع، أسهب في شرح وتفصيل خطة البعث والقوى القومية للانقلاب العسكري وتضمن وصفاً دقيقاً لإنتشار نفوذها في كتائب الدبابات والقوة الجوية وتنظيمات الحرس القومي وطلب رحيم شريف الذي رأس الاجتماع حرق التقرير وإتلافه]. مستل من هاني الفكيكي المصدر السابق ص ٢٦١

٣٥٤ - حامد مقصود، ثورة ١٤ تموز، ص. ٣٣٤، مصدر سابق.

حقيقية فقد كان يسوده التفكك والهزال والتحلل على نطاق قيادته وقواعده في بغداد وفي كل مكان ...[٣٥٥]].

ومع هذا وبمجرد سماع البيان الأول للانقلاب، هبت الجموع الغفيرة، من مختلف الفئات الاجتماعية التي رأت في طبيعة المسار العام لثورة ١٤ تموز، تعبيراً عن مصالحها وطموحاتها نحو المستقبل الأفضل، وفي عموم مساحة العراق الجغرافية وبخاصة في مدينة بغداد، مستنكرةً الانقلاب ومساهمةً بأيديها العارية في وقف الدمار المنتظر. ولذا نراها قد أحاطت بدبابات الانقلاب الأولى التي توجهت إلى وزارة الدفاع وصعدوا فوقها، وفتحوا أغطيتها وقتلوا قادتها من الضباط. [لقد تمكن الجنود والجماهير من حرق دبابتين، قتل فيها الملازم وجدي ناجي والملازم طارق صادق، والملازم شبوط جاسم وأصيب آخرون ...[٣٥٦]].

في هذا الوقت بالذات وزع الحزب الشيوعي منشوره الأول في شوارع بغداد وقاد الجموع الغفيرة للتصدي للمؤامرة، بعد مرور أقل من ثمانين دقيقة من إذاعة نبأ الانقلاب، أي بين العاشرة والعاشرة والنصف صباحاً، وكان بعنوان (**إلى السلاح لسحق المؤامرة**)، والذي كتبه سلام عادل بنفسه، حسب أحد المصادر، بعد

---

٣٥٥ - صلاح الخرسان، صفحات من تاريخ، مصدر سابق، ص ١٠٣، للمزيد راجع الدراستين الحزبيتين التي كتب الأولى، **زكي خيري وعزيز الحاج وكانت بعنوان محاولة تقيم سياسة حزبنا، أما الثانية فقد كتبها عامر عبد الله وبهاء الدين نوري**، وكانت بعنوان **مساهمة في تقيم سياسة حزبنا**. وفي إطار الإعداد للمؤتمر الوطني الثاني، في منتصف الستينيات، طرح الثنائي خيري/ الحاج، مسودة وثيقة تقيمهما بدأ من الكونفرنس الثاني في أيلول ١٩٥٦. لكنها جوبهت بمعارضة بعض القياديين المحسوبين على خط آب. لذا تقرر طرح وثيقة مقابلة كتبها الثنائي عامر/ بهاء، على أن تحذف الاسماء وتخفف اللهجة. تمخض عن هاتين الوثيقتين، نشرة داخلية أصدرها المكتب السياسي، في آذار/ مارس ١٩٦٧ بعنوان: في سبيل تنشيط وتوجيه الصراع الفكري في حزبنا. وجاءت مضامينها العامة مطابقة لما أقره الكونفرس الثالث في كانون الأول ١٩٦٧، وكان بعنوان (تقييم سياسة حزبنا وخطه العام بين المجلس (الكونفرس) الثاني ١٩٥٦ والمجلس الثالث ١٩٦٧) مناضل الحزب العدد ٤ السنة ١٤، أواخر شباط ١٩٦٨.

٣٥٦ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، هامش ص ٨٣، مصدر سابق.

استدعائه لما أمكن من قيادات الحزب المتواجدة في بغداد وكذلك أعضاء محلية بغداد. حيث اجتمع بهم في منطقة كمب ساره لدراسة الموقف)[٣٥٧]. وقد خرجوا وهم متفقون على مقاومة الانقلاب. وقد عثرنا على ثلاثة نصوص مختلفة، إلى حدٍ ما، في الصياغة، لكنها تتضمن ذات الفكرة، نثبتها أدناه للأمانة العلمية والموضوعية.

كان الأول لدى حنا بطاطو وهذا نصه[٣٥٨] :

إلى السلاح لسحق المؤامرة الرجعية الامبريالية

أيها المواطنون يا جماهير شعبنا العظيم المناضل

أيها العمال والفلاحون والمثقفون وكل الوطنيين والديمقراطيين الآخرين!

قامت عصابة حقيرة من الضباط الرجعيين والمتآمرين بمحاولة يائسة للاستيلاء على السلطة استعداداً لإعادة بلدنا إلى قبضة الامبريالية والرجعية. وبعد أن سيطروا على محطة البث الإذاعي في أبو غريب وانكبوا على إنجاز غرضهم الخسيس، فإنهم يحاولون الآن تنفيذ مجزرة بحق أبناء جيشنا الشجاع..

٣٥٧- إن صحت هذه الرواية، فالسؤال الذي يطرح نفسه بقوة، لماذا لم يجتمع سلام عادل بقيادة الحزب منذ تبلغهم في منتصف الليلة الماضية بموعد الانقلاب؟ هل ساورهم شكوك في موعده، كما جرى في الماضي؟ في الوقت الذي يشير فيه بلغة قطعية مؤكدة، مؤلفا سيرة سلام عادل، إلى الموعد وإلى رسم سلام عادل خطة لمقاومة الانقلاب، التي لم يحددا ماهياتها وطبيعتها وما هو الدور المناط بالتنظيم العسكري وأين مفاصل مفرداتها.؟

٣٥٨- راجع، حنا بطاطو، مصدر سابق، الجزء الثالث، ص ٢٩٤. ويبدو تأثير الترجمة إلى العربية واضح هنا.

يا جماهير شعبنا المناضل الفخور! إلى الشوارع! طهروا بلدنا من الخونة!

إلى السلاح دفاعاً عن استقلال شعبنا ومكتسباته!

شكلوا لجان دفاع في كل ثكنة عسكرية وكل مؤسسة وكل حي وكل قرية..

سيُلحق الشعب، بقيادة قواه الوطنية، الخزي والهزيمة بهذه المؤامرة الجبانة، كما فعل بمؤامرة الكيلاني والشواف وآخرين.

إننا نطالب الحكومة بالسلاح!

إلى الأمام إلى الشوارع! اسحقوا المؤامرة والمتآمرين.

٨ شباط ١٩٦٣ الحزب الشيوعي العراقي

أما الثاني فلدى أحمد فوزي وهو على ما يبدو مختصر، وهذا هو نصه[٣٥٩]:

إلى السلاح لسحق المؤامرة الرجعية

قامت زمرة تافهة من الضباط المتآمرين بمحاولة يائسة للسيطرة على الإذاعة تمهيداً لإرجاع بلادنا إلى قبضة الاستعمار والرجعية، فسيطرت على مرسلات الإذاعة في أبي غريب،

---

٣٥٩ - راجع أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، مصدر سابق، ص ١٣٥. وهو يطابق حرفياً ما نشره خليل إبراهيم في موسوعته، مصدر سابق، ج. ٥، ص ٣٣. ويبدو ان الأول أستله من الثاني دون الإشارة إلى ذلك.

وهي تحاول أن تثير مذبحة بين أبناء الشعب لتنفيذ غرضها السافل في السيطرة على الحكم. إن جماهير شعبنا المجاهد وجماهير جيش ١٤ تموز ينهضان كرجل واحد لدحر المؤامرة والمتآمرين.

إلى الشوارع يا جماهير شعبنا لنكنس من بلادنا الخونة المارقين، إلى السلاح للدفاع عن استقلالنا الوطني ومكاسب ١٤ تموز، إلى تشكيل لجان الدفاع عن كل معسكر وكل محلة وكل مؤسسة، إلى سحق أية محاولة في أي ثكنة.

إن الشعب بقيادة القوى الديمقراطية سيلحق العار بهذه المؤامرة السافلة. فإلى الأمام.. إلى الشوارع

بغداد في ٨ شباط　　　　　الحزب الشيوعي العراقي

أما الصيغة الثالثة للبيان فقد عثرنا عليها لدى المؤلفان زكي خيري ود. سعاد خيري، وهي الأكثر دقة وصواباً، وتتطابق مع ما نشرته مديرية الأمن العامة في كتابها: أضواء على الحركة الشيوعية في العراق بالاسم المستعار سمير عبد الكريم .وهذا هو نصه[٣٦٠]:

إلى السلاح لسحق المؤامرة الاستعمارية الرجعية

أيها المواطنون! يا جماهير شعبنا المجاهد العظيم! أيها العمال والفلاحون والمثقفون و سائر القوى الوطنية والديمقراطية!

---

٣٦٠ - راجع زكي خيري ود. سعاد خيري، دراسات في تاريخ الحزب الشيوعي العراقي، مصدر سابق، ص ٣٧٨ وكذلك الجزء الثالث ص ٣٥ من الكتاب الخماسي لسمير عبد الكريم، أضواء على الحركة الشيوعية في العراق، دار المرصاد بيروت، التاريخ بلا.

قامت زمرة تافهة من الضباط الرجعيين والمتآمرين بمحاولة بائسة للسيطرة على الحكم، تمهيداً لإرجاع بلادنا إلى قبضة الاستعمار والرجعية، فسيطرت على مراسلات الإذاعة في أبوغريب وهي تحاول أن تثير مذبحة بين أبناء جيشنا الباسل لتنفيذ غرضها السافل الدنيء في السيطرة على الحكم.

إن جماهير شعبنا المجاهد حفار قبر المؤامرات، وجماهير جيش ١٤ تموز حفار قبر الملكية والاستعمار ينهضان الآن كرجل واحد للدفاع عن استقلال البلاد ولدحر المؤامرة والمتآمرين، أعوان وصنائع الاستعمار والرجعية، والتأهب لرد أية محاولة استعمارية خارجية للتدخل في شؤون البلاد.

إلى الشوارع ياجماهير شعبنا الأبي المجاهد، لكنس بلادنا من الخونة المارقين.

إلى السلاح للدفاع عن استقلالنا الوطني وعن مكاسب شعبنا.

إلى تشكيل لجان الدفاع عن الاستقلال الوطني في كل معسكر وكل محلة ومؤسسة وفي كل قرية.

إلى الأمام: إلى تطهير الجيوب الرجعية وسحق أية محاولة استعمارية في أية ثكنة وأية بقعة من بقاع البلاد.

إن الشعب بقيادة القوى الديمقراطية سيلحق العار والهزيمة بهذه المؤامرة السافلة. كما سبق وأن سحق بلمحة خاطفة مؤامرة الكيلاني والشواف وغيرهما. أننا نطالب الحكومة بالسلاح.

الى الأمام إلى الشوارع، لسحق المؤامرة والمتآمرين.

بغداد في ٨ شباط ١٩٦٣ الحزب الشيوعي العراقي

وعند تحليل البيان أعلاه يمكننا القول:

١ - إن عباراته تحريضية واضحة ومركزة، يشوبها مسحة بينة من القلق والخوف على: الذات الحزبية وعلى البلد وثورته والأفق اللاحق، وينم عن معرفة عميقة بعمق الكارثة المتوقعة في حالة نجاح الانقلاب؛

٢ ـ الدعوة إلى المقاومة المسلحة للانقلاب، وهذه تكاد أن تكون المرة الأولى في تاريخه وخاصةً في عهد الجمهورية الأولى، التي يستبدل الحزب الشيوعي سياسته السلمية، والتي كانت معتمدة طيلة المرحلة التموزية /القاسمية. لكن في الوقت ذاته لم يوضح كيفية الحصول على السلاح، إذ يبدو أنه غير متوفر لديه، لذا طالب السلطة بتوفيره؛

٣ - يتضح من البيان انعدام وجود مقومات خطة واقعية للمقاومة لدى الحزب لمثل هذه الحالات الاستثنائية، (خطة طوارئ [٣٦١]) تتناسب وعمق الانقلاب ومخاطره. إذ لم يهيء وسائل الدفاع المادية لحماية نفسه ورفاقه وأنصاره، على الأقل، ناهيك عن الدفاع عن الثورة ومكتسباتها، بالرغم من علم الحزب بالانقلاب وتوقع حدوثه منذ فترة طويلة وإن كان لا يعرف على وجه الدقة التغيرات في الموعد. إذ سبق وأن ناقشته المستويات العليا من قيادة الحزب وكوادره المتقدمة وعكستها بياناته السابقة للانقلاب وما تم الكشف عنها من اعترافات بعض قياداته لاحقاً، وما وجدت من محاضر حزبية بحوزة بعض القياديين بعد اعتقالهم.

٤ - لم يتطرق البيان إلى اسم عبد الكريم قاسم ولا الآخرين من رجال الحكم.. وهذا يعكس، إلى حد كبير الموقف الذي تبناه أغلب أعضاء اللجنة المركزية للحزب تجاه قاسم أوعلى الأقل موقف أغلب أعضاء المكتب السياسي التي

---

٣٦١ - يقول مؤلفا سيرة سلام عادل: [وخطة الطوارئ لم تكن مفهومة أيضاً لعدم التثقيف بها لسنوات طويلة بسبب الكتلة] ص ٣٤٦. الحقيقة إن وجدت فهي لا تتعدى سوى ثلاثة سنين. لكن لم يذكرا مكوناتها.

تشكل بعد عودة سلام عادل من موسكو في النصف الثاني من عام ١٩٦٢. لكن الحزب تلافى ذلك في البيان الثاني، بغية مشاركة أوسع القطاعات الاجتماعية للمشاركة الجدية في التصدي للانقلاب، ولمعرفته بموقع الزعيم قاسم في وعيها الشعبي؛

٥ - لقد كان لسرعة توزيع البيان وقراءته في الشوارع ولنزول كوادر الحزب إلى الشارع، بخاصة في بغداد كان لكل ذلك دوره في نجاح تعبئة الناس وخروجهم الواسع للتصدي ومقاومة الانقلاب، بكل الوسائل المادية التي كانت متوفرة لديها. إذ عمت المظاهرات المناهضة غالبية المدن العراقية، كذلك الكثير من المواقع العسكرية، حيث جرت محاولات فردية الطابع عفوية التنفيذ، للاستيلاء على مشاجب الأسلحة، لكنها أخفقت لكونها: كانت غير منظمة موضعياً؛ ولبطء إيقاع حركة التحدي والرد؛ ثم لفقدانها روحية الوثوب وتعودها على الاتكال وأنتظار الأوامر من الهيئات العليا؛ يضاف إلى ذلك ما لعبته الأخبار الكاذبة التي كانت تبثها الإذاعة في أبو غريب من أخبار ملفقة[٣٦٢] عن مقتل الزعيم وبرقيات التأييد المنتحلة؛ كذلك عنصر التردد الذي طبع عقول أغلب الموالين لسلطة تموز من غير المسيسين والحزبيين، الذين كانوا على رأس الوحدات العسكرية؛ وأخيراً إلى طابع العقلية العسكرية التي تُربي على طاعة أوامر رُتب القيادات العليا؛

٦ - توحي لغة البيان بالمفاجأة غير المتوقعة عن حدوث الانقلاب في هذه الساعة تحديداً، وليس كما أشار زكي خيري في حديثه وتقييمه لجلال الأوقاتي بالقول: [إذ رغم إنذار الحزب له قبل يوم من موعد الانقلاب غداً] كما مر بنا. في حين أن الكم الهائل من المعلومات والدلائل تشير جميعها، إلى أن قيادة الحزب تعرف

---

٣٦٢ - في اعتقادنا أن الأخبار الملفقة التي كانت تبثها إذاعة الانقلاب، كانت بوحي من خبراء الانقلابات العسكرية، ولم تأت إلا بعد دراسة تأثيراتها على نفسية الفرد في المجتمع العراقي وما تفعله من إحباط لروح المقاومة. وقد أثرت هذه السياسة على النفوس القلقة، وخاصة الضباط منهم، بحيث أخذوا يترددون في اتخاذ القرار الحازم. وكان هذا التردد يصب في جوهرة في نجاح الانقلاب

الكثير عن الانقلاب ما عدا ساعته المحددة بالضبط. ولهذا لما [وضع يده على الزناد طويلاً وحينما ضغط عليه أخيراً لم يعمل] كما رصد ذلك حنا بطاطو.

٧ ـ يبدو أن لغة البيان التحريضية، كانت جواباً مباشراً على فشل التنظيم العسكري وارتباكه في مقاومة الانقلاب. إذ أوضحت الوقائع عدم وجود خطة لدى المكتب العسكري، أو على الأقل لم يسارع إلى تنفيذها إن وجدت، على الرغم من وجود الكم الكبير من الضباط المنتمين والمؤيدين له. لقد قدر ثابت حبيب العاني عددهم في عام ١٩٦١ - ١٩٦٢ بما مقداره: [خمسة آلاف عسكري منهم خمسمائة ضابط بين ملازم وزعيم منتظمين في الخلايا واللجان الحزبية، وألف ومئتي ضابط أصدقاء متبرعين شهرياً. أي قوانا من الضباط ١٧٠٠ ضابط...]. أما بصدد قاعدة المؤسسة العسكرية فبلغت [... قوانا أكثر من ثلاثة آلاف عضو، أي بنسبة ٢ إلى ٢,٥٪...[٣٦٣]] إن عدم تحرك هذه الأعداد الغفيرة أثار استغراب الأعداء قبل الأصدقاء، ووضع الباحثين والسياسيين في حيرة قبل أن يضع الشيوعيين أنفسهم، في فهم جوهر هذه الحالة! ترى هل يكمن في آلية العمل الداخلي؟ أم في ضعف وسائل الاتصال؟ أم في غير ذلك. رغم أن زكي خيري يشرح حالة التردد التي أصابت التنظيم العسكري، دون أن يعلل سبب عدم تحركهم، في الوقت الذي خرج فيه التنظيم المدني والجماهير المستقلة والمتعاطفة التي:

[... بقيت متكلة على القوى الديمقراطية في الجيش، والحال كانت هذه تنتظر خروج الجماهير إلى الشارع أولاً وقبل كل شيء] إلى درجة [فوجئنا بضعف المقاومة. كنا نعول كثيراً على التنظيم الشيوعي في الجيش الذي كان يضم ٤٠٠ ضابط و١٠٠٠ ضابط صف. ولكنهم على العموم مكثوا في بيوتهم وقلّ من بادر منهم ليهرع إلى معسكره

٣٦٣ ـ راجع مجلة رسالة العراق، التي يصدرها الحزب الشيوعي العراقي في الخارج، العدد ٥ تموز/ يوليو، ١٩٩٥، ص ٢١.

حتى جاءهم الانقلابيون إلى بيوتهم ليعتقلوهم أو يقتلوهم فوراً...[٣٦٤]. لكون [العديد من قادة الخط العسكري تميز موقفهم بالسلبية وظلوا ينتظرون نتيجة حسم المعركة بين قاسم والمتآمرين دون أن يحركوا ساكنا بانتظار توجيهات تصلهم من الحزب، الأمر الذي أضر بالمقاومة وأضعفها..[٣٦٥]].

٨ ـ لم يتضح لماذا يطلب البيان من الجماهير العزلاء، التي خرجت بكميات أذهلت الانقلابيين، الخروج إلى الشوارع والاستيلاء على الأسلحة، ولم يوجه نداءه إلى التنظيم العسكري ليأخذ زمام المبادرة المعاكسة وهو القريب جداً من وسائل التغيّر المادي وهم مختصون بالتنظيم العسكري من تعبئة وهجوم وما شابه ذلك. ربما أن الصراع الذي دار داخل القيادات العليا في تلك الفترة، حول دوام بقاء التنظيم العسكري من عدمه، كان أحد أسباب هذا التلكؤ؟ أم نجده في مزاج الجماهير الحزبية والعسكرية خاصةً، التي كانت متخمة بسياسة الانتظار من الأعلى (الانتظار السلبي) والنابعة من أن [سياسة الدفاع الدائم غير المقترنة بمحاولات التعرض والهجوم ضد العدو، لا تؤدي في النتيجة إلا إلى الهزيمة. وهذا ما حصل بالفعل في ٨ شباط حيث لم تستطع القيادة أو أية قيادة أخرى مهما أوتيت من عبقرية بتغير مزاج الجماهيرمن حالة الترقب والدفاع إلى حالة التصدي والهجوم في ساعات محدودة...[٣٦٦]] وبخاصة العسكريين منهم.

---

٣٦٤ ـ زكي خيري، صدى السنين، مصدر سابق، ص ٢٠٨ وما بعدها. يلاحظ القارئ وجود اختلافات في الأرقام التي يوردها كل من ثابت حبيب وزكي خيري. أني أميل إلى ما اورده ثابت العاني، بإعتباره كان أحد مسؤولي التنظيم العسكري، من جهة ولكون هذه الأرقام تتطابق مع ما ذكره حنا بطاطو وغيره من الباحثين من جهة ثانية، وأن ما ذكره زكي خيري جاء كصدى لسنين تلك المرحلة في ذاكرته، أي الاعتماد على الذاكرة بالأساس من جهة ثالثة.

٣٦٥ ـ ثمينة ناجي ونزار خالد، سيرة، مصدر سابق، ص ٣٤٦. لكن بيان الحزب الأول كان صريح في ضرورة التصدي للانقلاب؟ والسؤال يبقى مطروحاً لماذا هذا الانتظار السلبي وأين تكمن مقوماته؟

٣٦٦ ـ صالح دكلة، من الذاكرة، مصدر سابق، ص ٨٤.

وبالنظر إلى أن مدير الأمن العام لم يُصدر، حسب المعلومات المتوفرة والمنشورة، البيان الذي أملاه الزعيم قاسم عليه وطلب منه توزيعه من قبل منتسبي مديريته في عموم القطر وهذا يمثل أحد الألغاز التي لم يكشف النقاب عنه، ولكن ممكن حدسه، آنذاك وزع الحزب الشيوعي عبر رفاقه وأنصاره بيانه الثاني في حدود الساعة الثانية عشر[٣٦٧].

طالب البيان بتحدي قرار الانقلابين وعدم المثول لمنع التجول وداعيا إلى السلاح والحصول عليه من خلال الاستيلاء على مراكز الشرطة لقمع المؤامرة، وهذا نصه[٣٦٨]:

إلى السلاح لقمع مؤامرة الاستعمار والرجعية

أيها الشعب العظيم!

الخونة المتآمرين محصورين في أبو غريب. إن بعض الزمر تحاول توسيع عملياتها في بعض أنحاء الكرخ.

الجماهير الشعبية تسيطر في جميع أنحاء بغداد وسائر بقاع البلاد.

إننا ندعو الجماهير لمهاجمة الجيوب الرجعية وسحقها دون رحمة وعدم الانتظار.

---

٣٦٧ - يؤرخه بطاطو في الساعة الحادية عشر والربع، وزكي خيري في الحادية عشر، وثمينة ناجي يوسف اقتبست ما ذكره بطاطو، وأخرين في الثالثة بعد الظهر. في الوقت الذي أرجح فيه أنه صدر في حدود الثانية عشر، لأن البيان رقم ٨ الذي أذاعه راديو الانقلاب والذي بموجبه مُنِعَ التجول أُذيع ما بعد الحادية عشر والنصف.

٣٦٨ - راجع صورة للبيان لدى من أحمد فوزي، الساعات الأخيرة، ص ٢٣٧، وهو يطابق ما نشره سمير عبد الكريم في الجزء الثالث ص.٣٨. في حين أشار إلى مضمون البيان مجيد خدوري في كتابه، العراق الجمهوري، مصدر سابق، ص ٢٦٦، رغم اختلاف النصين الناجم عن الترجمة.

إن استقلالنا الوطني أمام خطر مؤكد. إن مكتسبات الثورة أمام خطر مؤكد.

اسحقوا المتآمرين الخونة دون رحمة. استولوا على السلاح من مراكز الشرطة ومن أي مكان وجد فيه، وهاجموا المتآمرين عملاء الاستعمار.

إن الخونة يحاولون من الجو قصف معسكر الرشيد ووزارة الدفاع وسائر المعسكرات التي تسيطر عليها جماهير الجنود والضباط المخلصين.

إن الزعيم عبد الكريم والعبدي والمهداوي وسائر الضباط المدافعين عن استقلالنا الوطني يمسكون الآن بدفة قيادة الجيش.

إن دحر وسحق المتآمرين هي المهمة العاجلة من أجل صيانة الاستقلال ومن أجل الديمقراطية.

الحزم والجرأة والأقدام لصيانة الاستقلال الوطني. مارسوا حقوقكم الديمقراطية كاملة. إن تقليص حقوق الشعب الديمقراطية هي التي أعطت للخونة مجال التآمر.

إلى السلاح، إلى الهجوم في كل أنحاء بغداد والعراق لسحق جيوب عملاء الاستعمار المتآمرين.

بغداد في ٨ شباط ١٩٦٣

الحزب الشيوعي العراقي

وهكذا أخذ البيان الثاني يؤكد نبرة التحدي واستنهاض الهمم لمهاجمة قوى الانقلاب من خلال السيطرة على مراكز الشرطة، بعد أن علم مركز الحزب عدم موافقة الزعيم

قاسم على توزيع السلاح على الجماهير، لذا دعا الناس إلى البحث عنها من أي مصدر كان.. كما وردت في صلب البيان إشارات إدانة إلى المرحلة القاسمية ذاتها، التي قلصت من حقوق الشعب الديمقراطية. أما ذكر أسماء الزعيم قاسم والعبدي والمهداوي فجاء هنا لأجل حشد أكبر عدد ممكن من الجماهير للمساهمة في التصدي.. وفي الوقت نفسه لمّح البيان إلى مضمون البيان الصادر في ٣ كانون ثاني ١٩٦٣، عندما حذر السلطة من الانقلاب وبشكل ملموس حيث كشف عن الطابع التآمري الذي كان يحاك.

لكن ومع ذلك [... لم يستطع الحزب الشيوعي بنداءاته وبإنزال كل كوادره وقواعده وأصدقائه من جر أوسع الجماهير لصد انقلاب ٨ شباط ٩٦٣. فقد تعودت الجماهير على الإنتظار السلبي بدلاً من النضال المتواصل دفاعاً عن مكاسبها الثورية وحقوقها، وغدت إتكالية في مزاجها...[٣٦٩]].

وحول ما يملكه الحزب من قاعدة اجتماعية كبيرة مؤيدة في الجيش، كما مر بنا، وعلى سبيل المثال في بغداد، يرصد حنا بطاطو ذلك:

[... فقط في معسكري الوشاش وأبو غريب كان ملاك الحزب ١٢٨ عضواً، أما معسكر الرشيد فكان أهم حصون الحزب سواءً من ناحية ضخامة العدد أم من ناحية أقدمية الانتماء للحزب...] أما بالنسبة للقطاعات المدنية [... وبعد قول كل شيء، يجب الاعتراف بأن الشيوعيين كانوا يتمتعون أيضاً بتأييد جماهيري أصيل. وإذا كان الشيوعيون يوحون بالخوف، مثلاً، في حيَّيْ الأعظمية والتكارتة القوميين أو في منطقة المنصور الثرية، فإنهم كانوا يثيرون في الأماكن الفقيرة والعمالية البحتة مثل مدينة الثورة أو تبة (عقد الأكراد- الناصري) الكرد في جانب الرصافة، ومنطقتي الكريمات والشواكة في جانب الكرخ من بغداد، رعشة أمل ترحب بوصولهم إلى نفوذ واسع. وهذا تاريخ أمين لابد من تسجيله...[٣٧٠]].

---

٣٦٩ -) زكي خيري ود. سعاد خيري، دراسات في تاريخ، مصدر سابق، ص ٣٥١

٣٧٠ - حنا بطاطو، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص ٢٠٩.

صور من المقاومـة:

وعلى مستوى الشارع السياسي المناهض للانقلاب في بغداد، بدأت جماهير واسعة، قدرت بعشرات الألوف في حينها، حسب تقدير هاني الفكيكي في (أوكار هزيمته) من مختلف القطاعات، وخاصةً طبقاتها الفقيرة والكادحة، بالنزول إلى الشوارع والتظاهر ضد الانقلاب وسلطته في مختلف المناطق كالكاظمية؛ الشعلة؛ الكريمات؛ الشاكرية في الكرخ؛ وفي الرصافة في كل من: باب الشيخ وعقد الأكراد؛ الثورة والكرادة الشرقية؛ شارع الرشيد وغيرها من مناطق بغداد بالإضافة إلى أغلب المدن العراقية، بحيث أذهلت قيادة الانقلاب. يقول طالب شبيب بهذا الصدد: [فعند اندلاع ٨ شباط واجهنا مقاومة شديدة وانكشف لنا وجود تنظيم شيوعي واسع داخل الجيش وخارجه... [٣٧١]].

كما أن بعض جنود ومراتب سائقي دبابات الانقلابيين حاولوا بطريقتهم عرقلة الانقلاب. يذكر محمود شيت خطاب ذلك بالقول: [... وكان سواق أكثر الدبابات من الجنود، موالين لقاسم، فكان الضابط المسؤول عن الدبابات يأمر السائق بالسير، والسائق يتغنى: (عاش الزعيم عبد الكريم) و(ماكو زعيم إلا كريم)... الخ. ومن الصدف أن قسماً من الضباط المسؤولين عن الدبابات كانوا يحملون مسدسات صغيرة، ولكن بلا عتاد!! فكانوا يصوبون مسدساتهم إلى السواق لحملهم على التقدم إلى هدفهم، والسائق يجهل أن المسدس المصوب إلى رأسه ليس فيه عتاد.

وحدث أن أكثر من سائق من سواق الدبابات، صدموا دباباتهم بالأبنية (كما حدث مع الدبابة التي أحتلت المرسلات في أبو غريب وعطلت الكهرباء بصورة مؤقتة - الناصري)، فتوقفت عن الحركة وسقط الضابط فاقد الوعي مضرجاً بدمائه، وقتل

---

٣٧١ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ١٩١.

السائق فوراً، لأن السائق من أنصار عبد الكريم قاسم ومنظم في حزب (المطلب العظيمي) (يقصد به الحزب الشيوعي- الناصري)...[٣٧٢]].

في الكاظمية نجحت جماهير واسعة، بقيادة الشيوعيين ومؤيديهم [... بقيادة هادي هاشم الأعظمي عضو سكرتارية الحزب، (قبيل إلقاء القبض عليه وانهياره التام- الناصري)، والمقدم المتقاعد خزعل السعدي، عضو القسم العسكري في الحزب وحمدي أيوب العاني عضو لجنة بغداد...[٣٧٣]] في الاستيلاء على بعض مراكز الشرطة و شرطة النجدة ووزعت أسلحتها على المتطوعين، وأحكمت سيطرتها على المدينة وظلت تقاوم الانقلاب مدة ثلاثة أيام، ولم تتم السيطرة عليها إلا في مساء اليوم العاشر من شباط، بعد نفاذ ذخيرتها، وعدم قدوم النجدات المتوقعة، وضعف قدراتها وإمكانياتها في مقاومة قوات الجيش المزود بالدبابات والمدفعية التي بواسطتهما تمكن الانقلابيون من السيطرة على المدينة. كما لعب الشيوعي البسيط المعروف (سعيد متروك) دوراً بارزاً في التصدي وتنظيم الانسحاب، مما أثار حفيظة وحنق الانقلابين عليه، حيث مثلوا بجثمانه بعد قتله بوحشية مقززة انتقاماً لبسالته.

وفي الوقت ذاته كانت الجماهير المناوئة للانقلاب تقاوم وتهاجم بالأسلحة البسيطة مقر دار الإذاعة والتلفزيون في الصالحية والكريمات، بغية احتلالها خاصةً بعدما اتخذها الانقلابيون مقراً لهم، لكن مجيء دبابات الكتيبة الرابعة شل عملية الاحتلال بعد أن وقعت بينهم خسائر فادحة، وبقيت المناوشات قائمة ضدهم إلى اليوم التاسع من شباط. وهذا ما أشار إليه كل مؤرخي تلك الليلة، كما سنرى لاحقاً.

كذلك هبت جماهير واسعة في الرصافة وتجمهرت أمام وزارة الدفاع للمطالبة بالسلاح لأجل حمايتها والدفاع عن الثورة وقيادتها وحلمها المنشود، من قوى

---

٣٧٢ - راجع التقرير الذي كتبه (المؤرخ العسكري) اللواء المتقاعد محمود شيت خطاب، إلى أحمد فوزي والمنشور في كتاب أين الحقيقة في مصرع، مصدر سابق، ص ١٣٢

٣٧٣ - بطاطو، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص ٢٩٣.

الانقلاب، بعدما لبت نداء الضمير الذي أيقظته غريزتها وسليقتها الثورية، للدفاع عن جوهر ذاتها ومطامحها التي يُراد ذبحها قرباناً لشهوة الحكم، والمطامع الغربية وتدفق النفط إليها. كانت الجماهير تلح في طلب وسيلة الدفاع (السلاح) الذي كان يعوزها، فلم توفره لا قيادة الحزب الشيوعي، ولا الزعيم قاسم، الذي لم يكن يرغب في إسالة أنهار من الدماء وقيام حرب أهلية، كما كان يردد آنذاك. كان حتى في هذا الظرف المعقد للغاية، مغلف بطوباوية فهم الصراع وطبيعته؛ جديته وحدته. ومع ذلك بقيت هذه الجماهير العزلاء تعمل جاهدة على منع قوى الانقلابين المهاجمة من الوصول إلى الوزارة، حتى أنها هجمت على الدبابات وعطلت اثنتان منها بعدما هاجمتها من الخلف وقتلت طاقمها في داخلها. ولم تستطع الدبابات الأخرى من الوصول إلى الوزارة إلا بعد أن خدعت الجماهير المحتشدة وذلك بلصق صورة الزعيم على واجهتها والهتاف بحياته، ففسح المجال لها بالمرور.. وما أن أستقرت أمام باب الوزارة حتى صبت نيرانها على الكتل البشرية المحتشدة أمام الوزارة لتفريقهم بعد أن أوقعت فيهم خسائر كبيرة، ومن ثم توجيه نيرانها نحو وزارة الدفاع. كان بطل هذه المجزرة العقيد المظلي عبد الكريم مصطفى نصرت، كما شخصه إسماعيل العارف في مذكراته [٣٧٤]. وبكلمات العقيد نفسه [... فإن القوة المهاجمة واجهت صعوبات عديدة في إبعاد هؤلاء الناس عن طريقها وعن وزارة الدفاع. وحاولت القوة في البداية تهدئتهم بوسائل مختلفة... ولكنها لجأت في النهاية إلى الحزم والعنف، كانسة إياهم بعيداً، وسقط المئات...[٣٧٥]].

أما المقاومة الشديدة التي أبدتها جماهير عقد الأكراد في شارع الكفاح في رصافة بغداد فكانت ملحمة شارك في ذروتها [... يوم ٨ شباط (فبراير) إلى ما يقرب من ٤٠٠٠ رجل لكنها تناقصت بعد ظهر التاسع منه إلى حوالي ١٥٠٠ ولم تعد تزيد صباح العاشر عن حوالي ٥٠٠ كلهم أعضاء في الحزب الشيوعي أو من مؤيديه الأقربين.

---

٣٧٤ - إسماعيل العارف، المذكرات، مصدر سابق، ص ٤١٣.

٣٧٥ - حنا بطاطو، الجزء الثالث، مصدر سابق، ص ٢٩٥

وكان قائدهم محمد صالح العبلي، أحد سكرتيري الحزب...[٣٧٦]] آنذاك [... وقد امتاز بدقة التنظيم والإدارة الفعالة والمبادرة الثورية. فكتب أحد المشاركين فيها في مجلة الثقافة الجديدة تحت عنوان (المقاومة المسلحة في حي الأكراد) مشيراً إلى العبلي قائد المقاومة بالقول: "... كنا نجد لديه الإجابة على أي سؤال أو استفسار ينشأ في مجرى المعركة... كان السلاح شحيحاً ولكن الجميع كان بانتظار الحصول عليه في غمرة الاشتباك مع قوات الانقلابيين. وهكذا كنا مستعدين للمعارك بالمعاول والأيدي..." "... وأحاطت دبابات المتآمرين بالمنطقة **لمنع وصول جماهير مدينة الثورة لإسناد المقاومة.** وكانت خطة الانقلابيين تقضي بإنهاء المقاومة بأسرع وقت ممكن من دون الالتفات إلى عدد الضحايا واعتمدت على القصف العشوائي المكثف واقتحام مناطق المقاومة وإنارة المنطقة المحيطة لكي يصعب التسلل منها و إليها ليلاً.

واستمرت المقاومة ثلاثة أيام بعد مقتل قاسم، تشتد ضراوة وعنفاً... واقتحمت العصابات المسلحة للانقلابيين في ١٠ شباط ١٩٦٣ حي الأكراد وبروح انتقامية فاشية، انتهكت جميع الحرمات والمحرمات... وتحولت سينما الفردوس الواقعة في ساحة النهضة إلى معتقل لأبناء المنطقة.

وحول ذات الموضوع يوصف بإسهاب الصحفي والروائي إبراهيم الحريري في مقابلات عديدة معه ويقول "...كان داري في منطقة الشاكرية خلف كرادة مريم.. وكنت في عضوية المكتب العمالي الذي كان يقوده عضو المكتب السياسي هادي هاشم الأعظمي.. ويوم ٨ شباط كان لي موعد مع بديع عمر نظمي. وبعد سماع بيانات الإذاعة توجهت إلى الجماهير المحتدشة هناك وتوجهت بهم إلى محطة الإذاعة والتلفزيون في الصالحية وتم تطويق المحطة من قبل الجماهير التي جاءت من مختلف الأماكن بالكرخ.. لقد توجس فوج الحرس الحامي للمحطة. وبعد فترة وصلت دبابات عددها ثلاثة وعلى مقدمتها صور الزعيم عبد الكريم قاسم.. وقد فسحت الجماهير المحتشدة الطريق لها.. وما أن استقرت في الاماكن المخصصة لها حتى بدأت برمي الرصاص على الجماهير.

---

٣٧٦ - المصدر سابق، ص ٢٩٧

بعدها ومع اشتداد المقاومة بالكريمات، ذهبت إلى جانب الرصافة وبالتحديد ساحة النهضة، حيث رأيت جمهرة من الشيوعيين المعروفين منهم: لطيف الحاج، كامل كرم (ابو علاء) عصام القاضي، محي عبد الرحمن وكذلك فتاح حمدون وغيرهم.. وجرت مقاومة للحرس القومي وقطعات الجيش المدرعة القادمة من منطقة الفضل. وفي حدود الساعة ١٤- ١٥ تم الانسحاب نحو عكد الأكراد واصبحنا مطوقين من جهتي ساحة النهضة وكذلك من باب الشيخ. كان يقود المقاومة محمد صالح العبلي وكذلك الدكتور حسين الوردي وجمعٌ من قيادي الحزب وكان اصغر واحد منهم عضو منطقة، يقدر عددهم بين ٣٠- ٤٠ رفيقاً. وبعد أن تأكد لنا عدم مصداقية الإشاعات التي مضمونها قدوم وحدات عسكرية من بعقوبة والعمارة.. وبعد فتور المقاومة وقلة السلاح جرى اجتماع للقياديين جرت فيه مناقشة مستعجلة حول مدى استمرارية المقاومة. فطرحتُ رأياً انه بالوضع الحالي وما نملك من سلاح لا يمكن التصدي إلى الانقلاب، فلا بد من إنهاء المقاومة والحفاظ على الكوادر ومن ثم صيانة الحزب.. ولذا قُبلَ هذا الاقتراح وبدأنا نتسلل فرادا من منطقة عكد الأكراد في رصافة بغداد... "[٣٧٧].

ويضيف العضو القيادي في الحزب وعضو لجنة طوارئ بغداد [٣٧٨] وعضو مكتب منطقتها الحزبية كامل كرم (ابو علاء) يقول: "... بعد سماع خبر الانقلاب خرجت من البيت إلى منطقة باب الشيخ، ومن هناك ذهبنا إلى وزارة الدفاع وبعد قدوم الدبابات وهي تحمل صورة الزعيم على واجهاتها.. وعند حلول الظهر جاءنا إيعاز حزبي بالذهاب كل إلى منطقته حيث يستطيع حث الناس على مقاومة الانقلاب وتطبيق خطة الخطواريء والمتمثلة في تجميع السلاح وتم ذلك بالفعل.. وقد تجمعت في ساحة النهضة /شارع الكفاح كتل جماهير حاشدة والكثير من القياديين منهم:

---

٣٧٧ - عدة مقابلات جرت في شهر نيسان/ ابريل ٢٠٠٩.

٣٧٨ - أسس الحزب لجان طوارئ شملت العراق كله، ومتفرعة عنها لكل محافظة.. وكان المشرف على منطقة بغداد عضو المكتب السياسي محمد صالح العبلي. وأشرف بنفسه على تجميع السلاح

العبلي ولطيف الحاج وباسم مشتاق وزياد الخفاجي وصباح أحمد وغيرهم من الكوادر الوسطية، التي أخذت على عاتقها تنظيم المقاومة ومنها: إقتحام مركز شرطة باب الشيخ المجاور للحضرة الكيلانية، وتوزيع الكوادر على الشوارع للتصدي لقوى الانقلاب المدنية التي بدأت تهاجم المتظاهرين من جهتين.. في البدء من جهة محلة بني سعيد وكانت البادئة في رميه المتظاهرين بالرصاص؛ والثانية من منطقة باب الشيخ.. خاصةً بعد عدم التمكن من السيطرة على مركز الشرطة نتيجة تمركزهم على سطح البناية من جهة، وقلة اسلحة المقاومين وقدمها، بل بعضها لم تعمل وفساد بعضها كالقنابل اليدوية. ونظرا لهذا الوضع تم صنع قنابل مولتوف وكذلك البحث عن السلاح من أحد تجاره الكرد في المنطقة حيث تم تزويدنا ب ١٠ قطع من مسدسات وبعض الرشاشات وعتادها. وفي الوقت نفسه وصلت مجموعة من المقاومين القادمين من مدينة الثورة زكمب الأرمن في حدود ٤٠ مقاوماً وتم توزيعهم على بعض النقاط لصد هجوم قوى الانقلاب التي عززت ذاتها وقدرتها العسكرية وبدأت ترمي المنطقة بالقنابل زالرصاص الكثيف.. مما أثار حفيظة السكان وطلبوا منا على مغادرة المنطقة. ولأجل تخفيف الضغط علينا وعلى الناس فقد تم الايعاز بأعمال من خارج المنطقة وقد كلفت بقيادة العمل من محلة القشل والهيتاويين .. وخرجنا من منطقة عقد الاكراد زحفا، نظراً لكثافة الرمي، لعبور شارع الكفاح إلى منطقة الصدرية وكنا عدة رفاق هم: علي ولي وعباس عبايه وعلي حسن وخليل (نسيت أسم أبيه) وانا.. واجتمعنا كي نضع خطة التحرك في بيت الرفيق علي حسن، حيث أُقرت الهجوم على قوى الانقلاب من خلال منكقتين هما: شارع الكفاح ، وايضاً من خلال شارع الوثبة. لقد لعب الشهيد علي حسن (ابو حيدر[٣٧٩]) دوراً مهما في المقاومة وتخفيف العبء على المقاومين في عقد الاكراد. حتى أن والدته الكبيرة السن كانت تنقل العتاد لهم ب(الزنابيل) مخفيةً تحت عباءتها.

---

٣٧٩ - كادر حزبي نشيط في اعدادية النضال آنذاك، ومن ثم تفرغ للعمل الحزبي وأصبح من الكوادر المتقدمة، وتم اعتقاله وزوجته السيدة زهور اللامي وطفلهما الرضيع عام ١٩٧٩، وتم إعدامهما الحياة بعد ارسال ابنهم إلى عائلة أبيه.

أنذاك إزدادت قوى الانقلاب شراسة وتم الهجوم على منطقة القشل وتم انسحابنا من خلال السطوح وذهبنا كلٌّ إلى داره يوم ١٠شباط... وفي ١٩شباط تم كبس دارنا في البياع وكان دليل الحرس القومي عضو المكتب السياسي هادي هاشم الاعظمي.. وقد هربت من خلال الجيران.. ومن ثم سافرت إلى كربلاء للاختباء ومنها إلى البصرة وإلى إيران "[٣٨٠]

وفي البصرة قادت الطبقة العاملة المقاومة ضد الانقلابيين وسيطرت على جميع مرافق الإدارة المحلية واستمرت المقاومة حتى مساء ١٢ شباط... كما جرت محاولات للقيام بعمل مسلح في وحدات الموصل والديوانية...[٣٨١]].

كما نجح السجناء السياسيون في سجن الكوت والذين قدر عددهم بـ ١٥٠ سجيناً بالتحشد داخل السجن مطالبين بفتح أبواب السجن وإطلاق سراحهم للمساهمة في قمع الانقلاب، وعلى ضوء ذلك تجمهرت مظاهرة من مواطني المدينة، أمام السجن تضامناً مع السجناء السياسيين، مما أدى إلى استجابة العاملين في السجن وفتحوا الأبواب وانضم هؤلاء السجناء إلى التظاهرة المدنية التي سارت في شوارع المدينة مستنكرة الانقلاب.

لقد عمت المظاهرات السلمية المناهضة للانقلاب الغالبية العظمى للمدن والحواضر العراقية صباح ذلك اليوم بدون استثناء، سواءً في الجنوب أو الوسط، في الفرات الأوسط أو كردستان العراق. وكان أشدها في العاصمة بغداد وضواحيها. كما خرجت مظاهرات سلمية في بعض الحواضر التي سيطرت على شارعها السياسي القوى السياسية المؤيدة للانقلاب وتحديداً في المدن الواقعة شمال مدينة بغداد وأعالي الفرات.

وفي معسكر الوشاش، قامت مجموعة من العسكريين الشيوعيين بقيادة الملازم فاضل عباس بالهجوم على مشاجب الأسلحة في البطارية التي يقودها بمساعدة عدد من

---

٣٨٠ - مقابلة جرت في داره في ستوكهولم بتاريخ ١٩/ شباط ٢٠١٤.

٣٨١ - زكي خيري وسعاد خيري، دراسات في تاريخ، مصدر سابق، ص ٣٨١.

ضباط الصف بغية إيقاف القوة القادمة من أبو غريب والحبانية، ومحاولة التصدي لها ودحرها. لكنه لم يستطع تحقيق ذلك المخطط، نظراً لتطويقهم من قبل بعض العناصر الانقلابية من داخل المعسكر وخارجه إذ طوقتهم الدبابات القادمة من أبو غريب قبيل خروجهم واعتقل كثير من منتسبي هذه البطارية.

في الوقت ذاته قامت مجموعة من الضباط وضباط الصف الشيوعيين (ضابطان و١٩ من المراتب) وبعض عناصر الخط المدني في بَعْقُوبة بالسيطرة على مقر الفرقة الثالثة في معسكر سعد، وتمكنت من السيطرة على بعض مشاجب الأسلحة التي وزعت على العناصر المؤيدة لحكومة الزعيم قاسم، ولكنهم اصطدموا بقوى الانقلابيين، وفشلت محاولتهم بسبب التردد في اتخاذ الموقف المناسب بسرعة وحزم من الموالين الذين تلحفوا بالخوف وإطاعة الأوامر الكاذبة التي كانت تبثها الإذاعة.

لقد"... توجه البطلان صلاح وعبد المجيد إلى الرئيس الاول (الرائد) عبد الكريم حسن، وهو من أهالى البصرة وكان معروفاً بوطنيته وحسن أخلاقه وإيمانه بشعبه وحبه لعبد الكريم قاسم، لاخذ الاوامر بالسيطرة على كتيبة دبابات الفرقة السادسة والتوجه إلى بغداد لمساندة عبد الكريم قاسم، إلا إن الانقلابيين الجبناء أستطاعوا قتل هذا الضابط الوطنى قبل وصول صلاح وعبد المجيد.. وحدثت معركة كبيرة بين المنتفضين والانقلابيين أستمرت حتى الليل،وأستطاع الثوار قتل سالم الدباغ أمر البطرية الاولى.

وقد وصلت إلى المعسكر قوة كبيرة بقيادة العميد عبد الجبار شنشل ضابط ركن الفرقة السادسة والفريق الركن نصيف جاسم السامرائى أمر كتيبة هندسة الفرقة، أستطاعوا تطويق المعسكر وإعتقال اللواء الركن عبد الكريم محمد قائد الفرقة الثالثة، وهو أحد الموالين للزعيم عبد الكريم قاسم، قطع طريق الجنود الذين كان عددهم بالمئات خارج المعسكر والذين كانوا يريدون الالتحاق بانصار ثورة ١٤ تموز.. كما إن الحرس القومي المجرم أستطاع سد منافذ بعقوبة المؤدية الى بغداد... [٣٨٢]"..

---

٣٨٢ - عبد الكريم جعفر الكشفي، انتفاضة معسكر سعد الخالدة في بعقوبة، موقع الحزب الشيوعي العراقي، في ٢٠١٤/٢/٩.

وبعد فشل المقاومة تم احالة المنتفضين إلى المجلس العرفي العسكري الأول برئاسة العميد شمس الدين عبد الله، الذي تولى محاكمة المقاومين و "... كانت حصيلة مقاومة الضباط ومراتب وجنود معسكر الوشاش في بغداد ومعسكر سعد في بعقوبة القاء القبض على ٣ ضباط صغار و٢ عرفاء ١٣ نائب عريف و٣ جندي أول و٥ جنود و١ مدني ... وصدرت احكام بالاعدام رمياً بالرصاص بحق المقاومين في معسكر سعد..."[٣٨٣]. وقد وبلغ عدد الذين نفذت بحقهم احكام الاعدام ٢٦ عسكرياً ونفذ الحكم بهم يوم ١٣/٣/ ١٩٦٣[٣٨٤].

---

٣٨٣ - مستل من شامل عبد القادر، الاغتيال، ص. ١٣٤، مصدر سابق.

٣٨٤- ادناه بعض أسماء الذين تم إعدامهم الحياة برميهم بالرصاص يوم ١٣/آذار/١٩٦٣ في معسكر سعد هم-:

"... نائب عريف تركى جابر عمره ٢٥ سنة.، نائب عريف صلاح عطية عمره ٢٥ سنة. ؛ جندي أول جمال على عمره ٢٢ سنة. ؛ نائب عريف حديد تانا عمره ٢٥ سنة. ؛جندي مكلف حسن عبود عمره ٢٢ سنة. ؛نائب عريف حميد نجيب عمره ٢٥ سنة ؛ نائب عريف خالد عبد الرزاق عمره ٢٥ سنة.

نائب عريف داود سليمان فتوحي من الموصل وهو من مواليد ١٩٣٤ ؛ نائب عريف راضى محمد عطية تولد ١٩٤١ من العمارة. ؛ نائب عريف رستم مجيد عمره ٢٥ سنة. ؛جندي مكلف رشيد أحمد عمره ٢٢ سنة. ؛ نائب عريف رشيد بندر عمره ٢٥ سنة ؛ نائب عريف زكى جلوب موسى من مدينة العمارة تولد ١٩٣٥ تطوع في الجيش العراقى عام ١٩٥٨. ؛ جندي مكلف صافي عبود عمره ٢١ سنة ؛ نائب عريف ناجى رحيم عمره ٢٥ سنة ؛ الملازم البطل صلاح محمد جميل بطل الانتفاضة وهو من مواليد الديوانية ١٩٣٨ ؛ نائب عريف عدنان رستم ٢٥ سنة ؛ نائب عريف عبد الحسين حسن عمره ٢٥ سنة ؛ الشهيد البطل عبد المجيد محمد جان الرجل الثانى في الانتفاضة، من مواليد بغداد ١٩٢٩، كان مهندساً في وزارة البلديات وتطوع في الجيش العراقى ؛ نائب عريف عطشان هاشم ٢٦ سنة ؛ جندي أول على عزيز حسون ٢١ سنة. ؛جندي أول عمر على مردان تولد ١٩٤١ من أهالى كركوك ؛ نائب عريف قاسم عبد الله عمره ٢٤ سنة. ؛جندي محمد حسن عمره ٢٠ سنة.هذا ما امكن جمعه من عدة مصادر ومن ذاكرة المعايشين للانتفاضة، وربما أغفلت بعض الاسماء فمعذرة....". مستل بتصرف من: عبد الكريم جعفر الكشفي، مصدر سابق.

وفي معسكر أبو غريب قامت، مساء يوم الانقلاب الثامن من شباط، مجموعة من العناصر الشيوعية والقاسمية بمحاولة، هي الأخرى لم يكتب لها النجاح، بالسيطرة على كتيبة الدبابات الرابعة ذاتها، مركز الانقلابيين، وأغلب القائمين بها هم من مراتب ضباط الصف والجنود، حيث هجموا على مقر آمر الدروع المعين من قبل إذاعة الانقلاب (خالد مكي الهاشمي)، لكن عناصر حمايته حالت دون ذلك وتمكنت منهم وقتلتهم جميعاً، كما تعترف بذلك المصادر الرسمية الحكومية في السبعينيات.

أما في معسكر الرشيد، فقد بدأت منذ بداية الانقلاب تحركات مضادة له من قبل الضباط الشيوعيين والقاسمين، يؤرخها أحد الطيارين الثلاثة الذين بدأوا في القصف الجوي وهو الطيار فهد السعدون، الذي أحبط هذا التحرك، الذي لو قدر له النجاح، لما استطاع الانقلاب السيطرة على الحكم والفوز به. يقول الموما إليه: [شاهدنا الآن تحركات واضحة للطائرات إذ:

١ - تحركت الطائرات على الأرض باتجاهات مختلفة، بعد أن خرجت من الأوكار.

٢ - أخذت المشغلات تلتحق بالطائرات لتشغيلها.

٣ - أخذت السيارات تنقل الطيارين والمراتب.

يقوم بهذه التحركات السرب الخامس بقيادة الرائد الطيار خالد ساره (ميك ١٩)، وبدأت الطائرات تشتغل. نادينا على المسيطر الجوي فأجاب، وطلبت منه أن يوقف تشغيل الطائرات والكف عن محاولتهم الطيران، وعلى الطيارين الأبتعاد عن الطائرات، وإلا فسوف نقصفها، فأجاب: إننا نستلم أوامرنا من وزارة الدفاع، من الزعيم عبد الكريم قاسم. من أنتم؟ وطلب معرفة أسمائنا ووحداتنا، وبعد دقائق اتصل ثانيةً وطلب منا أن ننزل في المطار للاستسلام... فأجبته لك مهلة نصف دقيقة لترك البرج وإلا قصفنا البرج. فما كان منه إلا الهروب مع الآخرين... وأخذنا نتصل بالطيارين والطيارات التي كانت تدرج على ممرات المدرج حيث شاهدنا اثنتين تتجهان إلى المدرج الرئيسي فانقضضنا عليها أنا وواثق... فاشتعلت النار بالطائرتين

وكانت محملة بالصواريخ التي أخذت تنطلق منها تلقائياً بعد احتراقها إلى جميع الاتجاهات.

وأخذنا ندور حول المعسكر وأدرت الطائرة نحو وكر السرب التاسع ففتحت النار عليها وشاهدت الانفجار الهائل الذي حدث بالوكر بأجمعه. وفي هذه الأثناء التحق منذر وشاهد النار تشتعل في الطائرات والوكر يحترق، استفسر منا وأخبرناه بما نقوم به وسببه وأعطيناه صورة واضحة لما يحدث وشاهد بنفسه انتشار الطائرات أمام الوكر فانقض منذر وضرب نفس الوكر وكذلك الطائرات أمام الوكر فاشتعلت فيها النيران، ثم قصفت أنا وواثق نفس الوكر بالتعاقب وأكملنا نسف الوكر للسرب التاسع، أي تم تدمير الوكر بأكمله حيث اشتعلت النيران بجميع العجلات والأبنية وهرب المراتب إلى جميع الاتجاهات... وأخذنا نشاهد العتاد المعبأ بالصناديق ينفجر والصواريخ تنطلق من جراء الحريق، فزادت الحرائق اشتعالاً وهب لهب كبير في جميع الاتجاهات، وهكذا تمت السيطرة الكاملة على سماء بغداد ولم يعد هناك تهديد بإمكانية التحليق...[٣٨٥]].

كما حاول الطيار خيري كاظم حميد، من نفس القاعدة الجوية في معسكر الرشيد، من التسلل إلى إحدى الطائرات الرابضة في القاعدة، بغية قصف مقرات الانقلابيين، لكنهم اكتشفوا ذلك في اللحظات الأخيرة وأنزلوه من طائرته واعتقل، مع العديد من الطيارين الذين كانوا خفراً في تلك الليلة. بعد ذلك تم الاتفاق بين الطائرات المغيرة وآمر القاعدة الجوية المقدم عزيز أمين، الذي أعلن عدم تصديه للحركة الانقلابية وسهل السيطرة الكاملة على القاعدة بعد أن أغلق مدرج المطار بالسيارات المغيرة وحاملات الوقود وحرك ما لا يقل عن ستة عجلات ووضعها في بداية المدرج ونهايته، بناءً على طلب طياري الطائرات المغيرة.

كما جرت العديد من المحاولات والتي عمت مختلف المعسكرات منها في معسكر الشعيبة بالبصرة، والتي لم يُسلط الضوء عليها من قبل السلطة وكُتابها، حتى لا

٣٨٥- خليل إبراهيم حسين، الموسوعة، مصدر سابق، ص ٣٦١ - ٣٦٣

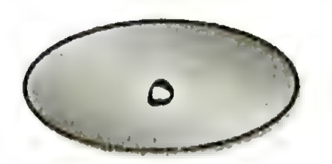
تتضح الصورة الحقيقية لحجمهم القليل؛ ولا الواقع الحقيقي لنظام تموز ومؤيديه من وطنيين و مستقلين وشيوعيين؛ ولا سعة عدم التأييد والمقاومة لهم.

هذه التحركات قد أُخمدت لأسباب عديدة منها:

صغر حجمها؛ عفوية بعضها غير المنظمة؛ وخضوعها لمتطلبات الانضباط العسكري وقواعده؛ كما أن صغر رتب القائمين بها كان عامل فشل للبعض الآخر؛ وعدم تحرك قوى مساندة ووصول امدادات؛ أو وحشية القمع الذي جوبهت بها مما أثر في اتخاذ قرار المشاركة؛ وأخيراً دور أخبار الإذاعة الملفقة.

أيضاً قد يضاف إلى ما سبق مسألة اتساع جماهيرية الحزب الشيوعي، هذا الاتساع رغم أنه يشكل عامل قوة لكن له جوانبه السلبية المتمثلة في أن العمق والثبات التي تتطلبه الأوقات الصعبة لم يكونا حقيقيين وهذا ما جعل الخوف يثني الكثيرين من رفاق الحزب ومؤيديه عن التحرك الجدي لإجهاض الانقلاب والأهم من كل هذا من وجهة نظرنا الإدارة الناجحة لمقاومة الانقلاب ونعني بالإدارة هنا القيادة التي تمسك بكل القوى المتاحة وقدرتها على تحريكها حسب متطلبات الموقف في الزمان والمكان والطاقات.

من هذا يتضح أن خطة الطوارئ، التي وضعتها قيادة الحزب الشيوعي لم تطبق.. وقد اعتمد الحزب على المبادرة الذاتية والفردية لقواه في الجيش، لكنها لم تتحرك بالشكل الكامل والمطلوب منها في الوقت المناسب.. في حين كانت الجماهير العزلاء في المدن والأرياف تنتظر تحرك هؤلاء العسكريين. وقد ضاع في هذا الترقب والانتظار والتردد في اتخاذ القرار وقت ثمين للغاية، كان بإمكانه تغيير موازين القوى آنذاك.



٤ - بيـان الإبـــادة رقم ١٣[٣٨٦]:

في حلكة الظلام الطبيعي والنفسي، استمر القتال في عموم مناطق بغداد، وبخاصة حول وزارة الدفاع، والكاظمية وعقد الأكراد في شارع الكفاح ووفي الكريمات مقابل الإذاعة والتلفزيون في الصالحية.. وازدادت شراسته، وعلى الأخص بعد انضمام قوات جديدة مؤيدة للانقلاب تم استقدامها من الحبانية ومعسكر الرشيد، حيث وزعت على مناطق المقاومة في بغداد وعلى الأخص في وزارة الدفاع، التي اشتد الخناق عليها من كل الجوانب. لقد استبسل جنود ومراتب الانضباط العسكري بقيادة آمرهم الزعيم عبد الكريم الجدة في صد هجمات الانقلابيين وقد استشهد العقيد الجدة وهو على بعد ٤٠ ياردة منهم. (هناك من يقول أن استشهاده كان في صبيحة يوم ٩ شباط) في نفس الوقت الذي أصيب فيه الزعيم وصفي طاهر إصابة بليغة وخطرة.

---

٣٨٦ - من المؤسف جداً أن منقح كتاب تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨- ١٩٦٨، بطبعته الثانية الباحث الاكاديمي الفاضل جعفر عباس حميدي، لم يتطرق في الجزء السادس منه، إلى هذا البيان اللا اخلاقي وقد تم تجاهله وعدم تحليله وتأثيره السلبي على المجتمع العراقي.. باعتباره مَثلَ في ماهيته فلسفة السلطة الجديدة.. ويأتي مؤلفو الكتاب ليساهموا في إخفاء مثل هذه الجريمة بالمفهومين القانوني والسياسي.

ومنذ الساعة الثامنة ليلا بدأت سلطة الانقلاب (مجلس قيادة الثورة)، تعلن جملة من الإجراءات والمراسيم الخاصة بقوام تركيبة السلطة الجديدة وخاصةً السلطة التنفيذية وعلى عدة مستويات، العسكرية والمدنية، الإدارية والتنظيمية وغيرها [٣٨٧] من الإحالات على التقاعد وإحلال أتباعها في محلهم. منها: تعيين طاهر يحيى رئيسا لأركان الجيش بدلاً من أحمد صالح العبدي و د. عبد العزيز الدوري رئيسا لجامعة بغداد بدلاً من عالم الفيزياء عبد الجبار عبد الله وغيرهم.

وفي التاسعة وعشرين دقيقة أذيع البيان (رقم ١٣) الذي طالب بالإرشاد عن الشيوعيين وإبادتهم. من هنا بدأ عرس الدم ومهرجانه، والذي لم يتوقف لحد الآن، بالرغم من بعض الفترات المؤقتة. ومنذ ذلك البيان، بوجه خاص، أصبحت موجة العنف الدموي [... موجة ثأرية دموية فئوية ذات طابع قومي، جاءت في أعقاب الموجة الأولى (يقصد بها المؤلف الفترة ١٩٥٩ لغاية شباط ١٩٦٣ - الناصري) وكنتيجة من نتائجها أو للرد عليها. وبدا بتنفيذها بإسقاط نظام عبد الكريم قاسم وإعدامه هو وأنصاره بمجزرة بالغة القسوة والشراسة، انتهت بانتصار القوميين والبعثيين. وقد استهدفت تلك الموجة في بادئ الأمر سحق تيار الحركة الشيوعية وتنظيمها، فنفذت خلالها عمليات واسعة من التصفيات الدموية الرهيبة ضد أتباع وأعضاء وأنصار الحركة الشيوعية في العراق وسقط بسببها المئات من الأبرياء وسادت موجة مرعبة من الإرهاب الفئوي العقائدي...[٣٨٨]].

---

٣٨٧ - للمزيد راجع الملحق رقم ٢.

٣٨٨ ـ باقر ياسين، التعددية والانتقال السلمي إلى الديمقراطية، دراسة في عدة حلقات، جريدة الزمان، منذ ٢٥/٠٣٣/ ٢٠٠١. ويحاول المؤلف هنا مقارنة هذه القسوة البالغة، مع ما حصل (للقوميين و البعثيين في المد الشيوعي عام ١٩٥٩) حسب تعبيره. إن هذه المقارنة غير دقيقة، في اعتقادي، من حيث عمق القسوة ومدى شموليتها، والمسؤولية الجنائية. حيث لم تسفك من الدماء في هذه الفترة كما حصل في اعقاب الانقلاب . كما أن قوى التيار القومي على مختلف أحزابها قد سبق لها وأن مارست العنف الدموي في العهد الملكي أو/و في مطلع الحكم الجمهوري الأول وخاصةً بعد عام ١٩٥٩، وربما بصورة أكبر في بعض المجالات أسوةً بالقوى اليسارية، التي مارست أغلبه كرد فعل لما انتهجه التيار القومي أو بعض فصائله من حركات انقلابية. وأني أرى أن هذا العنف المنفلت لم

وسرعان ما أصبح هذا القانون الرهيب ضمن مكونات الذاكرة العراقية والتي تفرض النكبات اقترانه الأبدي بها. نذكره هنا (البيان رقم ١٣) للتوثيق باعتباره أداة جرمية تلاحق كل من ساهم في هذه المجزرة: **منفذاً أو مخططاً، داعياً أو مؤيداً، مهندساً لها أو متفرجاً عليها برضاه**. كما أن مضمونه يدلل على الطبيعة السيكولوجية الاجتماعية لقوى الانقلاب؛ ومدى تخلفهم وماهية غائيتهم؛ دمويتهم وحقدهم الأعمى المتلحف بالثأرية البدوية وقيم الولاءات الدنيا. ندرجه هنا كوثيقة إدانة لكل من ساهم فيه، وهذا نصه:

بيان رقم ١٣

نظراً لقيام *الشيوعيين عملاء* وشركاء عبد الكريم قاسم في تعاونه بمحاولات يائسة لإحداث البلبلة بين صفوف الشعب وعدم الانصياع للأوامر والتعليمات الرسمية. وعليه تقرر تخويل القطعات العسكرية وقوات الشرطة والحرس القومي *بإبادة* كل من يتصدى للإخلال بالأمن. وإننا ندعو جميع أبناء الشعب المخلصين بالتعاون مع السلطة الوطنية بالإرشاد عن هؤلاء *المجرمين* والقضاء عليهم.

العقيد رشيد مصلح التكريتي

الحاكم العسكري العام

وقبل الخوض في تحليل موجة الابادة المنفلتة والتي مثل هذا البيان منطلقها الرسمي، يجدر بنا التوقف على معرفة محرر البيان، الذي تم نشره بتوقيع الحاكم العسكري العام

يكن عفويا أو رد فعل ، كما يشاع، لممارسات الحزب الشيوعي ضد التيار القومي، بل ان الموضوع إذا أُخذ بماهيته وارتباطاته الدولية والاقليمية فكان فعلا مخططاً له، أنطلقت شراراته من بداية ثورة ١٤ تموز عندما بدأ العنف المعنوي يفرض نفسه من خلال الشعارات غير المنسجمة مع المرحلة والمغلفة بالامنية حسب ولا مع الواقع المادي لبنية العراق الاجتصادية. للمزيد راجع ايضاً باقر ياسين، الاجتثاث ودكتاتوريات العقيدة الواحدة في العراق، مصدر سابق.

العقيد رشيد مصلح التكريتي. لكن أناط حازم جواد، في الآونة الأخيرة، اللثام عن شخصية كاتب البيان المشؤوم، حيث ذكر أن محرره هو **طالب شبيب عضو القيادة القطرية ووزير خارجية حكومة الانقلاب**، والذي "... شارك بجميع القرارات التي اتخذت في دار الإذاعة في الصالحية وكان سريع المبادرة، لكنه ارتكب خطأً (اقرأ جريمة- الناصري) واحدا ولم يستمع إلى نصيحتي وظل نادماً عليه لسنين طويلة قادمةً وهو تحرير البيان رقم (١٣)... وتوصل العسكر إلى تقييم أنه ما دامت هناك مقاومة... فعلى مجلس قيادة الحركة...إصدار إنذار نهائي للشيوعيين بإنهاء المقاومة فوراً... وجدت البيان جاهزاً وهو الذي يحمل رقم (١٣) ومنشئه الأستاذ طالب شبيب والذي يذكر أسم الشيوعيين صراحة في البيان ، فاقترحت شطبها وإحلال كلمة الفوضويين مكانها...[٣٨٩]".

والسؤال الذي يطرح نفسه بقوة هنا ألا وهو: لماذا يقترن البيان بأسم العقيد رشيد مصلح /الحاكم العسكري العام، في الوقت الذي أصدر البيان هو (المجلس الوطني لقيادة الثورة) [٣٩٠]؟ في حين أن محرر البيان هو طالب شبيب؟ من جهة، ومن جهة ثانية إن حازم جواد، أمين سر القطر آنذاك، لم يستنكر ويرفض مضمون البيان بقدر ما انه اراد أن يغيير كلمة الشيوعيين بالفوضويين.. بمعنى آخر أنه موافق على ماهيات البيان وتوجهاته الدموية حيث يقول: "... أنا أعترضت على لفظة الشيوعيين، قلت له ضع مكانها الفوضويين، فأصر طالب اصرارا عجيباً وقال : لا. نسميهم بالاسم حتى تفهم الناس. انا اعتبرت أن لا داعي لذلك لأنه سيسبب لنا ضجة في المستقبل، وكان طالب يتندم دائماً على ذلك... [٣٩١]". ومن جهة ثالثة فقد عكس هذا البيان

٣٨٩- من أوراق حازم جواد ، جريدة القدس العربي، في ٢٠٠٦/٢/٢٣، مصدر سابق.

٣٩٠- مجموعة باحثين، تاريخ الوزارات العراقية في العهد الجمهوري ١٩٥٨- ١٩٦٨، ج.٦، ص. ٢٧، ط.١، دار الحكمة بغداد ٢٠٠٢. كذلك د. علي كريم سعيد، مراجعات، ص. ١٠٧، مصدر سابق.

٣٩١- مذكرات حازم جواد، ص. ٦٠، وهي تمثل ما نشره الموما إليه في جريدة الحياة، والتي حاوره فيها غسان شربل، وقد نشرت منذ ٩/ شباط/ ٢٠٠٤. مصدر سابق.

فلسفة السلطة الجديدة.. كما لو أن مهمتهم الأراسية كامنة في ابادة التوجهات الديمقراطية العامة واليسارية خاصةً والشيوعيين على الأخص. وهذا ما رصدته السفارة البريطانية عندما قالت في رسالة لها: "... منالمعروف عن عدد من أعضاء الحكومة الأكثر نفوذاً هي معاداتهم للشيوعية بعنف، وأن الإذاعة تحث الناس على مطاردة الشيوعيين أنى كانوا..."[٣٩٢].

ومن القراءة الأولية للبيان وتفكيك محتوياته وتسليط الضوء على أبعاده الخفية، يمكن القول أنه:

١ ـ كان البيان استمراراً للعنف الذي مارسه التيار القومي في الشارع السياسي، وبخاصة منذ ما سبق محاولة اغتيال الزعيم قاسم عام ١٩٥٩ لمساهمته في تنظيم عمليات الاغتيالات السياسية والمحاولات الانقلابية، حتى للخطاب السياسي الذي سارت عليه صحافته وأدبياته، وخاصة جريدة الاشتراكي (الجريدة السرية لحزب البعث العراقي) التي سبق أن كتبت مقالاً أكدت فيه [**أن اليد التي تتعامل مع الشيوعيين ستقطع**..."[٣٩٣]]. كما كان البيان استمراراً لأفكار وممارسات سياسية تقوم على قاعدة العنف وأيديولوجيته، فيما بين السلطة السياسية والمكونات الاجتماعية للمجتمع. وكان من نتاجها ما نحن عليه من تصعيد وانتشار لثقافة عنفية بالغة القسوة لم يشهد العراق مثيلها، وأصبحت إحدى سمات الحكم منذ ذلك التاريخ ولحد الآن؛

٢ ـ أصبح [**الموت.. نظرية عمل**] لدى حكومة الانقلاب وكانت رداً تراجيدياً على نظرية الزعيم قاسم [المأخوذ بالحكمة القديمة - عفا الله عما سلف - ومبتدع

٣٩٢- مستل من نوري عبد الحميد العاني، الأيام الأخيرة من حكم عبد الكريم قاسم في الوثائق البريطانية ، بيت الحكمة، بغداد ٢٠١٣.

٣٩٣ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ٥١ .

الحكمة الجديدة - الرحمة فوق القانون - والتي تبدو أمام المتمسكين بنظرية الموت ساذجة وسخيفة..."[٣٩٤] ؛

٣ ـ للمرة الثانية، في تاريخ العراق المعاصر، تتبنى الدولة في صيغتها الانقلابية رسمياً فكرة التهمة/المحاكمة على أساس الشُبه والوشاية المجردة والحكم عليها بأقسى العقوبات (إعدام الحياة).. أي تقوم التهمة على ركن غير منطقي ولواقعةٍ غير مادية وغير ملموسة. لقد سبق للحكومة الكيلانية الرابعة (١٢ - ٤ - ١٩٤١/ ٢٩ - ٥- ١٩٤١) ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث أن عملت بهذه القاعدة واستمر العمل بها لغاية الحكومة العمرية الأولى (١ - ٦ - ١٩٤٦ / ١٤ - ١١ - ١٩٤٦). إذ تم إبطالها تمشياً والوضع الدولي الجديد الذي أعقب الحرب العالمية الثانية. كما أن هذه الفكرة تناقض في الجوهر مما هو مُشرع في الفكر الإسلامي المنطلق من مضمون الآية الكريم { **إن بعض الظن إثم** } والتي في نفس الوقت تخالف صيغة بيانات الانقلاب المذاعة في ذلك اليوم والمقترنة جميعها بالبسملة. كما أن السياسة القمعية ضد الخصوم والتي اتبعت آنذاك، كانت تخالف القاعدة الإسلامية { **لا تزر وازرة وزر أخرى** } ؛

٤ ـ لم يحدد البيان أركان الجريمة ومظاهرها بصورةٍ ملموسة، حتى يعاقب مرتكبها باستلاب الحياة منه، أي دلل البيان على انهيار المقاسات والمعايير القانونية وإبدالها بهلامية القرائن الدالة عليها. وكان أخطر ما في البيان هو منح الشرعية القانونية للقتل الكيفي على أساس الهوية السياسية. وهذه إحدى سمات الديكتاتوريات التسلطية القمعية، عسكرية كانت أم قائمة على نمط الحزب الواحد ؛

٥ ـ توضح مفردة (**الإبادة**) عمق نفسية القسوة والثقافة الانقلابية لدى الحكام الجدد وساديتهم، وإصرارهم المسبق على اجتثاث حملة الفكر السياسي، وإن لم

---

٣٩٤ - حسن العلوي، العراق دولة المنظمة السرية، مصدر سابق، ص ١٤٥.

يرتكبوا جريمة محددة الأركان. كما تعبر هذه المفردة عن انحطاط القيم الاجتماعية والحضارية والاستهانة بالكينونة الإنسانية وبكل أبعاد روابطها. وهكذا نرى أن [... صدور البيان رقم ١٣ في ٨ شباط / فبراير ١٩٦٣، على الرغم من التبريرات التي قيلت عن أسباب صدوره يشكل بحد ذاته واحدة من أخطر الأحداث فظاعة، في السلوك الدموي لديكتاتوريات...[٣٩٥]] الحزب الواحد.

٦ ـ لقد أفضى البيان إلى نتيجته المنطقية ألا وهي شيوع وانتشار القتل العشوائي ومنحه الصفة القانونية، دون محاسبة ومراقبة منفذي الابادة، والتي طالت الأفراد والجماعات المكونة للمجتمع العراقي دون استثناء، مما وسم، بحق، هذا النظام بالإرهاب والدموي نظراً لكثرة ضحاياه في سلامه لا في حروبه الخارجية. لقد وصل بهم الأمر أن قصفوا بالطائرات الحربية، ولأول مرة في تاريخ العراق الحديث، الأحياء السكنية والمظاهرات السلمية المناهضة لهم، كما حدث عندما شن منذر الونداوي هجوماً بالرشاشات عليهم في الكريمات مقابل الإذاعة، وفي منطقة الزعفرانية السكنية، ودكوا بالمدفعية الأحياء السكنية في الكاظمية وعقد الأكراد؛

٧ ـ وكان من نتائج البيان، المعبر عن فكرة الانتقام باعتبارها من منظومة المجتمعات السابقة للمجتمع المدني والمستندة إلى مبدأ القوة، **أن أصبحت شهوة الانتقام من المعارضين الحقيقيين أو الوهمين أو المزعومين، لا حدود لها.** حتى [أن ذلك البيان، ربما سيبقى أحد الخروقات الشنيعة للقانون وحقوق الإنسان في تاريخ العراق، لأنه أباح على نحو رسمي ممارسة القتل الكيفي بين الناس في كل مكان في العراق... ولعل صدور هذا البيان بحد ذاته يشكل واحداً من أخطرا لأحداث فظاعةً في السلوك الدموي لدكتاتوريات العقيدة الواحدة في التاريخ العراقي...[٣٩٦]]، كما يرصدها العضو السابق في القيادة القومية لحزب البعث. ويذكر د. علي

---

٣٩٥ ـ باقر ياسين، التعددية والانتقال السلمي، مصدر سابق، جريدة الزمان في ٢٠٠١/٠٣/٢٥. ولذات المؤلف الاجتثاث، ص. ١٦٧، مصدر سابق.

٣٩٦ ـ باقر ياسين، تاريخ العنف الدموي بالعراق، مصدر سابق، ص ٣٦٣.

كريم سعيد عمّا عملته قوات الانقلاب بالكاظمية بالقول: [كما ارتكبت القوة خطأً كبيراً (مجرد خطأ!؟ - الناصري) عندما أقامت محاكمات صورية وفردية وحكمت بالموت على عدد من المقاومين بينهم أحد الزعماء الشعبيين (سعيد متروك) الذي نفذ فيه الحكم...[٣٩٧]] في الكاظمية؛

٨ - كما عبر البيان عن مدى تدني وعي المفاهيم السياسية والحزبية وذلك عندما استخدمت السلطة العقائدية القوة لأجل استئصال عقيدة فكرية منافسة لها. مما أفرغت توجهاتهم الفكرية من مضامينها الحقيقية وأصبحت شعاراتهم الرئيسية (الوحدة والحرية والاشتراكية) مجرد ة من مقوّماتها الواقعية. هذه الطريقة في التعامل مع الخصوم الفكريين، دللت على عمق ترسخ ثقافة العنف والانقلاب لدى منظري الانقلاب الفكريين.

٩ - أشرك البيان كافة الناس لا في عملية الوشاية فحسب، بل حتى في تنفيذ العقوبة خارج أطر المؤسسات المناط بها تنفيذ العقوبات قانونياً. إذ خول مؤسسات غير رسمية كـ (الحرس القومي) مثل هذه الصلاحيات. **كما أن عدم الإرشاد من قبل الناس عن الشيوعيين اعتبر جريمة تستوجب المعاقبة.** أي بمعنى آخر أرسى البيان مقومات نظام الوشاية على كافة المستويات الاجتماعية، والذي أصبح في بعض مفترقاته الوسيلة الأسهل لتجنب الخوف من الخوف، والأسرع لشق طريق تسلق السلم الوظيفي والحزبي والحصول على المنافع الخاصة، ناهيك عن انبعاث الثأرية في المسلك الفردي.

١٠ - لقد أدى هذا البيان إلى سيادة عالم الخوف والرهبة وتعميم أيديولوجيتهما إلى كافة مسامات الحياة الاجتصادية/ السياسية/الروحية، مما عطل مقومات استمرار الحياة المدنية الاعتيادية، بل بلوغها قاع الخساسة الإخلاقية والسياسية والفكرية وذلك عندما **أوصلت الإنسان إلى حالة القتل بدون كراهية.. عندما تقتل أشخاصاً لا تعرفهم ولا تكرههم ولا تشعر نحوهم بشيء، وهي من سمات الحيوانية بكل أبعادها.** وهذا ما يمكن أن نطلق عليه غياب الحس

---

٣٩٧ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق هامش ص ١٢٤.

الأخلاقي، رغم أنهم كانوا ذو قناعات سياسية وحزبية راسخة، لكنها غير أخلاقية بالمعنى الواسع للمفردة؛

١١ - وضح البيان في الوقت ذاته مدى تخوف الانقلابيين من عمق الاحتجاج والمقاومة المناهضة لهم التي أفزعتهم، حسب أقوالهم، والتي سادت كل أنحاء العراق، كجغرافية وتكوين اجتماعي. لذا حاول الانقلابيون معاقبة هذه الأكثرية المناهضة لهم بأقسى العقوبات، ألا وهي الإبادة. جاء عملهم هذا لأنهم كانوا يعتقدون أن المقاومة ستنهار خلال سويعات بعد حسمها في مركز الحدث/وزارة الدفاع. لقد ترجم هذا الموقف عملياً أنور الحديثي أثناء احتلاله لمعسكر الرشيد صباح يوم الانقلاب، إذ [... نادى على أحد الهاتفين (بحياة الزعيم - الناصري) وطلب منه إعادة هتافه، ولما أعاده أطلق عليه أنور من مسدسه الذي صوبه نحو رأس الجندي، فسقط على الفور ميتاً. وفرغت الساحة من كل المتظاهرين بسبب ما سببته العملية من رعب وذعر...[٣٩٨]]؛

١٢ - لقد حاول طالب شبيب تبرير صدور هذا البيان الذي حرره وصاغه بنفسه، كما ذكرنا سابقاً، بصورة متناقضة مع حيثيات مذكراته، عندما قال: [... لم يصدر البيان المذكور ولا صدر لغرض إباحة الدماء وسفكها، وإنما سعياً لإيقاف القتال وحقن دماء أفراد لا ضرورة لها... وكان بامكاننا إصدار أوامر فورية للمدرعات بتدمير المقاومة وإسكات نيرانها (وهذا ماكان فعلا - الناصري)... ذلك دون غيره كان السبب وراء إصدار بيان رقم ١٣، الذي آثرنا إذاعته في ساعة متأخرة من الليل، بعد الاعلان عن تشكيل الحكومة ووصول اعترافات الدول بها وبشكل خاص برقية الرئيس عبد الناصر القوية والمشجعة والمباركة... وأستطيع التأكيد أن أحداً من الجنود المنتشرين في بغداد لم يقتل بعد إذاعة البيان الرادع، وسكت الرصاص الذي كان يطلق عشوائياً على الجنود بعد أقل من ساعة... [٣٩٩]]. (التوكيد منا - الناصري). إن منطق التبرير أعلاه يفنده ما يلي:

---

٣٩٨ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق هامش ص ٨٢

٣٩٩ - المصدر السابق، ص ١٠٧

أ ـ صدر البيان في الساعة التاسعة وعشرون دقيقة مساء الثامن من شباط وليس في ساعة متأخرة من الليل ؛

ب ـ لم يصل أي اعتراف بسلطة الانقلاب من أي دولة، لحد اليوم التالي وبعد إعدام الحياة للزعيم قاسم ورفاقه ؛

ج ـ تم إذاعة برقية الرئيس عبد الناصر في الساعة الثانية والدقيقة الخامسة والثلاثين من صباح التاسع من شباط، باعتبارها اعترافاً شكلياً.

د ـ لقد أصدرت سلطة الانقلاب أوامر إلى المدرعات العسكرية بتدمير المقاومة وإسكات نيرانها حيثما وجدت وبخاصة في الكاظمية والكفاح. وهذا ما أشار إليه د. علي كريم سعيد محاور طالب شبيب، عندما ذكر كيف صدرت الأوامر بقصف المناطق الشعبية. إذ عندما [تقدم الجيش إلى باب الدروازة ليقترب منهم (المقاومين - الناصري) ويوجه مدافعه وهاوناته إلى معاقلهم. وقد ردَّ فعلاً على إطلاقات الكلاشنكوف بقذائف من مدفعه، مما أدى إلى سقوط قتلى وخسائر أخرى، وذلك أدى إلى اعتراض البعثيين المرافقين على ضرب الأحياء... كان رد الضابط والله نحن عسكريين وننفذ الأوامر بحذافيرها... نحن مبلغون بالرد على الكلاشنكوف بقذائف المدفعية... وفي اليوم التالي توغلت القوات داخل الأحياء الشعبية...[400]]. ويشير يونس بحري إلى واقعة مشابهة عندما ذكر: [إن اصطدامات وقعت بين الجنود والحرس القومي المدني من جهة والشيوعيين من جهة أخرى في حملة شنت على بعض الجيوب الشيوعية... وقال شاهد عيان أن رصاص بندقية أطلقت من نافذة وردت عليه دبابة تابعة للجيش بإطلاق النار من رشاشاتها...[401]](٢٦٠) ؛

هـ ـ كما عوملت المناطق المناهضة لقوى الظلام وكأنها بلد عدو، كما أشارا الاكاديميين بينروز؛ إذ "... اشتهر البعثيون والحرس بإستخدام وسائل وطرق غير

---

٤٠٠ - المصدر السابق، هامش ص ١٢٤

٤٠١ - يونس بحري، ثورة ١٤ رمضان، مصدر سابق، ص ٩٥.

معهودة في السجن، كالأسلاك الكهربائية المزودة بكلابات والإجلاس على خوازيق الحديد المدببة ، وقص الأصابع ورميها في أركان السجن المهملة. وفي الأيام الأولى للانقلاب فاض المعتقلون عما هو متوفر من معتقلات على ما شهدنا في تشيلي بعد عشر سنوات بالتمام، ففتحت لهم النوادي الرياضية ودور السينما وقاعات الرياضة وملاعبها وتبدى في هذه الأثناء ، أن المطلوب لا يقل عن الاجتثاث المادي الكامل لا للشيوعية فحسب ، بل للشيوعيين أيضاً.

وبالفعل ثأر البعثيون بأن حدَّثوا القتل العراقي وصنعوه، وكان المَعْلَمْ الذي لا يخطئ { قطار الموت} الشهير ... ثم عن سادية تُرجم إليها، للمرة الأولى معنى (الانقلاب) الذي بشر به ميشيل عفلق..."[٤٠٢].

و ـ لم يتوقف إطلاق النار إلا بعد ثلاثة أيام بعد أن سيطرت قوات الانقلاب على مساحات من حقول الحياة الاجتماعية بكل أبعادها. ومع هذا استمرت المطاردات العسكرية لمناهضي الانقلاب في الأرياف لحين سقوط الحكم في تشرين الثاني من ذات العام.

ز ـ يُكذب شبيب نفسه بنفسه عندما قال: [ورغم أن قاسم بدأ بعد ذلك بتخفيف هجومه ضد القوميين ومنع اعتداء الشيوعيين ضدهم، فإن ذلك لم ينفع أو يفيد في غفران دم هؤلاء] أي أن نية الإبادة مبيتة وكانت قائمة سواءً قاوموا أو لم يقاوموا الانقلاب. ويُكذب نفسه ثانيةً عندما يقول [... كان إطلاق الرصاص حتى صباح ٩ شباط مستمراً بين القوة الكبيرة التي تحاصر وزارة الدفاع والقبو الذي تحصن فيه عبد الكريم قاسم مع بعض ضباطه..."[٤٠٣]]. أي لم يتوقف إطلاق الرصاص بعد إذاعة البيان كما يقول.

---

٤٠٢ - حازم صاغية ، بعث العراق، ص. ٣١، مصدر سابق.

٤٠٣ - د. علي كريم سعيد، مراجعات، مصدر سابق، ص ص ١١٠و٩٩

ح - إن وجود القوائم المسبقة لإبادة الشيوعيين واليساريين، والتي زود بها الحرس القومي وقوات الأمن وشرطة النجدة، كما أوردها البعثيون أنفسهم بما فيم شبيب، تؤكد فكرة الإبادة المسبقة [٤٠٤].

١٣ - يعيد البيان إلى الذاكرة، الفكرة الرئيسية التي كانت من مسببات تأسيس حزب البعث والتي تضمنتها إحدى وثائقه الحزبية الداخلية السرية، عام ١٩٤٨، [...والتي تحدد فيها الهدف الأرأس من تكوين الحزب، وهو **الوقوف بحزم ضد انتشار أفكار الاشتراكية العلمية (الماركسية) تحديداً ومناهضتها في العالم العربي بعامةً والمشرق منه بخاصةً...** [٤٠٥]].

كما وقد تم الإشارة إلى الماهية الأرأسية لهذه الفكرة في نضال البعث، إذ لم يكف مكتب حزب البعث أبداً عن محاربة الخطر الشيوعي "... فهو يطالب السوريين العرب بمحاربة هذا الشكل من الاستعمار الذي يخفي وراءه عناصر وطوائف مملوءة بالكره ضد العروبة، فيجب أن يتحدوا ضد هذا الخطر قبل فوات الأوان، وقبل أن يسمم الحزب الشيوعي الفكر العربي ويهدم الكيان العربي، لأنه يكون الأعاجم قد حققوا ما يتمنونه من أزمنة سحيقة ضد أمتنا..." [٤٠٦]. بل والآنكى من ذلك أن "...ميشيل عفلق يقول في أحد كراريسه إن مقاومة الأفكار الهدامة لا تقتصر على مناقشتها

---

٤٠٤ - راجع الملحق الثاني في هذا الكتاب، حيث أذاع راديو الانقلابيين بيانا يدعو فيه المقدم فاضل السامرائي للالتحاق بمنصبه مديراً لشرطة النجدة، على أن يقوم بإلقاء القبض على الأشخاص المشتبه فيهم والمزود بقائمتهم. كما دعى البيان سبعة من كبار ضباط شرطة النجدة للالتحاق بمراكزهم.

٤٠٥ - ناصر الناصر، (عقيل الناصري) لنحدد المسئولية في البدء، جريدة الغد الديمقراطي، العدد ١١٣ في ١٩٩٣. أنطلق الكاتب في فكرته من الوثيقة التي ذكرها عضو القيادتين القطرية (السورية) و القومية السابق لحزب البعث، د. محمد الزعبي، في رسالة الدكتوراه التي ناقشها في جامعة لايبزك عام ١٩٧٤، وقد أطلعت على نصه العربي، عندما كنا نعمل سوية في جامعة وهران للأعوام ١٩٧٩ - ١٩٨٥.

٤٠٦ - مستل من كتاب نضال البعث ، ج.١ ، ص. ٦٣ ، القطر السوري.

ودحضها، بل تملي تصفية المؤمنين بها والداعين إليها، وكان لهذا الكلام تأثيره عليّ..."[٤٠٧].

وتأكيدا لقول الفكيكي أعلاه تشير أحدى رسائل الدكتوراه الاكاديمية بإشراف المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون، إلى إن هذا الفعل الدموي للبعثيين ومعهم جميع القوى والاحزاب من التيار القومي التي كانت تحيط بهم من مدنيين وعسكريين،"... تجد جذورها البعيدة في أيديولوجية حزب البعث المعادي أساساً للشيوعية. كما أنها تجد اسبابها القريبة في المعارك العنيفة التي دارت ما بين الشيوعيين والبعثيين منذ عام ١٩٥٩. إن مسؤولية القيادة القومية وقيادات الحزب في هذا الأمر، كبيرة. فهي التي عملت، في نهاية التحليل طيلة فترة زمنية طويلة، على تعبئة أعضاء البعث وأصدقائه وأجوائه ضد الشيوعية من الناحية الآيديولوجية أو السياسية، وكذلك النفسية أيضاً.

بالإضافة إلى هذا كله، فإن الموجة العدائية الواسعة والمركزة، التي أكلفتها أجهزة الإعلام داخل الجمهورية العربية المتحدة وخارجها (إذاعة، صحافة، وغيرها) ضد حكم (قاسم العراق) وضد الشيوعيين العراقيين والسوريين على السواء قد ألهبت النفوس وأثارت الانفعالات وهيأت بالتالي أذهان القوميين العرب وأوساطهم ، للقيام بأعنف الأعمال المتطرفة ضد الحزب الشيوعي العراقي...إن ضمانة الرئيس عبد الناصر الذي اعترف منذ الساعات الأولى بالنظام الجديد ونفوذه الواسع بين الجماهير العربية، كان ذلك بمثابة نجدة ودعامة كبيرتين لحركة البعث الانقلابية في بغداد..."[٤٠٨].

وهذا ما عكسته السياسة العملية للسلطة عبر البيان، والذي أكده تصريح [...ميشيل عفلق إلى جريدة اللوموند الفرنسية، والذي أُعيد نشره في جريدة الأخبار العراقية بتاريخ ٢٤ أذار ١٩٦٣، أي بعد الانقلاب بشهر ونصف وقد جاء فيه: (إن الأحزاب

---

٤٠٧ - هاني الفكيكي، أوكار الهزيمة، ص. ٧٧، مصدر سابق.

٤٠٨ - مصطفى دندشلي، حزب البعث ص. ٢٥٢، مصدر سابق.

الشيوعية ستُمنع وتُقمع بأقصى ما يمكن من الشدة في كل بلد يصل فيه حزب البعث إلى الحكم... [٤٠٩]] (التوكيد منا - الناصري)؛

١٤ - لقد قوبل هذا البيان وترجمته العملية، بارتياح الأوساط الحكومية الغربية (وخاصةً البريطانية والأمريكية) واستحسنته. فعلى سبيل المثال لا الحصر، أشارت البرقية السرية للسفارة البريطانية في ١٠ شباط ١٩٦٣ إلى:

[٣ - أن كل ما يمكن أن نقوله إلى الآن (والذي بالطبع ليس بعيداً جداً لحد الآن) أن النظام الحالي مشغول في مسح: أ - القاسميين؛ ب- الشيوعيين. والى هذا الحد فعلى الأقل فإنها أشياء جيدة بالرغم من أننا نتوقع صعوبات في المستقبل. وأن الناس الوحيدين الذين يمكن أن يستفيدوا في هذه المرحلة من محاولة إسقاطهم ربما سيكون الشيوعيون... [٤١٠]]. كما استحسنته شركات النفط الاجنبية والقوى التقليدية والدينية والمحافظة والبرجوازية الكبيرة في المدن والريف.

كما إن هذا البيان يشابه من حيث الجوهر الفاشية الايطالية، يقول حسن العلوي: "...تحضرني، وأنا أراجع يوميات تجربة الحزب في العراق ابتداءً من عام ١٩٦٣ في حركة شباط، إن تجربة موسوليني في إيطاليا تتكرر في العراق ثم تصل إلى نهاياتها المشتركة. كان موسوليني صحفياً اشتراكياً لكنه ترك الاشتراكيين وبدأ بتأسيس حزب (خاص) به جعل شعاره حزمة من العصي فوقها فأس... وأختار لتنفيذ مشروعه أشخاصاً يسمونهم ذوي القمصان السود وهم من المتعطلين والبلطجية والقساة وأصحاب السوابق القادرين على ذبح البشر بأسهل من ذبح الدجاج، ورفع شعار أن الدولة والحزب فوق الفرد وبدأ ذوو القمصان السود بمطاردة أعضاء الحزب الشيوعي والاشتراكية بشكل عام... أما الدول الديمقراطية مثل أمريكا ودول أوربا الغربية والاسكندنافية، فقد تركوا موسوليني ومشروعه الفاشي وكأن الأمر لا يعنيهم، والسبب أن موسوليني وديكتاتوريات أوربا الوسطى، شكلا جداراً عازلاً للاتحاد

---

٤٠٩ - مستل من زكي خيري وسعاد خيري، دراسات في تاريخ، مصدر سابق، ص ٣٨٤

٤١٠ - حامد البياتي، أسرار انقلاب، مصدر سابق، ص ٩٢

السوفيتي وأوربا الغربية... كم أتمنى لو أن أي عراقي أو عربي قد وضع هذا المقطع السريع عن تاريخ ايطاليا أمامه وهو يشاهد حركة ٨ شباط والحرس القومي يطاردون الشيوعيين والاشتراكيين بلا قمصان سود ويقتلون عبد الكريم قاسم ورجاله ويشكلون جداراً يمكن أن يؤدي ذات الوظيفة التي كان الجدار الشاهنشاهي يؤديها لعزل الاتحاد السوفيتي، وحماية منابع النفط العربي..."[٤١١].

كما أن هذه الافكار الاجتثاثية وفلسفتها، كانت في الوقت نفسه تعبيراً عن الميكافلية السياسية التي تعكستها أركانها الثلاث وهي: "... الغاية تبرر الوسيلة؛ نقض العهود والمواثيق عند توفر القوة؛ تصفية الخصوم السياسيين بمقتضى الضرورة...".



وفي اليوم الثاني للانقلاب أعلن الحاكم العسكري العام رشيد مصلح التكريتي، في بيان أذاعه راديو بغداد، حذر فيه المواطنين من إيواء أو إخفاء أو تسهيل فرار أي شخص تطارده السلطة. وهذا نص البيان:

" لما كان الشعب العراقي الكريم قد آزر الثورة، التي أعادت إلى العراق كرامته وعزته، ورغبة منا في إلقاء القبض على كافة المجرمين الذين يحاولون تعكير صفو الأمن، تعلن السلطات إنها ستتخذ أشد العقوبات القانونية بحق الذين يحاولون إخفاء أو مساعدة أو تسهيل هروب المجرمين أو يحجمون عن الإدلاء بمعلومات عن أماكن وجودهم.

العقيد رشيد مصلح التكريتي

الحاكم العسكري العام

---

٤١١ - حسن العلوي، العراق الأمريكي، ص. ٩٤، دار الزوراء، لندن تموز٢٠٠٥.

وإزاء حملات الانتقام الواسعة والخوف من الاعتقال والتعذيب، فقد أحجم عدد غفير من المواطنيين، من عمال و طلبة وموظفين، من الالتحاق بأعمالهم. لقد كانت الاعتقالات من السعة بمكان حتى أن سجن رقم واحد ضم وحده في حدود ١٣٠٠ ضابط. لقد أُصيبت الحياة المدنية بالشلل، وتعطلت الدراسة نتيجة لذلك وأصبح الغياب عنها وعن العمل ظاهرة ملفتة للنظر، لذا أصدر الحاكم العسكري في ١٥ شباط إنذاراً يهدد فيه بالطرد لكل من لم يلتحق. وهذا نصه:

" لقد علمنا أن بعض الطلبة والموظفين تغيبوا عن مدارسهم ودوائرهم دون عذر مشروع في وقت يفرض فيه عليهم نداء الواجب القيام بأعمالهم وبذل كل ما في وسعهم لخدمة الجمهورية. إننا نطلب من رؤساء جميع المؤسسات الحكومية والمراكز التعليمية التأكد اعتباراً من ١٦ شباط من طرد أي موظف حكومي يتغيب عن مكان عمله لثلاثة أيام متتالية وطرد أي طالب يتغيب عن مدرسته أو جامعته للمدة ذاتها.

العقيد رشيد مصلح التكريتي

الحاكم العسكري العام

لقد أكمل البيانان المذكوران أعلاه دورة القمع وشرعن لحمام الدم العراقي، كما سبق وأن شرع قانون الابادة (رقم ١٣) لبدايات المقابر الجماعية التي أخذت بعدها الأقصى في القدوم الثاني للبعث (١٩٦٨- ٢٠٠٣)، وقد بدأت دورات الثأر تظهر كالعنقاء من رمادها، حيث سقط الألوف من القتلى، قدر عددهم ما بين ٥٠٠٠ إلى ١٢٠٠٠ شخصاً طيلة مهرجان الدم الذي دام ٩ أشهر ناهيك عن قتلى الحروب الداخلية وعلى وجه الخصوص من أولئك الذين استشهدوا في حرب كردستان التي أندلعت في بدء صيف ذلك العام.

وهكذا تكالبت القوى الداخلية المتضررة من ثورة ١٤ تموز ومسيرتها والتي تساندها القوى العربية (والناصرية أبرزها) والإقليمية والمراكز الرأسمالية التي جميعها:

عكفت بعد فشل تدخلهم لسحق ثورة ١٤ تموز وإحتلال العراق، على إستخدام السبل غير المباشرة للوصول إلى ذات الهدف من خلال طريقتين متداخلتين في آن واحد وهما:

- محاولة إحتواء النظام وقطع جذوره بقواه الاجتماعية عن طريق الترغيب المؤجل والتهديد المبطن؛
- ومن ثم الإجهاز عليه وعلى قيادته وقواه الاجتماعية وعلى الآمال المرجوة منه.

وهذا ما تحقق في يوم ٨ شباط، عندما ذبحوا الثورة التي لم يتجاوز عمرها سوى (١٦٦٦) يوماً. **لقد كان الانقلابيين أدوات تنفيذ ووكلاء عن الغير.**

[... وقد أختاروا شهر السلم الأهلي والطمأنينة، موعداً لتنفيذ إحدى مجازرهم التاريخية ضد العراقيين، وصار اسم رمضان ليس مقروناً بشبابيك الذهب والمآذن الذهبية ولا بأنوار التسامح، وإنما بالخوف والرعب ومشاعر الانتقام وقد أنتشرت في أروقة رمضان جثث القتلى بدل الحلوى والدماء بدل من ماء الورد المنثور على المارة! هلال رمضان، أفق يتنور بنجيع الدم في ١٤ رمضان ١٩٦٣، موعدهم للفتك بالجنس البشري، قد أختاروا ملعب الكرة الجميل مكاناً لتنفيذ أحكام الموت... الفاشية تختار المكان الجميل، مكاناً للفتك والعذاب البشري، وزاد البعثيون في العراق في خياراتها، وأدخلوا الزمان الجميل، اختاروا أجمل الأهلة كي يتنور بنجيع الدم.

هذا التوسع في جغرافيا الدم والانتقال إلى الزمان المقدس جاء بعد إنتهاكات المكان المقدس، ليصبح المكان والزمان في العراق هدفاً لنزعة التدمير في نفوس مريضة، حملت معها إلى بغداد نزعة المستوطن على أهل الأرض الأصليين. ومعهم وجدوا في مستوطناتهم الغريبة عنهم، كائناً غريباً يحتفل به الناس في الدار بين الأحياء،

فاستبدلوا مهرجان الصوم، وأنوار الطمأنينة بمهرجان الدم والرعب... ليس هذا الكلام من وحي الدعاء وإنما هو كلام التاريخ...[٤١٢]].

٤١٢ - حسن العلوي، جريدة المؤتمر العدد٢٣١ في ٢٠٠٠/١١/٢٧، لندن

ملحق صور



الزعيم عبد الكريم قاسم


للزعيم عبد الكريم قاسم











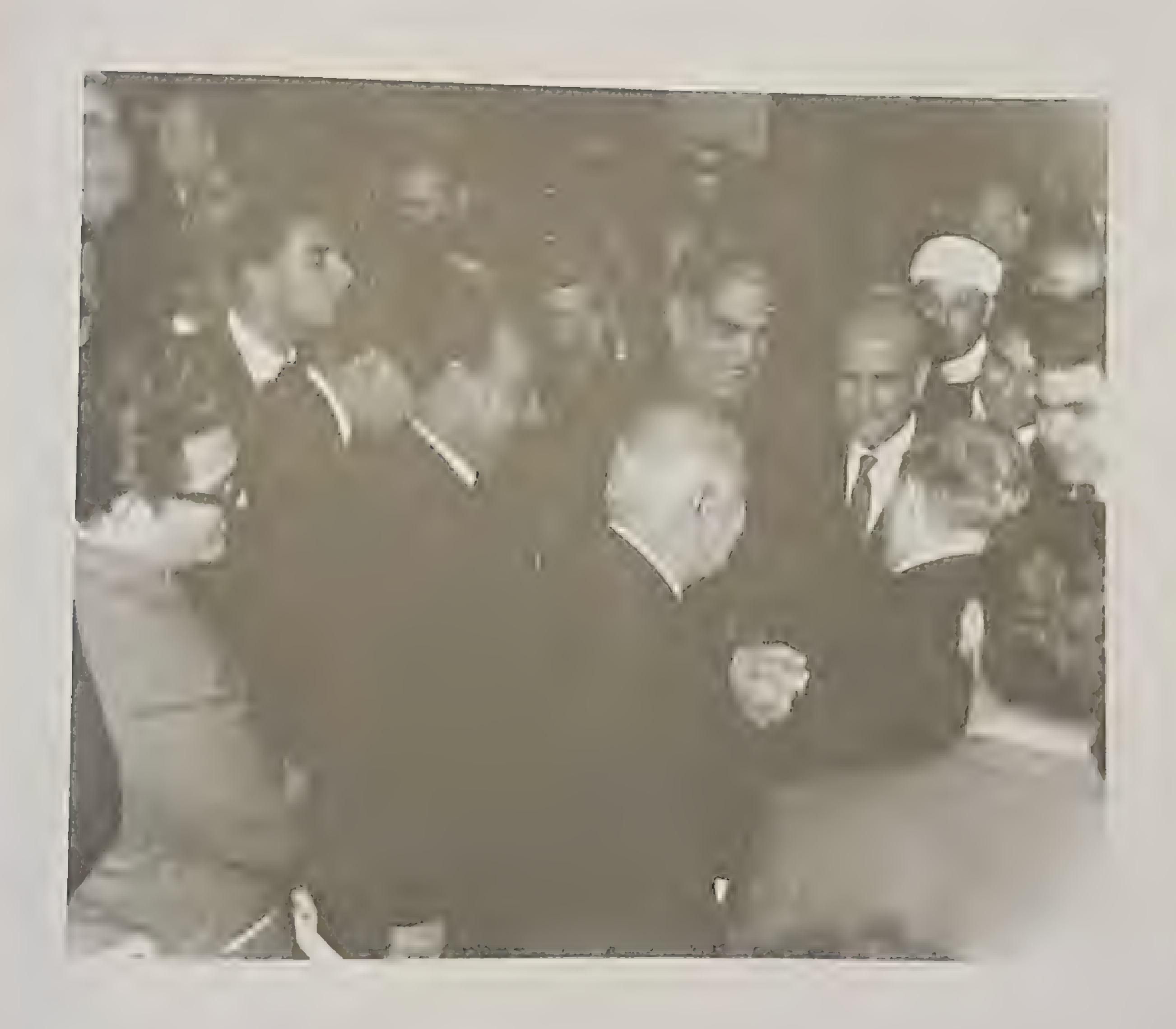


















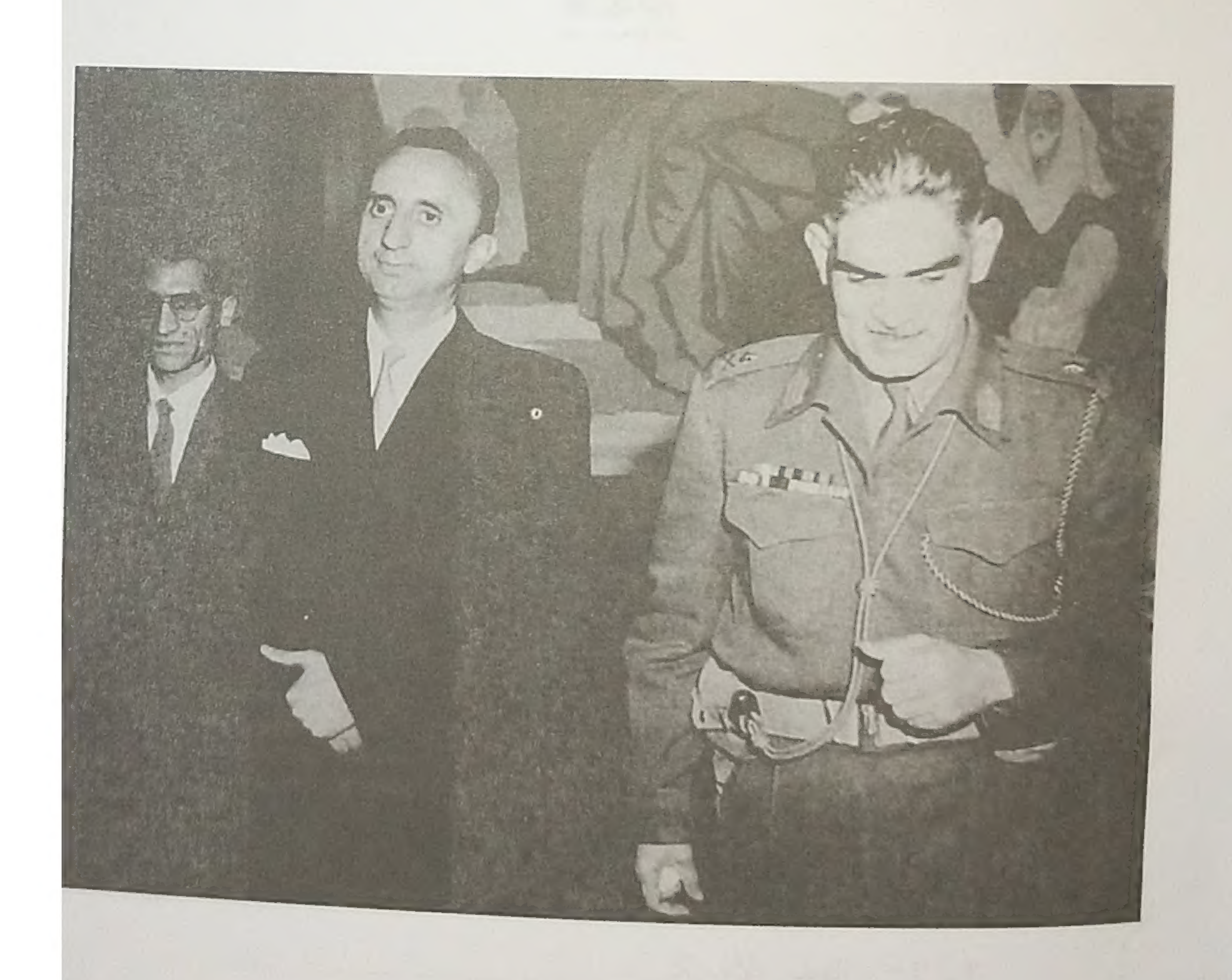












الفهرس



عبد الكريم قاسم في يومه الأخير

د. عقيل الناصري

في الرابع عشر من تموز من عام ١٩٥٨ حدثت ثورة في العراق ولّدت هياجاً شديداً، استطار غرباً وشرقاً حتى كاد ينقل العالم من الحرب الباردة إلى الحرب الساخنة. فالقوات البريطانية والأمريكية نزلت على عجل في الأردن ولبنان استعداداً لشن هجوم على العراق. والقوات السوفياتية، من ناحيتها أعلنت حالة التأهب القصوى. لكن الرائع في ذلك الزمن، هو تلك الوقفة شبه الأسطورية للجماهير على امتداد الساحة العربية وتأهبها للنزال وهو ما كان له الدور الأكبر في إحجام بريطانيا وأمريكا عن الحرب خوفاً من أن تزداد الأمور سوءاً في المنطقة. وبدلاً من ذلك راحت الدولتان تعملان لتحطيم العراق من الداخل ووضعتاه منذ تلك اللحظة في رأس قائمة اهتماماتهما وقطعتا شوطاً بعيداً بل وخطيراً في هذا الاتجاه. فأجهضت ثورة تموز وأدخل العراق في حمام دم. وحتى الساعة، حمام الدم يكبر ويكبر ويطول . ولم تعد تُعرف له نهاية.

وإذا كان صدور الطبعة الأولى لهذا المؤلّف منذ أكثر من عشر سنوات ، بمناسبة الذكرى الأربعين لاستشهاد عبد الكريم قاسم قائد ثورة ١٤ تموز المذكورة ترافق مع مرحلة خطيرة في تاريخ العراق أعطت النزر لباقي المنطقة، فإن صدور الطبعة الجديدة الموسعة تأتي في مرحلة أشد هولاً ليس على العراق وحده وإنما لباقي المنطقة الممتدة غرباً حتى بحر ظلمات أجدادنا وشرقاً إلى موطن الأساطير وأسرار الخلق الأولى، العراق المنتهك.

نعتقد أنه آن الأوان للخروج من الجعجعة والعويل والبدء بالمراجعة الدقيقة . والقراءة الهادئة والواعية لهذه الموسوعة وبعيداً عن الانفعال تُزيل الكثير من الوهم الذي ضاع ويضيع فيه الكثير الكثير.

ISBN 916310589-6